

سيدني شيلدون

الجانب الآخر لمنتصف الليل

إثارة، خداع، هوى

من الكاتب الروائي المفضل عالمياً

الجانب الآخر لمنتصف الليل

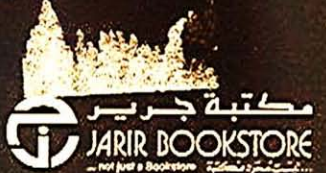
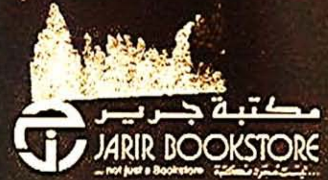
الرواية الرائعة التي تتناول الرغبة الجامحة، وما يحيطها من شر محدق، فأصبحت عملاً فنياً بديعاً.

إنها قصة ممثلة فرنسية جميلة انتشلتها رغبتها الجامحة في الحب والانتقام من أزقة باريس إلى منزل شخص ثري ذي نفوذ.. وزعيم قوي لا ينسى الإساءة التي توجه إليه أبداً.. وبطل حربي وسيم، جذبته امرأة لا يمكن أن يقاومها رجل، فهجر زوجته.. وفتاة بريئة تحول حلمها بالحب إلى حلم مزعج يعد بالخوف..

باريس، وواشنطن، وهوليوود، وجزر اليونان، تلك هي الأماكن التي دارت فيها أحداث القصة الروائية التي تناولت حياة أربعة أشخاص ساء حظهم، ووقعوا في شرك العشق القاتل، والخداع، والفساد؛ حيث دائماً ما يفوق العقابُ الجريمة..

«رواية تأسرك، وتفتنك، وتثيرك ولا يمكنك أن تنساها».

- إيرفينج والاس



تمهيد

أثينا ١٩٤٧

عبر زجاج السيارة المتسخ ، شاهد رئيس الشرطة جورجيوس سكورى أبنية المكاتب والفنادق فى وسط مدينة أثينا وهى تنهار وتتفكك فى حركة أشبه بالرقصة البطيئة . وكان انهيار المبانى أمامه واحداً تلو الآخر يشبه تساقط صف من عمدان لعبة البولينج العملاقة .

قال له قائد سيارة الشرطة ذو الزى الرسمى واعداً إياه : " سنصل خلال ٢٠ دقيقة ، فلا يوجد زحام مرورى " .

أومأ سكورى برأسه وهو شارد الذهن ، وأخذ يحدق إلى المبانى المنهارة ، فقد كان المشهد أشبه بالوهم ، ولم يقل انبهاره به قط . كانت الحرارة الشديدة من شمس أغسطس تغلف المبانى بتموجات حرارية متحركة جعلت المبانى المتهاوية على الشارع تسقط كشلال ينساب بخفة من الفولاذ والزجاج .

كانت الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق ظهراً ، وكان الشارع يبدو مهجوراً ، إلا من بعض المارة الذين كانوا يشعرون بالكسل جداً ، لدرجة لم تجعلهم يفعلون أى شىء سوى إلقاء نظرة سريعة - من باب

WWW.REWITY.COM

الفضول - على سيارات الشرطة الثلاث المسرعة ناحية الشرق إلى مطار هيلينيكون ، الذى يقع على مسافة ٢٠ ميلاً من وسط مدينة أثينا . كان رئيس الشرطة سكورى راكباً فى السيارة الأولى . فى الظروف المعتادة كان يفضل أن يظل جالساً فى مكتبه المريح المكيف ، بينما يقوم مرءوسوه بالخروج للعمل فى الحرارة الحارقة وقت الظهيرة ، ولكن الظروف الحالية ليست عادية بالمرة ، وكان لدى سكورى سببان للحضور شخصياً : أولاً أنه سيصل على متن طائرات اليوم أشخاص ذوو شأن رفيع من كل حدب وصوب ، ومن الضرورى أن يهتم بالترحيب بهم بالشكل اللائق ، ويجب أن يجتازوا الجمارك سريعاً بأقل إزعاج ممكن ، ثانياً والأهم هو أن المطار سيزدحم بالمراسلين والمصورين الصحفيين الأجانب .

لم يكن رئيس الشرطة سكورى أحمق ، وقد خطر له عندما كان يحلق ذقنه هذا الصباح أنه لن يضر عمله إذا ظهر فى الأخبار وفى الجرائد وهو يتولى مسئولية حراسة كبار الزوار . إنه لحظ سعيد للغاية أن يمن عليه القدر - بشكل فوق العادة - بأن يقع حدث عالمى كهذا له أثر كبير على الناس فى منطقة خدمته ، وسيكون غبياً إذا لم ينتهز الفرصة لصالحه . لقد ناقش ذلك الأمر بالتفصيل مع أقرب امرأتين فى حياته : زوجته وعشيقته . وبالنسبة لزوجته آنا ، فهى امرأة متوسطة العمر ، وقبيحة الشكل ، ودائمة الحزن والتشاؤم ، ولها شكل وقوام الريفيات ، ولقد أمرته بالابتعاد عن المطار والبقاء بعيداً فى خلفية الأحداث ؛ لكيلا يلقى عليه اللوم إذا حدث ثمة خطأ . أما ميلينا ملاكه الجميل الصغير اللطيف فقد نصحته بمقابلة الضيوف المهمين ، واتفقت معه على أن حدثاً مهماً كهذا سيصعد به إلى الشهرة على الفور . إذا تفاءل سكورى وتعامل مع الأمر جيداً فعلى الأقل سيزيد مرتبه أو قد يحصل على ترقية كمفوض عام للشرطة عندما يتقاعد المفوض الحالى .

للمرة المائة تأمل سكورى سخرية الأقدار التى جعلت ميلينا زوجته وآنا عشيقته ، وتساءل مرة أخرى عن الخطأ الذى وقع .

غيَّر سكورى أفكاره الآن ، وركز على ما سوف يحدث ، لابد أن يتأكد من أن كل شيء يتم كما يريد فى المطار بلا مشاكل . لذا فقد أحضر معه ١٢ رجلا من أفضل رجاله ، لكنه كان يعلم أن مشكلته الرئيسية هى التحكم فى الصحفيين . لقد اندهش من عدد صحفيى الجرائد والمجلات المهمين الذين توافدوا على أثينا من جميع أنحاء العالم . لقد أجرى سكورى ست مقابلات صحفية حتى الآن - فى كل مرة يتقابل مع صحفى يتحدث بلغة مختلفة ، ويتم ترجمة إجاباته إلى اللغة الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والإيطالية ، والروسية ، واليابانية . عندما بدأ يستمتع بشهرته الجديدة اتصل به المفوض ليخطره بأنه ليس من الحكمة له - كقائد للشرطة - أن يعلق على الملأ على محاكمة فى جريمة قتل ولم تبدأ المحاكمة بعد . كان سكورى متأكداً أن هذه المكالمة كانت بدافع غيرة المفوض ، ولكنه بحكمته قرر عدم الجدال ، ورفض إجراء أى حوار صحفى آخر ، ولكن لن يمانع المفوض بالطبع إذا ظهر سكورى فى المطار، وأصبح فى بؤرة الاهتمام والنشاط أثناء تصوير المصورين الصحفيين للمشاهير القادمين إلى أثينا .

بينما مرت السيارة مسرعة عبر شارع سيجرو ، وانحرفت يساراً إلى البحر فى اتجاه فالرون شعر سكورى بألم فى معدته ، حيث إن خمس دقائق للوصول للمطار ، وظل يراجع فى ذهنه قائمة المشاهير الذين سيصلون إلى مطار أثينا قبل حلول الليل .

كان أرمان جوتييه يعانى من دوار ركوب الطائرات ، حيث إن لديه خوفاً عميقاً بداخله من ركوب الطائرات ، وهذا الخوف نابع من حب زائد على الحد لذاته ولحياته ، علاوة على المطبات الهوائية التى عادة ما تحدث صيفاً بالقرب من شواطئ اليونان ؛ مما جعله يشعر بالغثيان

بشدة . كان رجلاً نحيفاً كالزهاد ، وله ملامح المعلم فى جو الدراسة ، وذا جبهة عالية ، وفم تعلوه دائماً ابتسامة توحى بالاستخفاف بالآخرين ، وفى سن الثانية والعشرين ساعد جوتييه فى تشكيل الوجه الجديد فى صناعة السينما التى كانت متعثرة فى فرنسا . وفى الأعوام التالية أحرز انتصارات أخرى فى مجال المسرح . مما جعله يشتهر كواحد من أعظم المخرجين على مستوى العالم ، حتى آخر ٢٠ دقيقة كانت الرحلة ممتعة ، حيث تعرفت عليه المضيفات فى الطائرة ، ولبين كل رغباته ، وأخبرنه بأنهن على استعداد للقيام معه بأى خدمات أخرى . وقد جاءه عدة ركاب أثناء الرحلة ، وأخبروه بمدى إعجابهم بأفلامه ومسرحياته ؛ ولكنه كان مهتماً بالفتاة التى كانت طالبة فى جامعة أكسفورد وتقوم بإعداد رسالة ماجستير عن المسرح ، واختارت موضوعها عن مسرح أرمان جوتييه . ولقد سارت المحادثة بينهما على ما يرام حتى ذكرت الفتاة اسم نويل باج .

قالت الفتاة : " لقد كنت مخرجاً لأعمالها سابقاً . أليس كذلك ؟ أتمنى حضور محاكمتها التى ستتحول إلى شىء أشبه بالسيرك " .

وجد جوتييه نفسه يمسك بقبضة يده بقوة على مسند مقعده ، وقوة رد فعله جعلته يندهش . حتى بعد مرور كل تلك السنوات كانت ذكرى نويل تجعله يشعر بألم شديد لم يشعر بمثله من قبل . لم يؤثر فيه أحد مثلها ، قبلها أو بعدها ، فمنذ أن قرأ خبر القبض عليها منذ ٣ أشهر لم يستطع التفكير سوى فى هذا الموضوع . لقد أرسل لها البرقيات والرسائل ، وعرض عليها المساعدة لكنه لم يتلق أى رد . لم يكن يرغب فى حضور محاكمتها ؛ ولكنه كان يعلم أنه لن يتمكن من مقاومة الرغبة فى حضور المحاكمة ، ولقد أخبر نفسه بأنه يريد الذهاب ليرى ما إذا تغيرت منذ الأيام التى كانا يعيشان معاً فيها ، ولكنه اعترف لنفسه أنه يوجد سبب آخر لرؤيتها . الجزء الداخلى به ـ الذى يعشق المسرح ـ

كان يريد رؤية المسرحية / المحاكمة ، ويرى وجه نويل أثناء نطق القاضى بالحكم عليها سواء بالبراءة أو بالإعدام .

أعلن قائد الطائرة عبر الميكروفونات أن الطائرة ستهبط فى مطار أثينا فى غضون ثلاث دقائق ، ولعل الإثارة والترقب لرؤية نويل جعلا أرمان جوتييه مرة أخرى ينسى شعوره بالغثيان .

جاء الدكتور إيزرايل كاتس إلى أثينا بالطائرة فى مدينة كيب تاون ، حيث يقيم هناك ، ويرأس قسم جراحة الأعصاب فى مستشفى جروت شور وهو المستشفى الجديد المبنى حديثاً . كان للدكتور كاتس شهرة كواحد من أهم جراحى الأعصاب فى العالم ، وكانت المجلات الطبية تزخر بابتكاراته ، وكان من ضمن مرضاه أهم الشخصيات السياسية والاجتماعية .

جلس دكتور كاتس مستنداً إلى مقعده فى الطائرة ، وهو رجل متوسط الطول ، وله وجه ذو ملامح صارمة ، وتبدو عليه أمارات الذكاء ، ذو عينين بنيتين تطل منهما نظرة عميقة غائرة ، ويدين طويلتين ورفيعتين ، وتتحركان باستمرار . كان د. كاتس متعباً ، ولذلك شعر بالألم المعتاد فى رجله اليمنى التى لم تعد موجودة ؛ حيث تم بترها منذ ٦ سنوات بواسطة رجل عملاق فى يده بلطة ضخمة .

كان يوماً طويلاً ، وكان قد أجرى جراحة قبل الفجر ، وزار عدداً من المرضى ، ثم خرج من اجتماع مجلس الإدارة فى المستشفى لكى يسافر إلى أثينا حتى يحضر المحاكمة . ولقد حاولت إستر زوجته إقناعه بعدم الذهاب قائلة : " لن تتمكن من مساعدتها الآن " .

ربما كانت على حق ؛ ولكن نويل باج خاطرت بحياتها ذات مرة لإنقاذ حياته ، وهو يشعر أنه مدين لها . كان يفكر فى نويل الآن ، وأحس بنفس الشعور الذى لا يوصف ، والذى كان ينتابه كلما كان معها . وكأن مجرد ذكراها تبدد سنوات الفراق . كان مجرد خيال

رومانسى بالطبع ، فلن تعود تلك السنوات الماضية بأى طريقة أبداً . شعر د. كاتس أن الطائرة تهتز عند خروج العجلات ، وبدأت الطائرة فى الهبوط ، ثم نظر من النافذة ووجد مدينة القاهرة ، حيث سيهبط ويستقل طائرة أخرى إلى أثينا لكى يرى نويل . هل ارتكبت حقاً جريمة قتل ؟ بينما تتجه الطائرة إلى الممر كان يفكر فى جريمة القتل البشعة الأخرى التى ارتكبتها فى باريس .

وقف فيليب سوريل متكئاً على السور الحديدى لليخت الخاص به الذى يقترب من ميناء بيرايوس ، وكان قد استمتع بالرحلة البحرية ، لأنها إحدى الفرص النادرة لكى يهرب من معجبيه . كان سوريل من أحد نجوم شباك التذاكر كنجم سينمائى لامع وعالمى ، ولكن نجوميته المتصاعدة تحيط بها عناصر متناقضة للغاية ؛ فهو ليس رجلاً وسيماً ، على العكس تماماً كان وجهه يشبه وجه لاعب ملاكمة خسر ١٢ مباراة متتالية ، ولقد كسر أنفه عدة مرات ، وكان شعره خفيفاً مجعداً ، لكن لم تكن تلك الأشياء تهمه ؛ لأن لديه جاذبية خاصة . كان رجلاً متعلماً ، ويتحدث بهدوء ، ويجمع بين رقته الفطرية ووجه وجسد قائدى الشاحنات ، مما جعل النساء تفتن به ، وينظر إليه الرجال كبطل ومثل أعلى . الآن بينما يقترب يخته من الميناء ، تساءل سوريل مرة أخرى عما أتى به إلى هنا . لقد قام بتأجيل تصوير أحد أفلامه الذى كان يقوم بتصويره لكى يحضر محاكمة نويل . كان يعلم جيداً أنه هدف سهل للصحفيين عندما يحضر فى قاعة المحكمة كل يوم بدون مديرى أعماله ووكلائه الصحفيين . بالتأكيد سيسىء الصحفيون فهم حضوره للمحاكمة ، ويظنونها طريقة للدعاية لأفلامه بالاستفادة من محاكمة جريمة قتل تتهم فيها عشيقته السابقة . مهما نظر للأمر من أوجه عديدة فسوف تكون تجربة مؤلمة ؛ ولكنه كان يجب أن يراها مرة أخرى ؛ ويحاول إيجاد طريقة لمساعدتها . بينما يقترب اليخت من

الجسر الحجرى للميناء ، كان يفكر فى نويل التى كان يعرفها ، ويعيش معها ويحبها ، وفى كل مرة يفكر فيها كان يتوصل لنفس الاستنتاج : نويل قادرة على ارتكاب جريمة قتل .

بينما كان يخت فيليب سوريل يقترب من ساحل اليونان ، كان المساعد الخاص لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية على متن طائرة على بعد ١٠٠ ميل جوى شمالى غرب مطار هيلينيكون ، وكان يدعى ويليام فريزر وكان فى الخمسينيات من عمره ، وقد كان وسيماً ذا شعر رمادى اللون ، ووجهه مليئاً بالتجاعيد وذا سلوك سلطوى . كان يحدق إلى تقرير بين يديه ، ولكنه لم يقلب الصفحة ، أو يتحرك وصلت أكثر من ساعة . كان فريزر قد حصل على إجازة من عمله للقيام بتلك الرحلة ، على الرغم من أنه وقت غير مناسب بالمرة ، حيث وصلت الآن أزمة الكونجرس الأمريكى إلى ذروتها . كان يعلم مدى الألم الذى سيشعر به فى الأسابيع المقبلة ؛ ولكنه شعر أنه لا يملك خياراً آخر ، وقد ملأته تلك الفكرة بنوع من الرضا والتشفى ، ولقد بذل فريزر جهداً كبيراً لكى يبعد تفكيره عن المحاكمة التى ستبدأ غداً ، ونظر من نافذة الطائرة ، ولمح من بعيد قارباً يمخر عباب البحر إلى اليونان التى كان ساحلها قد ظهر فى الأفق .

ظل أوجست لانشون مصاباً بدوار البحر والخوف لمدة ٣ أيام . لقد أصيب بذلك ؛ لأن قاربه قد انجرف وسط الرياح الباردة منذ أن أبحر من ميناء مدينة مارسيليا ، وكان خائفاً ومرعوباً من أن تعرف زوجته ما يفعله . كان أوجست لانشون فى الستينيات من العمر ، بديناً ، أصلع ، ذا ساقين ممتلئتين ومكتنزتين ، ووجه ملىء بالبثور والندبات ، وعينين تشبهان عيون الحيوانات ، وشفتين رفيعتين ، ويدخن طوال الوقت نوع سجائر رخيصة . كان لانشون يملك متجراً للملابس فى

مارسيليا ولم يكن يملك التكلفة اللازمة - أو على الأقل كان يخبر زوجته بذلك طوال الوقت - لقضاء إجازة كالتى يقضيها الأثرياء . بالطبع أخذ يذكر نفسه أن تلك ليست إجازة حقاً ، فلقد كان يجب أن يرى حبيبته نويل مرة أخرى . منذ سنوات عندما ابتعد عنها كان يتابع بشغف أخبارها الفنية فى الجرائد والمجلات . عندما قامت ببطولة أولى مسرحياتها ، استقل القطار إلى باريس لكى يراها ، ولكن حالت سكرتيرتها الحمقاء دون أن يحظى بمتعة رؤيتها . فيما بعد شاهد أفلام نويل مرات ومرات ، وتذكر كيف كانت تمارس معه الحب . نعم ، كانت تلك الرحلة مكلفة ، ولكنه كان يعرف أنها تستحق كل قرش دفعه من أجل القيام بها . سوف تتذكر نويل العزيزة الأيام الجميلة السعيدة ، والأوقات التى كانت تقضيها معه ، وستلجأ له لكى يحميها ، وسيحاول أن يقدم الرشوة لأى قاض أو مسئول آخر - إذا لم تكن مبالغاً فيها - لكى يطلق سراح نويل ، ثم سيحبسها فى شقة صغيرة فى مارسيليا ، لكى تكون متاحة له وحده حينما يرغبها . فقط إذا لم تعرف زوجته ما يعتزم القيام به .

فى مدينة أثينا كان يعمل فريدريك ستافروس فى مكتبه الصغير للمحاماة فى الطابق الثانى من المبنى المتهالك فى الحى الفقير من المدينة ويسمى حى موناستيراكى . كان ستافروس شاباً متحمساً وطموحاً ، ويصارع من أجل قوت يومه فى مهنته التى اختارها وهى المحاماة . لأنه لا يملك القدرة المالية لتعيين مساعد ، كان مجبراً على القيام بكل إجراءات البحث القانونى الممل بنفسه ؛ حتى يتعرف على خلفية القضية . فى العادة كان يكره هذا الجزء من عمله ، ولكن هذه المرة لم يشعر بذلك ، لأنه يعلم أنه إذا كسب القضية فستنهال عليه الطلبات لخدماته كمحام بدرجة تؤمن له العيش فى رغد لبقية حياته . وبالتالى سوف يتزوج إيلينا ويؤسس أسرة صغيرة ، وينتقل لجناح من المكاتب

الفخمة ويعين محامين تحت التمرين ، ويصبح عضواً فى ناد للأثرياء مثل نادى أتينى ليسكى حيث سيجد عملاء أغنياء . لقد بدأ التحول بالفعل ؛ فى كل مرة يمشى ستافروس فى شوارع أثينا كان يتعرف عليه الناس ، ويوقفونه قائلين : إنهم رأوا صورته فى الجريدة . فى غضون أسابيع قليلة قفز من كونه شخصاً لا يعرفه أحد إلى شهرة المحامى الذى يدافع عن لارى دوجلاس . فى قرارة نفسه كان يعترف ستافروس أنه قد اختار العميل الخطأ ، فقد كان يفضل الدفاع عن الشهيرة الفاتنة نويل باج بدلاً من النكرة الذى يدعى لارى دوجلاس ، لكنه كان نفسه محام نكرة قليل الشأن . كان يكفيه أنه مشترك أساسى فى أهم قضية قتل أثارت ضجة فى الرأى العام لهذا القرن . إذا تم تبرئة المتهم فسينال المجد والشهرة . كان هناك شىء واحد يقلق ستافروس للغاية ، وكان يفكر فيه طوال الوقت . كلا المتهمين وجهت لهما نفس التهمة ، وهى جريمة القتل ، ولكن كان هناك محام آخر يدافع عن نويل باج ، فإذا تم تبرئة نويل وإدانة لارى دوجلاس ... فـ ... ، ارتعد ستافروس ، وحاول ألا يفكر فى ذلك . ظل الصحفيون يسألونه : هل يظل المتهمان بريئين أم مذنبين ؟ " وكان يبتسم لنفسه من سذاجتهم : وهل هناك فرق فى أن يكونا بريئين أم مذنبين ؟ فكلاهما يستحق أفضل دفاع ، ولقد تولى المحامى نابليون شوتاس الدفاع عنها ، ولا يوجد محام جنائى أكثر منه براعة فى العالم ، فهو لم يخسر أى قضية مهمة من قبل . بينما يفكر ستافروس فى هذا ابتسم لنفسه ، فلم يكن ليعترف بهذا لأحد ، لكنه كان يخطط للانتصار على موهبة نابليون شوتاس كمحام ضليع فى القانون .

بينما كان فريدريك ستافروس يكد ويتعب فى مكتب المحاماة المتواضع المظلم ، كان نابليون شوتاس يحضر حفلاً فخماً ورسمياً فى منزل فخم وضخم فى الحى الراقى فى أثينا والذى يسمى حى

كولوناكى . كان شوتاس رجلاً نحيفاً للغاية ، ذا عينين كبيرتين بهما مسحة من الحزن كعينى كلب من سلالة بلادهاوند وله وجه مجعد . كان يخفى عقلاً حاذقاً ، وبارعاً خلف ستار من السلوك الهادئ الذى ينم عن الحيرة إلى حد ما . بينما كان يعبث بالملعقة فى طبق الحلوى ، كان جالساً ومشغولاً فى التفكير فى المحاكمة التى ستبدأ غداً . معظم الحوارات فى تلك الليلة كانت تدور حول المحاكمة التى ستقع ، وكانت المناقشة عامة ، لأن الضيوف كانوا حذرين من أن يطرحوا عليه سؤالاً مباشراً ، ولكن فى نهاية الحفل وتحت تأثير المشروبات الكحولية قالت صاحبة الحفل :

" أخبرنى هل تظنهما مذنبين ؟ " .

جاء رد شوتاس فى براءة : " كيف ذلك ؟ أحدهما عميلى " . وقد ضحك الآخرون من هذا الرد . " كيف تبدو نويل باج حقاً ؟ " تردد شوتاس قليلا ، ثم قال بحرص : " إنها امرأة غير عادية للغاية ، وهى جميلة وموهوبة و ... " اندهش لأنه وجد فجأة أنه لا يريد مناقشة هذا الأمر . كما أنه لا توجد كلمات تكفى لوصف نويل . حتى بضعة شهور مضت كان بالكاد يعرفها كممثلة شهيرة وجميلة يتردد اسمها فى الجرائد ، وتزين صورتها أغلفة المجلات . لم يكن قد رآها رأى العين من قبل ، وإذا كان قد فكر فيها ، فقد كان يفكر فيها بالاحتقار وعدم الاكتراث الذى كان يشعر به حيال كل المثلات ؛ لأنهن جميعاً أجساد بلا عقول . ولكن كم كان مخطئاً إلى حد كبير ! منذ أن قابلها وقع فى غرامها ، وبسببها أحرق إحدى قواعده الأساسية : لا ترتبط عاطفياً أبداً بالعملاء . تذكر شوتاس جيداً وقت ما بعد الظهيرة حيث تم الاستعانة به للدفاع عنها . كان يعد حقائبه لرحلة إلى نيويورك مع زوجته لزيارة ابنتهما التى أنجبت طفلها الأول . كان يعتقد أنه لا يوجد ثمة ما يمنعه من القيام بتلك الرحلة ، لكن منعه من القيام بها استلزم

مجرد كلمتين فقط ، ثم تذكر فى خياله عند ما رأى كبير الخدم يدخل إلى غرفة النوم ، ويناوله الهاتف قائلاً : " كونستانتين ديميريس " .

كانت الجزيرة ليس لها أى مدخل سوى عن طريق اليخت أو الطائرة الهليكوبتر ، وكل من المجال الجوى والميناء الخاص يقع تحت حراسة مشددة ٢٤ ساعة فى اليوم من جانب الحراس المسلحين والكلاب المدربة من سلالة جيرمان شبرد . كانت الجزيرة هى المنطقة الخاصة بكونستانتين ديميريس ، ولا يجرؤ أحد على التسلل إليها بدون دعوة . عبر عدة سنوات كان زوار هذه الجزيرة هم الملوك والملكات ورؤساء الدول الحاليين والسابقين ونجوم السينما والأوبرا والكتاب والرسامين المشهورين . كلهم خرجوا من الجزيرة مبهورين بما رأوه . كان كونستانتين ديميريس هو ثالث أغنى وأقوى رجل ذى سلطة فى العالم ؛ وكان يتمتع بالذوق الرفيع ، والأسلوب الجمالى للحياة ، وكان يعرف كيف ينفق أمواله لكى يصنع الجمال .

جلس ديميريس فى مكتبته المغطاة جدرانها بخشب البلوط الفخم ، وكان مسترخياً فى مقعد وثير ذى مساند ، يدخن إحدى سجائره المصرية ذات الشكل المسطح ، والتى يتم مزجها وتصنيعها بتوليفة خاصة من أجله فقط ، وكان يفكر فى المحاكمة التى ستبدأ صباح غدٍ . حاول كل الصحفيين الوصول إليه لعدة شهور ولكنه ببساطة عزل نفسه عن الجميع ، ولم يكن متاحاً لهم . كان يكفى أن عشيقته سيتم محاكمتها فى جريمة قتل ، وكان يكفى أن يزج اسمه فى القضية حتى بشكل غير مباشر . رفض أن يزيد من اهتياج الرأى العام بإجراء المقابلات الصحفية . تساءل كيف تشعر نويل الآن ، فى هذه اللحظة ، فى زنزانتها فى سجن شارع نيكوديموس . هل كانت نائمة ؟ أم مستيقظة ؟ هل يملؤها الخوف فى محنتها ؟ ثم فكر فى آخر حوار له

مع المحامى شوتاس الذى كان يثق فيه ، ويعرف أنه لن يخذله . كان على شوتاس التحقق من أنه سيعمل مقابل الأتعاب الضخمة التى تلقاها من ديميريس للدفاع عنها . قال له ديميريس إنه لا يهتم هل نويل بريئة أم مذنبة . لا داعى لأن يقلقه أى شىء ، وستمر المحاكمة بسلام . ولأن ديميريس رجل لا ينسى أى شىء مطلقاً ، تذكر أن الزهور المفضلة لـ " كاثرين دوجلاس " هى زهور الكاميليا التى تشتهر بها اليونان . مد يده إلى المفكرة على مكتبه ، وكتب ما يلى : " زهور الكاميليا : كاثرين دوجلاس " .

كان هذا أقل ما يجب أن يفعله لها .

الكتاب الأول

كاثرين

شيكاغو : ١٩١٩-١٩٣٩

١

كل مدينة لها صورتها المميزة وهويتها التى تمنحها طبيعة خاصة بها ، ولقد كانت مدينة شيكاغو فى العشرينيات من القرن الماضى أشبه بالعملاق الضخم ، كثير الحركة ، والوقح غير المهذب ، وكانت المدينة تحت سيطرة رجال الأعمال الذين أنشأوها ، ويتحكمون فيها بلا رحمة : ويليام بى أوجدن ، جون ونتورث ، سايرس ماكورميك ، وجورج إم بولمان . كانت المدينة كالمملكة التابعة لفيليب آرمرز وجوستافوس سويفتس ومارشال فيلدز ، وكانت هذه المنطقة خاصة برؤساء العصابات المحترفين مثل هايمى وايس ، وسكارفيس آل كابونى .

من أقدم ذكريات كاثرين ألكساندر هى عندما كان والدها يصطحبها إلى المقهى ذى الأرضية المغطاة بنشارة الخشب ، ويؤرجحها على الكرسى العالى الذى كان يصيبها بالدوار . حيث كان يحتسى الشراب . كانت كاثرين حينئذٍ فى الخامسة من عمرها ، وكانت تذكر كم كان

أبوها فخوراً بها عندما كان يجتمع حولها الغرباء المعجبون بها ، فكانوا يطلبون المشروبات ، وكان أبوها هو من يدفع لهم ، تذكرت كاثرين كيف كانت تضغط بجسدها على ذراع والدها للتأكد من أنه مازال معها . لقد عاد للبلدة منذ البارحة فقط ، وكانت كاثرين تعرف أنه سيغادرها مرة أخرى . كان والدها مندوب مبيعات متجولاً ، ولقد شرح لها طبيعة عمله الذى كان يأخذه لمدن بعيدة ، وأنه مضطر للابتعاد عنها وعن أمها لعدة شهور فى كل مرة ، لكى يتمكن من العودة ومعه الهدايا اللطيفة . حاولت كاثرين بكل جهد - ولكن بلا طائل - أن تعقد اتفاقاً معه يقضى بأنه إذا مكث معها فستتنازل عن الهدايا . إلا أن أباها كان يضحك قائلاً : إنها طفلة تسبق سنها ، وأن عقلها يفوق عمرها بالسنوات ، ولكنه كان يغادر البلدة ، وتراه مجدداً بعد ٦ أشهر . أثناء تلك السنوات الأولى كانت تبدو لها الأم التى تراها يومياً مجرد شخصية مبهمة بلا ملامح ، بينما أبوها الذى تراه مرات قليلة فقط يبدو شخصية واضحة ومدهشة ومفعمة بالحياة . كانت كاثرين تعتبره رجلاً وسيماً ، وبشوشاً ، ومفعماً بروح الدعابة والمرح والدفء والكرم . كانت المرات التى يكون فيها متواجداً فى المنزل كالإجازات بالنسبة لها ، مليئة بالهدايا والمفاجآت .

عندما بلغت كاثرين السابعة من عمرها فُصل والدها من عمله ، وتغير نمط حياتها . لقد غادرت العائلة شيكاغو ، وانتقلت إلى مدينة جارى فى ولاية إنديانا ، حيث عمل والدها كبائع فى متجر للمجوهرات ، ولقد دخلت كاثرين المدرسة لأول مرة ، وكانت تنأى بنفسها عن مصاحبة الأطفال الآخرين ، وكانت تخاف جداً من معلميها الذين أساءوا تفسير ابتعادها وإعراضها عن الآخرين بأنها مغرورة . كان يأتى والدها لتناول العشاء كل ليلة ، ولأول مرة فى حياتها شعرت كاثرين بأنها تعيش وسط عائلة مثل باقى العائلات . فى أيام الآحاد كانوا يذهبون إلى شاطئ ميلر ويستأجرون الخيل لركوبها لمدة ساعة أو

ساعتين عبر جبال الرمال . استمتعت كاثرين بالحياة فى مدينة جارى ، ولكن بعد ٦ أشهر من الانتقال إليها فُصل والدها من عمله مرة أخرى ، فانتقلت العائلة إلى حى هارفى فى ضواحى شيكاغو . وكانت الدراسة قد بدأت فعلاً ، وكانت كاثرين هى الفتاة الجديدة المنبوذة من الصداقات التى تكونت بالفعل ، وأصبحت معروفة بأنها الفتاة التى تفضل العزلة ، وكان الأطفال يشعرون بالأمان وسط الصداقات التى كَونوها ، فكانوا يسعون إليها كفتاة جديدة ، ويتآمرون عليها لمضايقتها ، والسخرية منها بقسوة وبلا رحمة .

أثناء السنوات القليلة التالية تسترت كاثرين وراء ستار من عدم الاكتراث واللامبالاة ، وكان هذا الستار درعها الواقية ضد هجوم الأطفال الآخرين . عندما يتم هتك هذه الدرع كانت ترد ضرباتهم بتعليقاتها القوية الساخرة الحاذقة ، وكان هدفها هو إبعاد معذبيها وتغييبهم ، حتى يدعوها وشأنها ، ولكن كان لذلك تأثير مختلف وغير متوقع . لقد كتبت أول تقرير مدرسى ، وكان مقالاً عن رأيها فى مسرحية موسيقية قام زملاؤها فى الفصل بالاشتراك فى تمثيلها ، فقالت فى المقال : " كان عزف تومى بيلدن منفرداً على آلة الترومبيت جيداً فى الفصل الثانى ؛ لكنه عزف عن النجاح " ، فما لبث أن ردد الطلاب هذه الجملة الساخرة ذات المعنى المزدوج ، وما أثار الدهشة ، أن تومى بيلدن ذهب إلى كاثرين فى الساحة فى اليوم التالى ، وأخبرها أنه تعليق مرح وظريف .

فى مادة اللغة الإنجليزية تم تكليف الطلاب بقراءة كتاب " كابتن هوريسيو عازف البوق " ، ولكن كاثرين لم يرق لها هذا الكتاب ، وبالتالى كان تقريرها عنه عبارة عن جملة واحدة ، تمثلت فى قول شائع هو : " نباحه أسوأ من عضته " ! وكان معلمها يعمل كبحار فى عطلة نهاية الأسبوع ، وأعجبه التعليق ، وأعطاها الدرجة النهائية . ولقد بدأ

زملاؤها يقتطفون عباراتها الساخرة وتعليقاتها ، ولم يمر وقت طويل حتى اشتهرت فى المدرسة كشخصية تجيد التعليقات الساخرة .

عندما أصبحت كاثرين فى الرابعة عشرة من عمرها ظهرت علامات الأنوثة الناضجة على جسدها . كانت تتفحص نفسها أمام المرآة ساعات متتالية ، وهى تفكر فى كيفية تغيير شكلها الذى لا يروق لها . كانت تشعر فى قرارة نفسها أنها مثل الممثلة ميرنا لوى ، التى تسلب ألباب الرجال بجمالها ، ولكن المرآة ـ عدوها اللدود الآن ـ تعكس شعرها الأسود المعقد البائس ، الذى يصعب تسريحه ، وعينيها الرماديتين الجادتين ، وفمها الذى يبدو كبيراً ، وأنفها المعقوف قليلاً إلى أعلى . ربما لم تكن حقاً قبيحة ، كما كانت تخبر نفسها بحرص ، ولكن من ناحية أخرى لن يطرق أحد بابها ليحولها إلى نجمة سينمائية . أخذت تشفط خدودها إلى الداخل ، وتحرك عينيها بطريقة مثيرة ، وهى تحاول أن تتخيل نفسها كعارضة أزياء . كان ذلك مدعاة إلى الاكتئاب ، فاتخذت وقفة أخرى فى وضع مختلف ؛ فتحت عينيها على وسعهما ، وكان تعبير وجهها يعبر عن الحماس ، وابتسمت بشكل ينم عن الود . لكن بلا فائدة ، لم تكن من النوع الذى يشبه الشخصية الأمريكية ، فلم تكن مميزة ، إلا أن جسدها كان على ما يرام ، أو هكذا كانت تعتقد فى مرارة ، ولكنه لن يكون مميزاً ، وبالطبع ماذا تريد أكثر من هذا فى العالم : أن تكون شيئاً مميزاً ، وأن تكون شخصية مهمة ، وأن يتذكرها الجميع ، وألا تموت أبداً .

عندما بلغت سن الخامسة عشرة وجدت بالمصادفة كتاب " العلم والصحة " لـ " مارى بيكر إيدى " ، وأخذت تتأمل نفسها لمدة أسبوعين أمام المرآة لمدة ساعة يومياً ، وهى ترغب فى أن تجعل انعكاسها فى المرآة جميلاً . فى نهاية الأسبوعين كان التغير الوحيد الذى لاحظته هو ظهور بثور الشباب على ذقنها ، وبقعة سوداء كبيرة

على جبهتها فامتنعت عن تناول الحلوى ، وعن قراءة كتاب مارى بيكر إيدى ، وعن النظر فى المرآة .

انتقلت كاثرين وعائلتها مرة أخرى إلى شيكاغو ، واستقروا فى شقة صغيرة ، وكئيبة فى شمال المدينة فى منطقة روجرز بارك حيث الإيجار الرخيص . وكانت البلاد على حافة الكساد الاقتصادى ، وأصبح والدها يعمل أقل ، ويحتسى الخمور أكثر . ويتشاجر مع أمها فى سلسلة من تبادل الاتهامات ، والتى كانت تجعل كاثرين تفر من المنزل ، وتذهب للشاطئ الذى كان على بعد اثنى عشر مبنى للتمشية ، وللتمتع بالرياح القوية التى كانت تعطيها إحساساً بالطيران . كانت تقضى ساعات طويلة فى التأمل والتحديق إلى البحيرة الرمادية التى لا تكف عن الحركة ، وكان يملؤها الحنين الجارف لشىء لا تعرف كنهه ، كانت تريده بشدة لدرجة أنها تشعر بالألم الشديد لافتقارها إليه .

ثم وقع تحت يد كاثرين بالمصادفة روايات الكاتب توماس وولف ، التى كانت مرآة عاكسة للحنين الجارف ـ المر والحلو فى نفس الوقت ـ الذى يملأ نفسها ، لكنه لم يكن حنيناً للماضى بل للمستقبل الذى لم يقع بعد ، وكأنها بطريقة ما ، وفى مكان ما وزمان ما كانت تعيش حياة رائعة ولن تهدأ نفسها إلا إذا عادت إليها مرة أخرى . بدأت كاثرين تصل لمرحلة البلوغ ، وجسمها يتغير إلى جسد امرأة ، وبدأت تعرف احتياجاتها ورغباتها ، ولكنها لم تكن متطلبات حسية أو جسدية ، بل كانت رغبة متوحشة وشرسة وملحة لكى تكون مشهورة ، لكى تنأى بنفسها ، وترتفع عن مستوى ملايين الناس الذين يملأون الأرض ، لكى يعرف الجميع مقامها الرفيع ؛ ولكى يشيروا إليها قائلين : " هذه هى كاثرين ألكساندر العظيمة الـ .... " ترى ما الذى سيملأ الفراغ فى تلك العبارة ؟ تلك هى المشكلة . لم تكن تعرف ما تريد ، لكنها تتوق إليه بشدة ، كانت تذهب لدور العرض السينمائى لمشاهدة الأفلام . كانت تذوب تماماً فى العالم الساحر المتقن للممثلين

كارى جرانت وجين آرثر ، وتضحك مع والاس بيرى ومارى درسلر وتتعذب مع العذابات الرومانسية لبيت ديفيز ، وتشعر أنها أقرب للممثلة ايرين دن من أمها .

كانت كاثرين فى العام النهائى من المرحلة الثانوية فى مدرسة شين الثانوية ، وأصبحت المرآة - التى كانت فى السابق عدوتها اللدودة - صديقتها فى النهاية . كان انعكاسها فى المرآة يوضح وجهاً مثيراً مليئاً بالحيوية . كان شعرها أسود داكناً ، وجلدها الناعم أبيض فى لون القشطة ، وملامح وجهها متناسقة ، وكان فمها حساساً وممتلئاً ، وعيناها رماديتين تشعان ذكاءً حاداً . كان قوامها معتدلاً ، وخصرها رشيقاً وساقاها لهما شكل جذاب . كانت صورتها توحى بأنها تنأى بنفسها عن الاختلاط بالناس ، كما كان مظهرها يوحى بالشموخ والكبرياء ، ولكنها لم تكن تشعر به . مما جعل كل ذلك يوحى بسمات ليست فيها . كانت تعتقد أن ذلك جزء من الستار أو الدرع الواقية التى كانت تحميها منذ أيام الدراسة الأولى .

أطبق الكساد الاقتصادى على البلاد بقبضة من حديد ، وكان والد كاثرين منهمكاً طوال الوقت فى عقد الصفقات الفاشلة التى لم تتم أبداً . كان دائماً ما يهذى بالأحلام التى يختلقها ، ويخترع أشياء يقول إنها ستجعله يربح ملايين الدولارات . لقد اخترع مجموعة من الصواميل التى يمكن تركيبها فى إطارات السيارات ، ويمكن الفرملة بها عن طريق الضغط على زر فى تابلوه السيارة ؛ لكن لم يهتم مصنعو السيارات باختراعه . ثم اخترع لافتة تدور بالكهرباء لحمل الإعلانات داخل المتاجر ، فحدثت بسببها عدة اجتماعات تبشر بالخير ، ثم تلاشت الفكرة فى الهواء .

اقترض المال من أخيه الأصغر رالف الذى كان يعيش فى مدينة أوماها ؛ لكى يصنع شاحنة لتقديم خدمات تصليح الأحذية المتنقلة فى

الحى . ظل لساعات يناقش خطته مع كاثرين وأمها ، وقال لهما : " لن تفشل الفكرة ، تخيلا الإسكافى وهو يطرق الأبواب ! لم يفعلها أحد من قبل . لدىّ محل متنقل لإصلاح الأحذية . أليس كذلك ؟ إذا ربحت ٢٠ دولاراً يومياً فهذا يعنى ١٢٠ دولاراً فى الأسبوع ، وفى خلال عام سأشترى ٢٠ شاحنة ، وهذا يعنى ٢٤٠٠ دولار أسبوعياً ، و١٢٥٠٠٠ دولار سنوياً ، وتلك فقط هى البداية ... " بعد شهرين اختفى المشروع ، وكانت تلك نهاية حلم آخر .

كانت كاثرين تأمل فى الذهاب لجامعة " نورثوسترن " ، حيث إنها كانت أكثر تلاميذ فصلها تفوقاً ، ولكن حتى المنحة الدراسية للجامعة كانت صعبة ، فشعرت أنه سيأتى اليوم الذى ستضطر فيه لترك الدراسة للعمل طوال الوقت كسكرتيرة ؛ ولكنها لن تتخلى أبداً عن حلمها الذى يعطى لحياتها معنى رائعاً ، ويمنحها الثراء ؛ ولكن كونها لا تعرف ما هو الحلم أو المعنى الذى تريده جعل الأمر محزناً وبلا جدوى . قالت لنفسها : إنها ربما تمر بطور البلوغ والمراهقة ، ولكن مهما كانت ، فحياتها الآن فى جحيم ، وكانت تفكر بمرارة : " من الصعب جداً على الأطفال المرور بمرحلة المراهقة " .

كان هناك فتيان مغرمان بكاثرين : الأول هو تونى كورمان الذى سيلتحق بمكتب المحاماة الخاص بوالده يوماً ما ، وكان أقصر منها بمقدار قدم . كانت لديه بشرة باهتة ، وعينان بهما قصر نظر ، وكثيرتا البكاء ، وتعشقان كاثرين ، والثانى كان دين ماكديرموت الذى كان بديناً وخجولاً ، ويريد أن يصبح طبيب أسنان . بالطبع كان هناك رون بيترسون ، ولكنه كان بمفرده ولا ينتمى لأى فئة . كان نجم كرة القدم فى فريق المدرسة ؛ وكان الجميع يقولون إنه من السهل جداً أن يدخل الجامعة بمنحة رياضية . كان طويلاً ، وعريض المنكبين ، ولديه ملامح النجم السينمائى ، وكان أكثر الأولاد شعبية فى المدرسة .

الشىء الوحيد الذى لم يجعل كاثرين ترتبط بعلاقة مع رون أنه - ببساطة - لم يكن على وعى بوجودها حيث إنه فى كل مرة تعبر الرواق أمامه كان يدق قلبها بعنف ، وتحاول التفكير فى عبارة ماهرة ومستفزة ؛ لكى تقولها له عندما يطلب مواعدتها . ولكن كلما اقتربت منه لا تنبس ببنت شفة ، ويعجز لسانها عن الكلام ، فتمر به فى صمت ، كانت تفكر أنه مثل السفينة الضخمة التى تسمى كوين مارى وهى كالسفينة الصغيرة التى تحمل القمامة ، لم يكن لديها أى أمل فى التحدث معه .

زادت حدة المشكلة المالية ، وتأخر والدها ثلاثة أشهر عن دفع الإيجار ، والسبب الوحيد لعدم طردهم من المنزل هو أن صاحبة المنزل كانت منبهرة بوالد كاثرين وخططه واختراعاته العظيمة . كلما استمعت كاثرين إلى والدها كان يملؤها حزن دفين مع الشعور بالأسى . كانت شخصيته كما هى لم تتغير ؛ ظل مرحاً ومتفائلاً ، ولكنها تمكنت عبر الساتر الوهمى أن ترى والدها الممزق ، وكانت تعلم مدى حزنه ، فلقد تآكلت الطبقة الرائعة الساحرة المرحة التى كان يخفى بها كل ما يفعله . كان بالنسبة لكاثرين كالطفل الكبير الذى ينسج من الخيال قصص المستقبل المجيد السعيد ؛ لكى يخفى إخفاقات الماضى التعيس . أكثر من مرة رأته وهو يقيم حفل عشاء لعدد كبير من الناس فى مطعم هنريشى ، ثم ينتحى جانباً بأحد المدعوين ويقترض مبلغاً يكفى مصاريف العشاء مع بقشيش سخى . وكان دائماً ما يعطى بقشيشاً سخياً لكى يحافظ على سمعته . على الرغم من كل ذلك ، وعلى الرغم أيضاً أن كاثرين كانت تعلن أنه لا يعبأ بها ، إلا أنها كانت تحبه جداً . وكانت تحب حماسه وطاقته وابتسامته فى وجه عالم من الناس العابسين الساخطين . تلك كانت موهبة تخصه ، وكان يستخدمها فى كل مناسبة كثيراً .

فى النهاية كانت كاثرين تعتقد أنه أفضل بأحلامه الرائعة التى لن تتحقق أبداً من أمها التى كانت خائفة من أن تحلم .

ماتت أم كاثرين فى شهر أبريل إثر أزمة قلبية ، وكانت تلك أولى مواجهات كاثرين مع فكرة الموت . وجاء الأصدقاء والجيران لتقديم واجب العزاء فى الشقة الصغيرة مع التظاهر بالإشفاق على الفتاة الصغيرة من وقع تلك المأساة .

جعل الموت أم كاثرين عبارة عن جسد صغير ذابل بدون حيوية ، ربما بسبب حياتها البالية التى عاشتها قبل أن تموت . هكذا ظنت كاثرين . حاولت أن تتذكر الذكريات السعيدة مع الأم ، والضحكات واللحظات الحميمة ، ولكن ظل والدها هو الذى يتداعى إلى ذهنها بنفس ابتسامته وروحه المرحة وحماسه . وكأن حياة أمها مجرد ظل باهت يتراجع أمام بريق الذكريات مع الأب . ظلت كاثرين تحدق إلى جسد الأم المتصلب فى التابوت ، وقد ألبسوا الجسد رداءً أسود بسيطاً له ياقة بيضاء ، وظنت كاثرين أن حياة أمها ضاعت هباءً وبلا طائل وتساءلت : ما الهدف من الحياة ؟ تملكتها المشاعر التى ظلت تنتابها منذ سنوات ، أى إصرارها على أن تكون شخصية مهمة ، وظلت بصمتها فى تاريخ العالم ، لكيلا ينتهى بها المطاف فى قبر مجهول ، حيث لا يعرفها أحد ، ولا يهتم بكونها كاثرين الكساندر التى قد عاشت وماتت وواراها الثرى .

جاء عم كاثرين ويدعى رالف مع زوجته بولين بالطائرة من مدينة أوماها لحضور الجنازة . كان رالف يصغر والدها بعشر سنوات ، ولكنه لا يشبهه فى أى شىء . كان يعمل فى مجال تجارة الفيتامينات وكان ناجحاً جدًّا ، وكان رجلاً ضخماً عريض المنكبين ذا فك قوى ، وكانت كاثرين متأكدة أن مخه قوى أيضاً . كانت زوجته ثرثارة ، وكثيرة الحركة كالطيور ، وكانا على خلق ، فلقد كانت كاثرين تعلم أنه قد أقرض أباها الكثير من المال ، لكن لم يكن بين عمها وأبيها أى شىء

مشترك . فقد كان عمها وزوجته يشبهان أمها ، أى أنهما كانا بلا أحلام .

بعد الجنازة قال العم رالف إنه يريد التحدث مع كاثرين وأبيها ، جلسوا جميعاً فى حجرة المعيشة الصغيرة فى الشقة ، وكانت بولين منشغلة بإعداد صوانى القهوة والبسكويت .

قال رالف لأخيه : " أعرف أن ظروفك المالية صعبة ، فأنت حالم وغير واقعى كما كنت دائماً . ولكنك أخى ، ولن أدعك تغرق ، ولقد تناقشت مع زوجتى ، وتوصلنا لقرار بأنك يجب أن تأتى للعمل معى " .

" فى أوماها ؟ "

" ستوفر لنفسك دخلاً جيداً وثابتاً ، وستعيش معى أنت وكاثرين ، فلدينا منزل كبير " .

سقط قلب كاثرين بين قدميها ، الذهاب إلى أوماها يعنى نهاية كل أحلامها .

قال الأب : " دعنى أفكر فى الأمر " .

قال رالف : " سنغادر فى قطار الساعة السادسة ، فدعنا نعرف قرارك قبل الرحيل " .

عندما كان الأب مع كاثرين بمفرديهما صاح قائلاً : " أوماها ! أراهن أن هذه المدينة ليس بها حلاق محترم ! "

ولكن كانت كاثرين تعرف أن عرض عمها فى مصلحة والدها ، فليس أمامه خيار آخر ، فلقد أحكمت الحياة قبضتها عليه . تعجبت وتساءلت عن تأثير الاستقرار فى وظيفة مملة وثابتة بساعات منتظمة على روح أبيها . سيصبح أبوها مثل العصفور البرى الأسير الذى يرفرف بجناحيه ، وهو محبوس فى قفص ، وكأنه يموت تحت وطأة الأسر . أما عن نفسها فيجب أن تنسى الالتحاق بجامعة نورثوسترن ، لقد قدمت أوراقها للحصول على منحة دراسية مجانية هناك ؛ ولكنها لم

تتلق أى رد . فى مساء نفس اليوم اتصل والدها بأخيه لكى يقول إنه قد قبل الوظيفة .

فى الصباح التالى توجهت كاثرين إلى مكتب الناظر ؛ لكى تخبره بأنها ستنتقل لمدرسة فى أوماها ، وكان الناظر واقفاً خلف المكتب ، وقبل أن تتفوه بأية كلمة قال لها : " تهانئى لك يا كاثرين . لقد ربحت منحة مجانية كاملة للدراسة فى جامعة نورثوسترن . "

تناقشت كاثرين فى الأمر مع والدها بشكل كامل ، وفى النهاية تقرر أنه سيذهب إلى أوماها وستذهب كاثرين إلى المدينة الجامعية فى نورثوسترن ، وهكذا بعد عشرة أيام اصطحبت كاثرين أباها إلى محطة القطار لتوديعه . اعتراها إحساس عميق بالوحدة بعد رحيله ، وهو حزن وداع أكثر شخص تحبه ، وفى نفس الوقت كانت متحمسة ؛ لكى يتحرك القطار ، ويملؤها إحساس لذيذ بالإثارة ؛ لأنها ستكون حرة تعيش حياتها كما تريد لأول مرة . وقفت فى محطة القطار تشاهد وجه أبيها الملتصق فى نافذة القطار من أجل نظره الوداع ؛ كان رجلاً وسيماً يرتدى ثياباً رثة ، ومازال يؤمن بأنه فى يوم ما سيمتلك العالم كله .

فى طريق عودتها من المحطة تذكرت كاثرين ما جعلها تضحك بصوت عال ؛ فلقد ذهب والدها إلى أوماها للوظيفة التى يحتاج إليها بشدة فى قطار من الدرجة الأولى ، وحجز لنفسه جناحاً بأكمله .

أول يوم فى الجامعة كان مليئاً بالإثارة التى تفوق الحد ، وكان يحمل دلالة خاصة لـ " كاثرين " لم تستطع وصفها بالكلمات : كان المفتاح الذى سيفتح الباب لكل أحلامها وطموحاتها التى لا تعرف لها حدوداً ، والتى ظلت تتوق إليها بشدة لمدة طويلة . نظرت حولها فى القاعة الكبرى لاجتماع الطلاب ، حيث يقف مئات الطلاب فى طابور لتسجيل أسمائهم ، وكانت تفكر كالتالى : " يوماً ما ستعرفون من أنا ، وستفتخرون بالذهاب إلى الجامعة التى كانت تدرس بها كاثرين

ألكساندر ، ولقد قامت بتسجيل اسمها فى أكبر عدد ممكن من المواد الدراسية ، وفى قائمة المقيمين فى المدينة الجامعية . وفى نفس اليوم وجدت عملاً بعد الظهر كعاملة فى مطعم روست الشهير للسندويتشات أمام الجامعة . كان راتبها ١٠ دولارات فى الأسبوع ، وعلى الرغم من أنه لن يوفر لها أية كماليات ، فسوف يوفر لها مصاريف الكتب والاحتياجات الأساسية .

بحلول العام الجامعى الثانى عرفت كاثرين أنها غالباً تعد الفتاة الوحيدة فى الجامعة بأكملها غير المرتبطة عاطفياً بأى شخص ، وبينما كانت تكبر كانت تسمع مقتطفات من الحوارات التى كانت تدور بين من يكبرونها عن الحب ، وكان يبدو شيئاً رائعاً ، وكان خوفها الأكبر أنها لن تحصل على فرصة لتجربته عندما تكبر بالقدر الكافى للاستمتاع به . اتضح الآن أنها كانت على حق على الأقل طالما كان اهتمامها بالأمر مجرد اهتمام سطحى ؛ كان الحديث عن محاربة الحب هو الموضوع الوحيد فى الجامعة ، حيث يتناقش الجميع فى المدينة الجامعية ، وفى قاعات الدراسة والحمامات ، وفى مطعم روست . كانت كاثرين تشعر بالصدمة من صراحة تلك الحوارات الجريئة .

" جيرى مذهل حقاً ، فهو أشبه بكينج كونج " .

" هل تقصدين جسمه أم عقله ؟ " .

" إنه لا يحتاج للعقل يا عزيزتى " .

" هل تواعدت مع إيرنى روبنز ؟ إنه قصير ، لكنه قوى جداً " .

" أليكس يواعدنى الليلة ، احكى لى عنه بالتفصيل ؟ "

" أليكس فتى أحمق ، وفرى على نفسك العناء ، ولا تخرجى معه " وتتوالى الضحكات الماجنة .

اعتقدت كاثرين أن مثل تلك الحوارات فجة وبلا حياء ومقززة ، ومع ذلك حاولت ألا يفوتها أى حوار ولا أية كلمة . كان تمريناً لها على الماسوكيه (تعذيب الذات) . بينما تصف البنات مغامراتهن

العاطفية ، كانت كاثرين تتخيل أنها تتبادل الحب مع فتى من الفتيان بطريقة مثيرة ومحمومة . قالت لنفسها : " ياه ، يبدو أننى سأموت وحيدة . ما خطبى ؟ " . قالت لنفسها : " سأخبرك ما خطبك ، لم يواعدك أحد الفتيان ، واللعبة تحتاج إلى اثنين إذا أردت أن تمارسيها جيداً " .

كان أكثر الأسماء التى تتردد على ألسنة البنات فى تلك الحوارات هو اسم رون بيترسون ، فلقد التحق بجامعة نورثوسترن بمنحة للتفوق الرياضى ، وكانت له شعبية كبيرة فى الجامعة ، كما كانت له فى المدرسة الثانوية ، حيث امتلأ جسده ، وأصبحت تكسو وجهه علامات النضج والفحولة والخشونة . بعد انتهاء المحاضرة سار فى اتجاه كاثرين ، فبدأ قلبها يخفق فى عنف .

كاثرين ألكساندر !

أهلا يا رون .

هل تدرسين تلك المادة ؟

نعم

هذا مصدر للراحة بالنسبة لى

لماذا ؟

لأننى لا أعرف أى شىء عن مادة اللغة اللاتينية ، وأنت فتاة عبقرية ، وسننسجم معاً ، هل لديك موعد الليلة ؟

لا يوجد موعد خاص ، هل تريدنا أن نستذكر معاً ؟

ما رأيك فى الذهاب إلى الشاطئ . حيث سننعم بالخصوصية ، ونذاكر فى أى وقت .

كان يحدق إلى عينيها .

" يا .... آه ؟ " كان يحاول تذكر اسمها .

ابتلعت ريقها وحاولت جاهدة أن تتذكر اسمها من فرط الذهول . ثم قالت سريعاً : " كاثرين ، كاثرين ألكساندر " .

" نعم ، ماذا عن هذا المكان ! إنه رائع . أليس كذلك ؟ "

حاولت أن يبدو على صوتها الحماس ، لكى تسعده وترضيه وتخطب وده ، فقالت بحماس واندفاع : " نعم إنه مكان رائع ... " .

لقد كان ينظر إلى فتاة شقراء فاتنة تنتظره على باب قاعة المحاضرات فقال لـ " كاثرين " : " أراك لاحقاً " ، ثم ابتعد لكى يلحق بالشقراء .

فكرت كاثرين : كانت تلك هى نهاية قصة السندريلا وفتى الأحلام ، فقد عاشا فى سعادة إلى الأبد ، هو فى جناح نسائه الخاص به ، وهى فى كهف النساك العاصف فى هضبة التبت " .

من وقت لآخر كانت كاثرين ترى رون يسير فى الحرم الجامعى ، وبصحبته فتاة مختلفة فى كل مرة ، وأحياناً اثنتان أو ثلاث فتيات . آه ، ألا يتعب أبداً هذا الفتى ؟ تساءلت كاثرين فى تعجب . كانت لديها خيالات وأحلام بأنه سيأتى لطلب مساعدتها فى مادة اللغة اللاتينية ، لكنه لم يتحدث معها أبداً مرة أخرى .

ليلاً وهى مستلقية على فراشها وتشعر بالوحدة ، كانت تفكر فى كل الفتيات وهن يتبادلن الحب مع الفتيان ، وكانت فى خيالاتها تتخيل رون بيترسون ، وهما فى مكان هادئ يداعب كل منهما الآخر ، حتى حملها رون بين ذراعيه . لكن فى تلك اللحظة من الحلم كان حسها الفكاهى يتغلب عليها ، فتتخيل أنه أصيب بتصلب فى ظهره ، وانهار على الأرض ، وهو يتلوى من الألم ويصرخ . فكرت كاثرين : " يالى من حمقاء ، حتى الخيالات والأحلام لا أنجح فيها " . ربما كان يجب عليها الالتحاق بدير للراهبات . كانت دائماً تتساءل : هل الراهبات لهن أحلام وخيالات عاطفية ؟

كانت كاثرين تتخيل أنها تجلس فى حديقة غناء وهادئة ومليئة بالأشجار الظليلة فى دير قديم خارج حدود روما عاصمة إيطاليا ، وتعبث بأصابعها فى الماء الدافئ من الشمس فى البحيرة القديمة المليئة بالأسماك . ففُتح باب الدير ، وظهر راهب ذو قبعة عريضة ورداء طويل أسود ، وكان يشبه تماماً رون بيترسون .

قال بهدوء : " ياه ، المعذرة يا سيدتى ، لم أكن أعرف أن لدىّ زواراً " .

قامت كاثرين بسرعة ، وقالت معتذرة : " أعرف أنه ما كان يجب أن أتواجد هنا " كان المكان جميلاً ويغرى بالبقاء فيه .

قال لها : " على الرحب والسعة " ثم اقترب منها وكانت عيناه سوداوين لامعتين : " ياه .. لقد كذبت عليكِ " .

" كذبت علىّ ؟ "

قال وهو يكاد يخترق عينيها بعينيه : " نعم ، أعلم أنك كنت هنا ؛ لأننى اتبعتك " .

شعرت بالإثارة تسرى فى جسدها ، وقالت : " ولكنك راهب " .

قال لها : " أيتها الحسناء ، أنا رجل فى المقام الأول ، ثم راهب فى المقام الثانى " .

ثم تقدم إلى الأمام لكى يضمها بين ذراعيه ؛ ولكن ساقيه اشتبكتا فى ذيل ردائه الأسود ، وسقط فى بحيرة الأسماك ! اللعنة !

كان رون بيترسون يذهب لمطعم روست يومياً بعد انتهاء المحاضرات ، ويجلس فى مقعد فى الركن المنزوى الهادئ ، الذى سرعان ما يمتلئ بأصدقائه ، ويصبح مركزاً للحوارات السخيفة العالية . كانت كاثرين تقف خلف الطاولة بجوار الخزينة عندما دخل رون إلى المطعم ، وكان يومئ برأسه لها ببشاشة وبشكل آلى ، ثم يتجه إلى حيث يريد ، ولم يخاطبها أبداً باسمها ، وظنت أنه نسيه تماماً .

ولكن كل يوم عندما يدخل إلى المطعم كانت تبتسم له ابتسامة كبيرة ، وتنتظر أن يلقى عليها التحية ، وأن يطلب منها موعداً غرامياً أو كوباً من الماء أو تعطيه أى شىء يطلبه منها . كانت بالنسبة له كأى قطعة أثاث . عندما فحصت البنات فى القاعة بحياد وموضوعية تامة ، شعرت أنها أجمل منهن جميعاً عدا جين ـ آن ، الشقراء الفاتنة التى كان يواعدها رون كثيراً ، وكانت أجمل من كل الفتيات . ما الذى يعيبها ؟ لماذا لم يواعدها أى فتى ؟ ولكن كاثرين علمت الإجابة فى اليوم التالى .

كانت تسرع إلى عملها فى مطعم روست عندما رأت جين آن وفتاة سمراء لا تعرفها تتجهان إليها . قالت جين آن : " حسناً ها هى الفتاة ذات العقل الكبير " .

فكرت كاثرين : " **وها هى الفتاة الشقراء الفاتنة** " وقالت : " كان اختبار الأدب صعباً . أليس كذلك ؟ " .

قالت جين آن ببرود : " لا تتظاهرى بالتواضع ، فأنت بعلمك الغزير يمكنك تدريس منهج الأدب ، وهذا ليس كل ما يمكنك تدريسه لنا يا عزيزتى ؟ "

احمر وجه كاثرين من لهجة حديث جين آن ، وقالت : " لا ... لا أفهم قصدك " .

قالت الفتاة السمراء : " دعيها وشأنها " .

قالت جين آن : " لماذا ؟ من تظن نفسها ؟ " ثم توجهت إلى كاثرين قائلة : " هل تريدين معرفة ما يقوله الجميع عنك ؟ " .

تخوفت كاثرين وقالت : " لا " داخل ذاتها ، لكنها ردت قائلة : " نعم " .

" يقولون إنك فتاة غريبة الأطوار ! "

حملقت إليها كاثرين غير مصدقة : " أنا ... ماذا ؟! "

" إنك كذلك يا عزيزتى ، ولن تخدعينا بمظهرك البرىء . "

قالت كاثرين وهى تتلعثم : " ولكن هذا .. شىء سخيف . "

قالت جين آن : " هل تظنين أنه بإمكانك خداع الناس " .

" لكن لم أفعل ذلك أبداً ... " .

" يحاول الأولاد الاقتراب منك ؛ لكنك تقومين بصدهم عنك . "

صاحت كاثرين : " ولكن حقاً ... " .

قالت جين آن : " اصمتى ، فأنت لست مثلنا " .

ثم ابتعدتا وتركتاها واقفة فى ذهول تحدق إليهما بلا حراك .

فى تلك الليلة استلقت كاثرين على فراشها ، ولم تتمكن من النوم لإصابتها بالأرق وجلست تفكر :

" **كم عمرك يا آنسة ألكساندر ؟** "

" **١٩ عاماً** "

" **هل مارست الحب مع رجل من قبل ؟** " .

" **أبداً** "

" **هل تميلين إلى الجنس الآخر ؟** "

" **ألسنا جميعنا كذلك ؟** "

فكرت كاثرين فى هذا الأمر بعمق لفترة طويلة . لكن إذا كانت كذلك حقاً ، لماذا تجلس على فراشها وحيدة ؟ لماذا لا تمارس الحب مع الرجال كباقى الفتيات ؟ ربما كانت تعانى من البرود ، أو ربما تحتاج لعملية جراحية مثل قطع فص من فصوص المخ مثلاً ؛ لكى تكون كفتاة عادية مثل غيرها من الفتيات .

عندما بزغ النهار من خلال شباك المدينة الجامعية فى مبنى الطالبات ، كانت كاثرين لم تنم حتى الآن ، ولم يغمض لها جفن ، ولكنها قد اتخذت القرار : سوف تبادل الرجال الحب . وسيحدث ذلك على يد الرجل المحظوظ الذى رافق كل الفتيات : رون بيترسون .

نويل

مارسيليا . باريس : ١٩١٩ . ١٩٣٩

٢

لقد ولدت كأميرة ملكية .

كانت أولى ذكرياتها هى سرير الأطفال الأبيض المغطى بعمدان عليها غطاء من القماش ، ومزينة بالأشرطة الوردية اللون ، ومليئة بدمى الحيوانات المحشوة الناعمة والعرائس الجميلة . تعلمت سريعاً أنها إذا فتحت فمها لتصرخ ، فسيهرع إليها أبواها لكى يحملاها ويهدئا من روعها ، عندما كانت فى سن ستة أشهر كان والدها يتنزه معها فى الحديقة وهى داخل عربة الأطفال ويجعلها تلمس الأزهار ، ثم يقول لها : " إنها زهور جميلة أميرتى ، ولكنك أجمل منها "

فى المنزل كانت تستمتع عندما كان أبوها يحملها إلى أعلى بذراعيه القويتين ، ويحملها إلى النافذة لكى ترى أسطح المبانى العالية ، ويقول : " تلك هى مملكتك راسية فى الخليج . " ويقول : " هل ترين كل تلك السفن الكبيرة ؟ يوماً ما ستكون طوع أوامرك " .

كان الزوار يأتون خصيصاً لرؤيتها ، ولكن لم يكن يسمح إلا لقليل منهم بحملها . كان الناس يحملقون إليها عندما تستلقى على فراشها ، ويتعجبون من تقاسيم وجهها الجميلة المدهشة ، وشعرها الأصفر الجميل ، وجلدها الناعم الذى يشبه لونه العسل الأبيض ، فكان يقول أبوها بفخر : " أى شخص لا يعرفها سيظن أنها أميرة ! " . ثم يميل إلى فراشها ويهمس قائلاً : " يوماً ما سيأتى الأمير الوسيم لكى يحملك ويذهب بعيداً " . ثم يغطيها بحنان بغطاء وردى اللون ، ثم تنام وهى تشعر بالرضا . كان عالمها بأكمله حلماً وردياً فيه المراكب والسفن والصوارى والقصور ، ولم تفهم إلا عند وصولها سن الخامسة أنها ابنة صياد فى مارسيليا ، وأن القصور التى كانت تشاهدها من نافذة حجرة الصندرة كانت المخازن الموجودة حول سوق السمك ذى الرائحة البشعة ، حيث يعمل والدها ، وأن أسطول سفنها ما هو إلا سفن صيد قديمة تنطلق فى البحر من مارسيليا كل صباح فى الفجر إلى العصر ؛ لتفريغ شحنتها ذات الرائحة النفاذة إلى رصيف الميناء .

تلك كانت مملكة نويل باج .

اعتاد أصدقاء والدها تحذيره مما يفعله : " لا يجب أن تحشو رأسها بالأكاذيب ، يا جاك ، ستظن أنها أفضل من الجميع " ، ولكن تحققت تلك النبوءات .

من الظاهر تبدو مارسيليا مدينة مليئة بالعنف ، ذلك العنف البدائى الذى يحدث فى أى مدينة ساحلية تزدحم بالبحارة الجائعين ممن معهم أموال كثيرة ، ولصوص مهرة يريحونهم من عناء حملها . ولكن على العكس من باقى الفرنسيين ، كان أهل مدينة مارسيليا لديهم إحساس بالمؤازرة مع الآخرين ، نابع من صراعهم المشترك من أجل البقاء على قيد الحياة ، للحصول على شريان الحياة للمدينة القادم من البحر . وكان صيادو مدينة مارسيليا ينتمون لعائلة صيادى السمك فى جميع أنحاء العالم ، ويشاطرون بعضهم البعض السراء والضراء .

وهكذا كان جيران جاك باج سعداء بحظه الوافر لأنه رزق بطفلة رائعة ومدهشة . كانوا مدركين هول المعجزة بأنه فى تلك المدينة القذرة الماجنة ولدت أميرة جميلة بحق .

لم تنته دهشة أبويها من جمالها الفائق . كانت الأم بدينة للغاية ، ولها ملامح خشنة كالفلاحات . وكان الأب رجلاً بديناً ، وعريض المنكبين ، ولديه عينان صغيرتان يشع منها الشك ، وكأنهما عينا رجل بريطانى ، وكان شعره بلون الرمل المبلل على شواطئ نورماندى . فى البداية شعر أن الطبيعة قد أخطأت ، وأن تلك الطفلة الجميلة الرائعة الشقراء لا تنتمى له أو لزوجته ، وأن نويل عندما تكبر ستتحول إلى فتاة عادية ذات ملامح معتادة مثل كل بنات أصدقائه ، ولكن المعجزة استمرت ، وترعرعت نويل وازدادت جمالاً كل يوم .

كانت دهشة الأم أقل من الزوج عندما ولدت الطفلة ذات الشعر الذهبى فى العائلة . فقبل ميلادها بتسعة شهور رافقت أمها بحاراً من النرويج ، قادماً من سفينة شحن ، وكان ضخماً مهيباً مثل محاربى الفايكينج القدامى ، وله شعر أصفر ، وابتسامة ساحرة مثيرة . بينما كان زوجها جاك فى العمل مارست الحب مع هذا البحار النرويجى لمدة ربع ساعة على فراش الزوجية فى الشقة الصغيرة .

وقد فزعت أم نويل عندما رأت أن الطفلة الوليدة جميلة جدًا وشقراء ، وظلت تترقب اللحظة التى سيشير فيها زوجها إليها بأصابع الاتهام ، ويطالب بمعرفة الأب الحقيقى ، ولكنها لم تصدق أن شعوره الجارف بحب الذات سيجعله يقبل الطفلة وكأنها ابنته .

كان الأب يتفاخر أمام أصدقائه قائلاً : " لابد أنها انحدرت من أصول اسكندنافية ، وفيها دمائى من أسلافى ، لكنكم ترون أن لها ملامحى . " كانت زوجته تسمع وتومئ مؤمنة على كلامه ، وتفكر أن كل الرجال حمقى .

كانت نويل تحب البقاء مع أبيها ، وكانت تعشق مزاحه الثقيل والروائح الغريبة المثيرة العالقة به ، وفى نفس الوقت كانت تخاف من شراسته . كانت تشاهده فى دهشة وهو يصرخ فى وجه أمها ، ويصفعها على وجهها ، وتبرز عروق رقبته من الغضب . كانت الأم تصرخ فى ألم ، ولكن كان فى صراخها شىء أكثر من مجرد الألم ، شىء حيوانى تمتزج به الرغبة ، وكانت نويل تشعر بالغيرة ، وتتمنى أن تحل محل أمها .

ولكن كان الأب رقيقاً دائماً مع نويل ، وكان يحب اصطحابها إلى رصيف الميناء ، لكى يفتخر بها ويستعرضها أمام الرجال الذين يتسمون بالفظاظة والشدة ممن يعملون معه . زادت شهرتها عبر أرصفة الميناء باسم " الأميرة " ، وكانت فخورة بذلك من أجل أبيها ومن أجل نفسها .

أرادت إسعاد أبيها ، ولأنه يحب الطعام فبدأت تطهو له وتعد له أطباقه المفضلة ، وبالتدريج حلت محل الأم فى المطبخ .

فى سن السابعة عشرة ، اكتمل جمال نويل ونضج جسدها ، وأصبحت امرأة فائقة الحسن . كانت ملامح وجهها صغيرة وجميلة ، وعيناها ذواتى لون بنفسجى ملىء بالحيوية ، وكان شعرها ناعماً وأشقر . كان جلدها ناعماً ، وذهبى اللون ، وكأنها غمست فى العسل . كان قوامها مذهلاً ، ووسطها رشيقاً ، وشفتاها ممتلئتين ومستديرتين وساقاها طويلتين وممتلئتين قليلاً ، ولديها كاحل دقيق الحجم . كان صوتها مميزاً وناعماً عذباً . كانت مفعمة بالمشاعر والأحاسيس القوية الملتهبة ، لكن لم يكن هذا مصدر فتنتها وسحرها الذى يكمن فى حقيقة أن تحت هذا الستار من الجانب الحسى توجد جزيرة من البراءة لم تطأها الأقدام بعد ، والجمع بين البراءة والأحاسيس لا يقاوم . لم تكن تسير فى الشارع بدون أن يعرض عليها السائرون إقامة علاقة معها ، ولكنها لم تكن عروضاً رخيصة ، وكأنهم يخاطبون ود إحدى العاهرات

فى مارسيليا ؛ لأن حتى أكثر الرجال عناداً أدركوا تميز نويل ، حيث إنها تمتلك سمات لم يشاهدوها من قبل ، وغالباً لن يشاهدوها بعد الآن فى غيرها أبداً ، وكان كل منهم يريد دفع كل ما يملك ؛ لكى يستحوذ عليها ولو لفترة قصيرة .

كان أبوها على وعى بجمالها الفتان أيضاً ، وفى الواقع نادراً ما كان يفكر فى هذا الموضوع ، وكان يعلم ما يثيره جمالها فى نفوس الرجال ، وعلى الرغم من عدم مناقشته هو وزوجته لذلك مع نويل ، لكنه كان متأكداً من أنها لم تقم علاقة مع أى شخص ، فالعذرية رأس مال الفتاة . كان عقله كالفلاحين الخبثاء يفكر طوال الوقت فى جدية عن استثمار الكنز الذى وهبته الطبيعة له بدون توقع . كانت مهمته هو أن يحصل على أكبر قدر ممكن من المال من الرجل الذى سيستمتع بجمال ابنته . فلقد رباها وأطعمها وكساها وعلمها - فهى مدينة له بكل شىء . والآن حان وقت السداد . تمنى لو استطاع أن يجعلها خليلة أو عشيقة لرجل غنى ، فسيكون ذلك فى صالحها ، وسيتمكن هو من أن يعيش الحياة التى يستحقها فى رغد العيش . مع كل يوم يمر يصعب أكثر على الرجل الشريف أن يحيا حياة كريمة . بدأ شبح الحرب يخيم على أوروبا . اتجه النازيون إلى النمسا فى ضربة خاطفة كالبرق الذى صعق كل أوروبا . بعد شهور اجتاح النازيون منطقة سودتن ودولة سلوفاكيا . على الرغم من تأكيدات هتلر أنه لا يهتم بالغزو لأبعد من ذلك ، ولكن ظل الشعور المستمر ، وهو وجود صراع رهيب على نطاق كبير .

تأثير كل تلك الأحداث كان له تداعيات خطيرة فى فرنسا . كان هناك نقص فى المتاجر والأسواق ؛ لأن الدولة بدأت فى التعبئة للمجهود الدفاعى الضخم . وسرعان ما خشى جاك بأنهم سيضطرون للتوقف عن الصيد بأمر الحكومة . فما عساه أن يفعل ؟ الحل لكل تلك المشاكل أن يجد رجلاً غنياً لابنته ، والمشكلة أنه لا يعرف رجالاً أغنياء ، كان كل

أصدقائه يعانون من الفقر المدقع مثله ؛ ولم تكن لديه النية فى أن يجعل أى رجل يقترب منها دون أن يدفع الثمن .

الحل لمعضلة جاك باج جاء بدون قصد من نويل ؛ ففى الشهور الأخيرة انتابها القلق والشعور بعدم الراحة الذى ظل فى ازدياد . كانت متفوقة فى الدراسة لكنها ملت منها ، وأخبرت والدها أنها تريد وظيفة . ظل يتأملها فى صمت ، وهو يزن كل الاحتمالات بحنكته المعهودة .

سألها قائلاً : " أى نوع من الوظائف ؟ "

قالت نويل : " لا أعرف ، ولكن يمكننى العمل كعارضة أزياء يا أبى " . كان الأمر بهذه البساطة .

بعد عودة جاك من العمل طوال أيام الأسبوع التالى كان يستحم جيداً للتخلص من رائحة السمك من يديه وشعره ، ويرتدى أفضل حلة لديه ويذهب إلى شارع كانبيير ، وهو الطريق الرئيسى من الميناء القديم فى المدينة ، الذى يؤدى إلى الأحياء الثرية . كان يقطع الطريق جيئة وذهاباً ويستكشف كل صالونات الأزياء ، وهو عالم استعراضى أخرق من الملابس الفخمة والدانتيل والحرير ، ولم يهتم بأنه من غير المناسب أو اللائق وجوده هنا . كان لديه هدف واحد ، ووجده عندما وصل محل للملابس فى مارسيليا ويدعى بون مارشيه ؛ ولكن ليس هذا سبب اختياره له ، بل اختاره لأن صاحبه هو السيد أوجست لانشون ، وهو رجل فى الخمسينيات من عمره ، وأصلع وقبيح ، وله ساقان سمينتان قصيرتان ، وله فم يهتز فى طمع . كانت زوجته سيدة ضئيلة الحجم ووجهها كالفأس المسنون ، وهى تعمل فى غرفة قياس الملابس ، وتشرف بصوتها العالى على الخياطين والترزية . ألقى جاك نظرة واحدة على السيد لانشون وزوجته ، وأدرك أنه وجد الحل لمشكلته .

نظر لانشون نظرة اشمئزاز لـ " جاك " وهو يدخل عليه فى ثيابه الرثة من باب المحل ، ثم سأله بوقاحة : " نعم ؟ ما الذى تريده ؟ هل يمكننى مساعدتك ؟ "

غمز له جاك بعينه ، وضغط بأصبعه الغليظ على صدر لانشون وابتسم ابتسامة ساخرة قائلاً : " بل إننى الذى سأقدم لك خدمة يا سيدى ؛ سوف أجعل ابنتى تعمل لديك " .

حدق لانشون فى الرجل البلطجى الماثل أمامه ، وعلت وجهه تعبيرات عدم التصديق قائلاً : " تقول إنك ستدع .... " .

" ستأتى غداً فى التاسعة صباحاً " .

" لكنى لا أريد .... " .

تركه جاك باج وبعد مرور دقائق معدودة طرح لانشون الأمر من ذاكرته تماماً . فى التاسعة من صباح اليوم التالى نظر لانشون إلى جاك وهو يدخل إلى المحل ، وكان على وشك أن يأمر المدير بطرده ، لكنه رأى خلفه نويل . كانا يسيران فى اتجاهه ، الأب وابنته الفاتنة ، وكان الرجل العجوز يبتسم قائلاً : " ها هى جاهزة ومستعدة للعمل " .

حدق لانشون فى الفتاة ، ولعق شفتيه .

ابتسمت نويل قائلة : " صباح الخير يا سيدى . أخبرنى والدى أن لديك عملاً لى " .

أومأ لانشون برأسه موافقاً ، وقال وهو يتلعثم : " نعم ... أعتقد أنه يمكن ترتيب هذا الأمر " . ثم درس وجهها وقوامها ، ولم يتمكن من تصديق ما يراه .

قال جاك : " سأدعكما تتعرفان على بعضكما البعض " ثم ربت كتف لانشون بقوة ، وأعطاه غمزة بعينه يمكن تفسيرها بمعان كثيرة ، وبلا شك كان لانشون قد فهم مقصد جاك .

شعرت نويل فى الأسابيع الأولى كأنها انتقلت إلى عالم مختلف تماماً . زبائن المحل من السيدات الأنيقات المهذبات ، والرجال الذين

يصطحبونهن يختلفون تماماً عن الصيادين الوقحين المزعجين السخفاء الذين نشأت معهم . بدا لـ " نويل " أنها لم تعد تشم رائحة السمك لأول مرة فى حياتها . لم تكن على وعى بأنها رائحة سيئة من قبل ؛ لأنها كانت دائماً جزءاً من حياتها . والآن تغير كل شىء فجأة ، وكانت مدينة بكل شىء لوالدها ، وكانت فخورة بطريقة تعامل والدها مع لانشون ، حيث كان يأتى والدها للمحل مرتين أو ثلاثًا كل أسبوع ، ويحتسى مع لانشون الشراب وتنمو بينهما أواصر الصداقة . فى البداية لم يعجبها السيد لانشون ، لكن سلوكه تجاهها كان غير مباشر . سمعت نويل من فتيات المحل أنه ذات مرة ضبطته زوجته فى حجرة البضائع مع عارضة أزياء ، وقد أحضرت المقص الكبير ، وكانت على وشك قتله . كانت نويل على وعى بأن عينيه تلاحقانها أينما ذهبت ؛ ولكنه كان حريصاً على أن يكون مهذباً معها دائماً . فكرت أنه قد يخاف من أبيها ورضيت بهذا التفسير .

تغير الجو العام فى المنزل إلى الأفضل فجأة . ولم يعد والدها يضرب أمها ، وتوقف الشجار الدائم . كان هناك لحم بالمنزل كل يوم ، وبعد العشاء كان والدها يخرج الغليون الجديد ويملؤه بالتبغ ذى الرائحة النفاذة من علبة جلدية أنيقة . وابتاع لنفسه حله جديدة . كانت الظروف تزداد سوءاً على المستوى العالمى والدولى ، وسمعت نويل مناقشات أبيها وأصدقائه ، وكان يبدو عليهم الفزع من الخطر الوشيك على مورد رزقهم ، ولكن أباها هو الوحيد الذى لم يبد عليه القلق .

فى الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ غزت قوات هتلر بولندا ، وبعدها بيومين أعلنت فرنسا وإنجلترا الحرب على ألمانيا .

بدأت التعبئة العامة وفى يوم وليلة امتلأت الشوارع بالعساكر . كان هناك شعور عام باليأس والاستسلام بشأن ما يحدث ، وكأن المرء لديه شعور أنه قد شاهد تلك التجربة من قبل فى فيلم قديم ، ولذلك لم يشعر أحد بالخوف . الدول الأخرى لديها سبب لكى ترتعد أمام قوة الجيوش

الألمانية ، ولكن فرنسا كانت لا تقهر ، فلديها خط " ماجينو " ، القلعة المحصنة التى لا يمكن اختراقها ، والتى ستحمى فرنسا من الغزو للألف عام التالية . تم فرض حظر التجوال ، وبدأ توزيع حصص التموين بكميات محدودة ، لكن جاك لم يعبأ بكل هذا . فلقد تغير وهدأت طباعه . المرة الوحيدة التى رأته نويل وهو يستشيط غضباً عندما رآها مرافقة لفتى كانت قد واعدته ، وقف وقتها أمامها مشدوها ، وانتفض جسده الذى يغلى من الغضب .

صرخ جاك فى الفتى الخائف : " اغرب عن وجهى ، وأبعد يديك القذرة عن ابنتى أيها الخنزير القذر ! "

هرب الفتى فى فزع ، وحاولت نويل توضيح الأمر لوالدها ، وأنها لم تخطئ ، لكنه كان غاضباً لدرجة لا تسمح له بسماع أى شىء .

صرخ جاك فى وجهها قائلاً : " لن أسمح لك بأن تحقرى من شأنك ، فهذا الفتى نكرة وحقير ، وليس مناسباً بالقدر الكافى لأميرتى الصغيرة " .

ظلت نويل مستيقظة طوال الليل ، وهى معجبة بحب أبيها لها ، وأقسمت أنها لن تفعل ما يزعجه أبداً مرة أخرى .

فى إحدى الليالى قبل وقت إغلاق محل الملابس جاءت إحدى الزبائن من السيدات ، وطلب لانشون من نويل ارتداء بعض الملابس لعرضها على السيدة . بانتهاء نويل من عملها كان الجميع قد غادر المحل ماعدا لانشون وزوجته التى كانت تعمل فى الحسابات فى المكتب . ذهبت نويل إلى حجرة تغيير الملابس الخالية لتغيير ملابسها عندما دخل عليها لانشون وحدق إليها واهتزت شفتاه . أخذت نويل رداءها ، ولكن قبل أن تتمكن من ارتدائه أسرع إليها وأمسك بذراعها . انتفضت نويل وشعرت بالاشمئزاز ، وسرت قشعريرة فى جسدها . حاولت الهرب ، لكنه كان يقبض عليها بيد من حديد وكان ذلك يؤلمها

همس لها قائلاً : " يا لك من جميلة ، بالتأكيد سوف تقضين معى وقتاً ممتعاً " .

فى تلك اللحظة نادته زوجته ، فاضطر - على مضض - أن يدع نويل وشأنها ، وأسرع إلى خارج الحجرة .

فى طريقها إلى المنزل أخذت نويل تفكر هل تخبر أباها بما حدث أم لا . ربما لو علم فسيقتل لانشون . كانت تكرهه ولم تتحمل البقاء بجواره ، ولكنها تريد الوظيفة ، كما أن والدها سيصاب بالإحباط إذا استقالت . قررت أنها فى الوقت الراهن لن تخبره بشىء ، وستجد حلاً للمشكلة بنفسها .

فى يوم الجمعة التالى تلقت زوجة لانشون مكالمة هاتفية علمت منها أن والدتها مريضة وتريد رؤيتها . وهى تسكن فى مدينة فيشى . قام لانشون بتوصيل زوجته إلى محطة القطار ، ثم عاد سريعاً إلى المحل ، واستدعى نويل إلى مكتبه ، وأخبرها أنه يريد قضاء عطلة نهاية الأسبوع معها فى مكان بعيد . حدقت نويل إليه ، واعتقدت - فى بادئ الأمر - أنه يمزح .

قال لها : " سنذهب إلى مدينة فيينا حيث يوجد أفخم مطعم فى العالم ، ويسمى مطعم " الهرم " . إنه باهظ الثمن ولكن لا يهم ، يمكننى أن أكون كريماً لمن يحسنون معاملتى ، فمتى ستكونين مستعدة ؟ " .

حدقت إليه وكل ما استطاعت قوله هو : " أبداً ! " ثم خرجت مسرعة من مكتبه إلى واجهة المحل . نظر إليها لانشون لبرهة ، ثم تلون وجهه من الغضب ، ثم التقط الهاتف من على مكتبه . بعد ساعة جاء والد نويل إلى المحل ، واتجه مباشرة إلى نويل مما جعل وجهها يستنير بالشعور بالراحة . لقد شعر أن ثمة خطأ قد حدث ، وجاء لكى ينقذها . كان لانشون واقفاً عند باب مكتبه ، أخذها والدها من ذراعها ، وأسرع بها إلى مكتب لانشون ، ثم استدار إليها ليواجهها .

قالت نويل : " أنا سعيدة بمجيئك يا أبى ، أنا .... " قاطعها والدها قائلاً : " لقد أخبرنى السيد لانشون أنه عرض عليكِ عرضاً ممتازاً ، ولكنك رفضته " .

حدقت إليه فى حيرة وقالت : " أى عرض ؟ لقد طلب منى السفر معه لقضاء عطلة نهاية الأسبوع " .

" وهل رفضت ذلك العرض ؟ " .

قبل أن تتمكن نويل من الإجابة رفع الأب يده فى الهواء وصفعها على خدها بشدة . وقفت فى ذهول وهى لا تصدق ما حدث ، وقد شعرت بطنين فى أذنها ، واغرورقت عيناها بالدموع وهى تسمعه يقول : " يالك من غبية وحمقاء ! حان الوقت للتفكير فى الآخرين ، وليس فى نفسك فقط أيتها الأنانية الملعونة ! " ثم صفعها مرة أخرى

بعد نصف ساعة وقف الأب على الرصيف ، وهو يشاهدهما يرحلان بالسيارة ، حيث يتجه لانشون ونويل إلى مدينة فيينا .

كانت حجرتهما فى الفندق مكونة من فراش كبير مزدوج ، وأثاث رخيص ، وحوض للاغتسال فى أحد الأركان . فالسيد لانشون لا يحب تبذير أمواله ، حيث إنه أعطى بقشيشاً ضئيلاً لحامل الحقائب الذى بمجرد أن رحل ، اتجه لانشون إلى نويل ، وحملق إلى عينيها ، ثم قال لها : " هيا يا حبيبتى " .

تذكرت نويل صراخ أبيها : " يجب أن تعترفى بالجميل عندما يريد رجل مثل السيد لانشون أن يعتنى بك . كل ما يجب عليك فعله هو معاملته معاملة لطيفة ، من أجلى ومن أجلك " . كان المشهد كله أشبه بالكابوس . كانت متأكدة من أن والدها قد أساء فهم الموقف بطريقه ما ، ولكن عندما بدأت توضح له كان قد صفعها مرة أخرى وصرخ قائلاً : " ستفعلين ما تؤمرين به . فتيات غيرك سيشعرن بالامتنان لتلك الفرصة " . فرصة ! نظرت إلى لانشون وجسده القبيح

السمين البدين ، ووجهه اللاهث كالحيوانات وعينيه اللتين تشبهان عينى الخنزير . هل هذا هو الأمير الذى باعها له أبوها الذى يحبها ، ولم يكن يتحمل أن تسلم نفسها لمن لا يستحق ؟ وتذكرت اللحم الذى أصبح ضيفاً دائماً على المائدة فجأة ، وغليون أبيها الجديد ، وحلته الجديدة ، وأرادت أن تتقيأ .

بدا لـ " نويل " أنها قد ماتت وولدت من جديد فى الساعات التالية ماتت كأميرة ، وولدت من جديد كعاهرة . ببطء بدأت تعى ما حولها وما يحدث لها . كانت تمتلئ مقتاً بلا حدود . لن تسامح أباها على خيانته لها . والغريب أنها لم تكره لانشون لأنها فهمته . كان رجلاً به الضعف الإنسانى لكل الرجال . منذ الآن قررت نويل أن نقطة ضعف الرجال ستكون مصدر قوتها ، وستتعلم كيف تستخدمها ، فلقد كان أبوها على حق طوال الوقت ، كانت أميرة والعالم كله ملكها . والآن عرفت كيف تحصل عليه ببساطة . العالم ملك الرجال وهم يحكمونه لأن لديهم القوة ، والمال والنفوذ ، وبالتالى فإن بإمكانها أن تتحكم فى الرجال . أو على الأقل رجل واحد .ولكن لكى تفعل ذلك يجب أن تستعد ، فعليها أن تتعلم الكثير ، وتلك هى البداية .

فى اللحظات المحمومة لم يلاحظ لانشون أن نويل هى الموجودة معه ، ولم يهتم بذلك . كان مجرد رؤيتها يكفيه .

قضيا معاً ثلاثة أيام ، ولم يذهبا ولو لمرة واحدة لمطعم " الهرم " ، وأثناء تلك الأيام والليالى علمها لانشون القليل من تجاربه الحياتية .

عندما عادا بالسيارة إلى مارسيليا ، كان لانشون يعتبر نفسه أسعد رجل فى فرنسا . فى الماضى كانت له نزوات وعلاقات عابرة مع الفتيات اللاتى يعملن فى مطعم " كابينيه بارتيكولبير " ، حيث يوجد حجرات عشاء خاصة بها أرائك ، ولقد تفاوض فى السعر مع عاهرات مارسيليا ، وكان بخيلاً ويعطى هدايا قليلة لمحظياته ، وكان بخيلاً مقتراً مع زوجته وأطفاله . ولكنه الآن وجد نفسه يقول فى نوبة كرم

مفاجئة : " سأحضر لك شقة تقيمين فيها يا نويل ، هل تتقنين الطهى ؟ " .

قالت نويل : " نعم " .

" رائع ، سأحضر إليك للغداء كل يوم ثم نمارس الحب معاً . وسأحضر إليك ليلتين أو ثلاثًا كل أسبوع من أجل العشاء " . ثم وضع يده على ركبتها ، وقال لها : " ما رأيك ؟ " .

قالت نويل : " يبدو ذلك رائعاً " .

قال لها : " وسأعطيك مصروفاً خاصاً بك ، ولكنه لن يكون كبيراً " قال تلك العبارة الأخيرة بسرعة . ثم أردف قائلاً : " ولكنه سيكفيك للخروج والشراء والتسوق من آن إلى آخر ، وكل ما أطلبه منك ألا يشاركنى الرجال فيك ، فأنت ملكى الآن " .

قالت نويل : " كما تريد يا أوجست " .

تنهد لانشون فى ارتياح ، ثم قال بصوت ناعم : " لم أشعر بهذا القدر من السعادة مع أى فتاة أخرى ، أتعرفين لماذا ؟ "

" كلا يا أوجست " .

" لأنكِ تجعليننى أشعر وكأننى شاب من جديد ، سنحيا حياة رائعة معاً " .

وصلا إلى مارسيليا فى وقت متأخر من الليل ، وطوال الطريق لم يتحدثا ، كان لانشون غارقاً فى أحلامه ، ونويل غارقة فى أحلامها هى الأخرى .

قال لانشون : " أراكِ فى المحل غداً الساعة التاسعة صباحاً " ثم فكر قليلاً ، وأردف قائلاً : " إذا شعرت بتعب فى الصباح نامى لوقت أطول ، ويمكنك المجىء غداً فى التاسعة والنصف " .

" شكراً لك يا أوجست " .

أعطاها حفنة من الفرنكات الفرنسية قائلاً :

" إليك هذه النقود ، ابحثى غداً عن شقة ، وادفعى النقود كعربون لها حتى أراها " .

نظرت إلى النقود فى يديه ولم تلمسها .

قال لانشون : " ما الخطب ؟ " .

قالت نويل : " أريد أن نحصل على شقة جميلة حقاً ، لكى تكون مكاناً نستمتع به معاً " .

قال معترضاً : " أنا لست رجلاً ثرياً " .

ابتسمت نويل عندما فهمت الموقف ، ووضعت يدها على كتفه ، فحدق إلى وجهها للحظة طويلة ، ثم أومأ برأسه قائلاً : " معك كل الحق " .

التقط حافظة نقوده ، وبدأ يخرج الفرنكات ، ويشاهد وجهها أثناء ذلك .

عندما بدا عليها الرضا توقف عن إخراج النقود من الحافظة ، واحمر وجهه من نوبة الكرم المفاجئة . فبعد كل ما حدث بينهما لا يهم أى شىء . كان رجل أعمال ذا حنكة ، وكان يعرف أن هذا يؤمن له أن نويل لن تحتقره أبداً .

شاهدته نويل وهو يبتعد بالسيارة وهو مفعم بالسعادة ، ثم ذهبت إلى الطابق العلوى ، وأعدت حقائبها ، وأخرجت مدخراتها من مخبئها ، وفى الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم كانت تستقل القطار المتجه إلى باريس .

عندما وصل القطار إلى باريس فى صباح اليوم التالى ، كانت المحطة مزدحمة بالمسافرين الذين وصلوا للتو . كان ضجيج المحطة يصم الآذان عندما يتبادل الناس التحيات المرحة الصاخبة ، ويودعون بعضهم البعض بالبكاء ، ويتدافعون بكل وقاحة ، ولكن نويل لم تكترث لكل ما يحدث حولها . بمجرد نزولها من القطار ، وقبل أن تتاح لها الفرصة لرؤية المدينة ، كانت تعرف أنها ستكون مدينتها ومستقرها . كانت

مارسيليا تبدو لها مدينة غريبة ، وباريس هى المدينة التى تنتمى إليها . شعرت بشعور غريب يجتاحها ، ولكنها استمتعت وتحملت الضجيج والزحام والإثارة ، وكأن كل ما سبق ملكها ، وكل ما عليها هو أن تعلن عن ملكيتها له . حملت حقيبتها ، واتجهت إلى باب الخروج .

بالخارج فى ضوء الشمس الساطع ، وزحام المرور الشديد ، ترددت نويل عندما أدركت فجأة أنها ليس لديها مكان تذهب إليه . كانت هناك عدة سيارات أجرة تقف فى صف أمام محطة القطار ، فاتجهت لأول سيارة منها .

" إلى أين ؟ " .

ترددت ، ثم قالت : " هل يمكنك أن ترشح لى فندقاً لطيفاً ورخيصاً ؟ " .

التفت السائق وحدق إليها ليتفحصها جيداً ، وقال :

" هل هذه أول مرة تأتين فيها إلى باريس ؟ " .

" نعم " .

أومأ برأسه ، ثم قال : " أعتقد أنك بحاجة إلى وظيفة ؟ "

" نعم "

قال لها : " حظك سعيد اليوم ، هل عملت من قبل كعارضة أزياء ؟ "

قفز قلبها فرحاً : " فى الحقيقة نعم " .

" أختى تعمل لأحد أكبر بيوت الأزياء ، وذكرت لى هذا الصباح أن إحدى الفتيات تركت العمل . هل تودين الذهاب لمعرفة هل الوظيفة مازالت شاغرة أم لا ؟ " .

" سيكون ذلك رائعاً " .

" إذا ذهبت بك إلى هناك فستعطيننى عشرة فرانكات " .

عبست بوجهها ، فقال لها : " الأمر يستحق ، صدقينى " .

" حسناً " . ثم اتكأت بظهرها فى المقعد ، وفتح السائق العداد ، وانطلق وسط الزحام المرورى الرهيب متجهاً إلى وسط المدينة . كان السائق يثرثر أثناء القيادة ، ولكن نويل لم تستمع لأية كلمة مما قال ؛ لأنها كانت منهمكة فى مشاهدة معالم المدينة . لقد افترضت أنه بسبب الغطاء الواقى من الشمس على النوافذ بدت باريس مظلمة أكثر من المعتاد ، ولكن بالنسبة لـ " نويل " كانت مدينة لها سحرها الخاص ، فلها أناقة وأسلوب خاص ، ولها رائحة تخصها وحدها . مرت السيارة بكنيسة " نوتردام " ، والجسر الجديد ، ثم الضفة الشرقية لنهر السين ، ثم عبرت شارع مارشال نوش ، ومن هذه المسافة رأت نويل برج إيفل الذى يخيم على المدينة كلها . من خلال المرآة العاكسة شاهد السائق تعابير وجهها .

" إنها مدينة جميلة ، أليس كذلك ؟ " .

قالت بهدوء : " بكل تأكيد " ، لم تكن تصدق أنها هنا . إنها مملكة تليق بأميرة ... أى بها .

وقف التاكسى أمام مبنى حجرى يخيم عليه اللون الرمادى فى شارع بروفنس .

قال السائق : " لقد وصلنا ، قراءة العداد ٢ فرنك و ١٠ فرنكات لى كما اتفقنا " .

سألته نويل : " من أين لى أن أعرف أن الوظيفة مازالت شاغرة ؟ "

هز كتفه فى عدم اكتراث قائلاً : " أخبرتك أن الفتاة غادرت هذا الصباح ، وإذا لم ترغبى فى الدخول فسوف أعيدك إلى محطة القطار " .

قالت نويل سريعاً : " كلا " . فتحت كيس نقودها ، وأخرجت اثنى عشر فرانكاً ، وأعطتها للسائق . حدق السائق إلى المال ، ثم نظر إليها . فشعرت بالإحراج ، ففتحت كيس نقودها ، وأعطته فرنكاً آخر .

أومأ لها برأسه ولم يبتسم ، وشاهدها وهى تحمل حقيبتها من التاكسى .

وعندما أوشك على الانصراف قالت له : " ما اسم أختك ؟ "

" جانيت . "

وقفت نويل حتى اختفى التاكسى عن الأنظار ، ثم استدارت للنظر إلى المبنى . لم يكن هناك أية لافتة أمامية تدل على المكان ، ولكنها ظنت أن بيت الأزياء الشهير لا يحتاج للافتة . فالجميع يعرفون أين سيجدونه . حملت حقيبتها ، وتوجهت إلى الباب ، ودقت الجرس . بعد بضع دقائق فتحت الباب خادمة ترتدى مريلة سوداء ، ونظرت إلى نويل نظرة دون أى تعبير يكسو وجهها .

" نعم ؟ " .

قالت نويل : " أرجو المعذرة ، ولكنى أعتقد أنه يوجد مكان شاغر لديكم للعمل كعارضة أزياء " .

حدقت المرأة إليها ، ثم غمزت بعينيها ، وقالت : " من أرسلك ؟ " .

" أخو جانيت " .

" ادخلى " .

فتحت الباب على مصراعيه ، ودخلت نويل إلى صالة الاستقبال التى كانت من طراز أوائل القرن التاسع عشر . كانت هناك نجفة ضخمة معلقة فى السقف ، وعدة نجفات أخرى منتشرة فى المكان . من خلال أحد الأبواب المفتوحة رأت نويل حجرة الجلوس المليئة بالأثاث القديم الفخم ، وسلماً يؤدى للطابق العلوى . على المنضدة المرصعة بالجواهر كانت هناك أعداد من الجرائد الشهيرة مثل جريدة " فيجارو " و " ليكو دى بارى " . قالت المرأة : " انتظرى هنا ، وسأرى هل لدى مدام ديليس وقت لرؤيتك أم لا " .

قالت نويل : " شكراً لك " . وضعت نويل حقيبتها على الأرض ، وتوجهت إلى المرآة الكبيرة على الحائط . كانت ملابسها مكرمشة من جراء الرحلة الطويلة التى قطعتها بالقطار ، وفجأة ندمت على اندفاعها للدخول إلى هنا بدون إعداد نفسها ، فلقد كان من المهم أن تترك انطباعاً جيداً . لكنها فحصت نفسها ، وكانت تعرف أنها تبدو جميلة بدون غرور ، وهى تعلم أن جمالها من ذخائرها التى يجب أن تستخدمها مثل ذخائرها الأخرى . استدارت نويل عندما رأت فى المرآة فتاة تنزل من على السلم . كانت الفتاة لها قوام رشيق ، ووجه جميل ، وترتدى تنورة طويلة ، بنية اللون ، وقميصاً ذا رقبة عالية . ابتسمت لـ " نويل " سريعاً ، ثم ذهبت لحجرة الجلوس . بعد دقيقة واحدة دخلت مدام ديليس الحجرة . كانت سيدة فى الأربعينيات من عمرها ، وكانت قصيرة وبدينة ، ولها عينان باردتان حادتان . كانت ترتدى فستاناً قدرت نويل ثمنه بألفى فرنك على الأقل .

قالت لـ نويل : " رجينا تخبرنى أنك تبحثين على وظيفة " .

قالت نويل : " نعم يا سيدتى " .

" ما مسقط رأسك ؟ " .

" مارسيليا " .

قالت بسخرية : " ملعب البحارة السكارى " .

هزت نويل رأسها موافقة .

ربتت مدام ديليس على كتف نويل قائلة : " لا يهم يا عزيزتى ، كم عمرك ؟ " .

" ١٨ عاماً " .

أومأت مدام ديليس برأسها قائلة : " جيد ، أعتقد أن زبائنى سيعجبون بك . هل لديك أسرة تقيمين معها فى باريس ؟ " .

" كلا " .

" ممتاز ، هل أنتِ مستعدة للعمل حالاً ؟ " .

قالت نويل بحماس : " أوه ، نعم " .

جاءت من الطابق العلوى أصوات الضحكات ، وبعد لحظة واحدة نزلت من على السلم فتاة ذات شعر أحمر فى أحضان رجل بدين فى الخمسينيات من العمر . كانت الفتاة ترتدى قميص نوم شفافاً كالغلالة الرقيقة .

بادرته مدام ديليس بالسؤال : " هل انتهيت بالفعل ؟ " .

قال الرجل وهو يبتسم : " لقد أنهكت أنجيلا معى الليلة " .

ثم رأى نويل ، وقال : " من هذه الجميلة الصغيرة ؟ " .

قالت مدام ديليس : " تلك هى إيفيت ، الفتاة الجديدة " .

وأضافت بدون تردد : " إنها ابنة أميرة من قبيلة أنتايبس " .

تعجب الرجل قائلاً : " لم أصاحب أميرة من قبل ، ما سعرها ؟ " .

" ٥٠ فرنكاً " .

" لابد أنك تمزحين . ٣٠ فرنكاً تكفى " .

" ٤٠ فرنكاً ، وصدقنى إنها تستحق " .

" اتفقنا " .

اتجها إلى نويل ، ولكنها قد اختفت .

ظلت نويل تجوب شوارع باريس لعدة ساعات . سارت عبر شارع الشانزليزيه جيئة وذهاباً من رصيف إلى آخر ، وتجولت عبر ليدو أركاد ، توقفت أمام كل محل لمشاهدة المعروضات من الملابس والمجوهرات والمنتجات الجلدية والعطور ، وتعجبت وتساءلت كيف كان شكل باريس قبل نقص الموارد بسبب الحرب . كانت البضائع المعروضة فى المحلات مذهلة ، كانت تشعر بالدهشة ، كان جزء آخر منها يعرف أنه يوماً ما ستكون كل تلك الأشياء ملكاً لها . عبرت شوارع بوا وفوبورج سانت أونريه و فيكتور هوجو ، حتى بدأت

تشعر بالتعب والجوع . كانت قد تركت حقيبتها وكيس نقودها عند مدام ديليس ، ولكنها لم تكن تنوى العودة لاستردادهما ، بل سترسل فى طلبهما لاحقاً .

لم تشعر نويل بالصدمة أو الحزن مما حدث ، كانت ببساطة تعرف الفرق بين الخليلات والمحظيات من ناحية ، والعاهرات من ناحية أخرى . العاهرات لم يغيرن مجرى التاريخ ؛ بل المحظيات هن من قمن بذلك . ولكن الآن ليس معها سنت واحد . كان عليها أن تجد طريقة لكى تعيش ، حتى تحصل على وظيفة غداً . لاح المغيب فى الأفق ، وبدأ التجار والبوابون فى الفنادق فى الانشغال فى وضع الستائر السوداء لحمايتها من أى غارة جوية محتملة . لحل مشكلتها الحالية ؛ كانت نويل تحتاج إلى أن تجد من يشترى لها وجبة عشاء ساخنة . سألت ضابط المرور عن الاتجاهات ، ثم اتجهت إلى فندق كريلون . كان الفندق من الخارج مغطى بغطاء حديدى على كل النوافذ ، ولكن من الداخل كانت صالة الاستقبال تحفة فنية من الأناقة الخاضعة لظروف الحرب . كان كل شىء فى غاية الروعة ؛ ولكن أقل من المعتاد فى البهاء والرونق . سارت نويل بكل ثقة ؛ وكأنها تنتمى إلى هذا المكان ، وجلست على كرسى فى مواجهة المصعد . لم تكن قد فعلت هذا من قبل ، ولذلك كانت متوترة قليلاً ، ولكنها تذكرت سهولة التعامل مع أوجست لانشون . الرجال بالنسبة لها غير معقدين ، ومن السهل فهمهم . كان يوجد درس واحد على الفتاة أن تذكره : " يكون من السهل قيادة الرجل عند استثارته ، ومن الصعب قيادته عندما يهدأ " . ولذلك من الضرورى أن تثيره حتى تحصل على ما تريد . أخذت تنظر حول قاعة الاستقبال حتى قررت أنه من السهل جذب انتباه رجل فى طريقه إلى تناول العشاء وحيداً .

" أرجو المعذرة يا آنسة " .

رفعت نويل رأسها لترى رجلاً ضخماً يرتدى حلة سوداء . لم تر مخبراً سرياً فى حياتها من قبل ، ولكنها لم تشك للحظة فى قدراتها .

" هل الآنسة تنتظر أحداً ؟ " .

قالت نويل بنبرة توحى بالثبات والهدوء : " نعم أنا فى انتظار صديق " .

شعرت فجأة وبحدة بفستانها المكرمش ، وأنها لا تحمل أى حقيبة أو كيس نقود .

" هل صديقك من نزلاء الفندق ؟ "

شعرت بالفزع يسرى فى جسدها : " هو ... ليس هكذا " .

تفحص الرجل وجهها للحظات ، ثم قال بلهجة صارمة : " هلا أعطيتنى إثبات شخصيتك ؟ " .

قالت متلعثمة : " ليس معى أية أوراق ، لقد فقدتها " .

قال المخبر : " ربما ستأتين معى يا آنسة " . ثم قبض عليها من ذراعها ، وقامت من مجلسها .

فى تلك اللحظة قبض على ذراعها رجل آخر ، وقال : آسف أننى تأخرت يا عزيزتى ، ولكنك تعرفين جو الحفلات ، حيث يتعين على المرء الخروج منها بصعوبة . هل انتظرتنى لوقت طويل ؟ " .

التفتت نويل فى دهشة لكى ترى المتحدث . كان رجلاً طويلاً ورشيقاً ووسيماً ، ويرتدى زياً عسكرياً غير مألوف لها . كان شعره أسود يميل إلى الزرقة ، وأنفه قصيراً ، ولون عينيه كالبحر الهادر الداكن ، وله رموش كثيفة وطويلة . كانت ملامحه كملامح الرجال المطبوعين على العملات القديمة فى فلورنسا . كان وجهه غير متساو من الناحيتين ، وكأن من سك العملة قد أخطأ فى رسم الصورة . كان وجهه مفعماً بالحيوية والحركة ، وكأنه مستعد على الدوام للابتسام والضحك والعبوس . والشىء الوحيد الذى حال دون أن يبدو جماله أنثوياً هو ذقنه الذكورى القوى الذى يحتوى على غمازة عميقة .

أشار الرجل إلى المخبر قائلاً : " هل يزعجك هذا الرجل ؟ " كان الرجل يتحدث بصوت عميق ، وبلكنة تدل على أنه ليس فرنسياً .

قالت نويل : " كلا " . بصوت تشوبه الحيرة والدهشة .

قال مخبر الفندق : " أرجو قبول اعتذارى يا سيدى ، لقد أسأت فهم الموقف ، فلدينا مشكلة مؤخراً مع المتطفلين . " ، ثم اتجه إلى نويل قائلاً : " أرجو قبول اعتذارى يا آنسة " .

توجه الغريب إلى نويل قائلاً : " والآن ، لا أعرف ، ما رأيك ؟ " .

ازدردت نويل لعابها ، وأومأت برأسها سريعاً .

توجه الرجل إلى المخبر قائلاً : " سوف تكون الآنسة كريمة معك وتسامحك ، لكن راقب سلوكك فى المستقبل " .

ثم أمسك بذراع نويل ، وخرجا من الباب .

عندما وصلا إلى الشارع قالت نويل : " أنا .. لا أعرف كيف أشكرك يا سيدى " .

قال الغريب مبتسماً : " أنا أكره رجال الشرطة ، هل تريدين أن أحضر لك سيارة أجرة ؟ " .

نظرت إليه نويل فى فزع من التجربة السابقة ، وقالت : " لا " .

" حسناً ، عمت مساءً " . ثم اتجه إلى الرصيف لاستدعاء تاكسى ، وعندما همَّ بالركوب التفت ، ووجدها مازالت واقفة ، ثابتة فى مكانها تحدق إليه . كان المخبر على باب الفندق يراقب ما يحدث ، فتردد الرجل ، ثم قال لها : " من الأفضل أن تبتعدى عن هنا ؛ لأن صديقنا المخبر يراقبك " .

قالت له : " ليس لدىّ مكان أتوجه إليه " .

أومأ برأسه ، وهمَّ بإخراج بعض النقود من جيبه .

قالت سريعاً : " لا أريد أية أموال " .

نظر إليها فى دهشة ، وقال : " ماذا تريدين إذن ؟ "

" أن أتناول العشاء معك " .

ابتسم وقال : " للأسف لدىّ موعد ، ولقد تأخرت بالفعل " .

قالت له : " إذن اذهب إلى موعدك ، وسأكون بخير " .

أعاد المال إلى جيبه ، وقال : " كما تريدين يا عزيزتى ، الوداع " .

ثم سار إلى التاكسى . ظلت نويل تلاحقه بنظراتها ، وهى تتساءل : لماذا هى ليست على ما يرام ؟ لقد تصرفت بغباء ، ولكن لم يكن لديها البديل لكى تفعل شيئاً سوى ما حدث . منذ اللحظة التى رأته فيها شعرت برد فعل لم تعرفه من قبل ، موجة من الانفعالات القوية الملموسة . لم تعرف اسمه ، وغالباً لن تراه مرة أخرى . نظرت نويل إلى الفندق ، ورأت المخبر يتجه ناحيتها . كان الخطأ خطأها ، ولكن هذه المرة لم تتمكن من الابتعاد . شعرت بيد على كتفها ، واستدارت لترى نفس الرجل يأخذها من ذراعها ، ويدفعها إلى داخل التاكسى بعد أن فتح الباب ، ثم جلس بجوارها . أعطى العنوان للسائق الذى انطلق تاركاً وراءه المخبر على الرصيف فى حالة ذهول . قالت نويل : " ماذا عن موعدك ؟ " .

قال الرجل دون اكتراث : " إنه حفل ، ولن أخسر شيئاً إذا فاتنى . اسمى لارى دوجلاس . ما اسمك ؟ "

" نويل باج " .

" من أين أتيت يا نويل ؟ "

نظرت إلى عينيه السمراوين اللتين يشع منهما الذكاء ، وقالت : " أنا من أنتايبس ، ابنة أمير هناك " .

ضحك الرجل ، وظهرت أسنانه البيضاء المتساوية ، وقال : " هذا من حسن حظك أيتها الأميرة " .

" هل أنت من إنجلترا ؟ " .

" بل أنا أمريكى " .

نظرت إلى الزى العسكرى ، وقالت : " أمريكا ليست فى حالة حرب " .

قال موضحاً : " أنا أنتمى للجيش الإنجليزى ، فلقد قاموا بتشكيل فرقة من الطيارين الأمريكيين تسمى " فيلق النسور " " .

" ولماذا تحارب من أجل إنجلترا ؟ "

" لأنها تحارب من أجلنا ، ولكن الأمر غير معروف حتى الآن " .

هزت نويل رأسها قائلة : " لا أصدق ذلك ، فهتلر مهرج كبير " .

" ربما يكون مهرجاً ، لكنه يعرف ما يريده الألمان ، وهو أن يحكموا العالم " .

استمعت نويل له بانبهار . بينما أخذ لارى يناقش استراتيجيات هتلر العسكرية ، وانسحابه المفاجئ من عصبة الأمم ، واتفاقية الدفاع المشترك بين ألمانيا واليابان وإيطاليا . لم يأت انبهار نويل مما قال ، بل إنها كانت مستمتعة برؤية وجهه وهو يتحدث . كانت عيناه السوداوان تلمعان بالحماس أثناء تحدثه ، وكانتا مفعمتين بالحيوية والقوة التى لا تقاوم .

لم تقابل نويل رجلاً مثله من قبل . كان رجلاً - نادراً جداً - مسرفاً وكريماً فى تدليل نفسه . كان متفتحاً ودافئاً ، ومليئاً بالحيوية ، ويتحدث عن نفسه ، ويستمتع بالحياة ، ويتأكد أن من حوله يستمتعون بها . وكأنه مغناطيس يجذب إلى مجاله كل من يقترب منه .

وصلا إلى الحفل الذى كان فى شقة صغيرة ، فى شارع " الطريق الأخضر " . كانت الشقة مليئة بالضحكات والصياح ، والناس معظمهم من الشباب . قدم لارى نويل للمضيفة صاحبة الحفل ، والتى كانت امرأة فاتنة ومثيرة ، وكان شعرها أحمر ، ثم قدمها للضيوف . ظلت نويل تلاحقه بنظراتها طوال الليل ، كان محاطاً بالفتيات اللاتى حاولن لفت انتباهه لهن ، لكنه لم يكن مغروراً كما لاحظت نويل ، وكأنه ليس على وعى بمدى جاذبيته . أحضر أحدهم شراباً إلى نويل ، وأحضر لها آخر طبق طعام من البوفيه ، لكنها فجأة لم تعد تشعر بالجوع . بل أرادت أن تبقى بصحبة الأمريكى الوسيم ، بعيداً عن الفتيات اللاتى

أحطن به . حاول الرجال التحدث معها ، ولكنها كانت مشغولة بأشياء كثيرة فى ذهنها ، فبمجرد دخولها المكان تجاهلها الأمريكى تماماً ، وكأنها غير موجودة ، فسألت نفسها : " لماذا ؟ " ، نعم ، لماذا يهتم بأمرها طالما أنه يمكن أن يحظى بأية فتاة من الحفل ؟ حاول أن يتحدث معها رجلان ، لكنها لم تركز معهما . فجأة أصبح الجو فى الحجرة حاراً وخانقاً ولا يطاق ، فحاولت العثور على وسيلة للهرب .

فجأة همس لها لارى : " هيا بنا نذهب " ، وبعد مرور بضع دقائق خرجا إلى الشارع فى الهواء الطلق . كانت المدينة مظلمة وهادئة أمام طائرات الألمان ، وكانت السيارات تمر عبر الشوارع كالسمك الصامت فى البحر الأسود .

لم يتمكن من استدعاء تاكسى ، ولذلك سارا عبر الطريق ، وتناولا العشاء فى مطعم صغير فى ميدان النصر ، حيث كانت نويل تتضور جوعاً . ظلت تدرس ملامح الأمريكى الجالس أمامها . بدا الأمر ، وكأنه تطرق إلى نبع عميق بداخله لم تكن تعلم بوجوده . تحدثا معاً عن كل شىء . أخبرته بتاريخ حياتها ونشأتها ، وأخبرها أنه من مدينة بوسطن ، وأنه من أصل أيرلندى من ناحية الأم .

قالت نويل : " أين تعلمت أن تتحدث الفرنسية بطلاقة ؟ " .

" اعتدت قضاء الصيف فى " كاب دانتيبس " عندما كنت طفلاً ، كان أبى رجل أعمال فى البورصة حتى فشل أمام حيتان البورصة . "

" حيتان ؟ "

بدأ لارى يشرح لها الطرق المبهمة السرية لبورصة أمريكا . لم تهتم نويل بما كان يقوله طالما أنه يستمر فى التحدث .

" أين تسكنين ؟ "

قالت له : " ليس لدىّ مكان للمبيت . " ثم أخبرته بقصة سائق التاكسى ، ومدام ديليس ، والرجل البدين الذى ظن أنها أميرة ، وطلبها مقابل ٤٠ فرانكاً ، فضحك لارى بصوت مرتفع .

" هل تتذكرين مكان المنزل ؟ "

" نعم . "

" هيا أميرتى " .

عندما وصلا للمنزل فى شارع بروفنس ، فتحت الباب نفس الخادمة ، ولمعت عيناها عندما رأت الأمريكى الوسيم ، ثم اسودت عندما رأت الفتاة بجواره .

قال لارى : " نريد مقابلة مدام ديليس " ثم دخل مع نويل إلى قاعة الاستقبال . كانت هناك فتيات كثيرات فى حجرة الجلوس المجاورة . تركتهما الخادمة ، وبعد دقائق جاءت مدام ديليس قائلة : " مساء الخير يا سيدى " ، وقالت لنويل : " أتمنى أن تكونى قد غيرت رأيك " .

قال لارى بمرح : " كلا لم تغير رأيها . لديك ما يخص الأميرة " .

نظرت إليه مدام ديليس ، وعلى وجهها علامات استفهام ثم قالت :

" أتقصد حقيبتها وكيس نقودها ؟ "

" نعم "

ترددت مدام ديليس للحظات ، ثم غادرت الحجرة .

بعد بضع دقائق جاءت الخادمة وهى تحمل الحقيبة وكيس النقود .

قال لارى للخادمة : " شكراً لك " ثم التفت إلى نويل قائلاً : " هيا بنا يا أميرة " .

فى تلك الليلة انتقلت نويل للإقامة مع لارى فى حجرته بالفندق فى شارع لافايت ، وقد كانت الحجرة صغيرة ونظيفة . لم يتم مناقشة الأمر ، فلم يكن هناك مفر من ذلك بالنسبة لكليهما . عندما مارسا الحب فى تلك الليلة ، كان شيئاً مثيراً لم تعرفه نويل من قبل ، كان الأمر عبارة عن انفجار مثير بدائى هز الأرض تحت أقدامهما .

استيقظا فى الصباح ، ثم خرجا لاستكشاف المدينة . قام لارى بدور مرشد سياحى بشكل ممتاز ، وكأنه جعل باريس لعبة جميلة للترفيه عن نويل . تناولا الغداء فى مطعم تويلريز ، وقضيا فترة العصر فى مال ميزون ، وقضيا ساعات أمام الميدان المسمى دى فوزاج فى حى نوتردام فى أقدم حى فى باريس بناه الملك لويس الثالث عشر . لقد جعلها تشاهد أماكن لا تطؤها أقدام السياح ، مثل السوق ذى الألوان المختلفة فى شارع موبير ورصيف الميناء فى منطقة مجيسيرى الملىء بأقفاص الطيور ذات الألوان الزاهية البراقة ، والحيوانات العجيبة التى لا تكف عن الصياح . ذهب بها إلى سوق بوسى ، واستمعا إلى ضجيج الباعة الجائلين الذين يصيحون بمزايا بضائعهم من الطماطم الطازجة والمحار المختلط بأعشاب البحر ، والجبن المدون عليه الأسعار والأنواع . تناولا العشاء فى مطعم باتوموش ، وتناولا حساء البصل فى الرابعة صباحاً فى منطقة ليزهال مع الجزارين وسائقى الشاحنات . قبل أن ينتهى اليوم كان لارى قد اكتسب صداقات كثيرة بسبب موهبته التى تتمثل فى قدرته على الضحك . لقد علمها كيف تضحك ، ولم تكن تعرف أن لديها هذه الموهبة التى حباها بها الله . كانت ممتنة لـ " لارى " ووقعت فى غرامه . عادا للفندق قبيل الفجر . كانت نويل تشعر بالتعب ؛ ولكن لارى كان مفعماً بالطاقة كالمحرك الذى لا يهدأ أبداً . استلقت نويل على الفراش تراقبه ، وهو يطل من النافذة ليرى سطوع الشمس على أسقف مبانى باريس .

قال لارى : " أنا أحب باريس ، فهى كالمتحف الذى يحوى أجمل وأفضل ما صنعه الإنسان ، فهى مدينة الجمال والطعام والحب . " ثم اتجه إليها قائلاً وهو يبتسم : " ليس بالضرورة بهذا الترتيب " .

فكرت نويل فى أبيها وكيف خانها . كانت مخطئة أنها أطلقت حكمها على كل الرجال وفقاً لأبيها وأوجست لانشون . عرفت الآن أنه يوجد رجال مثل لارى دوجلاس ، ولن ترضى عنه بديلاً .

سألها : " هل تعرفين أعظم رجل يا أميرتى ؟ " .

قالت : " أنت " .

" بل الأخوان ويلبور وأورفيل رايت ، لأنهما اخترعا الطائرات التى حققت للإنسان الحرية . هل سافرت بالطائرة من قبل ؟ " . هزت رأسها بالنفى . كان لدينا منزل صيفى - فى نهاية لونج أيلاند - وعندما كنت طفلاً اعتدت مشاهدة طيور النورس ، وهى تطير على الشاطئ مع أمواج البحر ، ووددت لو أتمكن من الطيران مثلها . عرفت أننى أريد أن أصبح طياراً قبل أن أتمكن من التحدث كطفل . اصطحبنى صديق للأسرة فى طائرته القديمة التى تتسع لراكبين عندما كنت فى التاسعة من عمرى ، ثم تلقيت أول درس فى الطيران فى سن الرابعة عشرة . أشعر أننى مفعم بالحياة حقاً عندما أطير " .

استمر بينهما الحوار حتى قال لارى :

" ستكون هناك حرب عالمية . تريد ألمانيا الاستيلاء على العالم " .

" لن تقهر فرنسا يا لارى ، فلا أحد يمكنه عبور خط ماجينو " .

قال ساخراً : " لقد عبرته مئات المرات " نظرت إليه فى حيرة فقال : " ستكون الحرب جوية يا أميرتى ... أى حرب فى مجالى المفضل " .

وبعد دقائق ، وأثناء حديثهما قال دون اكتراث : " لِمَ لا نتزوج ؟ " كانت تلك أسعد لحظات حياتها .

كان يوم الأحد التالى يغرى بالكسل والاسترخاء . تناولا الإفطار فى مطعم صغير مفتوح فى مونتمارتر ، ثم عادا إلى الفندق ، وقضيا اليوم بأكمله على الفراش . لم تصدق أن هناك من هو أسعد منها فى الدنيا كلها . كان هناك سحر خاص كلما مارسا الحب ، كانت راضية فقط بالاستلقاء والاستماع لـ " لارى " وهو يتحدث ، وتشهده وهو يتحرك

كثيراً بدون توقف فى الحجرة . كان يكفيها فقط البقاء بجواره . كانت خاتمة الأمر غريبة بالنسبة لها ، وما آلت إليها ظروفها ، لقد نشأت كأميرة فى منزل أبيها ، والآن على سبيل المزاح يطلق عليها لارى لقب أميرة . عندما كانت مع لارى كانت تشعر بكيانها ووجودها . لقد أعاد لها ثقتها المفقودة فى الرجال . كان لارى هو عالمها الأوحد ، ولن تحتاج إلى أى شىء آخر . كان لا يبدو من المعقول أن تكون محظوظة إلى هذا الحد . وكان لارى يشعر بنفس الإحساس تجاهها .

قال لها : " لم أكن أخطط للزواج إلا بعد انتهاء الحرب ، لكن لا يهمنى ذلك . فالخطط يتم وضعها ، ثم يتم تغييرها ، أليس كذلك يا أميرتى ؟ " .

أومأت برأسها ، وكانت مفعمة بالسعادة التى كادت تنفجر بداخلها .

" لنتزوج فى الريف ، إلا إذا كنت تريدين إقامة حفل زفاف كبير " .

هزت نويل رأسها بالنفى قائلة : " الزواج فى الريف فكرة رائعة " .

أومأ برأسه قائلاً : " اتفقنا . سأضطر للعودة للجيش الليلة . نتقابل الأسبوع القادم هنا ، ما رأيك ؟ " .

قالت نويل بصوت مهزوز : " لا ... لا أعرف كيف سأطيق ابتعادك عنى طوال هذه المدة " .

احتضنها لارى ، وقال : " أتحبيننى ؟ " .

قالت ببساطة : " أكثر من نفسى " .

بعد ساعتين ذهب لارى فى طريقه للسفر إلى إنجلترا . لم يجعلها تصطحبه إلى المطار قائلاً : " لا أحب الوداع " . أعطاها حفنة من الفرنكات قائلاً : " اشترى فستان الزفاف يا أميرتى ، أريد أن أراك الأسبوع القادم ، وأنت ترتدينه " . ثم رحل .

قضت نويل الأسبوع التالى فى حالة من النشوة والسعادة ، كانت تذهب للأماكن التى ذهبت إليها معه ، وتقضى الساعات تحلم بحياتهما معاً . كانت الأيام تمر ببطء شديد جداً ، وكأن الدقائق تمضى على مضض ، وكأنها ترفض الحركة ، حتى ظنت نويل أنها على حافة الجنون .

ذهبت إلى عشرات المتاجر للبحث عن فستان الزفاف ، وفى النهاية وجدت ما تريد بالضبط فى محل " مادلين فيونيت " . كان فستاناً أبيض فخماً وجميلاً ، له رقبة عالية ، وأكمام طويلة ، ومجموعة أزرار من اللؤلؤ ، ومبطناً ببطانة ثلاثية من المنطقة العلوية . كان ثمنه أغلى مما توقعت ، لكنها لم تتردد . لقد أنفقت كل ما أعطاها لارى من مال علاوة على مدخراتها الخاصة . كان كيانها كله يدور حول لارى . أخذت تفكر فى أى طريقة لكى تسعده بها ، وأخذت تفكر فى الذكريات والقصص للترفيه عنه عندما يأتى ، وشعرت أنها مازالت طالبة فى المدرسة .

انتظرت نويل حتى اليوم المتفق عليه ، وكاد صبرها ينفد ، وعندما جاء اليوم الموعود سهرت حتى الفجر ، وقضت ساعتين فى الاستحمام وارتداء الملابس ، حيث كانت ترتدى الزى ، ثم تغيره فى محاولة لتخمين الزى المناسب الذى سيسعد لارى . ارتدت فستان الزفاف ، ثم خلعته سريعاً ؛ لأنها اعتقدت أن ارتداءه قبل الفرح يجلب سوء الحظ . كانت محمومة من فرط الإثارة .

فى الساعة العاشرة وقفت نويل أمام المرآة فى حجرة النوم ، وأدركت أنها لم تبد أجمل من تلك الساعة . لم يكن هناك غرور فى تقديرها لذاتها ، كانت سعيدة من أجل لارى ، فهى كالهدية له من السماء . جاء الظهر ولم يظهر لارى ، وقالت يا ليته أخبرها بموعد وصوله ! ظلت تتحدث إلى الاستقبال فى الفندق لترى إذا ما ترك لها رسالة أم لا ، وكل عشر دقائق ظلت ترفع سماعة الهاتف للتأكد من أنه

يعمل . بحلول الساعة السادسة مساءً لم تصل أية رسالة منه . عند حلول منتصف الليل لم يتصل بها هاتفياً . جلست نويل على المقعد منكمشة ، وهى تحدق إلى الهاتف ، وتريده أن يرن . ثم غلبها النوم وعندما استيقظت كان الفجر قد بزغ ، وجاء يوم جديد . كانت لا تزال قابعة فى المقعد . وتشعر بالتيبس والبرد . تكرمش الرداء الذى اختارته بعناية ، وكان هناك تمزق صغير فى جوربها .

قامت بتغيير ملابسها ، وظلت فى حجرتها طوال اليوم ، وجلست أمام النافذة المفتوحة ، وهى تخبر نفسها أنها لو جلست هنا فسيظهر لارى ، وإذا تركت هذا المكان فسيحدث له مكروه . بمجىء الظهيرة تيقنت أنه قد تعرض لحادث . ربما تحطمت طائرته ، وهو الآن مستلق فى الميدان أو المستشفى جريحاً أو مقتولاً . امتلأ ذهنها بالرؤى البشعة للموت ، وظلت ساهرة طوال الليل يكاد يقتلها القلق . وخائفة من أن تغادر الفندق بدون أن تعرف كيف تصل إليه .

عندما لم يصلها منه أى خبر فى اليوم التالى ، لم تتمكن من تحمل هذا الوضع أكثر من اللازم . يجب أن تتصل به هاتفياً . ولكن كيف ؟ فى ظل ظروف الحرب كان من الصعب إجراء مكالمات دولية ، وهى لم تكن متأكدة من مكان لارى . كل ما تعرفه أنه فى سلاح الطيران الأمريكى التابع لجيش إنجلترا . التقطت سماعة الهاتف ، وتحدثت مع عامل التحويل ، فقال لها : " من المستحيل يا آنسة " .

شرحت نويل الموقف له ، ورغم نبرة صوتها واليأس المحموم فيه لم تعرف أبداً ، ولكن بعد ساعتين كانت تتحدث مع وزارة الحربية فى لندن ، لكنهم لم يتمكنوا من مساعدتها ، وحولوها لوزارة الدفاع الجوى الذين حولوها إلى غرفة عمليات المقاومة ، حيث انقطع الاتصال قبل أن تحصل على أية معلومات . بعد مرور أربع ساعات عاد الاتصال وكانت هى على وشك الإصابة بحالة من الهيستريا ، لم يتمكنوا من مساعدتها واقترحوا وزارة الحربية .

صرخت نويل قائلة : " لقد تحدثت إليهم بالفعل ! " وبدأت تبكى وتنتحب ، فقال لها الرجل الذى كان يحادثها وهو يشعر بالإحراج : " اهدئى يا آنسة . لن تسوء الأمور إلى هذا الحد . ابقى معى على الخط لمدة دقيقة واحدة " .

ظلت نويل ممسكة بالسماعة ، وهى تعرف أنه لا أمل ، واعتقدت أنه مات ، ولن تتحقق من ذلك أبداً ، وكانت على وشك غلق السماعة عندما تحدث الصوت مرة أخرى بمرح : " أنت يا آنستى تريدين فيلق النسور ، قاعدتهم فى يورك شاير ، سأوصلك الآن بالمجال الجوى لهم فى تشيرش فنتون ، وسيتمكن الرجال هناك من مساعدتك " . ثم انقطع الخط .

بحلول الساعة الحادية عشرة ليلاً جاءتها المكالمة ، وسمعت صوتاً لا يبدو آدمياً يقول : " هنا القاعدة الجوية تشيرش فنتون ، لكن الصوت كان سيئاً جداً ، وكانت نويل بالكاد تسمعه . كان الصوت يبدو وكأنه قادم من أعماق البحر . كان يعانى من صعوبة فى سماع صوتها فكان يقول : " ارفعى صوتك من فضلك " . فى تلك اللحظة كانت أعصابها على وشك الانهيار ، وبالكاد كانت تتحكم فى صوتها .

لم تكن تعرف رتبته ، هل كان ملازماً أم قائداً أم غير ذلك ؟

فقالت : " أريد التحدث إلى لارى دوجلاس . أنا خطيبته " .

" لا يمكننى سماعك يا آنسة ، هلا تحدثت بصوت مرتفع ؟ " .

فى لحظة فزع رهيب صرخت نويل بنفس العبارة مرة أخرى ، لأنها كانت متأكدة أنه يخفى عنها خبر موت لارى . حدثت المعجزة ، والخط أصبح واضحاً ، وكأن الرجل فى الحجرة المجاورة ، فقال : " هل تقصدين الملازم لارى دوجلاس ؟ " .

قالت : " نعم " ، وكانت تتحكم بشدة فى انفعالاتها .

" انتظرى دقيقة يا آنسة " .

انتظرت نويل للحظة بدت وكأنها الدهر ، ثم عاد الصوت إلى الخط : " الملازم دوجلاس فى إجازة نهاية الأسبوع ، إذا كان الأمر عاجلاً يمكن الوصول إليه فى قاعة حفلات فندق سافوى فى حفل الجنرال ديفيز " ثم انقطع الخط .

عندما جاءت الخادمة إلى الحجرة ، لكى تنظفها صباح اليوم التالى وجدت نويل مغشياً عليها ، وملقاة على الأرض . حدقت الخادمة إليها للحظة ، وحاولت الاستسلام لإغراء الابتعاد ، ومغادرة الحجرة . لماذا تحدث تلك الأشياء دائماً فى حجراتها ؟ ذهبت وتحسست جبهة نويل ، ووجدتها تغلى من السخونة . قامت وهى تزمجر ، وذهبت على مضض لقاعة الاستقبال ، وطلبت من حامل الحقائب استدعاء المدير . بعد ساعة جاءت سيارة الإسعاف إلى باب الفندق وجاء طبيبان تحت التمرين يحملان المحفة ، وقامت عاملات الفندق ، بإرشادهما إلى حجرة نويل الفاقدة وعيها . حاول أحدهما رفع جفن عينها ، ووضع سماعة الطبيب على صدرها ، واستمع إلى تنفسها الثقيل ، وهو يصدر صوتاً ثقيلاً ، وقال : " التهاب رئوى ، دعنا نخرجها من هنا " .

رفعا نويل على المحفة ، وبعد خمس دقائق أسرعت عربة الإسعاف إلى المستشفى ، وتم وضع نويل فى غرفة الإنعاش ، ولقد استعادت وعيها بالكامل بعد أربعة أيام ، أجبرت نفسها على الخروج من غياهب النسيان ، وهى تعلم فى عقلها الباطن أن ثمة شيئاً بشعاً قد حدث وهى تجاهد لكيلا تتذكره . لاحقاً بدأ هذا الشىء يتضح شيئاً فشيئاً ، وظلت تحاول الابتعاد عنه ، لكنه قفز إلى ذهنها بوضوح تام : لارى دوجلاس . بدأت نويل فى البكاء والنحيب حتى استغرقت فى النوم . شعرت بيد تلمسها برفق ، كانت تعرف أن لارى سيعود إليها ، وسيكون كل شىء على ما يرام . فتحت عينها ، ووجدت شخصاً غريباً يرتدى الزى الأبيض ، وهو يقيس نبض القلب ، ثم قال بمرح : " حسناً ، لقد عدت إلى الحياة ! " .

قالت نويل : " أين أنا ؟ " .

" أنت فى مستشفى المدينة : " لوتيل ديو " .

" ما الذى أفعله هنا ؟ " .

" أنت هنا لتتحسن صحتك ، كنت تعانين من التهاب رئوى حاد . اسمى هو إيزرايل كاتس " . كان طبيباً شاباً ، وله وجه قوى تبدو عليه ملامح الذكاء ، وله عينان باللون البنى الداكن .

" هل أنت طبيب ؟ "

قال مبتسماً : " أنا طبيب تحت التمرين ، وأنا الذى أحضرك إلى هنا ، أنا سعيد لأنكِ نجوت ، لم نكن متأكدين من ذلك " .

" كم يوماً مكثت هنا ؟ " .

" أربعة أيام " .

قالت بضعف : " هلا قدمت لى خدمة ؟ "

" لو كانت فى إمكانى " .

" هلا اتصلت هاتفياً بالفندق لكى تسأل هل توجد رسائل متروكة لى أم لا ؟ " .

" حسناً ، لكنى مشغول جداً و ... " .

ضغطت على يديه بعنف ، وقالت : " من فضلك هذا أمر عاجل ، فخطيبى يحاول الاتصال بى " .

ابتسم قائلاً : " لا ألومه ، حسناً سأهتم بالأمر . حاولى النوم الآن " .

" ليس قبل أن تأتينى بالخبر اليقين " .

غادر الطبيب ، وظلت نويل فى حالة انتظار ، وقالت لنفسها إن لارى ظل يحاول الاتصال بها ، ولابد أن ثمة شيئاً فظيعاً قد حدث ، أو سوء فهم قد حدث ، وسوف يشرحه لها ، ويصبح كل شىء على ما يرام .

عاد كاتس بعد ساعتين ، وذهب إلى فراشها ، ومعه حقيبتها التى وضعها على الأرض قائلاً : " أحضرت لك ملابسك ، وذهبت إلى الفندق بنفسى " .

نظرت إليه ورأى وجهها يتصلب من الترقب ، فقال فى إحراج : " أنا آسف ، لم يكن هناك أية رسائل " .

ظلت نويل تحدق إليه مدة طويلة ، ثم استدارت بوجهها إلى الحائط ، وكانت عيناها متحجرتين .

غادرت نويل المستشفى بعد يومين وجاء كاتس ليودعها قائلاً : " هل لديك مكان للإقامة أو عمل تمارسينه ؟ " .

هزت رأسها بالنفى .

" هل تجيدين عمل أى شىء " .

" عملت فى عرض الأزياء " .

" قد أتمكن من مساعدتك " .

تذكرت سائق التاكسى ومدام ديليس ، فقالت : " لا أحتاج للمساعدة " .

كتب كاتس اسمه على ورقة ، وقال : " إذا غيرت رأيك فاذهبى لهذا المحل الخاص بالأزياء الذى تملكه عمتى . سأتحدث عنك معها . هل لديك مال ؟ " .

لم تتمكن من الإجابة عليه .

أعطاها بضعة فرانك من جيبه ، وقال : " للأسف لا أملك المزيد ، فالأطباء تحت التمرين يتقاضون مرتبات قليلة " .

" شكراً لك " .

جلست فى المقهى تحتسى القهوة ، وهى تقرر إعادة ترتيب حياتها . كانت تعلم أنها يجب أن تحيا ، فلديها سبب للحياة الآن . كانت تملؤها كراهية ، ومقت عميق مشتعل يدمر كل شىء ، ولا يترك

مكاناً فى قلبها لشىء آخر . كانت كطائر الرخ المنتقم الذى يصعد من الرماد الخاص بالمشاعر المحترقة التى قتلها لارى . فلن ترتاح إلا بعد أن تدمره ، لم تعرف كيف سيحدث ذلك ، ولا متى ، ولكنها كان لديها يقين من أنه سيحدث فى يوم ما .

الآن تحتاج لعمل ومكان تقيم فيه . فتحت حقيبة نقودها ، وأخرجت قطعة الورق التى أعطاها لها الطبيب الشاب . ظلت تدرسها لمدة دقيقة واحدة ، ثم قررت الذهاب إلى عمة كاتس ، وحصلت على وظيفة عارضة أزياء فى بيت أزياء صغير من بيوت الدرجة الثانية فى شارع " بورسو " .

كانت عمة كاتس امرأة فى الخمسينيات ، وشعرها رمادى اللون ، ولها وجه يبدو شريراً ، ولكن لها روح الملاك . كانت تعامل كل الفتيات فى المحل ، وكأنها أم لهن جميعاً وكن يعشقنها . كان اسمها مدام روز ، ولقد أعطت نويل جزءاً من راتبها مقدماً ، ووجدت لها شقة صغيرة قرب المحل . كان أول شىء تفعله نويل وهى تفرغ حقيبتها هو تعليق فستان الزفاف أمام الدولاب ؛ لكى يكون أول ما تراه عند الاستيقاظ صباحاً ، وآخر شىء تراه عندما تخلع ملابسها للنوم .

كانت نويل تعلم أنها حامل قبل ظهور علامات الحمل ، وقبل إجراء اختبار تأكيد الحمل وقبل توقف الدورة الشهرية . شعرت بالحياة الجديدة تتكون فى أحشائها . وكانت ليلاً تستلقى على الفراش تحدق إلى السقف تفكر فى الأمر ، وفى عينيها لمعان يدل على متعة شرسة حيوانية .

فى أول يوم إجازة لها اتصلت نويل بـ " كاتس " ، وحددت معه موعداً على الغداء .

قالت له : " إننى حامل " .

" كيف عرفت ؟ هل أجريت الاختبارات للتحقق من ذلك ؟ " .

" لا أحتاج إلى الاختبارات " .

هز رأسه بالنفى ، وقال : " الكثير من النساء يعتقدن أنهن حوامل ؛ ولكن يثبت عكس ذلك . كم يوماً مضى منذ آخر دورة شهرية لك ؟ " .

تجاهلت سؤاله ، وقالت وقد نفد صبرها : " أريد مساعدتك " .

حدق إليها قائلاً : " لكى تتخلصى من الجنين ؟ هل ناقشت والده ؟ " .

" إنه ليس هنا " .

" تعلمين أن الإجهاض ضد القانون ، سأقع فى مشاكل " .

تفرست نويل فى وجهه للحظة واحدة ، وقالت : " ما المقابل الذى تريده ؟ " .

تقلص وجهه فى غضب ، وقال : " هل تظنين يا نويل أن كل شىء له سعر ؟ " .

قالت : " بالطبع ، يمكن شراء وبيع أى شىء " .

" وهل هذا يشملك أنت أيضاً ؟ "

" نعم ، لكنى غالية الثمن جداً . هل ستساعدنى ؟ " .

بعد تردد دام لفترة طويلة : " نعم ، لكنى أريد إجراء بعض الفحوصات أولاً " .

" اتفقنا " .

فى الأسبوع التالى رتب كاتس لـ " نويل " الذهاب لمعمل المستشفى . عندما ظهرت نتيجة التحاليل بعد يومين اتصل بها فى مكان العمل وقال : " كنت على حق ، فأنت حامل " .

" كنت أعلم ذلك " .

" رتبت للقيام بعملية إجهاض لك بالمستشفى . أخبرتهم أن زوجك مات فى حادث ، وأنك غير قادرة على الاحتفاظ بالطفل . موعد العملية السبت القادم " .

" كلا " .

" هل السبت يوم غير مناسب ؟ " .

" أنا لست مستعدة للإجهاض بعد ، أردت فقط التأكد من أننى يمكننى الاعتماد عليك لكى تساعدنى " .

لاحظت مدام روز تغييراً فى نويل ، ليس فقط تغييراً فى جسمها ، بل تغييراً أعمق كثيراً ، متمثلاً فى تألق ولمعان داخلى يملآنها . كانت نويل تسير والابتسامة لا تفارقها ، وكأنها تحتضن سراً جميلاً ورائعاً .

قالت مدام روز : " هل يوجد من يحبك وتحبينه . فالسعادة تشع من عينيك " .

أومأت برأسها وقالت : " نعم يا سيدتى " .

" إذا كان يعاملك جيداً فتمسكى به "

" بالطبع طالما أنا قادرة على ذلك " .

بعد ثلاثة أسابيع اتصل بها كاتس : " لم أعرف ماذا قررت . هل تجاهلت موضوع الإجهاض ؟ " .

" كلا ، فأنا أفكر فيه طوال الوقت " .

" كيف تشعرين هذه الأيام ؟ "

" أنا فى أحسن حال " .

" لقد نظرت إلى النتيجة ، وأعتقد أننا يجب أن نبدأ فى إجراء العملية " .

" لست مستعدة بعد " .

مرت ثلاثة أسابيع ، ثم تحدث معها كاتس مرة أخرى هاتفياً : " هيا نتناول العشاء معاً الليلة " .

" لا بأس " .

قال إنه سوف ينتظرها فى مقهى بسيط فى شارع " شاكى بيش " ، وفكرت نويل فى أن تقترح مطعماً أفضل ، ولكنها تذكرت ما قاله لها عن أن الأطباء تحت التمرين لا يتقاضون أجراً كبيراً .

كان فى انتظارها عندما جاءت . ظلا يتحدثان عن كل شىء أثناء تناول الطعام ، وعندما وصلت القهوة بدأ كاتس يناقشها فيما يدور فى ذهنه .

" ألا زلت تريدين إجهاض الطفل ؟ " .

نظرت إليه فى دهشة : " بالطبع " .

" إذن يجب إجراء العملية على الفور ، فأنت حامل منذ شهرين " .

هزت رأسها بالنفى ، وقالت : " ليس الآن يا كاتس " .

" هل هذا هو أول حمل لك ؟ " .

" نعم " .

" دعينى أطلعك على أمر مهم يا نويل ؛ حتى ثلاثة شهور تكون عملية الإجهاض سهلة ؛ لأن الجنين لم يكن قد تشكل بعد ؛ ولكن بعد مرور ٣ شهور ... تكون عملية من نوع آخر وتصبح خطيرة . كلما انتظرت تصبح أكثر خطورة على حياتك . يجب أن تجرى العملية الآن " .

مالت نويل نحوه قائلة : " ما شكل الجنين " .

قال كاتس : " الآن ، مجرد خلايا كثيرة ؛ ولكن توجد نواة لإكمال شكل الجسم البشرى بالكامل " .

" وبعد مرور ٣ شهور ؟ " .

" يصبح للجنين شكل آدمى " .

" هل يشعر بالأشياء ؟ " .

" يتجاوب مع الضربات والضجيج العالى " .

نظرت فى عينيه ، وقالت : " هل يمكنه أن يشعر بالألم ؟ "

" أعتقد ذلك ، لكن يوجد كيس من الأحماض الأمينية يحميه ، ولن يؤذيه شىء " كان قد بدأ القلق يساوره .

نظرت إلى أسفل على المنضدة ، وأطرقت فى سكون تفكر .

نظر إليها لبرهة ، وقال بخجل : " إذا كنت تريدين الاحتفاظ بالطفل ، وخائفة ألا يكون له أب ... دعينا نتزوج ، ونكتب الطفل باسمى " .

نظرت له فى دهشة ، وقالت : " أخبرتك من قبل أننى لا أريد هذا الطفل . أريد إجهاضه " .

صرخ كاتس : " إذن لنجر العملية الآن ! " ثم خفض صوته عندما رأى الناس تحملق إليه : " إذا انتظرت لفترة أطول فلن تجدى طبيباً فى فرنسا يمكن أن يساعدك . ألا تفهمين ؟ قد تموتين أثناء العملية " .

قالت بهدوء : " أفهم ذلك ، ولكن إذا كنت أريد الاحتفاظ به ، فما النظام الغذائى المناسب لذلك ؟ "

حك شعر رأسه ، وهو حائر يفكر : " الكثير من اللبن والفاكهة ، واللحوم بدون دهون " .

فى تلك الليلة وفى طريقها إلى المنزل توقفت عند السوق بجوار المنزل ، واشترت كمية كبيرة من اللبن ، وصندوقاً كبيراً من الفاكهة الطازجة .

بعد عشرة أيام ذهبت نويل لمكتب مدام روز ، وأخبرتها أنها حامل ، وطلبت إجازة طويلة .

قالت مدام روز وهى تتفحص جسد نويل : " ما مدة الإجازة التى تريدينها ؟ "

" ستة أو سبعة أسابيع " .

تنهدت مدام روز قائلة : " هل أنت متأكدة من أنك تقومين بما هو فى صالحك ؟ " .

" أنا متأكدة " .

" هل بإمكانى مساعدتك فى أى شىء ؟ "

" كلا ، شكراً " .

" حسناً ، عودى إلينا بمجرد أن تتمكنى من ذلك . سأطلب من الصراف إعطاءك جزءاً من مرتبك القادم " .

" شكراً يا مدام " .

ظلت نويل لمدة أربعة أسابيع فى شقتها ، لا تغادرها إلا لشراء مستلزماتها . لم تكن تشعر بالجوع ، وكانت تأكل أقل القليل لنفسها ، لكنها كانت تشرب كميات كبيرة من اللبن ، وتأكل كميات كبيرة من الفاكهة من أجل الطفل . لم تكن بمفردها فى المنزل ، كان الرضيع معها ، وظلت تتحدث معه طوال الوقت . عرفت أن الطفل ذكر بمجرد علمها بأنها حامل . ولقد أسمته لارى .

كانت تقول وهى تشرب اللبن : " أريدك أن تكبر ، وتصير قوياً عندما تموت " . ظلت كل ليلة تستلقى على الفراش تخطط للانتقام من لارى وابنه . ما كان فى جسدها ليس جزءاً منها بل يخصه ، ولذلك قررت أن تقتله . هذا هو الجزء الوحيد المتبقى منه معها ، وسوف تدمره كما حاول تدميرها .

لم يفهمها كاتس على الإطلاق ! لم تكن مهتمة بجنين لا شكل له ، ولا يعرف شيئاً . أرادت لابن لارى أن يشعر بما سيحدث له ، ويعانى مثل معاناتها . كان فستان الزفاف معلقاً بجوار الفراش الآن فى مرمى البصر دائماً يذكرها بخيانته . أولاً سأقضى على ابن لارى ، ثم أحطم لارى نفسه .

ظل الهاتف يرن ، وظلت نويل مستلقيه على الفراش غارقة فى أحلامها حتى توقف رنين الهاتف . كانت متأكدة أن كاتس يحاول الاتصال بها .

فى إحدى الليالى سمعت طرقاً على الباب ، فتجاهلته وهى مستلقية على الفراش ، ولكن الطرق استمر ، ولذلك نهضت متثاقلة ، وفتحت الباب .

كان كاتس واقفاً عند الباب ، وكان وجهه يعتريه القلق ، وقال : " ظللت أحاول الاتصال بك طوال الأيام الماضية " .

نظر إلى بطنها المستدير ، وقال : " ظننتك أجريت عملية الإجهاض فى مكان آخر " .

هزت رأسها بالنفى ، وقالت : " كلا ، فأنت من سيجريها لى " .

حدق إليها قائلاً : " ألم تفهمى ما قلته لك ؟ فات الأوان ! لن يجريها أحد لك " .

رأى كاتس زجاجات اللبن الفارغة ، والفاكهة الطازجة على المائدة ، ثم نظر إليها مرة أخرى قائلاً : " أنت تريدين الطفل ، فلماذا لا تعترفين بذلك ؟ " .

" أخبرنى ما شكله الآن ؟ " .

" من ؟ " .

" الطفل . هل لديه عينان وأذنان ؟ هل لديه أصابع فى يديه وقدميه ؟ هل يمكن أن يشعر بالألم ؟ " .

" توقفى يا نويل .. أنت تتحدثين وكأنك ... " .

" ماذا ؟ " .

" لا شىء " ، هز رأسه فى يأس وقال : " لا أفهمك " .

ابتسمت وقالت : " نعم لن تفهمنى " .

وقف لمدة دقيقة ، ثم قال بعد أن حسم أمره :

" حسناً سأعرض نفسى للخطر من أجلك ، إذا كنت مصممة على الإجهاض ، فهناك صديق طبيب مدين لى بخدمة و ... " .

" كلا " .

حدق إليها فى ذهول .

قالت : " لارى ليس مستعداً بعد " .

بعد ٣ أسابيع ، فى الساعة الرابعة صباحاً استيقظ كاتس بطرق عنيف على الباب من البواب الغاضب : " استيقظ ، هناك مكالمة هاتفية لك ! أخبر من يتصل بك أننا فى منتصف الليل ، حيث ينام المحترمون من الناس ! "

نهض متثاقلاً من الفراش ، ونزل إلى الصالة ، وهو يترنح من النوم ، ووصل إلى الهاتف ، وهو يتساءل أى مصيبة قد حلت به ، ثم التقط السماعة .

" كاتس ؟ "

" نعم ؟ "

لم يدرك الصوت فى الطرف الآخر .

" الآن ... " كان الصوت هامساً غير واضح ، ولم يعرف من يحدثه .

" من المتحدث ؟ "

" تعال الآن يا كاتس " .

كان هناك ما يدعو للخوف فى نبرتها ، فكانت غير طبيعية ، حيث سرت رجفة فى بدن كاتس : " نويل " ؟

" الآن ... " .

قال غاضباً : " لن أقوم بعملية إجهاض الآن ، فات الأوان ، ستموتين ، ولن أتحمل مسئولية ذلك . اذهبى إلى المستشفى " .

أغلق الخط فى وجهه ، ولكنه ظل ممسكاً بالسماعة ، ثم وضع السماعة بعنف ، وعاد لحجرته ، وكان ذهنه يغلى من التفكير والغيظ . كان يعرف أنه لن يتمكن أحد من مساعدتها الآن حتى هو ، فهى حامل فى خمسة شهور ونصف ، ولقد حذرها مراراً وتكراراً ، ولكنها رفضت النصيحة . حسناً فلتتحمل المسئولية ، لن يتحملها هو .

ثم بدأ يرتدى ملابسه على عجل ، وهو يشعر ببرودة شديدة بسبب الخوف .

عندما دخل كاتس إلى شقتها وجدها راقدة على الأرض فى بحيرة من الدماء ، وكانت تنزف . كان وجهها أبيض ، وكأنها على وشك الموت ، لكن لم تظهر آثار الألم الذى يعتصر جسدها الآن . كانت ترتدى رداء الزفاف ، ومال كاتس إليها وقال : " ماذا حدث ؟ "

" كيف حدث ذلك .. " ثم توقف عندما رأى الشماعة المعدنية المثنية الملطخة بالدماء بجوار قدميها .

" يا إلهى ! " ، كان يغلى من الغضب ، وفى نفس الوقت يشعر بالإحباط وقلة الحيلة . كان النزيف مستمراً بشكل أسرع الآن ، ولم يكن هناك داع لتضييع أى وقت . هب واقفاً وقال : " سأتصل بالإسعاف " .

نهضت نويل ، وجذبت ذراعه بقوة تدعوه إلى الدهشة ، وجذبته إليها قائلة :

" طفل لارى مات " ثم ابتسمت ابتسامة جميلة أنارت وجهها .

حاول فريق مكون من ستة أطباء لمدة خمس ساعات إنقاذ حياة نويل . كان التشخيص حالة تسمم ، وجرحاً ملوثاً وثقباً فى الرحم ، وتسمماً دمويا ، وحالة من الصدمة . اتفق الأطباء على أن فرصتها فى الحياة ضعيفة ، ولكن بحلول الساعة السادسة مساءً كانت قد تجاوزت مرحلة الخطر ، وبعد يومين كانت تجلس على الفراش ، وتتمكن من التحدث ، عندما جاء كاتس إليها .

" يقول الأطباء إن نجاتك معجزة يا نويل " .

هزت برأسها بالإيجاب . كانت تقول ببساطة إن موعد موتها لم يحن بعد . لقد حققت أول انتقام من لارى ، ولكنه كان مجرد بداية . هناك المزيد سيحدث . ولكن أولاً عليها أن تجده . سيستغرق ذلك وقتاً ، لكنها ستنتقم منه إن عاجلاً أو آجلاً .

كاثرين

شيكاغو ١٩٣٩ - ١٩٤٠

٣

كانت رياح الحرب العاتية التى تجتاح أوروبا ، مثل النسيم الخفيف ، عندما وصلت لشواطئ الولايات المتحدة .

فى جامعة نورثوسترن انضم المزيد من الفتيان للجيش ، وكانت هناك مظاهرات طلابية تحفز الرئيس الأمريكى " روزفلت " لإعلان الحرب على ألمانيا ، وانضم طلاب كثيرون للقوات المسلحة . ولكن حالة السكون العام ظلت كما هى ، كما أن الشعور الكامن بالهدوء الذى يسبق العاصفة كان سائداً ، حيث كانت هناك عاصفة وشيكة سوف تعصف بالبلاد .

عندما سارت كاثرين ألكساندر إلى عملها فى مطعم روست تساءلت عما إذا كانت الحرب ستغير حياتها أم لا إذا نشبت . كانت تعلم أن هناك تغييراً واحداً يجب أن تقوم به بأسرع وقت ممكن . كانت تحتاج بشدة للتعرف على شعور ممارسة الحب ، كانت تريد هذا من ناحية بسبب احتياج جسدها ، ومن ناحية لأنها شعرت أنه قد يفوّت عليها تجربة رائعة ومهمة .

تخيلت أنها ماتت فى حادث سيارة ، وأجروا تشريحاً لجسمها لمعرفة سبب الوفاة ، واكتشفوا أنها لم تمارس الحب قط !

ظلت كاثرين تتفحص وجوه الحاضرين فى المطعم ؛ ولكنها لم تر وجه من تريده بعد . بعد ساعة جاء رون بيترسون ومعه جين - آن ، وشعرت كاثرين أن جسدها يرتعش وقلبها يدق . ابتعدت عندما مر بها ، ورأتهما بطرف عينها ، يتجهان للركن المفضل لـ " رون " ، ويجلسان . كانت هناك إعلانات معلقة حول قاعة الطعام : " جرب الهامبورجر الدوبل الخاص " .. " جرب ساندوتش العشاق " ... " جرب الساندوتش التريبل " .

أخذت كاثرين نفساً عميقاً ، ثم توجهت إلى رون ، الذى كان يدرس قائمة الطعام لاختيار ما يريد من طعام ، وقال : " لا أعرف ما الذى أريده " .

قالت جين - آن : " هل أنت جائع ؟ "

" إننى أتضور جوعاً "

جاءت كاثرين فجأة ، وقالت له : " جرب هذا " فنظر فى دهشة إليها ، حيث أعطت رون رسالة مغلقة ، واستدارت وعادت للخزينة .

فتح رون الرسالة ، ونظر إليها ، ثم ضحك ، فنظرت إليه جين - آن ببرود قائلة :

" هل هذه نكتة خاصة ، أم يمكنك إطلاعى عليها ؟ "

" بل هى خاصة بى " . ثم وضع الرسالة فى جيبه .

غادر رون وجين - آن المطعم بعد قليل . لم يقل رون لـ " كاثرين " أى شىء وهو يدفع الحساب ، بل ألقى عليها نظرة طويلة متفحصة ، وابتسم ، وخرج متأبطاً ذراع جين - آن . رمقتهما كاثرين بنظراتها ، وكانت تشعر بالغباء ، فلم تتمكن من إغواء الفتى بنجاح .

عندما انتهت فترة عملها أحضرت معطفها ، وألقت تحية المساء على زميلتها التى ستحل محلها وخرجت . كانت ليلة خريفية دافئة ،

وكان النسيم البارد يهز البحيرة فى أمواج مرحة . كانت السماء تكسوها درجات اللون الأرجوانى ، وسحب كثيرة ، ونجوم لا تنالها يد . كانت ليلة مثالية لـ ... لماذا ؟ شكلت كاثرين قائمة فى ذهنها :

يمكننى الذهاب إلى المنزل لأغسل شعرى .

يمكننى الذهاب للمكتبة للمذاكرة ، والاستعداد لامتحان اللاتينى غدا .

يمكننى الذهاب إلى السينما .

يمكننى الاختباء وسط الشجيرات ، ومعانقة أول بحار يمر

يمكننى أن ألتزم .. أو ألزم نفسى ....

ألتزم .. أو ألزم نفسى بشىء ما .

بينما بدأت تتجه إلى المكتبة فى الحرم الجامعى باغتها شبح لشخص يخرج من وراء عمود نور ، ويقول : " أهلاً يا كاثى ، إلى أين تتجهين ؟ "

كان رون بيترسون ، يبتسم لها ، مما جعل قلبها يدق بعنف ، وكأنه سيخترق صدرها ، وهى تراقبه فى استسلام لكى يخرج إلى الهواء الطلق . لاحظت أن رون يحدق إليها . لا عجب فى ذلك . كم عدد البنات اللاتى عرفهن ، وأجرى معهن نفس الحيلة لإيقاع قلوبهن فى شباكه ؟ أرادت بشدة أن تمشط شعرها ، وتتزين بالمكياج ، وتفحص تمزق جوربها ، ولكنها حاولت ألا تظهر قلقها . القاعدة رقم واحد : احتفظى بهدوئك .

قالت له : " لا شىء "

" إلى أين تتجهين ؟ "

هل تخبره بالقائمة التى كانت تحضرها فى ذهنها ؟ بالطبع لا ! وإلا سيظن أنها مجنونة . تلك هى فرصتها الكبرى ، ولن تسمح لأى شىء يضيعها . نظرت إليه بعينين دافئتين تدعوه إلى نفسها ، مثل الممثلة " كارول لومبارد " فى فيلم " لا شىء رهيب " .

قالت له : " ليس لدىّ خطط خاصة " .

كان رون يتفحصها بعينيه ، لا يزال غير واثق منها ، غريزته الأساسية جعلته يحترس منها فى البداية : " هل تريدين القيام بشىء خاص ؟ "

هذا هو ما تريده . أن يعرض عليها أحد المواعيد . هذه هى نقطة اللاعودة ، فقالت : " أخبرنى بما تريد ، وأنا رهن إشارتك . " ثم انكمشت إلى الداخل بجسدها ، فلقد بدا حوارها مملاً باهتاً ، فلا أحد يقول مثل هذه العبارة التى قالتها إلا فى الروايات الرومانسية الرخيصة . شعرت أنه سيبتعد عنها عندما شعر بالتقزز مما قالته .

لكنه لم يهرب ، لم تصدق عندما ابتسم لها وتأبط ذراعها ، وقال : " هيا بنا نذهب " .

سارت كاثرين معه وهى مذهولة . كان الأمر فى غاية البساطة . إنها فى طريقها الآن لممارسة الحب . بدأت ترتعش داخلياً ، فإذا اكتشف أنها لم تمارس الحب من قبل ستموت من الخجل . ما الذى ستتحدث عنه عندما تنام معه فى الفراش ؟ هل يتحدث الناس عادةً أثناء ممارسة الحب ، أم يتحدثون بعد الممارسة ؟ لم تكن تريد أن تبدو وقحة ، ولكن لم تكن لديها أدنى فكرة عن القواعد الخاصة بذلك .

قال لها رون : " هل تناولت العشاء ؟ "

" العشاء ؟ " حدقت كاثرين إليه وهى تفكر : " هل يجب أن نتعشى ؟ " إذا قالت نعم فسيصطحبها بعد ذلك إلى الفراش ، وتحصل على ما تريد . قالت بسرعة : " كلا لم أتناول العشاء " . وقالت لنفسها : ماذا فعلت ؟ لقد دمرت كل شىء . لكن رون لم يبد منزعجاً .

" حسناً هل تحبين الطعام الصينى ؟ "

" إنه المفضل لى " . كانت تكرهه ، ولكنها مجرد كذبة صغيرة حتى لا تفسد أهم ليلة فى حياتها .

" يوجد مطعم صينىّ هناك يسمى " لوم فونج " هل تعرفينه ؟ "

كلا ولكنها لن تنساه طوال حياتها .

هل تتذكرين الليلة التى التقيت فيها مع أحدهم ؟

نعم ، ذهبت لمطعم " لوم فونج " وتناولت طعاماً صينياً مع رون بيترسون

هل كان رائعاً ؟

بالطبع ، ولكنك تعرف الطعام الصينى ، بعد ساعة كنت فى قمة النشوة .

وصلا للسيارة ذات اللون الكستنائى ماركة " ريو " ، وذات السقف المتحرك . فتح لها رون باب السيارة ، وجلست في المقعد الذى جلست فيه كل الفتيات سابقاً . كان رون وسيما وساحراً ورياضياً من الطراز الأول ، وكان مهووساً بالجنس الآخر . هذا يصلح لاسم فيلم : المهووس بالجنس الآخر . ربما كان من الأفضل أن تتعشى فى مطعم هنريشى ، وحينها قد يفكر رون فى أنها من نوع الفتيات اللاتى سيعرف والدته عليها ويخطبها .

قال لها رون : " فيم تفكرين ؟ "

ياه رائع ! إنه ليس أفضل متحدث فى العالم . ولكنها لم تكن مستعدة للحوار ، نظرت إليه برقة ، وقالت : " كنت أفكر فيك " ثم احتك جسدها بجسده .

ابتسم قائلا : " لقد خدعتنى يا كاتى . "

" ماذا تقصد ؟! "

" كنت أظن أنك مغرورة وتبتعدين عن الناس ، أو أنك لست مهتمة بالرجال " .

إنه يخفى مقصده ، فهو يشير إلى أنه كان يظننى مغرورة . قالت كاثرين : " إننى فقط كنت فى انتظار الوقت والمكان المناسبين " .

" أنا سعيد لأنك اخترتنى "

" وأنا سعيدة أيضاً " وكانت كذلك حقاً ، فهى متأكدة أن رون مارس الحب بروعة ، فلقد اختبرته كل فتاة تتوق إلى الحب فى مساحة ١٥٠ ميلاً حول الجامعة . كانت ستكون إهانة لها إذا مارست الحب مع شخص جاهل مثلها . فهى معها الآن خبير فى أمور الحب . بعد الليلة لن تسمى نفسها القديسة كاثرين ، بل ستعرف باسم كاثرين العظيمة . وهذه المرة ستعرف إلى ماذا تشير صفة العظمة .

" ماذا ؟ "

نظرت إليه فى فزع ، وأدركت أنها صرخت بصوت عال : " أنا .. لم أقل شيئاً " .

" لقد أطلقت صيحة غريبة " .

" معقول ؟! " ، ثم ضحكت قليلاً عن قصد .

" كنت شاردة الذهن " .

قامت بتحليل تلك العبارة ، وقررت أنها سيئة . لابد أن تصبح مثل جين - آن . وضعت كاثرين يدها على ذراعه ، واقتربت منه هامسة : " أنا هنا بجوارك " .

حاولت أن يكون صوتها أجش ، مثل " جين آرثر " فى فيلم " جين الكارثة " .

نظر إليها رون مرتبكاً ، ولكن الشىء الوحيد الذى استشفه من عينيها هو الدفء والحماس .

كان " لوم فونج " مطعماً صينياً عادياً ، ومظهره يبدو كئيباً ، ويقع تحت شريط القطار المعلق . طوال العشاء كانا يسمعان صوت هدير القطار الذى يجعل الأطباق تهتز . كان المطعم يبدو كآلاف المطاعم الصينية فى أمريكا ، لكن أخذت كاثرين تحفظ كل تفاصيل المكان والموقع الذى جلسا فيه ، وورق الحائط الرخيص المنقط ، وإبريق الشاى الصينى المكسور ، وبقع صلصة الصويا على المائدة .

جاء النادل الصينى القصير ، وسألهما عما إذا كانا يرغبان فى شرب شىء ما . كانت كاثرين قد تذوقت الكحوليات من قبل مرات قليلة فى حياتها ، وكانت تكرهها ، ولكن هذه الليلة كانت بمثابة عيد بالنسبة لها ، ويجب أن تحتفل بها .

" شراب عتيق مع كريز "

قال رون : " وأنا أيضاً "

انحنى الساقى وانصرف . تساءلت كاثرين عما إذا كان من الحقيقى أن النساء فى الشرق يملن إلى الأمام طوال الوقت .

قال رون : " لا أعرف لماذا لم نصبح أصدقاء من قبل ؟ يقول الجميع إنك أذكى فتاة فى الجامعة . "

" أنت تعرف أن الناس يبالغون فى تقديراته . "

" وأنت جميلة للغاية . "

" شكراً لك " . حاولت أن تجعل صوتها مثل " كاثرين هيبورن " فى فيلم " أليس آدمز " ، ونظرت بلهفة إلى عينيه . لم تعد بعد الآن كاثرين ألكساندر ، بل كانت فتاة لعوباً ، وسيدرج اسمها فى تاريخ المعشوقات مثل ماى ويست ، ومارلين ويتريش ، وكليوباترا .

أحضر الساقى المشروبات ، واحتست شرابها فى جرعة واحدة بعصبية ، وشاهدها رون فى دهشة .

قال لها : " اشربى بهدوء ؛ لأن المادة الكحولية قوية التأثير "

قالت له بثقة : " لا يهم . يمكننى تحملها " .

قال رون للساقى : " مرة أخرى من فضلك . "

عبر المائدة وتحسس يدها قائلا : " يا للغرابة ، كل الناس أساءوا فهمك " .

" بل لم يفهمنى أحد فى الجامعة . "

حدق إليها ، فقالت لنفسها : لا تكونى ماهرة جدا . احترسى . الرجال يفضلون الفتاة ذات البدن السمين ، والمخ الضئيل .

قالت بسرعة : " كنت أكن لك المشاعر منذ فترة طويلة " .

قال رون : " لقد أحسنت إخفاء السر " ، ثم أخرج رسالتها من جيبه ، وقرأها بصوت عال : " جرب خزانتنا " ، ثم ضحك قائلاً : " عموماً أفضل هذا عن سلاطة الفاكهة بالموز " . أخذ يتحسس ذراع كاثرين ، ولمسته الحانية سببت رجفات صغيرة حارة عبر عمودها الفقرى كما قرأت فى الكتب من قبل . ربما بعد قضاء هذه الليلة ستقوم بإعداد كتاب عن تجربتها لكى تعلم الفتيات الغبيات حقائق الحياة . بعد الشراب الثانى شعرت كاثرين بالأسى نحو هؤلاء الفتيات .

" خسارة " .

" أية خسارة ؟ "

أخطأت وتحدثت بصوت عال مرة أخرى ، لكنها قررت التحلى بالشجاعة : " كنت أشعر بالأسى لكل فتيات العالم " . ابتسم لها رون قائلا : " لنشرب نخب الفتيات " . وارتشف كأسه . نظرت إليه وهو جالس أمامها ومستمتع بصحبتها . لم يكن لديها ما تقلق بشأنه ، فكان كل شىء يسير على ما يرام . سألها هل تريد أن تشرب المزيد لكنها رفضت . لم تكن تريد أن تظل مخمورة ، فهى تريد أن تتذكر كل لحظة وكل إحساس .

طلب رون عشاءً مكوناً من ستة أطباق رئيسية وثمنه ١,٧٥ دولار ، وتظاهرت كاثرين أنها تتناوله ، لأنه كان بشع الطعم . كانت متوترة لدرجة أنها لم تتمكن . من تذوق أى شىء . كان لونها جافاً وحلقها جافاً ويؤلمها . ماذا لو أصيبت بأزمة قلبية هنا ؟ إذا مارست الحب بعد الأزمة القلبية ستموت بالتأكيد . ربما يجب أن تحذر رون ، وإلا ستدمر سمعته إذا وجدوا فتاة ميتة فى فراشه ، وربما يجعل ذلك شهرته مدوية أكثر !

قال رون : " ما الخطب ؟ تبدين شاحبة . "

قالت كاثرين باندفاع : " أنا بخير ، أنا أشعر بالإثارة لكونى معك " .

نظر إليها رون موافقاً على رأيها ، وكانت عيناه العسليتان تتفحصان كل تفاصيل وجهها ، ثم اتجه بصره إلى صدرها وتعلق به ، وقال لها : " أنا أشعر بالإثارة ، لكونى معك أيضاً " .

رفع الساقى الأطباق من على المائدة ، ودفع رون الحساب ، ونظر إليها لكنها لم تتحرك .

فكرت محدثة نفسها : " نعم ! أريد مركباً يسير ببطه ، لأسافر إلى الصين ، أريد أن يطهينى ويأكلنى على العشاء آكل لحوم البشر . أريد أمى ! "

كان رون يراقبها وينتظر ، سحبت كاثرين نفساً عميقاً ، وقالت : " أنا ... لا يمكننى التفكير فى أى شيء " .

" حسناً . " قالها ببطء ، وكأنه يمهد الطريق للقاء الحميم بينهما " هيا بنا نذهب " . وقف وتبعته كاثرين ، وكان إحساس النشوة من الخمر قد اختفى تماماً ، وبدأت ساقاها ترتجفان .

كان بالخارج حيث الهواء الدافئ ليلا ، وخطر لكاثرين خاطر مفاجئ جعلها تشعر بالارتياح : " لن يمارس معى الحب الليلة ، فالفتيان لا يفعلون ذلك مع الفتيات فى أول موعد غرامى . بل سيصطحبنى إلى العشاء غدا ، ثم نمارس الحب بعد ذلك ، وسنذهب لمطعم هنريشى ، وسنتعرف على بعضنا البعض أكثر حقا ، ربما سنقع فى الغرام العنيف ، ثم يعرفنى بأبويه ونتزوج .. لن أشعر بالرعب الأحمق بلا مبرر " .

" هل لديك تفصيلات محددة للفنادق ؟ "

حدقت كاثرين إليه ، ولم تنبس ببنت شفة . ذهبت أحلام الليالى الموسيقية الأنيقة مع أبويه أدراج الرياح . الوغد كان يخطط لممارسة

الحب فى فندق ! حسناً هذا ما كانت تريده . أليس كذلك ؟ وإلا فلماذا كتبت له الرسالة المجنونة ؟

كانت يده على كتفها الآن ، ثم امتدت إلى ذراعها . شعرت بدفء يسرى فى أعضائها . ازدردت لعابها ، وقالت : " لابد أنك قد جربت كل الفنادق ؟ " نظر إليها رون باستغراب ، لكنه قال : " حسناً هيا بنا " .

ركبا السيارة ، واتجها غرباً . تحول جسدها إلى كتلة من الثلج ، لكن كان ذهنها يغلى من التفكير المحموم . كانت آخر مرة ذهبت فيها للإقامة فى فندق ، عندما كانت فى الثامنة من عمرها أثناء السفر بالسيارة مع والديها .

والآن ستنام مع رجل غريب عنها تماماً . على أية حال ما الذى تعرفه عنه ؟ فقط إنه وسيم ، وله شعبية كبيرة ، ويعرف الفرصة السانحة لممارسة الحب عندما يراها .

مد رون يده وأمسك يدها ، وقال : " يداك باردتان " .

فكرت محدثة نفسها : " يداى باردتان ولكن ساقىَّ ساخنتان . ياه هاأنذا عدت إلى المزاح ! " . بدأت تتذكر كلمات أغنية رومانسية قديمة تسمى " سر حلاوة الدنيا " . اتجه رون إلى شارع كلارك جنوبا ، وعلى كلا الجانبين كانت هناك إعلانات مضيئة تومض وتطفئ ، ولافتات من النيون تضيء الليل ، وتظهر عروضها الرخيصة لإقامة مؤقتة للعشاق الذين يغلبهم الشوق : " فندق الراحة " : " فندق ليلة واحدة " " راحة المسافر " . كان خيالها واسعاً جعلها تترنح من الإثارة ، ولكن من ناحية أخرى فإن أصحاب تلك الفنادق مشغولون بتنظيم دخول وخروج العشاق من وإلى الحجرات ، ولن يهتموا بالأفكار الفنية الأدبية لأسماء الفنادق .

قال رون : " هذا أفضل فندق هنا . " وأشار إلى اللافتة : " **فندق الجنة ـ الإجازات** "

هذا شيء رمزى ، كان هناك مكان شاغر فى الجنة ستحتله كاثرين الآن .

ركن رون السيارة فى الحديقة ، بجوار مكتب مدهون باللون الأبيض معلق عليه لافتة : " دق الجرس وادخل " . كانت الحديقة مكونة من أربعة وعشرين منزلاً ذات الطابق الواحد .

قال لها رون : " ما رأيك فى المكان ؟ "

فحدثت كاثرين نفسها : " مثل جهنم فى الشعر الملحمى لـ " دانتى " . مثل مبنى الكولوسيوم فى روما ، حيث سيلقى الأقباط الأوائل إلى الأسود الجائعة .

شعرت كاثرين بحرارة فى جسدها ، وقالت " رائع ، رائع للغاية " .

ابتسم رون متفهماً ، وقال : " سأعود حالا " . ووضع يده على ركبتها ، وغادر السيارة ، وذهب إلى المكتب . ظلت جالسة فى انتظاره ، وحاولت ألا تفكر فى أى شيء .

سمعت صفارة الإنذار الخاصة بالغارات ، ففكرت وهى منفعلة : " ياه ! إنها غارة ، إنهم يغيرون على هذا المكان ! "

فتح باب المكتب وخرج رون . كان يحمل مفتاحاً متجاهلاً أصوات الغارة التى كانت تقترب أكثر . سار إلى كاثرين ، وفتح لها باب السيارة .

قال لها : " كل شيء جاهز " كانت صفارة الغارة كالفأل السيئ ، هل سيقبض عليهما البوليس لوجودهما هنا . "

قال رون : " هيا بنا . "

" ألا تسمع ؟ "

" أسمع ماذا ؟ "

تجاوزتهما صفارة الإنذار ، وخفت صوتها تدريجياً عبر الشارع بعيدا عنهما . اللعنة ! قالت له بضعف : " هل تسمع العصافير ؟ "

بدت نظرة على وجه رون تدل على أن صبره بدأ ينفد وقال : " هل هناك خطأ .. ؟ "

قالت كاثرين سريعاً : " كلا كلا ، أنا آتية " . ثم خرجت من السيارة . واتجها لإحدى الكبائن الخشبية . قالت له بمرح : " أتمنى أن يكون رقم الحجرة رقم حظى . "

" ماذا قلت ؟ "

نظرت إليه كاثرين ، وأدركت فجأة أنها غير قادرة على الكلام ، وكان فمها جافاً . قالت بحشرجة : " لا شيء "

وصلا إلى الباب ، وكان رقم الحجرة ثلاثة عشر . كان هذا هو الرقم الذى تستحقه ، حيث دل على أنها ستحمل طفلاً ، وأن القدر سيعاقبها .

فتح رون الباب بالمفتاح ، وتركه مفتوحاً لكى تدخل . ضغط زر النور ودخلت كاثرين . لم تصدق ما تراه ، كانت الحجرة وكأنها تتكون فقط من فراش كبير . الأثاث الوحيد فى الحجرة كان مقعداً غير مريح فى أحد أركان الحجرة ، وتسريحة صغيرة تعلوها مرآة ، ومذياعاً محطما بجوار الفراش ، وبه فتحة إدخال عملات فئة ربع دولار لكى يعمل . لا يمكن أن يدخل أحد الحجرة ولا ينال غرضه منها : مكان يحضر إليه الفتيان والفتيات لممارسة الحب . حسناً ، لن تقول إنه مكان لأدوات التزلج على الجليد ، أو للألعاب ، أو جناح المتزوجين حديثاً فى فندق " الإمباسادور " ، كلا ، فهذا ما هو إلا عش حب رخيص . التفتت كاثرين لترى ما يفعله رون ، ووجدت أنه يغلق الباب بالقفل . ياه ، إذا هجم بوليس الآداب لكى يقبض عليهما فسيضطر لتحطيم باب الحجرة أولاً ، وتخيلت أن بوليس الآداب يحملها عارية ، والتقط مصور صحفى صورة لها للصفحة الأولى لجريدة شيكاغو اليومية .

اتجه رون إلى كاثرين ، وطوقها بذراعيه ، وقال : " هل تشعرين بالتوتر ؟ "

نظرت إليه وتصنعت الابتسام بطريقة الممثلة مارجريت سوليفان ، وقالت : " متوترة ؟ لا تكن سخيفاً يا رون " .

ظل يتفحصها ، وهو غير متأكد ؛ ولكنه قال : " لقد فعلت هذا من قبل أليس كذلك يا كاثى ؟ "

" من كثرة ما فعلته لا أعرف عدد المرات ! "

" ينتابنى إحساس غريب نحوك طوال الليل "

هنا تأتى اللحظة الحاسمة ، سيطردها عندما يعرف أنها عذراء وستحاول التخلص من المعاناة والصدمة بدش بارد . لكنها لن تسمح بحدوث ذلك الليلة . قالت : " أى إحساس تقصد ؟ "

قال رون فى حيرة : " لا أعرف ، فتارة تبدين مثيرة ، وفى حالة مزاجية مناسبة لممارسة الحب ، وتارة أخرى تسرحين فى أمور أخرى وتصبحين باردة كالثلج . وكأنك مصابة بانفصام فى الشخصية .أى من الشخصيتين تمثل كاثرين ألكساندر ؟ "

" ستعرف بعد قليل ."

فى العام الثانى الجامعى لـ " كاثرين " كان هناك تغيير كبير فى جو الجامعة .

أول شىء ، كان هناك قلق متزايد عبر البلاد بشأن ما يحدث فى أوروبا والشعور العام أن أمريكا سوف تتدخل فى الحرب . كان حلم هتلر بحكم الألف عام للعهد الثالث (الرايخ الثالث) على وشك أن يصبح حقيقة ، فلقد احتل الألمان الدنمارك والنرويج .

انتقل الحوار عبر الشهور الستة التالية من الملابس والحفلات والحب ، إلى الجيش ونقص الموارد والغلاء وارتفاع قيمة إيجار السكن . حيث التحقت العديد من الفتيات بالجيش ، والبحرية .

فى أحد الأيام قابلت سوزى روبرتس كاثرين فى رواق إحدى بنايات الجامعة ، وكانت زميلتها فى المدرسة الثانوية : " أريد أن أودعك يا كاثى ، سأترك الدراسة بالجامعة . "

" إلى أين أنت ذاهبة ؟ "

" إلى مدينة كلونذايك . "

" كلونذايك ؟ "

" نعم فى ولاية واشنطن ، فالفتيات يصادفن حظاً سعيداً ، وافراً هناك . يقولون إنه يوجد لكل فتاة ١٠٠ رجل على الأقل ، لماذا تريدين البقاء هنا ؟ الجامعة مملة جدًا . يوجد عالم كبير حولنا يجب أن نستكشفه " .

قالت كاثرين : " لا يمكننى مغادرة الجامعة الآن " لم تكن متأكدة ، فلا شىء يربطها بشيكاغو ، وهى تتصل هاتفياً بأبيها فى أوماها مرتين كل شهر ، وكل مرة تشعر وكأنه فى السجن .

كاثرين الآن بمفردها وكلما فكرت فى واشنطن يبدو الأمر مثيراً . اتصلت فى تلك الليلة بأبيها ، وقالت له إنها ستترك الدراسة الجامعية ، وستذهب للعمل فى واشنطن . سألها عما إذا كانت تريد أن تعيش معه فى أوماها . لكنها شعرت بإحساس التقاعس والخيبة فى صوته . لم تكن تريد أن تقع فى الفخ ، وتشعر أنها مسجونة مثله .

فى صباح اليوم التالى ذهبت كاثرين لعميدة الجامعة المختصة بشئون الطالبات ، وأخبرتها أنها ستترك الجامعة ، وأرسلت برقية إلى سوزى روبرتس ، وفى اليوم التالى كانت تستقل القطار المتجه إلى واشنطن .

نويل

باريس ١٩٤٠

٤

فى السبت الموافق ٢٤ من يونيو ١٩٤٠ احتل الجيش الألمانى باريس . اتضح أن خط ماجينو المنيع مشروع فاشل تمامًا ، والذى كان يعد أفضل خط دفاع فى تاريخ الحروب ، وبالتالى كانت فرنسا بلا دفاع أمام أقوى آليات الحرب التى شهدها العالم .

بدأ اليوم بسحابة سوداء غريبة عمت المدينة كلها ، وكانت تلك السحابة مرعبة غير معلومة المصدر ، وكأنها تشبه أكفان الموتى . كانت الأصوات المتقطعة لإطلاق النيران قد خرقت الصمت الرهيب لمدينة باريس لمدة ٤٨ ساعة . كان هدير المدافع يدوى خارج المدينة ، ولكن الصدى كان يتردد فى جنبات قلب باريس . كان هناك سيل من الإشاعات كالتيار الجارف من الذياع والجرائد وكلام الناس . " احتل الألمان سواحل فرنسا " .. " تم تدمير لندن " ... " توصل هتلر للاتفاق مع الحكومة البريطانية " ... " سيدمر الألمان باريس بقنبلة ذرية " . فى البداية كان الناس يصدقون كل إشاعة وكأنها حقيقة مطلقة ، تتسبب فى ذعر عام ، ولكن كثرة الإشاعات أصبح لها فى النهاية تأثير

التبلد الحسى ، وكأن العقل والجسد لم يتمكنا من استيعاب المزيد من الرعب والإرهاب ، فلجآ إلى حيلة دفاعية نفسية ، وهى الدخول فى شرنقة اللامبالاة . الآن توقفت طاحونة الإشاعات تماماً ، وتوقفت الصحف عن الصدور ومحطات الإذاعة عن البث . الغريزة الإنسانية حلت محل الآلات ، وأحس سكان باريس أن اليوم هو يوم الحسم ، وكانت السحابة السوداء نذيراً ينبئ بشىء سيئ سيحل بالمدينة .

ثم بدأ الألمان ينتشرون فى باريس كالجراد .

فجأة امتلأت باريس بالعساكر الأجانب والناس الغرباء الناطقين بالألمانية ، وهم يجوبون الشوارع الواسعة التى يوجد أشجار على جانبيها بسياراتهم الليموزين والمرسيدس . ويرفرف عليها أعلام النازية ، كانوا يظنون أنهم العرق الأنقى والأعلى بين البشر ، وأن قدرهم هو غزو وحكم العالم .

خلال أسبوعين حدث التحول المذهل . ظهرت اللافتات بالألمانية فى كل مكان . تم تدمير تماثيل الأبطال الفرنسيين ، وتم رسم علامة النازية (الصليب المعقوف) على المبانى الحكومية . وصلت جهود الألمان لمحو كل ما هو فرنسى لحدود تدعو إلى السخرية . الكلمات الدالة على الماء البارد والساخن فى الصنبور ـ مثلاً ـ تم استبدالها من اللغة الفرنسية إلى الألمانية فاستبدلوا ميدان بروجلى فى ستراسبورج باسم ميدان أدولف هتلر وتم تفجير تماثيل لافايت ونى وكليبر بالديناميت من قبل جنود النازية ، والكتابات المحفورة على الآثار ، وقبر الجندى المجهول تم طمسها ، وكتبت عليها عبارة : " سقطت من أجل ألمانيا " .

كان جنود الاحتلال الألمانى يستمتعون للغاية ، بينما كان الطعام الفرنسى ثريًا فى أشكاله ، ومغطى بأنواع مختلفة من الصلصات ، وكان هذا الطعام أيضاً تغييراً لطيفاً بديلاً عن التموين العادى للطعام أيام

الحرب . لم يهتم أو يعرف الجنود أن باريس هى مدينة الشاعر بودلير والكاتب الروائى دوماس والكاتب المسرحى موليير ، وبالنسبة لهم كانت باريس عبارة عن عاهرة مليئة بألوان الزينة والمساحيق ، ومتأهبة دائماً لارتكاب أفعال الرذيلة ، وقد أجبر الجنود الألمان الفتيات الفرنسيات على ممارسة الرذيلة معهم ، أحياناً تحت تهديد البندقية ، بينما القادة أمثال جورينج وهيملر استوليا على متحف اللوفر والقصور الخاصة الثرية التى صادراها من أعداء الرايخ المرغومين .

مثلما ارتفع معدل الفساد والانتهازية فى فرنسا فى زمن الحرب ، زادت الوطنية والبطولة أيضاً . وكان أحد الأسلحة السرية للمقاومة الشعبية هو سلاح رجال الطافئ ، حيث إن هيئة المطافئ فى فرنسا تخضع لحكم الجيش . وقد صادر الألمان عشرات المبانى لصالح الجيش والمخابرات الألمانية والوزارات الأخرى ، وبالطبع لم تكن تلك الأماكن سرية ، وفى مقر المقاومة الشعبية فى " سانت ريميه " فحصوا جيداً الخرائط المفصلة لمواقع كل مبنى ، ثم تولى الخبراء تنفيذ أهدافهم ، وفى اليوم التالى كان من الممكن أن تمر أية سيارة مسرعة ، أو دراجة يبدو راكبها بريئاً بجوار أية مبنى مستهدف وتلقى عليه قنبلة يدوية من النافذة ، وحتى هذه النقطة كان التدمير بسيطاً ، لكن عبقرية الخطة كانت فيما سيحدث بعد ذلك .

كان الألمان يعدون رجال المطافئ لإطفاء الحريق ، لأنه من البديهى فى كل البلاد أنه عند اندلاع الحرائق يتم تسليم كل المسئولية والسلطة لرجال المطافئ ، وهكذا كان الحال فى باريس . حيث كان رجال المطافئ يسرعون إلى المبنى الذى اندلعت به الحرائق . بينما ينتحى الألمان جانباً فى هدوء فيشاهدونهم يدمرون كل شىء بخراطيم المياه ذات الضغط العالى وبالفئوس ، وعندما تبرز فرصة سانحة كانوا يستخدمون قنابلهم المشعلة للحرائق . بتلك الطريقة تمكنت المقاومة الشعبية من

تدمير وثائق ألمانية لا تقدر بثمن للمخابرات الألمانية ، والتى كانت تخفيها فى تلك المبانى .

تنبه الألمان للحيلة بعد حوالى ستة أشهر ، وبحلول ذلك الوقت كان قد حدث ضرر لا يمكن مداواته . لم يتمكن رجال المخابرات من إثبات أى شىء ، ولكن تم تجنيد كل رجال المطافى ، وإرسالهم للحرب فى الجبهة الروسية .

كان هناك نقص فى كل شىء من الطعام إلى الصابون ، لم يكن هناك بنزين أو لحم أو منتجات ألبان . لقد صادر الألمان كل شىء . وظلت المتاجر ذات البضائع الفاخرة مفتوحة ، ولكن الزبائن كانوا من الجنود الألمان الذين يدفعون ثمن البضائع بالمارك الألمانى الخاص بالاحتلال ، والذى كان يشبه المارك العادى ماعدا الأحرف المسننة ، وعدم وجود توقيع دار سك النقود ، لكى يتم تحويل المال إلى العملة المحلية (الفرنك) لتسديد الحساب .

كان التاجر الفرنسى يقول : " من سيسدد الحساب ؟ " .

وكان الألمان يقولون متهكمين : " الضامن هو بنك إنجلترا "

لكن لم يعان ذلك كل الفرنسيين فمن كان لديه المال والعلاقات والنفوذ يتمتع بخدمات السوق السوداء .

* * *

لم تتغير حياة نويل بسبب الحرب إلا قليلاً . حيث كانت تعمل كعارضة أزياء فى بيت أزياء شانيل الشهير فى شارع كانيون فى مبنى حجرى عمره ١٥٠ عاماً ، وكان يبدو عادياً من الخارج ، ولكن ديكوراته كانت حديثة جداً من الداخل وكانت الحرب ، كأى حرب قد جعلت بعض الناس مليونيرات ما بين يوم وليلة ، ولم يقل عدد الزبائن . جاءت لنويل عروض كثيرة لممارسة الحب ، أكثر من ذى قبل ، الفرق أنها عروض كانت تأتى فقط من الألمان ، وفى غير أوقات

العمل كانت تجلس لساعات طويلة فى المقاهى الصغيرة فى شارع الشانزليزيه ، أو فى الضفة الغربية لنهر السين بجوار الكوبرى الجديد . كان هناك مئات الرجال الألمان بالزى العسكرى بصحبة الفتيات الفرنسيات . كان المدنيون الفرنسيون إما كبار سن أو عرجاً ، وفهمت نويل أن الرجال الشباب قد تم إرسالهم إلى المعسكرات أو للخدمة الوطنية فى الجيش . كان بإمكانها معرفة الرجل الألمانى بنظرة واحدة ، حتى إن لم يكن يرتدى حلته العسكرية ، حيث كانت تعلو وجهه نظرة الغرور التى تعلو وجوه الغزاة منذ أيام الإسكندر الأكبر وهادريان . لم تكره نويل الألمان أو تحبهم ، ولكنها لم تسمح لهم بمجرد لمسها .

كانت حياتها الخاصة مشحونة ، حيث كانت تخطط لكل حركة فى حياتها . كانت تعرف هدفها بالضبط ، وأنه لن يحول أى شىء دون تحقيقه ، ولن يوقفها أى شىء . بمجرد أن أصبحت حالتها المادية ميسورة استأجرت مخبراً سرياً كان قد قام بالترافع فى قضية طلاق عارضة أزياء ، حيث كانت زميلة لها فى العمل ، وكان اسم هذا المخبر كريستيان باربيه ، وكان مكتبه الصغير القديم يقع فى شارع القديس لازار . كانت اللافتة على مكتبه تقول :

تحقيقات خاصة وتجارية

للبحث والاستقصاء

لكشف المعلومات

لإعداد التقارير السرية

لاقتفاء الأثر

للبحث والتقصى عن الأدلة

كانت اللافتة تبدو وكأنها من المكتب ، وكان باربيه رجلاً قصيراً أصلع ، وذا أسنان صفراء ومكسورة ، وعينين ضيقتين حولاوين ، وأصابعه ملوثة بالنيكوتين من فرط التدخين .

قال لـ " نويل " : " هل يمكننى تقديم أى خدمة ؟ "

" أريد معلومات عن شخص فى إنجلترا "

غمز بعينيه فى شك قائلاً : " أى نوع من المعلومات ؟ "

" أى شىء . هل هو متزوج ، أو يواعد أحداً ، من هم معارفه ، أى معلومات عنه . أريد فتح ملف كامل لكل شىء عنه " .

أخذ ينظر إليها شزرا وبوقاحة ، وحدق إليها قائلاً :

" هل هو إنجليزى الجنسية ؟ "

" بل هو أمريكى ويعمل طياراً فى الجيش الإنجليزى " .

حك باربيه رأسه الأصلع فى قلق ، وقال متذمراً :

" لا أعرف ، لكننا فى وقت الحرب ، وإذا أمسكوا بى وأنا أحاول الحصول على معلومات من إنجلترا عن طيار حربى .. " .

خفت صوته تدريجياً ، ثم هز كتفيه دون اكتراث قائلاً : " فالألمان يطلقون الرصاص أولاً ، ثم يطرحون الأسئلة فيما بعد " .

أكدت نويل : " أنا لا أريد أى معلومات عسكرية " ، ثم فتحت كيس نقودها ، وأخرجت رزمة فرنكات ورقية ، ثم نظر إليها باربيه فى نهم .

قال لها بحرص : " لدىّ معارف واتصالات فى إنجلترا ، لكن الأمر سيكلفك الكثير " .

وهكذا بدأ الأمر . اتصل المخبر السرى بـ " نويل " بعد ٣ شهور ، فذهبت لمكتبه ، وكانت أولى كلماتها : " هل هو على قيد الحياة ؟ " عندما أومأ لها برأسه موافقاً هدأ جسمها فى ارتياح وفكر باربيه : " لابد أنه من الرائع أن تجد من يحبك بهذا القدر " .

قال لها : " لقد تم نقل صديقك ؟ "

" إلى أين ؟ "

نظر إلى مجموعة أوراق فى مكتبه ، وقال : " كان ملتحقاً بالفرقة رقم ٦٠٩ فى الطيران العسكرى الإنجليزى ، ولكن تم نقله إلى الفرقة ١٢١ فى مارتلشام فى أنجليا الشرقية ، وكان يقود طائرات من طراز ... . "

" لا يهمنى ذلك . "

" أنت تدفعين لى من أجل هذه المعلومات ، ويجب أن تحصلى على المعلومات بقدر ما دفعت لى من مال " ، ثم نظر إلى أوراقه مرة أخرى ، وأردف قائلاً : " كانت من طراز هاريكين ، والآن يقود طائرات من طراز بافلو " .

قلب الصفحة وقال : " هنا نأتى للمعلومات الشخصية " .

" استمر "

هز كتفيه دونما اكتراث قائلاً : " توجد قائمة بأسماء الفتيات اللاتى يمارسن الحب معه ، لا أعرف أهمية ذلك لكِ ... " .

" أخبرتك أننى أريد معرفة كل شىء " .

كانت هناك نبرة غريبة فى صوتها كانت تحيره .. لم يكن ثمة شىء طبيعى فى هذه الفتاة ، وكأنها لا تظهر حقيقتها . كان كريستيان باربيه محقق درجة ثالثة ، ويتعامل مع زبائن درجة ثالثة ، ولكن بسبب ذلك نمت لديه غريزة أو حاسة حيوانية لتقصى الحقيقة ، وله أنف مدرب على استخلاص الحقائق . لكن الفتاة الجميلة الواقفة فى مكتبه كانت تثير بداخله القلق والريبة . فى البداية ظن أنها توقعه فى فخ التجسس ، ثم قال إنها قد تكون زوجة هجرها زوجها ، وتريد جمع الأدلة ضده للحصول على الطلاق . ثم اعترف لنفسه أنه كان مخطئاً ، والآن هو فى حيرة من أمرها ، ولا يتمكن من التكهن بما تريد الفتاة معرفته ولا سبب ذلك . أعطى لها قائمة بأسماء الفتيات اللاتى كن

يمارسن معه الحب ، وشاهد تعابير وجهها أثناء قراءتها . كانت غير مكترثة ، وكأنها تقرأ قائمة ملابس لدى محلات التنظيف والكى .

انتهت من قراءة القائمة ونظرت إليه . لم يكن باربيه مستعداً لكلماتها التالية : " أنا ممتنة لك " .

نظر إليها وغمز بعينيه سريعاً بحركة لا إرادية .

" من فضلك اتصل بى هاتفياً عندما تتوافر لك المزيد من المعلومات " .

جلس باربيه لمدة طويلة بعد انصرافها ، وهو يحدق خارج النافذة ، ويحاول فك رموز زبونته ويفهم مقصدها .

بدأت تزدهر مسارح باريس مرة أخرى . كان الألمان يرتادون المسارح للاحتفال بمجد انتصاراتهم ، ويظهرون مع السيدات الفرنسيات الجميلات للتباهى بهن أثناء تأبطهن لذراع الجنود ، وكأنهن من غنائم الحرب . كان الفرنسيون يرتادون المسارح لكى يتناسوا لساعات قليلة أنهم قوم غير سعداء ومهزومون .

كانت نويل قد ذهبت إلى المسرح فى مارسيليا عدة مرات ، ولكنها رأت مسرحيات للهواة وكانت سيئة ، ويمثلها مؤدون درجة رابعة لجماهير غير مكترثة . كان المسرح فى باريس شيئاً مختلفاً تماماً ؛ كان مفعماً بالحياة والبريق ، ومليئاً بالفكاهة والفن لأشهر كتاب المسرح من أمثال موليير وراسين وكوليت ، وكان الممثل الذى لا يضاهيه أحد " ساشا جويترى " فتح مسرحه ، وذهبت نويل لمشاهدته ، وذهبت لإعادة عرض مسرحية بوشنر " موت دانتون " ، وإلى مسرحية تسمى " آسموديه " للكاتب الشاب الواعد " فرانسوا مورياك " . ثم ذهبت للمسرح الكوميدى الفرنسى لمشاهدة مسرحية " بيرانديلو " واسمها " من يقول الحقيقة ؟ " ومسرح " روستان " لمشاهدة مسرحية " سيرانو من مدينة برجراك " . كانت نويل ترتاد المسارح بمفردها ، ولم تكن تلتفت

لنظرات الإعجاب التى يوجهها لها من حولها ، وكانت مستغرقة فى مشاهدة المسرحيات على خشبة المسرح . كان هناك شىء ساحر على خشبة المسرح يلمس وتراً حساساً داخلها . كانت تشعر أنها تؤدى دوراً مثل الممثلين على المسرح ، فهى تدعى ما ليس بها من صفات ، كأنها تتخفى تحت قناع .

تأثرت على وجه الخصوص بمسرحية تسمى هويس كلوس لـ " جان بول سارتر " ، وكان يقوم ببطولتها " فيليب سوريل " أحد نجوم التمثيل فى أوروبا . كان سوريل رجلاً قبيحاً ، وقصيراً ، وممتلئ الجسم ، وكان أنفه مكسوراً ووجهه كوجه الملاكمين . ولكن بمجرد أن يتحدث كان لحديثه مفعول السحر على المستمعين ، كان يتحول إلى رجل وسيم وحساس . كانت نويل تفكر فى أن الأمر يشبه حكاية الأمير والضفدع عندما كانت تشاهد أداءه ، فهو يشبه الاثنين معاً . عادت لمشاهدته مرات ومرات ، وكانت تجلس فى المقعد الأمامى ، وتدرس أداءه بتركيز ، محاولة معرفة سر جاذبيته .

فى إحدى الليالى فى المسرح أثناء الاستراحة جاء أحد عمال المسرح ، وسلم نويل رسالة كانت فحواها : " رأيتك بين الجمهور ليلة تلو الأخرى . من فضلك اذهبى للكواليس بعد العرض لنتقابل " بى . إس . قرأتها نويل عدة مرات لفهم مغزاها ، ليس لأنها مهتمة بفيليب سوريل ، لكنها كانت تعرف أنها بداية ما تبحث عنه .

ذهبت إلى الكواليس بعد انتهاء العرض ، وأوصلها رجل عجوز على الباب إلى حجرة سوريل الخاصة . كان جالساً أمام مرآة الزينة ، مرتدياً شورتاً قصيراً فقط ، وكان يمسح المكياج عن وجهه . ظل يتفرس فى وجه نويل فى المرآة ، وقال فى النهاية : " شىء لا يصدقه عقل ؛ أنت أجمل عندما اقتربت أكثر منى " .

" شكراً يا مسيو سوريل " .

" من أين أتيت ؟ "

" من مرسيليا " .

استدار سوريل لينظر إليها عن قرب أكثر . انتقلت عيناه إلى قدميها ، ثم تأملها من أخمص قدميها إلى مفرق رأسها ، ولم يفته أى جزء من تفاصيل جسدها . وقفت نويل بلا حراك وهو يدقق فيها بعينيه الفاحصتين . وقال لها : " هل تبحثين عن عمل ؟ "

" لا " .

" أنا لا أدفع أى أموال لقاء ذلك ، كل ما سوف تحصلين عليه منى هو الدخول لمسرحيتى ، إذا أردت المال فمارسى الحب مع صاحب بنك " .

وقفت نويل فى هدوء تراقبه ثم قال لها فى النهاية :

" ما الذى تبحثين عنه ؟ "

" أعتقد أننى أبحث عنك ؟ "

تناولا العشاء سوياً ، وبعد ذلك ذهبا لشقته فى الشارع الجميل المسمى موريس بار ، المطل على المنطقة التى سُميت فيما بعد بوادى بولونيا .

ثم قضيا الليل بأكمله فى سعادة حتى الصباح ، حيث دعاها لكى تعيش معه فى شقته .

عاشت معه لمدة ستة أشهر ، ولم تكن سعيدة ولا تعسة . كانت تعلم أن وجودها هنا يسعده للغاية ، لكنها لم تكترث لأى شىء . كانت تعتبر نفسها تلميذة تتعلم بإصرار كل يوم شيئاً جديداً . كان لها بمثابة مدرسة للحياة تحضرها نويل ، فهو جزء صغير من خطتها الكبرى . لم تكن علاقتهما شخصية لها ، فهى لم تحبه . لقد وقعت فى الحب ، وكانت خطيئة لن تقع فيها مرة أخرى . كان يوجد فى قلبها مكان لرجل واحد : لارى دوجلاس . كلما مرت نويل بميدان النصر ، أو أى

حديقة أو مطعم كانت بصحبة لارى فيه كانت تشعر بالمقت يملؤها ويخنقها إلى درجة تجعلها تتنفس بصعوبة ، كان يراودها شعور آخر مع الكره لم تكن نويل تعرف اسمه .

بعد شهرين من انتقالها للإقامة مع سوريل جاءتها مكالمة هاتفية من باربيه : " لدىّ تقرير آخر لك . "

قالت له بلهفة : " هل هو بخير ؟ "

شعر بعدم الراحة ، لكنه قال لها : " نعم . "

امتلأ صوتها بالراحة ، وقالت له : " سأحضر إليك على الفور " .

كان التقرير عبارة عن جزءين : الجزء الأول يتعلق بعمله العسكرى ؛ فلقد أسقط خمس طائرات ألمانية ، وأصبح أول أمريكى ذا رتبة عالية فى الحرب ، وتم ترقيته لدرجة ملازم طيار . الجزء الثانى من التقرير كان به ما يهمها أكثر . أصبح له شعبية جارفة فى الحياة الاجتماعية فى لندن وقت الحرب ، وقد خطب ابنة أدميرال إنجليزى ، ثم جاءتها قائمة بأسماء الفتيات اللاتى مارسن الحب معه كثيراً ، من فتيات الاستعراض إلى زوجة وكيل وزارة .

قال لها : " هل تريديننى أن أستمر فى هذا ؟ "

" بالطبع . " ثم أخرجت مظروفاً به نقود من كيسها ، وأعطته لباربيه قائلة : " اتصل بى عندما تتوافر لديك معلومات أخرى " .

ثم رحلت .

تنهد ونظر إلى السقف وقال مفكراً : " يا لها من فتاة مجنونة ! " .

* * *

لو كان لسوريل أدنى فكرة عما يدور فى ذهن نويل ، لتعجب كثيراً . كانت نويل تبدو مخلصة له تماماً ، وتكرس كل وقتها له . كانت تفعل كل شىء من أجله ، فتطهو له الوجبات الرائعة ، وتتسوق وتشرف على تنظيف الشقة ، وينعم بلحظات حميمية معها . لم

يكن تطلب منه أى شىء . كان يهنئ نفسه على أنه وجد أفضل عشيقة ، وكان يأخذها معه فى كل مكان ، ويعرفها بأصدقائه الذين انبهروا بها ، وقالوا إنه رجل محظوظ لمعرفته بها .

فى إحدى الليالى كانا يتناولان العشاء معاً بعد العرض المسرحى ، فقالت له نويل : " أريد أن أمثل يا فيليب " .

هز رأسه وقال : " أنت جميلة حقاً ؛ لكنى عرفت ممثلات كثيرات فى حياتى ، وأنت مختلفة ، وأريدك كما أنت بلا تغيير . لا أريد أن يشاركنى فيك أحد " . ثم تحسس يدها قائلاً : " ألا أمنحك كل ما تريدين ؟ " .

ردت قائلة : " نعم يا فيليب " .

عندما عادا إلى الشقة فى تلك الليلة ، وقضيا وقتهما شعر سوريل أنه منهك القوى . لم تكن نويل مثيرة له هذه الليلة ، وهنأ سوريل نفسه ، وقال إن كل ما تحتاجه هو توجيه أحد الرجال الموثوق بهم لها .

كان الأحد التالى عيد ميلاد نويل ، وأقام سوريل حفل عشاء لها فى مطعم ماكسيم الشهير . لقد قام بحجز قاعة عشاء خاصة فى الدور العلوى ، وكانت مزينة بالمحمل الأحمر الغامق وخشب الحائط الفخم . ساعدته نويل فى كتابة قائمة المدعوين ، وكتبت أحد الأسماء بدون أن تقول له . كان هناك أربعون شخصاً فى الحفل شربوا نخب عيد ميلادها ، وأغدقوا عليها الهدايا . عندما انتهى العشاء قام سوريل ، وكان يترنح من إسرافه فى الشراب ، وقال للمدعوين بصوت أجش :

" أصدقائى ، كلنا شربنا نخب أجمل فتاة فى العالم ، وأهديناها هدايا عيد الميلاد اللطيفة ، ولكنى سأمنحها هدية ستكون مفاجأة كبرى . "

نظر إليها مبتسماً ، ثم وجه كلامه للحضور : " أنا ونويل سوف نتزوج " .

صفق الحضور ، وتسابق الضيوف لتهنئة سوريل وتمنوا لـه حيـاة سعيدة مع زوجة المستقبل . جلست نويل وهى تبتسم للضيوف ، وتتمتم بكلمات الشكر . كان هناك شخص جالس على مائدة فى آخر القاعة ، يدخن سيجارًا بمبسم طويل ، وينظر إلى المشهد باحتقار . كانت نويل تعلم أنه كان يراقبها طوال العشاء . كان رجلاً نحيفاً وطويلاً ، وله وجه حاد الملامح ، وكأنه يفكر ملياً طوال الوقت . كان يبدو مستمتعاً بكل ما يدور حوله ، وكأنه جاء لملاحظة الحفل ، وليس كمدعو .

نظرت نويل فى عينيه وابتسمت .

كان هذا الرجل هو أرمان جوتييه ، وهو من أشهر المخرجين فى فرنسا . كان مدير مسرح ريبرتورى الفرنسى ، وكانت مسرحياته مشهورة ، ويمدحها كل من شاهدها عبر أنحاء العالم . مجرد إخراجه لفيلم أو مسرحية كان ضماناً كافياً للنجاح . كانت قد سمعت أنه يتعامل جيدًا مع الممثلات ، ولقد اكتشف حوالى ست ممثلات صرن نجمات شهيرات .

كان سوريل بجوار نويل ، ويتحدث معها قائلاً : " هل اندهشت يا حبيبتى ؟ "

" نعم يا فيليب . "

" أريد أن نتزوج على الفور ، سنقيم حفل الزواج فى فيلتى " .

عبر كتف سوريل رأت نويل أرمان جوتييه يراقبها ، ويبتسم ابتسامته الغامضة ، وعندما جاء بعض الأصدقاء اصطحبوا سوريل معهم وعندما التفتت نويل كان جوتييه واقفاً أمامها .

قال لها : " مبروك " كان هناك سخرية فى صوته . " لقد حظيت بصيد وافر " .

" حقاً ؟ "

" نعم ، فـ " سوريل " فرصة رائعة للزواج . "

قالت بدون اكتراث : " ربما لبعض الأخريات . "

نظر إليها فى دهشة ، وقال : " هل تحاولين التلميح بأنك غير مهتمة به ؟ "

" أنا لا أحاول التلميح بأى شىء " .

" حظاً سعيداً . " ثم تركها ، وتأهب للذهاب .

" مسيو جوتييه ... "

توقف عن السير .

قالت له : " هل يمكننى مقابلتك الليلة . فأنا أريد التحدث معك على انفراد " .

نظر إليها جوتييه لبرهة ، ثم هز كتفيه قائلاً :

" كما تريدين "

" سأذهب إلى منزلك ، أيروقك ذلك ؟ "

" بالطبع عنوانى هو... "

" أعرف عنوانك .. سأحضر فى الثانية عشرة . هل هذا يناسبك ؟ "

" بكل تأكيد " .

كان جوتييه يعيش فى شقة فخمة ، فى مبنى فخم فى شارع " ماربوف " . اصطحبها البواب إلى البهو أسفل المبنى . ثم قادها عامل المصعد إلى الدور الرابع ، وأشار لها إلى شقة جوتييه . دقت نويل الجرس وفتح لها جوتييه الباب ، وكان يرتدى روباً مزيناً بصور الأزهار .

قال لها : " تفضلى بالدخول " .

دخلت نويل الشقة وشعرت رغم قلة خبرتها أن ديكورات الشقة تنم عن ذوق رفيع ، وكانت التحف الفنية القيمة تملأ المكان .

قال معتذراً : " آسف لأننى لا أرتدى الزى اللائق ، فلقد كنت أتحدث فى الهاتف ؛ .

تفحصت نويل رداءه ، وقالت : " ليس من الضرورى أن ترتدى ملابسك الرسمية " ، ثم اتجهت إلى الأريكة وجلست .

ابتسم جوتييه قائلاً : " هذا ما شعرت به يا نويل ، ولكننى فضولى بشأن شىء ما . لماذا اخترتنى وأنت مخطوبة لرجل شهير وثرى . أنا متأكد أنك إذا أردت القيام بعلاقات مع الرجال فستجدين من هم أوسم منى ، وأصغر سناً ، وأغنى منى . ماذا تريدين منى ؟ " .

" أريدك أن تعلمنى فن التمثيل " .

نظر إليها لبرهة ، ثم تنهد قائلاً : " لقد جلبت لى الإحباط . كنت أتوقع أى شىء سوى هذا " .

" عملك هو التعامل مع الممثلين " .

" مع الممثلين وليس الهواة . هل مثلت من قبل ؟ "

" كلا ولكنك ستعلمنى " خلعت قبعتها وقفازها ، وقالت : " أين حجرة النوم ؟ "

تردد جوتييه فى البداية ، فحياته مليئة بالجميلات ممن يردن التمثيل فى المسرح ، وتكبير مساحة الدور ، أو القيام بدور البطولة فى مسرحية جديدة ، أو حجرة كبيرة فى الكواليس . كلهن كن مصدر إزعاج وألم له . كان يعرف أنه سيكون أحمق إذا تورط مع فتاة أخرى ، وهو ليس فى حاجة إلى ذلك . ها هى فتاة جميلة تراوده عن نفسه . من السهل أن يمارس الحب معها ثم يطردها . أشار إلى باب الحجرة ، وقال : " إنها هنا " .

فى الصباح قال لها جوتييه : " سأرتدى ملابسى ، ونذهب لتناول الإفطار " .

قالت نويل : " ابق مكانك " ثم ذهبت إلى الدولاب ، وارتدت الروب الخاص به وأضافت : " استرح وسأعود حالاً . "

بعد ٣٥ دقيقة عادت نويل بالإفطار فى صينية ، كان عليها عصير برتقال طازج ، وبيض بالسجق ، ومخبوزات كرواسون بالزبد الساخن ، ومربى ، وإناء قهوة بدون لبن . كان الطعم أكثر من رائع .

قال جوتييه : " ألا تأكلين ؟ "

هزت رأسها بالنفى : " كلا " ، ثم جلست على المقعد الوثير تراقبه وهو يأكل .

عدل جوتييه عن تقديره السابق لنويل تماماً . لم تكن مجرد نزوة لليلة واحدة ، بل هى كنز ثمين . لكنه قد قابل من هن مثلها فى عمله فى المسرح ، لكنه لن يهدر وقته وعمله وموهبته كمخرج على هاوية ذات عينين ساحرتين مهما كان جمالها أو مهاراتها فى ممارسة الحب . فلقد كان يأخذ عمله وفنه مأخذ الجد ، ورفض أن يقدم تنازلات فى الماضى ، ولن يقدمها الآن .

ليلة أمس كان يخطط لقضاء الليلة معها ، ثم طردها فى الصباح . والآن وهو يتناول إفطاره ويتفرس فيها كان يحاول التفكير فى إبقائها كعشيقة حتى يمل منها ، ولن يشجعها كممثلة . لكن كان يعلم أنه يجب أن يستغل التمثيل كطعم للإيقاع بها . قال لها بحرص : " هل تخططين للزواج من فيليب سوريل ؟ "

قالت : " بالطبع لا ، ليس هذا ما أريده " .

فبادرها بالسؤال : " وما الذى تريدينه منه ؟ "

قالت له بهدوء : " أخبرتك من قبل أننى أريد أن أكون ممثلة " .

بدأ فى التهام الكرواسون ، ثم قال محاولاً إضاعة الوقت : " بالطبع يوجد مدربون رائعون فى فن التمثيل يمكننى أن أرسلك لهم يا نويل .. " .

قالت : " كلا " وكانت تنظر إليه بدفء وود ، وكأنها متحمسة لقبول أى شىء يقترحه عليها . لكن جوتييه شعر أن بداخلها إرادة فولاذية . كانت هناك عدة طرق للرفض ، بغضب ، أو بعتاب ، أو

بإحباط ، أو بغضب مكتوم ، لكنها قالت : " كلا " بنعومة وبشكل قاطع . سيكون الأمر أصعب مما توقع . شعر للحظة أنه أراد أن يخبرها كما أخبر عشرات الفتيات مثلها كل أسبوع أن ترحل ، لأنه لا يهدر وقته الثمين مع أمثالها . لكنه تذكر الشعور الرهيب الذى شعر به أثناء الليل ، وعرف أنه سيكون أحمق إذا تركها تذهب سريعاً . فهى بالتأكيد تستحق بعض التنازل البسيط .

قال جوتييه : " حسناً ، سأعطيك مسرحية لكى تدرسيها جيداً ، وعندما تحفظينها عن ظهر قلب ، ستقرئينها لى ؛ لنرى مدى موهبتك ، ثم نقرر ماذا نفعل ".

قالت له : " شكراً يا أرمان " . لم يكن فى صوتها نبرة انتصار ، أو حتى متعة يشعر بها فى كلامها ، بل مجرد اعتراف بالجميل لما هو لا مفر منه . لأول مرة شعر جوتييه بالشك . لكن كان ذلك سخيفاً ، فبالطبع هو خبير فى معاملة النساء .

بينما شرعت نويل فى ارتداء ملابسها ذهب جوتييه إلى مكتبه الذى يزخر بالكتب ، وفحص المجلدات القديمة من كثرة الاستخدام ، وفى النهاية ابتسم ابتسامة خبيثة ، واختار مسرحية يور بيديس " أندروميخا " ، وهى من أصعب المسرحيات الكلاسيكية تمثيلاً . وعاد إلى حجرة النوم ، وأعطاها المسرحية .

" أمسكى يا حبيبتى ، عندما تحفظين دورك سنراجعه معاً " .

" شكراً يا أرمان ، لن تندم على ذلك . "

كلما فكر فى الأمر زادت سعادته بخطته المحكمة . سيستغرق الأمر أسبوعاً أو اثنين من نويل ؛ لكى تحفظ دورها ، أو حتى أكثر ، وستأتى له ، وتعترف أنها لم تتمكن من حفظ الدور ، وسوف يتعاطف معها ، ويوضح لها مدى صعوبة فن التمثيل ، وبالتالى يستمر فى إقامة علاقة معها دون إعاقة من طموحها . تواعدا على موعد للعشاء معاً الليلة ، ثم غادرت منزله .

عندما عادت نويل للشقة التى تقيم بها مع سوريل وجدته فى انتظارها ، وكان مخموراً .

صرخ فى وجهها : " أيتها العاهرة ! أين كنت طوال الليل ؟ " لم يكن من المهم ما سيسمعه منها ، فلقد تخيل أنه سيسمع اعتذارها ، ثم يضربها ويسامحها .

بدلاً من كل هذا لم تعتذر نويل ، بل قالت له ببساطة : " كنت مع رجل آخر يا فيليب ، وجئت لكى أجمع أغراضى " .

راقبها سوريل بدهشة بالغة وعدم تصديق ، وهى تذهب لحجرة النوم وتعد حقائبها .

صرخ متوسلاً : " لا تفعلى ذلك يا نويل أرجوك وأتوسل إليك ! نحن نحب بعضنا البعض وسنتزوج " . ظل يتحدث معها لمدة نصف ساعة يناقشها ويهددها ويستميلها ، وعندما انتهت من إعداد حقائبها وغادرت الشقة لم يكن لدى سوريل أدنى فكرة عن سبب فقدانه لها لأنه لم يعرف أنه لم يمتلكها قط .

كان أرمان جوتييه يخرج مسرحية جديدة سيفتتح أول عروضها بعد أسبوعين ، وكان مشغولاً طوال اليوم فى البروفات . كقاعدة فى حياته فإن جوتييه لا يفكر فى أى شىء أثناء العمل إلا العمل نفسه ، وكان جزء من عبقريته يتمثل فى قدرته على التركيز الحاد فى عمله ، وكأنه لا يوجد سوى الجدران الأربعة للمسرح والممثلين . لكن اليوم كان حاله مختلفاً . كان يسرح عقله ، ويشرد بذهنه إلى نويل ، والليلة الرهيبة التى قضياها معاً . كان الممثلون يجرون بروفة مشهد ، ثم يتوقفون منتظرين تعليقاته ، ولكنه يدرك فجأة أنه لم يكن منتبهاً لهم . كان غاضباً من نفسه ، وحاول أن يركز انتباهه لعمله ؛ لكن تفكيره فى نويل والتجربة المدهشة معها شتت انتباهه . فى منتصف المشهد الدرامى وجد نفسه يخرج من المسرح ، متعللاً بحاجته إلى الراحة .

لأن عقله يحلل كل شىء ، حاول جوتييه أن يفكر فى هذه الفتاة وتساءل عما بها حتى يؤثر فيه لهذه الدرجة . كانت نويل جميلة ، ولكنه عرف أجمل النساء فى العالم . كانت لها مهارات متعددة فى ممارسة الحب ، ولكن بالطبع قد ضاجع الكثيرات ممن يبرعن فى ممارسة الحب أيضاً . كانت تبدو ذكية ، لكن ذكاءها غير حاد ، وشخصيتها تبدو مبهجة وليست معقدة . لكن هناك شيئًا آخر لم يتوصل إليه المخرج العبقرى . فقد تذكر كلمة " لا " وهى تخرج منها فى نعومة ، وشعر أن هذا هو مفتاح السر . كانت بداخلها قوة لا تقاوم تجعلها تحصل على ما تريد . كان يوجد شىء غير ملموس بداخلها . مثل الرجال الذين سبقوه شعر جوتييه أن نويل لها تأثير عليه بأكثر مما يجب الاعتراف به . لكنه لم يلمسها بيديه . وهذا تحدٍ لم ترفضه فحولته .

قضى جوتييه يومه فى حالة من الحيرة ، وأخذ يترقب عشاء الليلة بشغف شديد ، ليس لأنه يريد أن يضاجعها ، بل لكى يثبت لنفسه أنه يهول من شأن الأمر . إنه يتمنى لها الفشل فى التمثيل لكى يتمكن من طردها من حياته بعد أن يصاب منها بالإحباط .

بينما كانا يمارسان الحب فى تلك الليلة شعر جوتييه عن وعى بكل حيلها . لكنه كان مخطئاً . بحلول الصباح كان مفتوناً بها أكثر من ذى قبل .

أعدت له نويل الإفطار مرة أخرى ، ولكن هذه المرة كان الإفطار متمثلاً فى شرائح الفطير بالمربى ، واللحم البارد ، والقهوة الساخنة ، وكان شهياً للغاية .

قال جوتييه لنفسه : " حسناً لقد وجدت فتاة جميلة تسر العين وتمارس الحب وتطبخ ، رائع ! لكن هل هذا يكفى لرجل ذكى ؟ عند الانتهاء من الأكل وممارسة الحب يحب الرجل الذكى التحدث . ما الذى يمكنها التحدث عنه ؟ " الإجابة هى أن الأمر غير مهم بالمرة . لم

تذكر له المسرحية ، وكان يأمل أن تكون قد نسيت الأمر ، أو لم تتمكن من حفظ الدور . عندما غادرت فى الصباح وعدته بتناول العشاء معه هذه الليلة .

" هل تمكنت من التخلص من فيليب ؟ "

قالت ببساطة : " لقد تركته " ، وأعطت جوتييه عنوانها الجديد

حدق إليها للحظة ، وقال : " فهمت " .

لكنه لم يفهم أى شىء .

قضيا الليلة معاً مرة أخرى ، حيث كانا يتحدثان ، أو بالأحرى كان جوتييه هو من يتحدث . كانت تبدو نويل مهتمة به لدرجة أنه أخذ يناقش أموراً لم يناقشها منذ سنوات ، وأشياء شخصية لم يخبر بها أحدًا من قبل . لم تذكر المسرحية التى أعطاها لها لكى تقرأها ، وبالتالى هنأ جوتييه نفسه ؛ لأنه توصل إلى حل بسيط للمشكلة .

فى الليلة التالية التى تناولا فيها العشاء معاً ، وكانا مستعدين للعودة للمنزل ، اتجه جوتييه إلى حجرة النوم ؛ لكن نويل قالت له : " ليس الآن " .

فاستدار فى دهشة .

" قلت إنك تريد الإنصات لى ، وأنا أمثل دورى فى المسرحية " .

قال متلعثماً : " نعم ـ بالطبع ، بمجرد أن تستعدى للدور " .

" إننى مستعدة " .

هز رأسه بالنفى قائلاً : " لا أريدك أن تقرئيها يا عزيزتى ، بل أريد سماعها منك عندما تحفظين الدور ، لكى أحكم عليك كممثلة " .

" لقد حفظتها عن ظهر قلب " .

حدق إليها فى دهشة وعدم تصديق ، فمن المستحيل أن تحفظ دورها فى المسرحية فى غضون ثلاثة أيام .

قالت له : " هل أنت مستعد لسماعى ؟ "

لم يكن أمامه خيار فقال : " بالطبع . " ، ثم أشار لها لكى تقف فى منتصف الحجرة : " تلك ستكون خشبة المسرح ، وسنفترض أن المتفرجين هنا " ، ثم جلس على الأريكة الوثيرة .

بدأت نويل تلعب دورها ، وبدأت القشعريرة تسرى فى جسده ، لم تكن لديها أية خبرة ، فهى بعيدة جدًا عن ذلك المجال ، وانعدام خبرتها كان يبرز فى كل حركاتها وسكناتها ، لكن كان لديها ما هو أهم من المهارة : كان لديها موهبة طبيعية ، وأمانة نادرة فى حفظ الدور ، مما يعطى كل سطر معنى ولونًا متجددًا .

عندما انتهت نويل من سرد حوار البطلة لذاتها قال جوتييه بدفء : " أعتقد أنك يومًا ما ستكونين ممثلة من العيار الثقيل يا نويل ، وأنا لا أجاملك . سأرسلك لأفضل مدرب فى فن التمثيل ، وهو جورج فيبر وبالعمل معه سوف ... " .

" كلا " .

نظر إليها فى دهشة . كانت نفس نبرتها عندما قالت " كلا " فى نعومة ، بشكل إيجابى وقاطع .

قال جوتييه فى حيرة : " ما الذى ترفضينه ؟ فيبر لا يدرب إلا عظماء الممثلين ، وسيقبلك لأننى سأطلب منه ذلك " .

قالت نويل : " أنا أريد أن أعمل معك " .

شعر جوتييه بالغضب العارم يرتفع داخله ، فقال سريعاً : " أنا لا أدرب أحداً ، فأنا لست معلماً ، بل أنا مخرج للممثلين المحترفين . عندما تصبحين ممثلة محترفة سأخرج لك . " كان يقاوم إظهار الغضب فى صوته : " هل فهمت ؟ "

أومأت برأسها ، وقالت : " نعم يا أرمان "

" حسناً " .

بعد أن هدأ احتضن كلاهما الآخر ، عرف الآن أنه كان يقلق بلا داع ، فهى كأى امرأة تحتاج لمن يتحكم فيها ويسيطر عليها . لن تصدر مشاكل منها بعد الآن .

قال لها أثناء الليلة : " ستصبحين ممثلة رائعة يا نويل ، وسأفخر بك " . همست له قائلة : " شكراً لك يا أرمان . "

أعدت له الإفطار فى الصباح ، ثم غادر جوتييه المنزل للذهاب إلى المسرح . عندما حاول التحدث معها عبر الهاتف بالنهار ، لم ترد عليه الهاتف . وعندما وصل منزله ليلاً لم تكن هناك . انتظر عودتها ؛ ولكنها لم تظهر ، وظل مستيقظاً طوال الليل وهو يتساءل هل تعرضت لحادث أم ماذا حدث ؟ حاول أن يتحدث معها هاتفياً فى منزلها ، ولكن لم يتلق أى رد . أرسل إليها رسالة برقية ، لكنها عادت إليه لعدم الاستدلال على المرسل إليه ، وعندما جاء إلى الشقة الخاصة بها بعد بروفات المسرح لم يرد أحد على رنين جرس الباب .

فى الأسبوع التالى لذلك ، أصيب جوتييه بالجنون ، وانهارت البروفات ، وفشلت فشلاً ذريعاً ، وكان يصرخ فى كل الممثلين مما جعلهم يغضبون منه ، لدرجة أن مدير المسرح اقترح عليه الحصول على إجازة ، وقد وافق جوتييه . بعد مغادرة الممثلين جلس فى المسرح وحيدا وهو يحاول فهم ما حدث له . أخذ يخبر نفسه أن نويل مجرد امرأة شقراء رخيصة ، وطموح ، لها قلب بائعة فى محل ، وأرادت أن تكون نجمة . ظل يبخس من قدرها ، وينعتها بما ليس فيها بكل الطرق ؛ لكنه فى النهاية عرف أنه لا فائدة من ذلك . كان عليه أن يستحوذ عليها مرة أخرى . فى تلك الليلة تجول عبر شوارع باريس ، وهو يحتسى الشراب فى أحد البارات الصغيرة ، حيث لن يتعرف عليه أحد . حاول التفكير فى عدة طرق للوصول إلى نويل ؛ ولكن لم تكن هناك فائدة ترجى من أى طريقة . لم يكن هناك من يمكنه التحدث معه عنها ، عدا فيليب سوريل ، وبالطبع لن يفعل ذلك مطلقاً .

بعد مرور أسبوع على اختفاء نويل عاد أرمان جوتييه إلى منزله فى الرابعة صباحاً ، وهو ثمل ، وفتح الباب ودلف إلى حجرة المعيشة ، وكانت كل الأنوار مضاءة ، ونويل نائمة فى استرخاء على مقعد وثير ، وهى ترتدى روب جوتييه ، وتقرأ كتاباً . نظرت إليه وهو يدخل ، وقالت وهى مبتسمة :

" أهلا يا أرمان "

حدق جوتييه إليها ، وشعر برجفة فى قلبه ، وشعر بالارتياح البالغ والسعادة يغمرانه ، وقال :

" سنبدأ العمل معاً غداً " .

كاثرين

واشنطن ١٩٤٠

٥

كانت واشنطن من أكثر المدن المثيرة التى رأتها كاثرين ، كانت تعتقد أن شيكاغو هى قلب أمريكا ، ولكن واشنطن كانت بالنسبة لها مفاجأة مذهلة غيرت مفاهيمها ، فهنا قلب أمريكا الحقيقى النابض بالقوة . فى البداية كانت كاثرين تشعر بالحيرة من تعدد الرجال ذوى الحلل العسكرية المختلفة عبر الشوارع من الجيش والبحرية والمارينز ، ولأول مرة شعرت كاثرين بالاحتمال الكئيب بوقوع حرب وشيكة ، لم تكن إشاعة ، بل حقيقة .

كان الوجود المادى للحرب الوشيكة فى كل مكان فى واشنطن . إنها المدينة التى ستبدأ منها الحرب إذا وقعت . سيتم هنا إعلان الحرب ، وتعبئة الجنود ، والتخطيط للحرب . كانت تلك المدينة تحمل بداخلها مصير العالم ، وكاثرين ستكون جزءاً من هذه الخطة .

انتقلت كاثرين للإقامة مع سوزى روبرتس ، التى كانت تعيش فى شقة مبهجة ومتواضعة فى الدور الرابع ، ولم يكن بالعمارة مصعد ،

وكانت بالشقة حجرة معيشة متوسطة المساحة ، وبها حجرتان متجاورتان صغيرتان ، وفيها حمام ، ومطبخ صغيران بمساحات ضيقة . سُرّت سوزى لرؤيتها ، وكانت أولى كلماتها لها :

" أسرعى بإفراغ حقائبك ، وكَوِى أفضل فستان لديك ، فلدينا موعد على العشاء الليلة " .

تعجبت كاثرين قائلة : " لماذا العجلة ؟ "

" كاثى ، فى واشنطن يحتفظ الفتيان بالدفاتر لتدوين أسماء الفتيات ؛ وليس العكس ؛ لأن المدينة مليئة بالرجال الفرادى ، الذين يشعرون بالوحدة ، وهذا يدعو إلى الرثاء " .

فى فندق ويلارد ، كان رفيق سوزى عضواً فى البرلمان من ولاية أنديانا ، ورفيق كاثرين فى مجلس الشورى من مدينة أورجون ، وكلاهما فى واشنطن غير متزوجين . بعد العشاء رقصوا معاً فى نادى واشنطن الريفى . تمنت كاثرين لو أن رفيقها وجد لها وظيفة ؛ ولكنه عرض عليها شقة وسيارة مقابل أن تصبح عشيقته ؛ لكنها رفضت وشكرته .

عادت سوزى برفيقها إلى المنزل ، وذهبت كاثرين للنوم ، لكن بعد قليل سمعتهما يذهبان لغرفة نوم سوزى . فى الصباح استيقظت كاثرين ، وتناولت طعام الإفطار ، وكانت سوزى مستيقظة قبلها ، وتبدو عليها أمارات المرح والرضا ، ومستعدة للذهاب لعملها . بدأت كاثرين تبحث فى صديقتها عن آثار العنف والعربدة التى سمعتها لكنها لم تجدها . بل على العكس كانت تبدو أكثر إشراقاً ، وجلدها بدون أى كدمات أو علامات . فكرت كاثرين : " ياه يبدو أنها مثل دوريان جراى ذات الشباب الدائم ! فى يوم ما ستظل محتفظة بجمالها ، وسأبدو أننى عجوز ذات ١١٠ أعوام ! "

بعد عدة أيام قالت لها سوزى أثناء تناول الإفطار : " سمعت أنه يوجد وظيفة شاغرة قد تهمك . إحدى الفتيات فى الحفل قالت إنها

ستترك الوظيفة ؛ لكى تعود إلى ولاية تكساس ، لا أعلم لماذا من يغادر تلك الولاية يريد العودة إليها . "

" أذكر ذات مرة ... "

قاطعتها كاثرين قائلة : " أين مكان عملها ؟ "

" مَن ؟ "

قالت كاثرين بصبر : " الفتاة " .

" إنها تعمل لدى نيل فريزر ، المسئول عن العلاقات العامة فى وزارة الداخلية . مجلة نيويورك كتبت عنه مقالاً صحفيًا الشهر الماضى . إنها لوظيفة مريحة جدًا ، ولقد سمعت عنها بالأمس فقط ، إذا ذهبت إلى هناك الآن سوف تهزمين المنافسات على الوظيفة " .

قالت لها كاثرين بامتنان : " شكراً لك . أنا آتية يا ويليام فريزر " .

بعد ٢٠ دقيقة كانت فى طريقها لوزارة الداخلية . عندما وصلت أخبرها حارس المبنى بموقع مكتب فريزر ، واستقلت المصعد إلى الطابق العلوى . فكرت كاثرين : " العلاقات العامة ، إنه نوع الوظائف الذى أبحث عنه " .

وقفت كاثرين فى الردهة خارج المكتب ، ثم أخرجت المرآة من الحقيبة للتحقق من زينتها ، وتأكدت أنها على ما يرام . لم تبلغ الساعة التاسعة والنصف بعد ، ولديها الملعب كله لها وحدها . فتحت الباب ودلفت إلى المكتب .

كان المكتب مليئاً بالفتيات الواقفات ، والجالسات ، والمستندات على الحائط . كانت موظفة الاستقبال فى قمة الغضب ، وهى جالسة خلف مكتبها القديم الذى هجمت عليه الفتيات ، وهى تحاول دون جدوى فرض النظام فى المكان : " السيد فريزر مشغول الآن " أخذت تكرر : " لا أعلم متى سيكون بإمكانه رؤيتكن " .

قالت إحداهن بغضب : " هل سيجرى مقابلة مع السكرتيرات أم لا ؟ " .

نظرت حولها إلى الجماهير الغفيرة ، وقالت : " نعم لكن ... يا إلهى ! يا للسخف ! " .

انفتح الباب ، ودلفت ثلاث فتيات ، ودفعن كاثرين إلى الجانب أثناء دخولهن مسرعات .

قالت إحداهن : " هل الوظيفة مازالت شاغرة ؟ " .

قالت الأخرى : " ربما يريد نساء لجناح الحريم ، وبالتالى نظل جميعاً هنا " .

انفتح المكتب وخرج الرجل . كان طوله أقل قليلاً من ست أقدام ، ولديه بنية جسدية ليست رشيقة ، وليست بدينة لشخص غير رياضى ؛ لكنه يمارس الرياضة ثلاث مرات أسبوعياً فى النادى الصحى . كان شعره أصفر ومتجعداً ، وكانت عيناه زرقاوين ، وفك أسنانه مستطيلاً . قال الرجل : " ما الذى يحدث هنا بحق الجحيم يا سالى ؟ " كان صوته عميقاً وسلطوياً .

" لقد سمعت هؤلاء الفتيات عن الوظيفة الشاغرة يا سيد فريزر " .

" يا إلهى ، لم أسمع عنها أنا نفسى إلا منذ ساعة " مسح بعينيه أرجاء الحجرة ، وقال : " إنها تشبه الغابة " عندما وقعت عيناه على كاثرين وقفت معتدلة وابتسمت له ، وكأنها واثقة من أنها ستكون أفضل سكرتيرة ، اتجهت عيناه إلى موظفة الاستقبال ، وقال : " أحتاج لنسخة من جريدة لايف ، وهى نسخة ظهرت منذ ثلاثة أو أربعة أسابيع ، وعلى غلافها صورة للزعيم الاشتراكى ستالين " .

قالت موظفة الاستقبال : " سأطلبها لك يا سيدى "

" أريدها الآن ! " ثم عاد إلى مكتبه .

قالت موظفة الاستقبال : " سأتصل بمكتب هذه المجلة ، وسأرى هل يمكنهم العثور على نسخة لنا أم لا " .

وقف فريزر على الباب ، وقال : " سالى ، معى السيناتور بورا على الهاتف ، وأريد أن أقرأ له فقرة من هذا العدد من المجلة ، ولديك دقيقتان لإيجاد نسخة منها لى " وعاد لمكتبه ، وأغلق الباب .

نظرت الفتيات لبعضهن البعض ، ولم تكترث إحداهن . أما كاثرين ففكرت بعمق ، ثم خرجت مسرعة من المكتب .

قالت إحدى الفتيات : " رائع ، انسحبت واحدة " .

التقطت الموظفة سماعة الهاتف ، واتصلت بالاستعلامات : " أريد رقم مكتب مجلة لايف " ثم ساد الهدوء فى الحجرة . بينما تراقبها الفتيات : " شكراً لك " . ثم وضعت السماعة ، واتصلت بعد أن رفعتها مرة أخرى وقالت : " أهلاً ، هنا مكتب السيد فريزر ، وهو بحاجة إلى نسخة قديمة من مجلتكم فى الحال ، والتى على غلافها صورة ستالين .. أنتم لا تحتفظون بالأعداد السابقة ؛ لمن أتحدث ؟ ... فهمت شكراً " ثم وضعت السماعة .

قالت إحدى الفتيات لها : " حظاً سعيداً يا عزيزتى "

قالت إحداهن : " ربما يعينون الجميلات فقط هنا ، أليس كذلك ؟ إذا أراد هذا الرجل المبيت عندى الليلة فسأقرأ له تلك المجلة ! " ضحكت جميع الحاضرات .

جاء صوت الهاتف الداخلى ، فضغطت الموظفة على الزر : " انتهت مهلة الدقيقتين ، أين المجلة ؟ " .

سحبت الموظفة نفساً عميقاً ، وقالت : " تحدثت إلى مكتب المجلة ، وقالوا لى من المستحيل أن ... " .

فتحت كاثرين الباب ، وأسرعت بالدخول ، وكان فى يدها نسخة المجلة التى على غلافها ستالين ، ثم اندفعت وسط الزحام ، ودفعت بالمجلة فى يد الموظفة التى حدقت إليها ، وهى غير مصدقة ، وقالت : " لدىّ نسخة هنا يا سيد فريزر سأحضر لك حالاً . " ثم قامت ، وابتسمت لكاثرين تعبيراً عن امتنانها ، وأسرعت للمكتب

الداخلى . نظرت كل الفتيات إلى كاثرين بغيظ ، والحسد يأكل قلوبهن .

بعد دقيقتين انفتح باب المكتب ، وظهر منه فريزر ، والموظفة التى أشارت إلى كاثرين ، وقالت : " تلك هى الفتاة " .

ألقى فريزر نظرة فاحصة على كاثرين ، وقال : " هلا دخلت من فضلك ؟ " .

" نعم يا سيدى " ثم تبعته إلى المكتب ، وهى تشعر بنظرات الفتيات تكاد تخترقها . أغلق فريزر الباب .

كان المكتب يبدو بيروقراطياً معتاداً فى بنايات واشنطن ، لكنه به ديكورات ذات طراز جميل ، ينم عن الذوق الشخصى فى الأثاث والفن .

" اجلسى يا آنسة .. "

" كاثرين ألكساندر . "

" أخبرتنى سالى أنك أحضرت المجلة . "

" نعم يا سيدى . "

" بالطبع لن أفترض أن المجلة كانت فى حقيبتك منذ ثلاثة أسابيع بالصدفة "

" كلا يا سيدى . "

" كيف وجدتها سريعاً ؟ "

" ذهبت للحلاق ، ولأن الحلاقين وأطباء الأسنان لديهم مجلات قديمة للقراءة أثناء الانتظار . "

ابتسم فريزر ، وبدا وجهه المجعد أقل رعباً : " فهمت ، لم تكن تلك الفكرة لتخطر على بالى ، هل أنت ذكية فى كل شىء ؟ "

فكرت كاثرين فى رون بيترسون ، وقالت : " كلا ياسيدى . "

" هل تريدين العمل كسكرتيرة ؟ "

" ليس بالضبط " ، ثم رأت الدهشة بادية على وجهه ، فأردفت قائلة بسرعة : " ولكنى سأقبل الوظيفة ، فما أريده هو أن أكون مساعدة شخصية لك " .

قال بفظاظة : " لماذا لا تبدئين كسكرتيرة اليوم ؟ يمكنك غداً أن تصبحى مساعدة لى " .

نظرت إليه بأمل ، وقالت : " هل تعنى أننى حصلت على الوظيفة ؟ "

" ستكونين تحت الاختبار والتدريب " ، ثم ضغط على زر الاتصال الداخلى ، ومال إلى الصندوق الآلى ، وقال : " سالى ، اشكرى الآنسات وقولى لهن إن الوظيفة لم تعد شاغرة " .

" حسناً يا سيد فريزر " .

ثم ترك الزر ، وقال : " هل يكفيك ثلاثون دولاراً كل أسبوع ؟ "

" نعم ، شكراً يا سيد فريزر . "

" يمكنك البدء من صباح الغد من التاسعة صباحاً . اجعلى سالى تعطيك استمارة عاملين ؛ لكى تملئيها " .

عندما غادرت كاثرين المكتب ذهبت لجريدة واشنطن بوست ، فأوقفها رجل الأمن فى بهو الاستقبال .

قالت بثقة : " أنا السكرتيرة الخاصة لـ " ويليام فريزر " من وزارة الداخلية ، وأريد بعض المعلومات من الأرشيف الخاص بكم " .

" أى نوع من المعلومات ؟ "

" عن ويليام فريزر . "

تفرس الرجل فى وجهها لبرهة ، ثم قال : " هذا أغرب طلب سمعته هذا الأسبوع . هل رئيسك يتحرش بك ، أو ما شابه ذلك ؟ "

قالت مهدئة من روعه : " كلا ، فأنا أخطط لكتابة بحث عنه " .

بعد خمس دقائق جاء أحد الموظفين لكى يصطحبها إلى الأرشيف وسحب ملفاً عن ويليام فريزر وبدأت كاثرين تقرأه .

بعد ساعة أصبحت كاثرين خبيرة فى كل ما يتعلق بـ " ويليام فريزر " وعلمت كل شىء عنه . عمره ٤٥ عاماً ولقد تخرج فى جامعة برينستون مع مرتبة الشرف وأسس وكالة إعلانية تسمى " فريزر وشركاه " التى أصبحت من أنجح الوكالات الإعلانية فى سوق العمل ، وقد طلب إجازة منذ عام بطلب من رئيس الجمهورية للعمل لدى الحكومة ، وتزوج سيدة ثرية تدعى ليديا كامبيون ثم وقع الطلاق منذ أربعة أعوام ولم ينتج عن هذه الزيجة أولاد . كان فريزر مليونيراً وله منزل فى جورج تاون ومنزل صيفى فى بارهاربور فى مدينة ماين . كانت هواياته ممارسة لعبة التنس والتجديف والبولو . وكان العديد من مقالات الأخبار تصفه كأشهر عازب يصلح للزواج فى أمريكا .

عندما وصلت كاثرين إلى المنزل وأخبرت سوزى بالأنباء السارة ، أصرت سوزى على الخروج للاحتفال ، بصحبة فتيان من العساكر الأغنياء من مدينة " أنابوليس " .

كان الفتى رفيق كاثرين مهذباً ومرحاً لكنها ظلت تقارنه فى ذهنها بـ " ويليام فريزر " ، وبالتالى بدأ الفتى مملاً وثقيل الظل . تساءلت كاثرين هل ستقع فى حب رئيسها الجديد أم لا . لم تكن تشعر بأى ارتعاش كفتاة وهى معه ولكن كانت تظهر أنه يعجبها وتكن له كل الاحترام والتقدير . ثم قررت أن ارتعاش الفتاة عندما تكون بصحبة رجل مثله لا يوجد سوى فى الروايات الإباحية الفرنسية .

قام الفتيان باصطحاب الفتاتين إلى مطعم إيطالى صغير فى ضواحى واشنطن وتناولوا عشاءً فاخراً وشاهدوا فيلماً فى السينما استمتعت به كاثرين للغاية . فى نهاية الليلة قام الفتيان بتوصيلهما إلى المنزل وسوزى دعتهما لقضاء الليلة والمبيت ، لكن عندما أدركت كاثرين عزمهما على

المبيت اعتذرت عن عدم استكمال السهر معللة بأنها تريد الذهاب للنوم .

لكن اعترض رفيقها قائلاً : " لم نبدأ السهرة بعد " .

وجذبها من ذراعها قائلاً بجدية : " قد تقع الحرب قريباً ، ولن ترسلى رجلاً إلى الحرب بتلك الحالة الشديدة من الشوق ، أليس كذلك ؟ " .

قاومت بصعوبة إظهار شعورها بالغضب ، وقالت دون إظهار لأى مشاعر : " فكرت كثيراً ، وقررت أننى سأرافق الجرحى بعد الحرب " ثم استدارت ، وذهبت إلى حجرة نومها ، وأغلقت الباب بالمفتاح . ولكنها أصيبت بالأرق ، فلقد ظلت مستلقية على الفراش تفكر فى ويليام فريزر ، وفى عملها الجديد .

وصلت كاثرين فى الساعة الثامنة والنصف إلى مكتبها الجديد . كان الباب مفتوحاً ، والضوء مضاءً فى مكتب الاستقبال . من المكتب الداخلى سمعت صوت ويليام فريزر ، فدخلت إليه .

كان جالساً على مكتبه يملى الآلة الصوتية ليسجل البيانات ، ونظر إلى كاثرين وهى تدخل ، فأغلق الآلة ، وقال لها : " لقد حضرت مبكراً " .

" أحب استكشاف واستطلاع المكان قبل أن أبدأ العمل . "

قال بلهجة تنم عن أنه يخفى شيئاً : " اجلسى ! "

وبدا عليه الغضب ، فجلست كاثرين فقال لها : " أنا أكره المتطفلين يا آنسة ! "

احمرَّ وجهها ، وقالت : " لا أفهم ما مقصدك . "

" واشنطن مدينة ، بل قرية صغيرة ، ولا شىء يحدث فيها إلا ويعرفه الجميع فى غضون خمس دقائق " .

" مازلت لا أفهم .. "

" رئيس تحرير المجلة اتصل بى بعد دقيقتين من وصولك له ؛ لكى يسألنى لماذا تود سكرتيرتى عمل بحث عنى . "

جلست كاثرين وهى تشعر بالخجل والذهول ، ولم تحر جواباً .

" هل عرفت كل النميمة التى أردت معرفتها ؟ "

شعرت أن إحراجها يتحول سريعاً إلى غضب : " لم أكن أتطفل " ثم قامت ، وأردفت قائلة : " السبب الوحيد لطلبى لتلك المعلومات عنك هو أننى أريد معرفة نوع الرجل الذى أعمل معه " كان صوتها يتهدج من الغضب وأضافت : " أعتقد أن السكرتيرة الماهرة يجب أن تتكيف مع رئيسها ، وأردت أن أعرف من الذى سأتكيف معه " .

جلس فريزر بلا حراك وعلى وجهه أمارات المقت والازدراء . حدقت كاثرين إليه فى مقت هى الأخرى ، وكانت على وشك البكاء : " لا تقلق بعد الآن يا سيد فريزر ، فأنا مستقيلة " ثم استدارت وسارت نحو باب الخروج .

قال لها بصوت أجش وفظ " اجلسى ! " فاستدارت كاثرين فى ذهول ، فأردف قائلاً : " لا أطيق من تظن نفسها أهم امرأة فى العالم " .

نظرت إليه فى غضب : " أنا لست ... "

" حسناً حسناً أنا آسف . هلا جلست الآن من فضلك ؟ " ثم التقط الغليون من مكتبه وأشعله .

وقفت كاثرين ولم تدر ماذا تفعل ، وكانت تشعر بالإهانة : " أعتقد أن الأمر غير مُجد وأنا ... " .

دخن الغليون ، وأطفأ عود الكبريت ، وقال : " بالطبع فإن الأمر مُجدٍ يا كاثرين " ثم قال بعقلانية : " لا يمكنك ترك العمل الآن ، لاحظى مشقة العثور على فتاة جديدة " .

نظرت كاثرين إليه ، ورأت لمعان عينيه الزرقاوين ، وابتسم ، فوجدت رغماً عنها أن شفتيها تنفرجان عن ابتسامة صغيرة ، ثم جلست على المقعد .

" هذا أفضل ، هل أخبرك أحدهم من قبل أنك حساسة ؟ "

" أعتقد ذلك . أعتذر . "

رجع إلى الخلف فى المقعد وقال : " ربما أنا حساس أكثر من اللازم ، إنها شوكة فى ظهرى أن يطلقوا علىّ أكثر عازب فى أمريكا يصلح للزواج " .

تمنت كاثرين لو لم يستخدم مثل هذه الكلمات

ربما كان هو على حق ، ربما اهتمامها به ينبع من العقل الباطن ، وليس بشكل غير شخصى كما ظنت ... .

" أنا هدف لكل عانس حمقاء ، لن تصدقينى لو أخبرتك بمدى عدوانية بعض النساء . "

بل ستصدقه ، وتذكرت رسالتها إلى رون بيترسون : " جرب عاملة الخزينة " ، واحمرّ وجهها عندما تذكرت ذلك .

تنهد فريزر قائلاً : " الأمر حولنى من إنسان إلى ملاك تسعى نحوه النساء . بما أنه يوم الأبحاث العالمى فأخبرينى ، هل لديك صديق ؟ "

قالت : " كلا " ، ثم أردفت سريعاً : " لا يوجد شخص له خصوصية فى حياتى . " نظر إليها فى حيرة ، وقال : " أين تسكنين ؟ "

" مقيمة فى شقة مع زميلة من أيام الجامعة "

" من جامعة نورث ويسترن ؟ "

نظرت إليه فى دهشة ، ثم أدركت أنه لابد أنه قرأ استمارة العاملين التى كتبتها .

" نعم يا سيدى . "

" سأخبرك بشىء عنى لم تجديه فى أرشيف المجلة . أنا رجل صعب المراس ، ومن الصعب إرضائى . أنا عادل مع الموظفين ؛ لكنى أسعى إلى الكمال دائماً . هل يمكنك التكيف مع ذلك ؟ "

" سأحاول . "

" جيد ، سالى ستعرفك على روتين العمل ، وأهم شىء يجب أن تعرفيه أننى أحتسى الكثير من أقداح القهوة الساخنة بدون لبن " .

" سأتذكر ذلك " . ثم قامت واتجهت نحو الباب

" كاثرين ، لحظة من فضلك "

" نعم يا سيدى "

" عندما تعودين للمنزل الليلة تمرنى على قول الألفاظ النابية أمام المرآة ، لأننى سأصاب بالجنون والغضب كلما رأيتك تنظرين لى بفزع كلما نطقت لفظًا قبيحًا " .

كانت كلماته تشعرها وكأنها طفلة صغيرة .

قالت له ببرود : " حسناً يا سيدى " وخرجت مسرعة ، وأغلقت الباب بعنف .

لم يكن هذا اللقاء كما توقعت كاثرين . لم تعد معجبة به ، وظنت أنه شخص مغرور وقيادى . لا عجب فى أن زوجته طلبت منه الطلاق . لقد حصلت على عمل ، ولكنها قررت البحث عن عمل آخر مع إنسان عادى وليس طاغية مثله .

عندما انصرفت كاثرين اتكأ على المقعد وابتسم ، وتساءل : " هل لازال هناك فتيات صغيرات جميلات ، وفى نفس الوقت يتسمن بالجدية والإخلاص فى العمل ؟ " كانت عيناها تلمعان من الغضب وشفتاها ترتعشان ، وبدت بلا دفاع أمام فريزر لدرجة أنه أراد احتضانها بين ذراعيه لحمايتها . اعترف بذلك لنفسه على غير رغبة منه ، وشعر بالحزن . كانت تتمتع بصفة جذابة تشع منها ، وكان قد نسى أنها من سمات الفتيات . كانت جميلة ، وتشع جاذبية ، ولها

عقلية خاصة . ستكون أجمل وأفضل سكرتيرة فى حياته . فى أعماقه أحس أنها ستكون أكثر من مجرد موظفة له ، لكنه لم يكن متأكداً بعد . لقد مر بتجارب فاشلة كثيرة مع النساء ، لدرجة أنه يسيطر على انفعالاته بجهاز إنذار كلما تطرقت إليه امرأة ، وكانت تلك اللحظات نادرة . انطفأ الغليون ، فأشعله مرة أخرى ، وكان مازال مبتسماً . لاحقاً استدعاها للإملاء ، وكانت كاثرين مهذبة ولكن ببرود ، وانتظرت منه أن يقول أى تعليق شخصى لكى تظهر له جفاءها ؛ ولكنه كان يعاملها معاملة رسمية ولم يظهر أى جانب شخصى . اعتقدت كاثرين أنه مسح الموقف من ذاكرته تماماً . يا له من رجل عديم الإحساس !

رغماً عنها وجدت كاثرين عملها مثيراً وممتعاً . كان الهاتف لا يتوقف عن الرنين ، وأسماء المتصلين كانت تملؤها بالإثارة . فى أول أسبوع عمل لها اتصل نائب رئيس الجمهورية مرتين وحوالى ستة أعضاء من مجلس الشيوخ (السناتور) ، ووزير الخارجية ، وممثلة شهيرة تريد الدعاية والترويج لفيلمها الجديد . وأكثر إثارة حدثت نهاية الأسبوع عندما كان معها على الهاتف الرئيس الأمريكى " روزفلت " ، وكانت كاثرين متوترة جدًّا لدرجة أنها أسقطت سماعة الهاتف ، وأغلقت الخط فى وجه سكرتيرته .

علاوة على المكالمات الهاتفية ، كان فريزر يعقد اجتماعات ومواعيد كثيرة فى مكتبه ، أو فى النادى ، أو فى أفخم وأشهر المطاعم . بعد مرور الأسابيع الأولى جعلها تنظم مواعيده ، وتحجز له فى الأماكن الفخمة . ثم بدأت تعرف من يرغب فى رؤيتهم ، ومن يريد تجنبهم . كان العمل يستنفد كل نشاطها ، ونسيت بنهاية الشهر فكرة البحث عن عمل آخر .

لا تزال علاقتها به علاقة عمل غير شخصية ؛ ولكنها بدأت تتعرف عليه أكثر ، وبالتالى أدركت أن ابتعاده عن الآخرين ليس دليلاً على أنه غير ودود ، بل كان نوعاً من الكرامة ، وحائطاً من التحفظ بمثابة درع

واقية من كل الناس . كانت تشعر أنه رجل يشعر بالوحدة ، وكان عمله يستدعى كونه اجتماعياً ، لكن طبيعته هى العزلة . وشعرت أنه ليس نوع الرجال المناسب لها . وهذا يسرى على معظم رجال أمريكا .

ظلت تواعد الفتيان مع سوزى من حين لآخر ، ولكنها وجدت أن معظم رفقائها رياضيون ومتزوجون ، وكانت تفضل الذهاب للمسرح أو السينما بمفردها ، وقد شاهدت جرترود لورنس والممثل الجديد الذى يدعى دانى كاى فى فيلم " سيدة فى الظلام " و " حياتى مع أبى " ، وفى فيلم " أليس والسلاح " مع الممثل الشاب كيرك دوجلاس . أعجبها جداً فيلم " كيتى نويل " للممثلة جنجر روجرز لأنه يذكرها بنفسها .

فى إحدى الليالى عندما كانت تشاهد مسرحية هاملت شاهدت فريزر فى المقصورة بصحبة فتاة جميلة ترتدى فستان سهرة أبيض غالياً ، وأنيقاً رأته كاثرين من قبل فى فيلم " فوجيو " ؛ ولكنها لم تعرف من هذه الفتاة . كان فريزر هو من يقوم بالمواعدة بدون اللجوء للسكرتيرة ، ولم تكن تعرف إلى أين يذهب أو مع من . رآها فريزر وسط القاعة ، وفى الصباح لم يذكر لها ذلك إلا بعد انتهائه من إملائها بعض الخطابات .

بادرها بالسؤال قائلاً : " هل أعجبتك مسرحية هاملت ؟ "

" النص هو ما يجعل العرض ناجحاً ، فأنا أهتم بالتمثيل والأداء " .

قال لها : " لكن الممثلين أعجبونى ، وبالذات من أدت دور أوفيليا " .

أومأت برأسها ، وتأهبت للانصراف .

أصر على استكمال الحوار ، فقال : " ألم تعجبك أوفيليا ؟ "

قالت بحرص : " إذا أردت رأيى الصريح ، لقد أخفقت للغاية . "

ثم استدارت خارجة من مكتبه .

عندما وصلت للمنزل ليلاً كانت سوزى فى انتظارها ، وقالت : " جاءك زائر "

" من ؟ "

" رجل من مكتب المباحث الفيدرالية ، يريد التحقيق معك " .

فكرت كاثرين فى نفسها : " يا إلهى ! لقد علموا أننى مازلت عذراء ، لابد أنه يوجد قانون ضد هذا فى واشنطن " ثم قالت بصوت عال : " لماذا تريد المباحث الفيدرالية التحقيق معى ؟ "

" لأنك تعملين فى جهة حكومية الآن " .

" آه ! "

" كيف حال السيد فريزر ؟ "

" بخير . "

" هل تظنين أنه سيعجب بى ؟ "

تأملت صديقتها الطويلة النحيلة السمراء ، وقالت لها : " لا أظن ذلك " .

بمرور الأسابيع تعرفت كاثرين أكثر على السكرتيرات فى المكاتب المجاورة . كانت معظمهن على علاقة غرامية برؤسائهن ، ولم تهتم كل منهن إذا كان رئيسها متزوجاً أم لا ، وكن يحقدن على كاثرين لأنها تعمل لدى ويليام فريزر .

قالت إحداهن لـ " كاثرين " : " ما أخبار رئيسك الوسيم ؟ هل عرض عليك إقامة علاقة معه أم لا ؟ "

قالت كاثرين ، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الجدية : " إنه لا يهتم بتلك الأمور " .

" ما رأيك فى رئيسك حقاً يا كاثرين ؟ "

" من النوع الذى يمكن مقاومته " . كانت تعلم أنها تكذب ، فلقد رقت مشاعرها نحوه منذ آخر مشاجرة تمت بينهما . كان قد أخبرها بالحقيقة عندما قال لها إنه ينشد الكمال فى كل شىء . كلما أخطأت كان يوبخها ، لكنها علمت أنه منصف ، ويتفهم كل موقف . كانت تراه وهو يستقطع جزءاً من وقته لمساعدة الآخرين بدلاً من حل مشاكله ، وكان من هؤلاء الناس من ليس بإمكانهم رد الجميل ، وتقديم

خدمات فى المقابل ، وكان يرتب للأمر بحيث لا يعطيه أحد أى مقابل ، ولا يمدحه أحد . نعم ، فهى معجبة به جدًا ؛ ولكن هذا الأمر لا يخص أحدًا سواها .

ذات مرة تراكم عليها كم كبير من العمل ، ولم تتمكن من إنجازه ، فعرض عليها تناول العشاء فى منزله للسهر على إتمام العمل . كانت سيارته الليموزين بسائقها فى انتظارهما أمام المبنى ، وشاهدتها عدة سكرتيرات خارجات من المبنى ، وهى تركب فى المقعد الخلفى للسيارة ويجلس بجوارها فريزر ، ثم انطلقت السيارة عبر زحام المرور وقت العصر .

قالت كاثرين : " سألوث سمعتك . "

ضحك قائلاً : " دعينى أسدى لك نصيحة ، إذا أردت إقامة علاقة غرامية مع شخص مشهور ، فافعلى ذلك على الملأ ، وفى الهواء الطلق . "

" وماذا لو أصبت بالبرد ؟ "

ابتسم قائلاً : " أعنى اصطحبى عشيقك إلى الأماكن العامة والمطاعم الشهيرة والمسارح " .

قالت ببراءة : " ومسرحيات شكسبير ؟ "

تجاهل فريزر تلك العبارة وقال : " الناس تبحث دائماً عن الدوافع المنحرفة ، وسيقولون إنه يصطحب فلانة فى الأماكن العامة ؛ ولكن ياترى من التى يواعدها سراً ؟ فالناس لا تصدق المظاهر " .

" إنها نظرية مثيرة . "

" كتب " إدجار آلان بو " قصة قصيرة عن خداع الناس بالمظاهر ، ولكنى لا أذكر اسمها الآن " .

قالت كاثرين : " بل المؤلف هو آرثر كانون دويل " والقصة اسمها " الخطاب المسروق " . ولقد ندمت كاثرين لأنها قالت ذلك ، فالرجال

لا يحبون الفتيات الذكيات . ولكن ما أهمية ذلك فهى ليست رفيقته ، بل مجرد سكرتيرة .

ساد الصمت باقى الطريق إلى المنزل .

كان منزله فى مدينة جورج تاون ، وكأنه منزل الأحلام ؛ مبنى من أربعة طوابق على طراز الملك جورج الإنجليزى ، وعمره مائتا عام . فتح الباب رئيس الخدم الذى كان يرتدى جاكيت أبيض . قال فريزر : " فرانك ، أقدم لك كاثرين ألكساندر " .

قالت كاثرين : " أهلاً يا فرانك ، لقد تحدثت معك عبر الهاتف من قبل " .

" نعم يا سيدتى ، سُررت لمقابلتك " .

نظرت كاثرين لقاعة الاستقبال ، وكان بها سلم قديم وجميل يؤدى إلى الطابق الثانى ، وقد تم تلميع خشب البلوط الخاص بالسلم لدرجة اللمعان ، وكانت الأرضية من الرخام ، وتوجد نجفة كبيرة مبهرة فى السقف .

تفرس فريزر فى وجهها ، وقال : " هل أعجبك منزلى ؟ "

" للغاية ! "

ابتسم ، وتساءلت إذا ما كانت قد بدت متحمسة أكثر من اللازم كفتاة مبهورة بثروته مثل اللائى يطاردنه بكل عنف ، فقالت بإحراج : " إنه .. رائع " .

نظر إليها نظرة سخرية وشعرت كاثرين بشعور رهيب بأنه قد قرأ أفكارها ، لكنه قال : " لندخل إلى المكتب . "

تبعته كاثرين إلى حجرة كبيرة مليئة بالكتب على الأرفف والحوائط من الخشب الأسود اللامع . كانت تبدو وكأنها حجرة من الزمن الماضى ، من عصر به أسلوب الحياة أسهل وأزهى وأجمل .

حدق فريزر إليها ، وقال بجدية : " حسناً ؟ "

لم تكن تريد أن يضبطها متلبسة بشرود الذهن مرة أخرى ، فقالت : " إنها أصغر من مكتبة الكونجرس الأمريكى "

ضحك بقهقهة ، وقال : " عندك حق " .

جاء فرانك إلى الحجرة حاملاً دلواً معدنياً مليئاً بالثلج ، ووضعه على الطاولة فى ركن من أركان الحجرة ، وقال : " فى أى وقت تريد العشاء يا سيد فريزر ؟ "

" فى السابعة والنصف " .

" سأخبر الطاهى " ، ثم غادر الحجرة .

قال فريزر : " هل احتسيت شراباً ؟ "

" كلا ، شكراً . "

نظر إليها ، وقال : " لماذا ؟ "

" لا أشرب أثناء العمل ، وإلا فلن أتمكن من الكتابة على الآلة الكاتبة ، وأخلط ما بين الحروف " P " و " O " .

" تقصدين حرفى " P " و " Q " "

" بل حرفى " O " و " P " فهما متجاوران فى الآلة الكاتبة . "

" لم أكن أعلم ذلك . "

" من المفترض ألا تعرف ، وهذا سبب المرتب الضخم الذى تدفعه لى كل أسبوع "

" كم أدفع لك ؟ "

" ٣٠ دولاراً أسبوعياً وعشاء فى أجمل منزل فى واشنطن . "

" هل أنت متأكدة من أنك لن تغيرى رأيك بشأن تناول مشروب ما ؟ "

" نعم ، لا أريد ، شكراً . "

بدأ يشرب ، وألقت هى نظرة فاحصة على الكتب . كانت كلها كتبًا ذات عناوين لأشهر الكلاسيكيات ، علاوة على قسم للكتب الإيطالية والعربية .

قالت كاثرين : " هل تتقن اللغتين الإيطالية والعربية ؟ "

" نعم ، فلقد عشت فى الشرق الأوسط لبضعة أعوام ، وتعلمت العربية . "

" وماذا عن الإيطالية ؟ "

" كنت على علاقة بممثلة إيطالية لفترة ما من حياتى . "

احمرّ وجهها خجلاً ، وقالت : " أنا آسفة لم أقصد التطفل . "

نظر إليها فى متعة ، وشعرت وكأنها طفلة فى المدرسة . لم تكن متأكدة هل هى تكره فريزر أم تحبه . لكنها كانت متأكدة من شىء واحد ، إنه من ألطف الرجال الذين عرفتهم .

كان العشاء أكثر من رائع ، كانت كل الأصناف فرنسية ، وبها أنواع فاخرة من الصلصات ، وكانت الحلوى آيس كريم بالكريز . لا عجب فى أن فريزر يتدرب فى النادى ثلاث مرات أسبوعياً .

قال لها : " ما رأيك فى الطعام ؟ "

قالت مبتسمة : " أفضل من طعام المقصف فى العمل " . ضحك وقال لها : " سأتناول غدائى يوماً ما فى المقصف " .

" لن أفعل ذلك لو كنت مكانك " .

نظر إليها قائلاً : " هل الطعام بهذا السوء ؟ "

" المشكلة ليست فى الطعام ، بل فى الفتيات ، فسوف يحطن بك . "

" لماذا تعتقدين ذلك ؟ "

" لأنهن يتحدثن عنك طوال الوقت . "

" تقصدين أنهن يسألنك عنى ؟ "

" نعم " وابتسمت .

" لابد أنه بعد انتهاء حصة الغداء عادة ما يشعرن بالإحباط ؛ لأنك لا تخبرينهن بشىء . "

هزت رأسها بالنفى ، وقالت : " خطأ ، فأنا أختلق كل أنواع القصص عنك " .

استند إلى ظهر المقعد ، وقال باسترخاء أثناء الشرب : " ما نوع القصص التى تنسجينها عنى ؟ "

" هل أنت متأكد من أنك تريد سماعها ؟ "

" بالتأكيد . "

" حسناً ، أخبرتهن أنك متوحش ، وتصرخ طوال اليوم . "

ابتسم قائلاً : " ليس طوال اليوم "

" وأخبرتهنَّ أيضاً أنك مهووس بالصيد ، وتحمل معك مسدسًا مليئًا بالطلقات فى المكتب أثناء الإملاء ، وأكون فى حالة ذعر خشية أن تقتلنى . "

" لابد أنهن مستمتعات بتلك الأكاذيب . "

" إنهن يحاولن معرفة شخصيتك الحقيقية دون جدوى . "

قال فريزر بنبرة جادة : " وهل عرفتِ شخصيتى الحقيقية ؟ "

نظرت لبرهة فى عينيه الزرقاوين ، ثم قالت : " أعتقد ذلك " .

" مَنْ أنا ؟ "

شعرت بقلق مفاجئ . فقد انتهت الثرثرة ، وبدأت نبرة جديدة تتطرق إلى الحوار ، نبرة مثيرة وتثير القلق ، وبالتالى لم تحر جوابا .

تفرس فى وجهها للحظة ، ثم ابتسم قائلاً : " أنا موضوع ممل . هل تناولت المزيد من الحلوى ؟ "

" كلا . شكراً ، لن أتناول أى طعام لمدة أسبوع من كثرة ما تناولت هنا " .

" لنستأنف العمل " .

ظلا يعملان حتى منتصف الليل ، وقام فريزر بتوصيلها إلى الباب ، وكان السائق فى الانتظار بالخارج ، لكى يوصلها إلى منزلها .

ظلت تفكر فيه طوال الرحلة إلى المنزل ، وفى قوته وروح الدعابة لديه ، وعطفه عليها . يقال إن الرجل يجب أن يظهر أنه قوى جدًا قبل أن يظهر أنه لطيف . كان ويليام فريزر قويًا جدًا ، والليلة كانت من أجمل الليالى فى حياتها ، ولكنها كانت تشعر بالقلق . كانت خائفة من أن تتحول إلى سكرتيرة غيور ، تجلس فى المكتب ، غارقة فى كره كل فتاة تتصل برئيسها . لن تسمح بحدوث ذلك . كانت كل فتاة تصلح للزواج تلقى بنفسها فى طريقه ، ولكنها لن تنضم لهن .

عندما عادت كاثرين إلى المنزل كانت سوزى ساهرة فى انتظارها ، ثم هجمت عليها بمجرد دخولها قائلة : " هيا ! أطلعينى على كل ما حدث ! "

قالت كاثرين : " لم يحدث شىء ، تعشينا معاً فقط " .

حدقت سوزى إليها غير مصدقة : " ألم يحاول إغواءك ؟ "

" بالطبع لا " .

تنهدت سوزى قائلة : " كان لابد أن أعرف ، لقد كان خائفاً من ذلك " .

" ماذا تقصدين ؟ " .

" أعنى يا عزيزتى أنك تتصرفين كالعذراء المقدسة ، وربما قد خاف من أنه إذا لمسك ستصرخين قائلة إنه يحاول اغتصابك ، وتصابين بالإغماء " .

شعرت كاثرين باحمرار وجنتيها ، وقالت بغضب : " لست مهتمة به بهذه الطريقة ، ولا أشبه العذراء المقدسة " . وقالت لنفسها : " بل أنا العذراء القديسة كاثرين ! " كل ما فعلته أنها نقلت مزارها المقدس إلى واشنطن ، فهى لم تتغير وسلوكها كما هو .

فى الشهور الستة التالية كان فريزر يسافر كثيراً إلى شيكاغو وسان فرانسيسكو وأوروبا . كان هناك دائماً كم كاف من العمل لكى تظل كاثرين مشغولة ، لكن المكتب كان يبدو كئيباً وفارغاً بدون فريزر .

كان هناك عدد كبير من الزوار المثيرين ، ومعظمهم من الرجال ، وتلقت كاثرين دعوات كثيرة لإقامة علاقات معهم ، والسفر إلى أوروبا وتناول العشاء أو الغداء . لم تقبل أية دعوات ؛ لأنها لم تهتم بأى رجل منهم ، ولكن السبب الأهم أنها اعتقدت أن فريزر لن يوافق على الخلط بين المتعة والعمل . عندما كان يعلم فريزر بكم الفرص التى ترفضها كان يسكت ولا يعلق . بعد أن تعشت معه فى منزله رفع أجرها عشرة دولارات فى الشهر .

بدا لـ " كاثرين " أن إيقاع المدينة تغير ، فالناس تتحرك أسرع ويزداد توترها ، ومانشيتات الجرائد تصرخ بسلسلة مستمرة من الغزو والاستعمار والكوارث فى أوروبا . سقوط فرنسا فى أيدى الألمان هو أكثر ما أثر فى الأمريكان مقارنة بالأحداث اللاهثة السريعة فى أوروبا ، حيث شعروا بالتعدى على أحد قيمهم ؛ لأن فقدان الحرية هذا قد حدث فى بلد كان مهد الحرية .

سقطت النرويج ، فى أيدى الألمان ، وإنجلترا تحارب من أجل حياتها فى معركة بريطانيا وتم توقيع التحالف بين ألمانيا وإيطاليا واليابان . كان هناك إحساس عارم بالحتمية ، وأن أمريكا ستدخل الحرب . سألت كاثرين فريزر عن هذا فى أحد الأيام .

قال لها : " أعتقد أنها مسألة وقت قبل أن تتورط أمريكا فى الحرب . إذا لم تتمكن إنجلترا من إيقاف هتلر فسنضطر للتدخل " .

" لكن السيناتور بورا يقول ... "

صاح فى غضب : " من الأفضل أن يكون شعار جيشنا هو النعامة التى تدفن رأسها فى الرمال ! "

" ماذا ستفعل إذا قامت الحرب ؟ "

" سأصبح بطلاً " .

تخيلته كاثرين وهو فى الحلة العسكرية ذاهباً للحرب ، ولكنها كرهت الفكرة . من الغباء فى عصر التنوير أن يحل الناس مشاكلهم بالقتل والدمار .

قال فريزر : " لا تقلقى يا كاثرين ، لن يحدث شىء فى الوقت الحالى ، وعندما يحدث شىء سنكون مستعدين له " .

قالت له : " ماذا عن إنجلترا ؟ إذا قرر هتلر غزوها ، هل ستتمكن من الدفاع وصده ؟ فلديه طائرات ومدافع وهم لا يملكونها " .

قال لها : " سيكون لديهم قريبًا جدًا " .

ثم غيَّرا الموضوع وعادا لعمل المكتب .

بعد أسبوع نشرت الصحف خطب الرئيس الأمريكى روزفلت ، وعلم فريزر وحاول تهدئة وطمأنة كاثرين دون إطلاعها على أية معلومات .

مرت الأسابيع سريعاً ، ووافقت كاثرين على الخروج بصحبة أحد الفتيان كل فترة ، ولكنها كانت تقارن بين كل فتى ووليام فريزر وتساءلت عن سبب خروجها مع هؤلاء الحمقى . كانت تعلم أنها قد ضيقت الخناق على نفسها من الناحية العاطفية . ولكنها لم تتمكن من الهرب من هذا المأزق العاطفى . كانت تقول لنفسها إنها فقط معجبة به ، وسوف تتغلب على هذا الأمر ، وفى هذه الأثناء كانت مشاعرها تمنعها من الاستمتاع بصحبة الرجال ، لأنهم فى نظرها أقل منه .

فى إحدى الليالى سهرت كاثرين فى العمل ، وجاء فريزر إلى المكتب بدون توقع بعد أن حضر مسرحية ، فنظرت إليه ، واندهشت عندما دخل المكتب .

صاح بها : " نحن لسنا فى معتقل . لماذا تعملين حتى الآن ؟ "

" أردت الانتهاء من هذا التقرير ، لكى تأخذه معك إلى سان فرانسيسكو غداً " .

" كان يمكنك إنهاؤه غداً ، وإرساله لى بالبريد " ثم جلس على المقعد المقابل لها ، وتفرس في وجهها ، ثم أردف قائلاً : " أليس لديك أشياء أفضل تفعلينها ليلاً بدلاً من التقارير المملة ؟ "

" بالمصادفة ليس لدىّ ما أفعله الليلة "

اتكأ على المقعد وتشابكت أصابع يديه ، واتكأ بذقنه على يديه ، وحدق إليها وقال : " هل تذكرين أولى كلماتك عندما دخلت مكتبى ؟ "

" أنا أقول أشياء سخيفة كثيرة "

" قلت إنك لا تريدين أن تصبحى سكرتيرة بل مساعدة خاصة لى " .

ابتسمت قائلة : " لا أعرف منصبًا أفضل من ذلك "

" أنت الآن مساعدتى الخاصة " .

نظرت إليه وقالت : " لا أفهم " .

" الأمر بسيط يا كاثرين ، فى الشهور الثلاثة الماضية كنت حقاً مساعدتى الخاصة ، والآن سأجعل الأمر رسميًا " .

حدقت إليه فى غير تصديق : " هل أنت متأكد من ... ؟ " .

لم أعطك لقب المهنة وزيادة المرتب فى وقت سابق حتى لا تخافى ، والآن أعرف أننى يمكننى الاعتماد عليك " .

قالت متلعثمة : " لا أعرف ماذا أقول ، لكن لن تندم أبداً على قرارك يا سيد فريزر " .

" أنا نادم بالفعل ، المساعدون الخاصون بى يدعوننى بيل . "

" بيل ! "

لاحقاً ظلت كاثرين مستلقية على الفراش ، وهى تتذكر كيف كان ينظر إليها ، وكيف جعل مثل هذه المشاعر تنتابها ، وتمكنت من النوم فقط بعد ساعات طويلة .

كانت كاثرين قد كتبت العديد من الرسائل لوالدها تطلب منه زيارتها فى واشنطن . كانت متحمسة لكى تقوده عبر معالم المدينة ،

وتقدمه إلى صديقاتها ، وإلى بيل فريزر ، لكنها لم تتلق أى رد على آخر خطابين ، فشعرت بالقلق فاتصلت بمنزل عمها فى أوماها ، فرفع عمها السماعة .

" كاثرين ! كنت على وشك الاتصال بك . "

شعرت بفزع رهيب : " كيف حال أبى ؟ "

توقف العم عن الكلام لفترة ثم قال :

" أصيب بأزمة قلبية ، وأردت أن أتحدث معك من قبل ؛ لكن والدك طلب منى الانتظار حتى يتماثل للشفاء " .

أمسكت السماعة بلهفة ، ثم قالت :

" هل هو بخير ؟ "

" للأسف يا كاثى . إن الأمر عكس ذلك ، فلقد أصيب بالشلل . "

" سأسافر إليكما حالاً . "

ذهبت كاثرين إلى بيل فريزر ، وأطلعته على الأخبار ، وقال لها :

" أنا آسف من أجلك ، هل من مساعدة أقدمها لك ؟ "

" لا أعرف ، ولكنى أريد الذهاب إليه فى الحال يا بيل " .

" بكل تأكيد . " والتقط سماعة الهاتف وأجرى بعض الاتصالات .

قام السائق بتوصيل كاثرين إلى منزلها لجمع أغراضها ، ثم إلى المطار حيث حجز بيل تذكرة طائرة لها .

عندما وصلت الطائرة لمطار أوماها ، جاء عم كاثرين وزوجته لاستقبالها ، وكانت نظرة واحدة تكفى لكى تفهم أنه فات الأوان ، وأن والدها قد مات . قادوا السيارة فى صمت إلى الحانوتى ، وعندما دلفت كاثرين إلى المبنى شعرت بإحساس عميق لا يوصف بالوحدة والثكل ، وكأن جزءاً منها قد مات ، ولن يعود أبداً . وكان جسد والدها يرقد فى سلام فى تابوت بسيط ، وكان يرتدى أفضل حلة لديه . وكأنه انكمش مع الزمن ، فقد صغر وتقلص حجم جسمه ، وكأن عناء الحياة قد أعياه

تماماً . أعطاها عمها كل متعلقات ومستحقات والدها ، وكانت حصيلة كل ما جناه طوال عمره ٥٠ دولاراً وصوراً قديمة وفواتير ، وساعة يد ، ومدية ملطخة ومتسخة ، ومجموعة خطاباتها له ، وكانت مربوطة ، وأطرافها ذابلة من كثرة القراءة . كان إرثاً يدعو للشفقة من رجل رحل عن عالمنا ، وكان قلب كاثرين يعتصر من الحزن والألم على رحيله . كانت أحلامه كبيرة جدًا ونجاحاته صغيرة جدًا ، أخذت تتذكر كم كان يتمتع بالحيوية عندما كانت فتاة صغيرة ، وشعورها بالإثارة عندما كان يأتى إلى المنزل محملاً بالهدايا وجيوبه مليئة بالنقود . تذكرت أيضاً اختراعاته التى لم تنجح أبداً . لم تكن الذكريات كثيرة لكنها كل ما تبقى منه . كانت تريد أن تقول له أشياء كثيرة ، وتقوم بالعديد من الأشياء من أجله ، لكن فات الأوان .

تم الدفن فى مدفن بجوار دار العبادة ، وخططت كاثرين للإقامة لدى عمها هذه الليلة ، ثم تستقل القطار للعودة غداً ، لكنها شعرت فجأة أنها لم تعد تطيق البقاء هنا ولو لدقيقة واحدة ، فاتصلت بالمطار وحجزت لها مكاناً فى الطائرة التالية إلى واشنطن . استقبلها فريزر فى المطار ، وبدا من الطبيعى أن ينتظرها ، ويعتنى بها عندما تحتاجه .

اصطحبها للعشاء فى معظم ريفى صغير ، وظل يستمع لحكاياتها وذكرياتها مع أبيها ، وأثناء سردها لقصة طريفة عنه بدأت تبكى ولم تشعر بأى إحراج أمام فريزر .

اقترح عليها القيام بإجازة ، ولكنها أرادت أن تظل مشغولة ، حتى لا تتذكر موت والدها . فجأة اعتادت تناول العشاء مع فريزر مرة أو مرتين أسبوعياً ، وشعرت أنه قريب منها أكثر من أى وقت مضى .

حدث ما يلى بدون تخطيط أو تفكير مسبق . كانا يعملان لوقت متأخر ليلاً فى المكتب ، وكانت تتفقد بعض الأوراق ، ثم شعرت بفريزر يقف بجوارها يتحسس شعرها قائلاً : " كاثرين .... "

فكرت كاثرين : " الأمر بسيط ، وكان كذلك دائماً ، لكنى لم أكن أعرف " .

قال فريزر : " احضرى معطفك يا عزيزتى ، سنذهب للمنزل " .

فى السيارة أثناء ذهابهما لـ " جورج تاون " جلسا متجاورين ، وكان يحيطها بذراعه بلطف ، وكأنه يحميها من العالم كله . لم تعرف سعادة أكثر من اللحظة الراهنة . كانت الآن متأكدة من أنها تحبه ، ولا يهم هل يحبها أم لا . كان مغرماً بها ، وسوف تكتفى بذلك . تذكرت رون بيترسون الذى كانت سترضخ له من قبل ارتعدت من الخوف .

قال لها فريزر : " ما الخطب ؟ "

تذكرت كاثرين الحجرة الحقيرة فى الفندق ، والمرآة المتسخة المكسورة . نظرت إلى الوجه القوى الذى يبدو عليه أمارات الذكاء الذى يضع ذراعه حولها ، وقالت له وهى تزدرد لعابها : " دعنى أخبرك بشىء ، أنا مازلت عذراء " .

ابتسم فريزر وهز رأسه فى تعجب ، وقال : " إنه غير معقول ، كيف عثرت على عذراء فى مدينة مثل واشنطن ؟ " .

قالت بجدية : " حاولت التخلص من عذريتى ، لكنى أخفقت . "

" أنا سعيد بذلك . "

" تعنى أنك لا تعبأ لكونى مازلت عذراء ؟ "

ابتسم لها مرة أخرى ، وكانت ابتسامته تضىء وجهه : " هل تعرفين مشكلتك ؟ "

" بالطبع ! "

" لقد كنت تشعرين بقلق أكثر من اللازم بشأن هذا الأمر . "

" نعم ! "

" الأفضل لك أن تسترخى . "

هزت رأسها بالنفى .

" كلا يا حبيبتى ، بل الأفضل أن تقعى فى الحب . "

وصلت السيارة بعد نصف ساعة إلى منزله ، وقادها إلى المكتبة ، وقال : " هلا احتسيت شراباً ؟ "

نظرت إليه قائلة : " لأذهب لحجرة النوم . "

كانت حجرة نوم فريزر فسيحة وتبدو عليها ملامح حجرة عازب ، وكان الدولاب ذو الأدراج موجوداً فى أحد الحوائط ، وفى الناحية المقابلة ديكور على شكل كهف به مدفأة أمامها مائدة لتناول الإفطار ، وهناك فراش ضخم مزدوج ، وإلى اليسار حجرة لتغيير الملابس ، وبجوارها حمام .

سألها فريزر : " هل أنت متأكدة أنك لا تريدين الشراب ؟ "

" لست بحاجة إليه " .

احتضنها مرة أخرى ، وشعرت برجولته وفحولته ، وكذلك شعرت بالطمأنينة بين أحضانه .

قال لها : " سأعود حالاً . "

شاهدته وهو يدخل حجرة تغيير الملابس . كان أروع وألطف رجل عرفته ، ظلت واقفة تفكر فيه ، ثم أدركت فجأة لماذا تركها بمفردها ، لأنه أراد لها أن تنفرد بنفسها ، لكيلا تكون محرجة .

دخل فريزر وهو يرتدى روباً فاخراً ، وسار إلى الفراش وحدق إليها . كان شعرها الأسود الداكن مفروداً على الوسادة على شكل مروحة ، وكأنه إطار لوجهها الجميل . كان الأمر مثيراً ؛ لأنه لم يكن مخططاً له تماماً .

نويل

باريس ١٩٤١

٦

كانت باريس عام ١٩٤١ مصدراً مهماً للثروات والفرص لبعض الأشخاص ؛ بينما بدت باريس للبعض الآخر من الناس كالجحيم . كانت كلمة الجستابو (المخابرات الألمانية) تثير الرعب فى القلوب ، وكانت حكايات أنشطتهم هى المحور الرئيسى لكل الحوارات حتى ولو بالهمس . اضطهاد اليهود الفرنسيين ، والذى بدأ بإغلاق بعض متاجرهم بلا مبرر ، كان يتم بعملية تنظيمية من جانب الجستابو عن طريق نظام مصادرة ممتلكاتهم ، وعزلهم عن المجتمع ، وتصفيتهم جسدياً .

فى يوم ٢٩ مايو تم إصدار قانون جديد : "... يجب على كل يهودى لصق شارة النجمة السداسية بحجم كف اليد وباللون الأصفر ، وحدودها باللون الأسود ، ويطرز على ملابسه بحروف سوداء كلمة " يهودى " ، ويجب أن يتم رسم هذه الشارة وهذه الكلمة على الجانب الأيسر من الصدر لكل اليهود من سن السادسة " .

لم يرضخ كل الفرنسيين لحكم النازيين . كانت هناك فرقة المقاومة الشعبية السرية التى تقاومهم ببراعة وبقوة . وعندما يسقط بعض أفرادها فى يد النازيين كانوا يعدمون بطرق بشعة .

كانت هناك شابة تمتلك عائلتها قصراً خارج منطقة شارتر وتم إجبارها من جانب النازيين على إيواء مجموعة من الجنود الألمان فى حجرات الطابق الأرضى لمدة ستة أشهر ، وكانت فى نفس الوقت تخفى خمسة أفراد من المقاومة ، مطلوب القبض عليهم فى الطابق العلوى من القصر .

كلتا الفئتين لم تتقابل . ولكن شعر الشابة بأكمله تحول فى غضون ٣ شهور إلى اللون الأبيض .

عاش الألمان فى باريس عيشة تليق بالغزاة ، ولكن العامة من الفرنسيين عاشوا فى نقص من كل شىء عدا البرد والبؤس . كان غاز الطهى يتم توزيعه فى حصص تموينية ، ولم يكن هناك مصدر للتدفئة . كان أهل باريس يقاومون برد ليالى الشتاء بحرق نشارة الخشب ؛ حيث كانوا يشترونها بالطن ، ويحرقونها بمواقد خاصة .

كان هناك نقص فى كل شىء حتى السجائر والقهوة والجلود . كان الفرنسيون يسخرون من الوضع الحالى ، ويقولون إنه مهما كان ما تأكله فالمذاق يظل كما هو . حتى السيدات الفرنسيات - المعروفات بأنهن الأكثر أناقة - كن يرتدين معاطف رثة من جلد الماعز بدلاً من الصوف ، وأحذية خشبية ، ولذلك عندما كن يمشين فى الشارع كانت تصدر عنهن قرقعة مثل حوافر الخيل .

حتى الاحتفال التقليدى باليوم السابع لأى مولود جديد قد تأثر بالاحتلال ، فلم تعد هناك مراسم احتفالية تقليدية ، ولا حلوى تلك المناسبات . كان هناك عدد قليل من السيارات الأجرة ، ولكن وسيلة المواصلات الرائجة كانت السيارات التى تتسع لراكبين فقط ، والدراجات الثنائية عبر شوارع باريس .

انتعش المسرح جدًّا ، كما هو المعتاد فى حالة الأزمات الطويلة ؛ لأن الناس وجدوا فى المسرح والسينما مهرباً وملاذاً من الواقع الأليم للحياة اليومية .

ما بين يوم وليلة أصبحت نويل باج نجمة وممثلة شهيرة . زميلاتها الغيورات فى المسرح قلن إن ذلك يرجع إلى موهبة ونفوذ أرمان جوتييه ، وعلى الرغم من صحة أنه هو من وضع أقدامها على أول الطريق ، لكن أهل المسرح كانوا يعرفون أنه لا أحد يمكنه الوصول للنجومية بدون موافقة الجماهير ؛ فالجماهير حاكم عادل قد يتحكم فى مصير الممثل بأن يحبه أو يكرهه . وكانت تلك الجماهير تعشق نويل .

بالنسبة لأرمان جوتييه ، فلقد ندم أشد الندم على الدور الذى لعبه فى حياتها لكى تصبح نجمة ؛ فهى لم تعد فى حاجة إليه بعد الآن ، كل ما يربطها به الآن مجرد نزوة ، وكان يعيش فى رعب دائم من أنها قد تتركه فجأة . كان قد عمل فى المسرح معظم حياته ، لكنه لم يقابل من هى مثل نويل . كانت نويل نهمة للمعرفة والتعلم ، ولا تشبع منهما أبداً ، وتعلمت كل ما علمه لها ، وطلبت المزيد . كان من الرائع مشاهدة تحولها من البدايات الخارجية والمترددة لفهم وحفظ الدور إلى إتقانه بتأكد تام . كان جوتييه يعلم من البداية أنها ستكون نجمة - لا جدال فى ذلك - لكن ما أدهشه عندما تعرف عليها أكثر هو أن النجومية ليست هدفها . بل إن الحقيقة أنها ليست حتى مهتمة بالتمثيل .

فى البداية لم يصدق جوتييه ذلك ؛ لأن النجومية عرش يريد الجميع اعتلاءه بدون شك ، ولكن كان التمثيل لـ " نويل " مجرد درجة فى السلم ، ولم تكن لدى جوتييه أدنى فكرة عن هدفها الحقيقى . كانت نويل لغزًا ، وكلما فحصها جوتييه بعمق زادت حيرته ، مثل الصندوق الصينى السحرى الذى كلما فتحته وجدت صناديق أصغر داخله . كان جوتييه يفخر بأنه يفهم كل الناس ، وخاصة النساء . لكنه فى الحقيقة لا يعرف أى شىء عن الفتاة التى يحبها ، وتعيش

معه فى منزل واحد ، والتى تدفعه إلى الجنون . طلب من نويل الزواج ، فقالت : " حسناً يا أرمان . " وعلم أنها لا تعنى الموافقة ، فلقد خدعت فيليب سوريل من قبل ، ولا أحد يعلم عدد الرجال فى حياتها السابقة ، وبالتالى أدرك أن تلك الزيجة لن تتم أبداً ، وعندما تستعد نويل فإنها سوف تتركه ، وتمضى بعيداً .

كان جوتييه متأكداً من أن كل رجل قابلها حاول إقناعها بأن تمارس معه الحب ، وعرف من أصدقائه الغيورين أنهم فشلوا فى إقناعها .

قال له أحد أصدقائه ذات مرة : " إنك محظوظ للغاية ، فلقد عرضت عليها يختاً وقصراً وخدماً وحشماً فى جزيرة كاب دانتيب ، لكنها سخرت منى " .

أخبره صديق آخر صاحب بنك : " أخيراً عرفت أول شىء لا يشترى بالمال " .

" نويل ؟ "

أومأ صاحب البنك برأسه : " هذا صحيح ، أخبرتها أن تخبرنى بالثمن الذى تريده ؛ لكنها لم تكترث . ما سر جاذبيتك لها يا صديقى ؟ " .

كان جوتييه يتمنى معرفة الإجابة عن هذا السؤال .

تذكر جوتييه أول مسرحية يخرجها لها . لم يقرأ سوى ١٢ صفحة من المسرحية حتى عرف أنها مناسبة لها تماماً . كانت المسرحية تتحدث عن سيدة ذهب زوجها للحرب ، ثم جاءها فى المنزل جندى يخبرها بأنه زميل زوجها الذى يحارب على الجبهة الروسية . بينما تتوالى الأحداث تقع المرأة فى حب الجندى ، وهى لا تعلم أنه قاتل سايكوباتى مريض . وأن حياتها فى خطر . كان دور الزوجة رائعاً ، ووافق جوتييه على إخراج المسرحية على الفور ، بشرط أن تقوم نويل

بدور البطولة . كان الممولون يتقاعسون عن إسناد البطولة لفتاة مجهولة ، ولكنهم وافقوا على إجراء اختبار تمثيل لها . أسرع جوتييه إلى المنزل بالخبر السار لنويل . لقد جاءت إليه لكى تصبح نجمة ، وسوف يحقق أمنيتها . أخبر نفسه أن هذا سيقربها منه ، ويجعلها تحبه ، ويتزوجها ويمتلكها دائماً .

ولكن عندما أطلعها على النبأ نظرت إليه بدون اكتراث قائلة : " رائع يا أرمان ، شكراً لك . " بنفس نبرة الصوت التى تشكره بها عندما يخبرها بالوقت ، أو يشعل سيجارها .

تفرس جوتييه فى وجهها ، وتساءل هل هى مريضة نفسيًا ، فالانفعالات اختفت من داخلها ، أو لم تتواجد من الأساس ، والدليل أن أحداً لم يمتلكها . كان يعلم ذلك ، ولكنه لم يصدق ذلك حقاً ؛ لأنه كان يرى أنها فتاة جميلة وعطوفة ، وتشبع بسرور ورضا كل رغباته ولم تطلب أى شىء فى المقابل ، لأنه قد أحبها ، فقد ترك شكوكه جانباً وقام بإخراج المسرحية لها .

كانت نويل رائعة ومتألقة فى اختبار التمثيل ، وحصلت على دور البطولة بلا شك ، كما تنبأ جوتييه . عندما تم افتتاح المسرحية بعد شهرين أصبحت نويل ما بين يوم وليلة أكبر نجمة فى فرنسا . النقاد الذين استعدوا لمهاجمة المسرحية ؛ لأنهم كانوا يعلمون أن جوتييه قد قدم فيها عشيقته الممثلة لأول مرة فى دور البطولة ، وهو موقف لن يتركوه ؛ لأنهم يحبون الفضائح والنميمة ، سلبت نويل ألبابهم بسحرها ، وأخذوا يبحثون عن أفضل الكلمات لوصف أدائها وجمالها . وكانت المسرحية ناجحة جدًا ، وكانت التذاكر تنفد كل ليلة عرض .

كل ليلة بعد العرض كانت غرفتها فى الكواليس مليئة بالضيوف ، وكانت تقابل الجميع : عاملى محلات الأحذية ، والجنود ، والمليونيرات ، والفتيات البائعات فى المحلات ، وكانت تتعامل مع الجميع بصبر وحلم وأدب ، وكأنها تمن عليهم بإحسان . كان جوتييه

يراقبها فى ذهول : " كأنها أميرة تقابل رعيتها " . فى خلال عام واحد تلقت نويل ثلاث رسائل من مارسيليا ، ولكنها كانت تمزقها دون أن تفتحها ، وفى النهاية لم تعد تتلقى المزيد من الرسائل .

فى الربيع قامت نويل ببطولة فيلم سينمائى من إخراج جوتييه ، وزادت شهرتها عندما تم عرضه . كان جوتييه يتعجب من صبرها أثناء إجراء الحوارات الصحفية ، والتصوير من جانب الصحافة . كان معظم النجوم يكرهون ذلك ، وهذا كان يساعد على زيادة أرباح وإيرادات أفلامهم ، وكان ذلك فى أحيان أخرى بدافع الغرور . فى حالة نويل ، لم تكترث لكلا الدافعين . كانت تغير موضوع الحوار كلما سألها جوتييه عن سبب أنها تضيع على نفسها فرصة قضاء إجازة فى جنوب فرنسا ، وتظل فى باريس الباردة المطرة شتاءً ، لكى تجرى حوارات ، وتتصور من أجل مجلات وجرائد مثل " لوماتان " ، " لا بتيت باريزيان " و " ليلوستراسيون " .كان سيدهش أكثر إذا عرف السبب الحقيقى ، فدافع نويل بسيط للغاية .

كل ما تفعله كان من أجل لارى دوجلاس .

عندما تقف أمام عدسات الصحافة كانت تتخيل لارى دوجلاس ، وهو يلتقط المجلة ، ويرى صورتها ، ويتعرف عليها . وعندما كانت تمثل مشهداً فى فيلم ، كانت تتخيله يدخل السينما فى بلد بعيد ويراها . كان عملها رسالة منها له تذكره بالماضى ، إشارة لكى يعود إليها وهذا كانت كل ما تريده ، أن يعود إليها ؛ لكى تدمره .

بفضل كريستيان باربيه ، أصبح لدى " نويل " ألبوم صور يزداد باستمرار يشمل كل أخبار لارى دوجلاس . كان المخبر السرى الضئيل قد انتقل من مكتبه الحقير إلى جناح فخم وكبير فى شارع رئيسى . فى أول مرة تذهب إليه نويل فى مقره الجديد كان يقف باربيه مبتسماً عندما رأى تعابير الاندهاش على وجهها ، وقال : " حصلت عليه بسعر رخيص ، لأن صاحبه كان يهودياً " .

قالت له بجفاء : " قلت لى إن لديك المزيد من الأخبار " اختفت الابتسامة من وجهه ، وقال : " نعم " . كان لديه أخبار على الرغم من صعوبة الحصول على معلومات من إنجلترا بسبب حصار النازيين ، لكن باربيه وجد طرقاً للحصول على معلومات .كان يدفع الرشاوى للعاملين على السفن المحايدة لتهريب الرسائل من وكالة استعلامات فى لندن . ولكن هذا كان مجرد أحد مصادره للمعلومات .كان يتطرق إلى وطنية المقاومة الشعبية ، وإنسانية الصليب الأحمر الدولى ، وطمع أصحاب السوق السوداء ممن لديهم علاقات عبر الدول الأخرى . وبالتالى كان يحضر من كل منهم قصة مختلفة . واستمر تدفق المعلومات .

أخذ باربيه التقرير من على مكتبه ، وقال بلا تمهيد : " تم إطلاق الرصاص عليه وهو يعبر المانش ، وكان يشاهد وجهها خلسة ، وينتظر أن ينهار القناع الزائف لعدم الاكتراث ، ولكى يستمتع بإيلامها . لكن تعبير وجهها لم يتغير . نظرت إلى وجهه ، وقالت بثقة : " لكن تم إنقاذه " . حدق إليها باربيه وازدرد ريقه ، وقال " نعم ، أنقذته سفينة بريطانية " وتعجب كيف عرفت بحق الشيطان .

كل شىء عن هذه السيدة كان يحيره ، كان يكرهها كعميلة وشعر برغبة فى تركها ، لكنه كان يعرف أنه سيكون غبياً إن فعل ذلك .

حاول مرة أن يعرض عليها ممارسة الحب مقابل تقديم خدماته مجاناً لكنها رفضت العرض بطريقة جعلته يبدو كالأحمق ، ولن يسامحها أبداً على ذلك . فى أحد الأيام ، أقسم باربيه أنه سيجعلها تدفع ثمن كل ذلك .

والآن تقف نويل فى مكتبه ، وتعتلى نظرة الازدراء وجهها الجميل ، أسرع باربيه باستكمال قراءة التقرير ، وهو يتوق للخلاص منها .

" انتقلت فرقته إلى مدينة لينكولنشاير والتى تستخدم طائرات " هاريكين " و ... " ـلكن نويل كانت مهتمة بشىء آخر .

قالت له : " لقد تم فسخ خطبته لابنة الأدميرال ، أليس كذلك ؟ "

نظر إليها باربيه فى دهشة ، وغمغم قائلاً : " نعم ، لأنها عرفت عشيقاته " . بدا الأمر وكأن نويل قد قرأت التقرير ، وبالطبع لم يحدث ذلك ، ولكن لم يكن ذلك هو المهم ، وكأن رباط الكراهية بينها وبين لارى دوجلاس قوى لدرجة أنه لن تحدث له أى أمور مهمة دون أن تعلمها . أخذت نويل التقرير وغادرت المكتب ، عندما عادت إلى المنزل أعادت قراءته ببطء ، ثم وضعته فى الملف مع التقارير الأخرى فى مكان سرى لا تصل إليه يد إنسان .

فى إحدى الليالى بعد العرض كانت نويل فى حجرتها تمسح المكياج من على وجهها ، ثم كان هناك طرق على الباب ، ودخل بواب المسرح العجوز المعاق " ماريوس " إلى حجرة نويل .

" المعذرة ، ولكن طلب منى رجل لا أعرفه إحضار هذا لك " .

نظرت نويل إلى المرآة ، ورأته يحمل باقة زهور حمراء كبيرة فى مزهرية جميلة جدًا .

" ضعها هنا يا ماريوس " ، ثم شاهدته يضعها بحرص على المائدة .

كان الوقت فى أواخر شهر نوفمبر ، ولم ير أهل باريس الزهور منذ ثلاثة أشهر ، لابد أن تلك الباقة بها أكثر من ٥٠ زهرة ، كلها لونها أحمر غامق ، وذات فروع طويلة ، وكان يبللها الندى . شعرت نويل بالفضول ، فذهبت إلى الباقة ، والتقطت الكارت ، وكان مدوناً عليه :

" إلى السيدة الجميلة ، هلا تناولنا العشاء معاً ؟ الجنرال هانز شايدر " .

كانت المزهرية فخمة ، وبها أنماط فنية متشابكة ، وتبدو غالية الثمن . لابد أن الجنرال شايدر قد كلف نفسه المزيد من العناء لإحضارها .

قال حارس باب المسرح : " إنه فى انتظار الرد "

" أخبره أننى لا أتناول وجبة العشاء ، وأن يذهب بالورد ليقدمه لزوجته . "

حدق إليها فى دهشة ، وقال : " لكن الجنرال .. " .

" هذا كل ما لدىّ " .

هز ماريوس رأسه وحمل المزهرية ، وأسرع بالخروج . كانت نويل تعلم أنه سيخبر كل الناس بأنها تتحدى الجنرال الألمانى ، وسيظن الفرنسيون أنها بطلة قومية . ياله من سخف ! حقيقة الأمر أنها لا تكره الألمان ولا تحبهم ، بل هى غير مكترثة بوجودهم أساساً . فهم ليسوا جزءاً من خططها ، وبالتالى تحملت وجودهم فى انتظار يوم جلائهم عن فرنسا . كانت تعلم أنها إذا تورطت مع الألمان فسيعرضها ذلك للأذى . ليس الآن ، ولكنها لم تقلق بشأن الحاضر ، بل المستقبل . كانت تظن أن فكرة الرايخ الثالث لمدة ألف عام من حكم العالم ، ليست إلا هراء . أى تلميذ درس التاريخ يعلم أن كل الغزاة ينهزمون فى النهاية . وفى نفس الوقت لا تريد شيئاً يجعل الفرنسيين يكرهونها عند جلاء الألمان عن البلاد . لن تدع النازيين يقتربون منها ، وعندما يثير أحدهم الموضوع معها كانت تتجنب الخوض فيه .

انبهر جوتييه باتجاهها ، ولطالما حاول فتح الموضوع معها . " ألا تهتمين بغزو الألمان لفرنسا ؟ "

" وهل من المهم أن أهتم ؟ "

" ليس هذا هو بيت القصيد ، لكن إذا لم نهتم كلنا ، فسنذهب إلى الجحيم " .

" سنذهب إلى الجحيم على أية حال . أليس كذلك ؟ "

" لن يحدث ذلك إذا آمنا بالإرادة الحرة . هل تعتقدين أن حياتنا مرسومة لنا منذ ميلادنا ؟ "

" إلى حد ما ، فلدينا أجساد ومكان ، ووضعنا فى الحياة ، ولكن هذا لا يعنى عدم إمكانية تغيير كل ما سبق ، يمكنك أن تكون ما تريده " .

" هذا ما أود قوله بالضبط ، ولذلك يتعين علينا محاربة الألمان " .

نظرت إليه قائلة : " لأن الله معنا ؟ "

قال لها : " نعم . "

" ولكن الله خلق الألمان كما خلقنا ! "

كانت الذكرى الأولى لمسرحية نويل فى أكتوبر ، وأقام المنتجون حفلاً لفريق الممثلين فى أفخم فندق ويسمى تور دارجان . كان الحاضرون خليطاً من الممثلين وأصحاب البنوك ورجال الأعمال المهمين من ذوى النفوذ . كان معظم المدعوين من الفرنسيين ، ولكن هناك حوالى عشرة رجال من الألمان ، وكان بعضهم بالزى العسكرى ، عدا من جاءوا بصحبة الفتيات الفرنسيات . كان الاستثناء الوحيد ضابطاً ألمانياً فى الأربعينات من عمره ، وله وجه طويل تبدو عليه أمارات الذكاء وعيناه خضراوان ، وجسده رياضى . كان هناك جرح غائر يمتد من عظمة الخد إلى الذقن فى وجهه . كانت نويل قد لاحظت أنه يراقبها طوال الوقت ، ولكنه لم يقترب منها .

قالت دون اكتراث لأحد المنتجين : " من هذا الرجل ؟ " نظر المنتج إلى الضابط الذى كان يجلس بمفرده يتناول مشروبه المثلج ، ثم اتجه المنتج إلى نويل فى دهشة ، وقال : " من الغريب أن تسألى ، اعتقدت أنه صديقك . إنه الجنرال هانز شايدر من الجيش الألمانى . " تذكرت نويل الورود والبطاقة ثم تساءلت : " فلماذا تظن أنه صديقى ؟ "

بدت الحيرة على وجه الرجل ، وقال : " اعتقدت أنه ... أن كل فيلم ينتج فى فرنسا يجب أن يحصل على موافقة الألمان أولاً . عندما حاول الرقيب منع تصوير فيلمك الجديد تدخل الجنرال شخصيًا ، وأبدى موافقته على الفيلم " .

فى تلك اللحظة قدم جوتييه شخصاً ما إلى نويل ، لكى يتعرف عليها ، وتغير مجرى الحوار .

ولم تهتم نويل بملاحقة الجنرال لها بنظراته فى الليلة التالية . عندما وصلت لحجرتها فى المسرح وجدت زهرة واحدة فى مزهرية

صغيرة ، وبطاقة مدون عليها : " ربما نبدأ بشىء أصغر ، هلا سمحت لى بمقابلتك ؟ هانز شايدر "

قامت نويل بتقطيع البطاقة ، وألقت بالوردة والزهرية فى سلة المهملات .

بعد تلك الليلة لاحظت نويل أنه فى كل حفلة تحضرها مع أرمان جوتييه كان الجنرال شايدر حاضراً . كان يظل فى الخلفية يراقبها ، وقد حدث ذلك كثيراً مما لا يوحى بأنها مجرد مصادفة . أدركت نويل أنه يتكبد المشقة لملاحقة أخبارها وتحركاتها ، ولكى يحصل لنفسه على دعوات للمكان الذى ستتواجد به .

تعجبت عن سر اهتمامه بها ، لكنها لم تهتم كثيراً بالأمر . كانت تتسلى أحياناً بقبول دعوة لحفل ما ، ثم لا تذهب ، ثم تتأكد من المضيفة صاحبة الحفل فى اليوم التالى عن حضور الجنرال ، الذى كان يحضر دائماً .

على الرغم من قتل الألمان الفورى لكل من يعارضهم ، استمرت أعمال التخريب ، وزادت فى باريس . علاوة على أفراد المقاومة الشعبية كانت هناك بؤر مقاومة من الفرنسيين المحبين للحرية ، ممن كانوا يجازفون بحياتهم لمحاربة العدو بكل الأسلحة المتاحة ، وكانوا يقتلون جنود الألمان وينسفون عربات المؤن والذخيرة والكبارى والقطارات . كانت تلك الأنشطة توصف فى الجرائد تحت إشراف الألمان بأنها أعمال مخزية ، ولكن بالنسبة للفرنسى المخلص ، فقد كانت أعمالاً مجيدة . كان الاسم الذى يظهر كثيراً فى الجرائد هو اسم الصرصار - وهو لقب أخطر رجل للمقاومة الشعبية ، وقد أطلقوا عليه هذا اللقب ؛ لأنه يبدو منتشراً فى كل مكان ، ويتواجد فى كل الأماكن ، وينتقل سريعاً من مكان لآخر ، ولا تتمكن المخابرات الألمانية من الإمساك به . لم يتعرف أحد على هويته . ظن البعض أنه رجل إنجليزى يعيش فى باريس ، وزعم الآخرون أنه من عملاء الجنرال الفرنسى شارل ديجول زعيم قوات

فرنسا الحرة ، ويقول البعض الآخر إنه ألمانى منشق . مهما كانت الأقاويل فلقد بدأت رسومات الصراصير تنتشر فى كل باريس : على المبانى ، والأرصفة ، وفى مقر الجيش الألمانى . كانت المخابرات الألمانية تركز جهودها للإمساك به ، لكن هناك حقيقة لاشك فيها ، وهو أن الصرصار أصبح بطلاً قومياً .

فى يوم مطير فى ديسمبر حضرت نويل افتتاح معرض فنى لأحد أصدقائها هى وجوتييه ، وكان المعرض مقاماً فى صالة فنية فى شارع شهير ، وكانت هذه الصالة مزدحمة بالناس ، وكان هناك مشاهير من ضمن الحضور والمصورين الصحفيين فى كل مكان . بينما تشاهد نويل اللوحات الفنية ، شعرت بمن يلمس كتفها ، فالتفتت ووجدت أنها مدام روز ، لم تتعرف عليها نويل إلا بعد برهة ، كان وجهها قبيحاً كما هو ، ولكنها بدت أكبر من سنها بعشرين عاماً ، وكأنها أم مدام روز وليست روز نفسها ! كانت ترتدى معطفاً أسود له غطاء للرأس ، ولاحظت نويل أنها لا ترتدى النجمة السداسية وليس على ملابسها كلمة " يهودية " .

همت نويل بالكلام ، لكن المرأة أسكتتها بالضغط على ذراعيها ، وقالت لها بصوت مسموع بالكاد : " هلا تقابلنا فى مطعم " لودوماجوت ؟ "

وقبل أن تتمكن نويل من الرد اختفت روز وسط الزحام ، وأحاط المصورين بنويل ، بينما وقفت لهم ، وابتسمت من أجل التصوير . تذكرت نويل مدام روز ، وابن أخيها كاتس ، حيث كان كلاهما عطوفين عليها فى أوقات محنتها ، وأنقذ كاتس حياتها مرتين ، وتساءلت نويل عما تريده مدام روز ، ربما تريد بعض المال .

بعد دقيقتين غادرت نويل المعرض الفنى ، واستقلت تاكسياً لميدان " سانت جيرمان دى برى " . كان الجو ممطراً طوال اليوم ، وبدأ المطر

يتحول إلى جليد . بينما وقف التاكسى أمام المطعم ، دخلت نويل لتحتمى من البرد القارس ، فقابلها رجل ظهر فجأة ، وكان يرتدى معطفاً للمطر وقبعة كبيرة . تعرفت عليه نويل بعد برهة : كان هو كاتس بنفسه ، وبدا أكبر سناً من عمره الحقيقى ، ولكن التغيير داخله كان أعمق من ذلك . كانت تحيط به هالة من السلطة والقوة الداخلية ، وكان أنحف من آخر مرة شاهدته نويل ، وكانت عيناه غائرتين ، وكأنه لم ينم منذ ليال طويلة . لاحظت نويل أنه لم يرتد النجمة السداسية على ملابسه .

قال لها : " هيا نحتمى من المطر " .

ثم سحبها من ذراعها ، وقادها إلى داخل المطعم . كان هناك حوالى ستة زبائن من الفرنسيين ، وقادها كاتس إلى مائدة فى ركن خلفى وهادئ .

" هلا احتسيت شيئاً ؟ "

" كلا شكراً " .

ثم خلع قبعته المبتلة من المطر ، وتفحصت نويل وجهه .

كانت تعلم أنه لم يحاول الاتصال بها سعياً للمال ، وظل هو ساكناً بلا حراك يتفرس فى وجهها .

قال بهدوء : " مازلت جميلة يا نويل . رأيت كل أفلامك ومسرحياتك . أنت ممثلة عظيمة " .

" لماذا لم تزرنى فى الكواليس ؟ "

تردد كاتس ، وقال مبتسماً فى خجل : " لم أرغب فى إحراجك " .

لم تفهم مقصده لبرهة ، ثم فهمت ، لأن كلمة " يهودى " بالنسبة لها كانت مجرد كلمة فى الجرائد تظهر من آن لآخر ، ولا تعنى لها شيئاً ، ولكن ما شعور اليهودى فى بلد يريد القضاء عليه ، وخاصة أن هذا البلد هو وطنه الأم .

قالت نويل : " أنا أختار أصدقائى ، ولن يجبرنى أحد على رؤية أو عدم رؤية أحد " .

ابتسم كاتس بأسى ، وقال : " لا تهدرى شجاعتك ، بل استخدميها فيما يفيد " .

قالت : " أطلعنى على أخبارك " .

هز كتفيه بلا اكتراث ، وقال : " أحيا حياة مملة جدًا ، وأصبحت جراحاً ، ودرست الجراحة على يد أشهر الجراحين د. أنجيبوست هل تعرفينه ؟ "

" كلا . "

إنه جراح قلب شهير ، وجعلنى تحت حمايته ، وشملنى بالرعاية ، ثم سحب منى الألمان رخصة ممارسة الطب . " ثم مد يديه المنحوتتين بشكل جميل ، وفحصهما وكأنهما يدان لشخص غيره ، وقال : " أنا أعمل نجاراً الآن " .

نظرت إليه لفترة طويلة ، وقالت : " أهذا كل شىء ؟ "

نظر إليها فى دهشة ، وقال : " بالطبع ، لماذا ؟ "

طرحت الفكرة عن ذهنها ، وقالت : " لا شىء ، لماذا أردت رؤيتى ؟ "

مال بالقرب منها ، وقال بصوت خفيض : " أريد خدمة منك لدى صديقك ... "

فى تلك اللحظة فتح الباب ودخل المطعم جنود الألمان بزيهم العسكرى الأخضر الفاتح ، وبرفقتهم قائدهم الذى قال بصوت عال : " ممتاز ! نريد رؤية بطاقاتكم لإثبات الهوية ! "

تصلب جسد كاتس ، وكأنه ارتدى قناعاً ، ووجدت نويل أنه وضع يده اليمنى فى جيب معطفه ، وعيناه تنظران للمخرج الخلفى الضيق ، لكن أحد الجنود سار للمخرج ، ومنع الدخول أو الخروج منه . قال

كاتس بصوت ينم عن حالة الطوارئ : " ابعدى عنى الآن ، واخرجى من الباب الأمامى . "

قالت له نويل : " لماذا ؟ "

كان الألمان يفحصون بطاقات الهوية لبعض الزبائن فى المائدة بالقرب من المدخل .

قال بلهجة آمرة : " لا تطرحى الأسئلة ، اذهبى الآن ! "

ترددت نويل لبرهة ، ثم قامت وسارت نحو الباب .

انتقل الألمان لمائدة أخرى ، وكان كاتس قد حرك المقعد إلى الوراء لكى يفر فى الوقت المناسب ، ولكن الحركة نبهت اثنين من الجنود ، فسارا نحوه قائلين : " بطاقتك " .

أدركت نويل أن الجنود يبحثون عن كاتس ، وإذا حاول الهرب فسيردونه قتيلاً ، فلا مهرب له الآن .

استدارت نويل ، وقالت له بصوت عال : " فرانسوا ! سنتأخر على المسرح ، ادفع الحساب ، وهيا بنا " .

نظر إليها الجنود فى دهشة ، ووجدوها تعود إلى المائدة .

اقترب القائد شولتس لمواجهتها ، وكان أشقر ذا خدين متوردين فى أوائل العشرينيات من العمر ، وقال لها : " هل أنت مع هذا الرجل يا سيدتى ؟ "

صاحت بغضب : " بالطبع ! أليس لديكم أفضل من مضايقة المواطنين الشرفاء ؟ "

" آسف يا آنستى الجميلة ... " .

ردت بغضب : " أنا لست آنستك الجميلة ! أنا نويل باج ، نجمة مسرح المنوعات ، وهذا الرجل زميلى فى الفرقة . سأتناول العشاء مع صديقى الجنرال شايدر ، وسأخبره بسلوكك ، وسيغضب منك ! "

رأت نويل نظرة إدراك فى وجهه ، لكنها لم تدر هل تعرف على اسمها ، أم اسم الجنرال .

قال القائد متلعثماً : " أنا آسف يا آنسة ، بالطبع أعرفك " .

ثم اتجه إلى كاتس الذى جلس فى صمت ، ويده فى جيب المعطف ، وقال : " لكن لا أعرف هذا الرجل " .

قالت باحتقار : " إذا كنتم تذهبون للمسرح فستعرفونه . هل نحن مقبوض علينا أم يمكننا الذهاب ؟ "

لاحظ القائد أن الجميع ينظرون إليه ، وكان عليه اتخاذ القرار السريع : " بالطبع ليس مقبوضاً عليكما ، ويمكنكما الذهاب ، وأعتذر عما بدر منى من مضايقات .. " .

نظر إليه كاتس ، وقال ببرود : " إنها تمطر أيها القائد . هلا أمرت جنودك بإيجاد تاكسى لنا ؟ "

" بالطبع فى الحال ."

ركب كاتس التاكسى مع نويل ، وراقبهما القائد وهو واقف فى المطر بينما يبتعد التاكسى . عندما وقف التاكسى عند إشارة المرور بعد ٣ مبان فتح كاتس الباب ، وضغط على يد نويل ، معبراً عن عرفانه بالجميل ، واختفى فى الظلام دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

فى السابعة مساءً عندما ذهبت نويل لحجرتها فى المسرح كان هناك رجلان فى انتظارها . كان أحدهما القائد الذى قابلها فى المطعم ، والآخر رجلاً لا تعرفه يرتدى زياً عسكرياً ، وكان أمهق بلا شعر وله عينان ذات لون أحمر فاتح ، وكان أشبه لنويل بالطفل الذى لم يتشكل بعد . كان فى الثلاثينيات من العمر ، وله وجه مستدير ، وكان صوته عالى النبرة ونسائياً بشكل يثير الضحك ، لكن كان لصوته سمة ملحوظة لا تخطئها الأذن ، كان يعطى إحساساً بالموت وبالبرد الذى تقشعر له الأبدان عندما قال : " هل أنت نويل باج ؟ "

" نعم " .

" أنا الكولونيل كيرت مولر من المخابرات الألمانية . أعتقد أنك قابلت القائد شولتس من قبل " .

نظرت إليه نويل دون اكتراث ، وقالت : " كلا لم أره من قبل . "

قال القائد : " بل فى المطعم عصراً يا آنسة . "

اتجهت نويل إلى مولر ، وقالت : " أنا أقابل الكثير من الناس . "

أومأ الكولونيل برأسه ، وقال : " من الصعب تذكر كل الناس ، وخاصة أن لديك أصدقاء كثيرين " .

أومأت وقالت : " بالضبط . "

قال : " مثلاً ، الصديق الذى كان بصحبتك فى المطعم " ثم نظر إلى عينيها ، وأردف قائلاً : " هل أخبرت القائد شولتس أنه يمثل معك فى المسرحية ؟ "

نظرت إليه فى دهشة ، وقالت : " لابد أنه أساء فهمى " .

قال القائد بغضب : " كلا يا آنسة لقد أخبرتنى ... "

نظر إليه الكولونيل نظرة باردة ليوقفه ، فسكت قبل إنهاء الجملة .

قال مولر برود : " ربما يحدث ذلك عندما يحاول المرء التفاهم بلغة أجنبية " .

رأت خلسة وجه القائد يحمر من الغيظ ، لكنه التزم الصمت .

قال مولر : " آسف للإزعاج على أمر بسيط " .

شعرت نويل باسترخاء جسدها ، وأدركت فجأة كم كانت تشعر بالتوتر .

قالت : " لا بأس ، ربما أعطيكما تذاكر للعرض . "

" لقد رأيتها ، وشولتس اشترى تذكرة لنفسه ، لكن شكراً لك . "

وبدأ يسير باتجاه الباب ثم توقف ، وقال : " عندما قلت لشولتس إنه همجى ، قرر شراء تذكرة لمشاهدة العرض ثم نظر لصور الممثلين فى الردهة ، ولم ير صورة لصديقك الذى قابلته فى المطعم ، ولذلك اتصل بى " .

بدأ قلبها يدق بعنف .

" على سبيل الثرثرة يا آنسة ، إذا لم يكن ممثلاً معك فى الفرقة فمن يكون ؟ "
" صديق لى "
قال بصوت نسائى رفيع ، ولكنه ينذر بالخطر : " ما اسمه ؟ "
قالت : " وماذا سيفيدك من معرفة اسمه ؟ "
" أوصافه تطابق أوصاف مجرم نبحث عنه ، وهناك من رأوه فى ميدان سانت جيرمان دى برى اليوم " .
وقفت نويل وهى تتأمله ، وكان رأسها قد أصيب بالدوار .
قال بإصرار : " ما اسم صديقك ؟ "
" لا أعرف . "
" هل كان غريباً ؟ "
" نعم . "
حدق إليها ، ونظر فى عينيها نظرة متفرسة قائلاً : " كنت تجلسين معه ، ومنعت الجنود من رؤية بطاقته ، فلماذا ؟ "
" شعرت بالأسى من أجله ، فلقد جاءنى ... "
" أين ؟ "
فكرت نويل سريعاً ، واعتقدت أن هناك من رآها وهى تدخل المطعم معه : " خارج المطعم ، وقال لى إن الجنود يبحثون عنه ، لأنه سرق البقالة من أجل أطفاله وزوجته ، وبدت لى جريمة بسيطة ، ولذلك ساعدته " . ثم نظرت إلى مولر ، وهى تستعطفه .
تفرس فى وجهها لبرهة ، وأومأ برأسه فى إعجاب ، وقال : " فهمت الآن لماذا أنتِ نجمة كبيرة " . ثم اختفت الابتسامة من وجهه عندما قال بصوته الناعم : " دعينى أنصحك يا آنسة ، نحن نريد أن تكون علاقتنا جيدة مع الفرنسيين ، وأن يصبحوا أصدقاءنا وحلفاءنا ، لكن من يساعد عدونا يصبح عدوًا لنا . سنقبض على هذا الرجل ونستجوبه ، وسوف يتكلم ، وأعدك بذلك " .

قالت : " ليس لدى ما أخشاه " .
قال : " أنت مخطئة ، فعليك أن تخشى على نفسك من عقابى " ، ثم أومأ للقائد شولتس ، وبدأ يسير فى اتجاه الباب مرة أخرى ، ثم استدار ناحيتها مرة أخرى ، وقال : " سوف تبلغيننى إذا حاول أن يقابلك وإلا ... " وابتسم لها ابتسامة مخيفة ، واختفى الرجلان من المكان .
انهارت نويل على أقرب مقعد ، وهى منهكة القوى والأعصاب . كانت تعلم أن كذبتها غير مقنعة ، لكنه غافلها على حين غرة . كانت متأكدة أن الموقف مر بسلام فى المطعم ، وتذكرت الآن القصص المرعبة التى تقشعر لها الأبدان عن وسائل التعذيب فى المخابرات الألمانية . ماذا لو قبضوا على كاتس وتحدث عنها . قد يقول إنهما صديقان قديمان ، وإنها كانت تكذب عندما قالت إنها لم تعرفه . بالتأكيد الأمر ليس بهذه الأهمية إلا إذا ... كان كاتس هو الصرصار .

بعد نصف ساعة كانت نويل تمثل دورها على خشبة المسرح ، وأبعدت عن ذهنها كل شىء سوى دورها فى المسرحية . كان الجمهور شغوفاً بالمسرحية ، وصفق لها بحرارة ، وظلت تسمع الهتاف والتصفيق ، وهى تذهب إلى حجرتها ، وتفتح الباب . كان الجنرال هانز شايدر جالساً على مقعد فى حجرتها ، ووقف عندما دخلت نويل ، وقال فى أدب جم : " أخبروننى أننا على موعد على العشاء الليلة " .
تناولا العشاء فى مطعم لوفرويه بردو ، الذى يطل على نهر السين ، بعد حوالى ٢٠ ميلاً خارج باريس ، وذهبا إلى هناك فى سيارة الجنرال التى يقودها سائق خاص ، وكانت سيارة ليموزين سوداء ولامعة . كان المطر قد توقف بيد أن الليل كان بارداً ولطيفاً . لم يذكر الجنرال موقف اليوم إلا بعد انتهاء الأكل . كان أول رد فعل لها فى البداية ألا تذهب

معه ، لكنها قالت إنه من الضرورى أن تعرف إلى أى مدى يعرف الألمان عنها ، وهل هى فى مشكلة أم لا .

قال الجنرال : " تلقيت مكالمة من المخابرات ، وقالوا لى إنك أخبرت قائداً يدعى شولتس أنك ستتناولين العشاء معى الليلة " . راقبته نويل ولم تجب ، فأردف قائلاً : " فقررت أنه سيكون من غير اللائق لك إذا رفضت أنا الدعوة ، وسيكون من الممتع لى قبولها . " ثم ابتسم وقال : " وها نحن معاً " .

قالت معترضة : " الأمر كله هزلى ، مساعدة رجل فقير سرق البقالة ... " .

قال لها بصوت حاد : " لا تقعى فى خطأ اعتقاد أن الألمان أغبياء ، ولا تهونى من شأن المخابرات الألمانية " .

قالت نويل : " ليس لديهم ما يفعلونه معى يا جنرال . " ظل يعبث بالكأس ، وقال : " يشك الكولونيل مولر فى أنك ساعدت رجلاً يريد إلقاء القبض عليه . إذا كان هذا صحيحاً ، فأنت فى مشكلة كبيرة . الكولونيل مولر لا يسامح ولا ينسى أبداً " . ثم نظر إليها ، وقال بحرص : " ولكن إذا لم تتعاملى مع هذا الصديق مرة أخرى فسينتهى الأمر ببساطة ."

قالت نويل : " حسناً أريد تناول مشروب ما . "

بعد أن طلب المشروبات قال : " منذ متى وأنت مقيمة مع أرمان جوتييه ؟ "

قالت نويل : " أنا متأكدة من أنك تعرف إجابة هذا السؤال . "

ابتسم قائلاً : " فى الحقيقة نعم ، وأردت أن أعرف لماذا رفضت تناول العشاء معى من قبل ، هل كان بسبب جوتييه ؟ "

هزت رأسها بالنفى قائلة : " كلا . "

قال بصرامة : " فهمت " وكانت هناك نبرة فى صوته تثير دهشتها .

قالت نويل : " باريس مليئة بالنساء الجميلات ، وأنا متأكدة أنك ستحصل بسهولة على إحداهن " .

قال بهدوء : " أنت لا تعرفيننى ، وإلا لما قلت هذا " . وبدا عليه الارتباك ، وأردف قائلاً : " لدىَّ زوجة وطفل فى برلين وأحبهما جدًّا ، ولكنى بعيداً عنهما ، ولم أرهما منذ أكثر من عام ، ولا أعرف هل سأراهما مرة أخرى أم لا " .

قالت بقسوة : " ومن أجبرك على المجىء لباريس ؟ "

" أنا لا أستجدى العطف منك ، بل أردت توضيح موقفى قليلاً ، أنا لست من الرجال الذين ينساقون وراء أية فتاة فى طريقهم . أول مرة أراك كانت فى المسرح ، وغمرنى شعور غريب ، وأردت التعرف عليك ، وأتمنى أن نصبح أصدقاء " .

" لكنى لا أستطيع أن أعدك بشىء . "

" أتفهم ذلك "

كان يتكلم بهدوء ، وبدت كرامة واضحة فى نبرة صوته .

بالطبع لم يفهم الرجل نويل ، فهى كانت تنوى عدم رؤيته مرة أخرى . قام الجنرال من باب الذوق بتغيير موضوع الحوار ، وتحدث معها عن التمثيل والمسرح ، واندهشت نويل لثراء معلوماته ، حيث كان ذهنه يعرف قدراً ما عن كل شىء ، وكان ذكاؤه حاداً . كان ينتقل برشاقة من موضوع لآخر ، ويوضح الاهتمامات المشتركة بينه وبين نويل . كان أداؤه ماهراً ، واستمتعت به نويل ؛ لقد قام بمجهود كبير لكى يعرف تاريخ حياتها . كان يبدو فى صورة نمطية للجنرالات الألمان بزيه الأخضر وقوته وسلطته ؛ ولكن كانت هناك مشاعر رقيقة توضح أنه رجل من نوع آخر ، له سمات ذكاء وعقلانية لعلامة نابغة وليس أحد الجنود ، ومع ذلك كان الذى يشوه تلك الصورة هو الجرح الغائر فى وجهه .

قالت له نويل : " كيف جرح وجهك بهذا الشكل ؟ "

قال دون اكتراث ، وهو يمرر أصبعه على الجرح : " كان ذلك فى قتال لرد الشرف والكرامة ونسميه بالألمانية " جرح الكرامة " . "

ثم تناقشا فى فلسفة النازية .

قال الجنرال : " نحن لسنا وحوشاً ، ولا نريد أن نحكم العالم ، ولكننا لا نريد أن نعاقب على حرب خسرناها منذ ٢٠ عاماً . معاهدة فيرساى قيد تخلص منه الشعب الألمانى " .

ثم تحدثا عن احتلال باريس ، حيث قال الجنرال : " لم يكن خطأ الجنود الفرنسيين أننا دخلنا باريس ، ولكن اقتحامها كان سهلاً لنا ، والمسئولية تقع بشكل كبير على عاتق نابليون الثالث " .

" لابد أنك تمزح " .

" بل أنا جاد للغاية ، ففى عهد نابليون الثالث كان عامة الناس تستخدم طرق باريس المتعرجة لعمل المتاريس والكمائن لمقاومة جنوده ، ولكن كان يمنعهم البارون يوجين جورج هاوسمان الذى كان يعيد تخطيط باريس ، ويجعل شوارعها مستقيمة وواسعة ، وهى نفس الشوارع التى مشى عليها جنودنا وقواتنا . أخشى أن التاريخ لن يغفر للمخطط هاوسمان فعلته " .

بعد العشاء ، عادا بالسيارة إلى باريس ، وأثناء رحلة العودة قال لها : " هل تحبين جوتييه ؟ " .

بدا وكأنه سؤال عابر ، لكنها شعرت أن الإجابة مهمة جداً له .

قالت ببطء : " كلا . "

أومأ برأسه وشعر بالراحة والرضا ، فقال : " كنت أعلم ذلك ، وأعتقد أننى سأجعلك سعيدة " .

" سعيدة مثل زوجتك ؟ "

تصلب جسد الجنرال للحظة ، وكأنه صعق ، ثم اتجه إلى نويل قائلاً بهدوء : " قد أكون صديقاً جيداً ونافعاً لك ، لنأمل ألا نكون أعداء " .

عندما عادت نويل لمنزل أرمان جوتييه كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وكان فى انتظارها وهو فى قمة العصبية .

صاح غاضباً وهى تدخل إلى المنزل : " أين كنت بحق الجحيم ؟ "

قالت نويل وهى تحول بصرها عنه إلى حجرة النوم : " كانت لدىّ ارتباطات مهمة . "

عندما ألقت نظرة على الحجرة ، بدت وكأن الأعاصير قد هبت فيها ، ثم فتح كل الأدراج ، وألقى كل المحتويات فى أرجاء الحجرة ، وتم فتح وتفتيش كل الدواليب . وانقلبت الأباجورة رأساً على عقب ، وكانت ساق المنضدة الصغيرة المجاورة مكسورة .

تساءلت نويل : " ماذا حدث ؟ "

" رجال المخابرات الألمانية كانوا هنا ، ماذا كنت تفعلين ، وما الذى تعتزمين فعله ؟ "

" لا شىء "

" إذن فلماذا يفعلون ذلك بنا ؟ "

بدأت تتحرك نويل عبر أرجاء الحجرة ، وتقوم بإعادة وضع كل قطعة أثاث فى مكانها ، وهى تفكر بعمق فيما حدث . أمسك جوتييه نويل من كتفيها ، ونظر إلى وجهها وقال : " أريد أن أعرف ما الذى يحدث . "

سحبت نفساً عميقاً ، وقالت : " حسناً سأخبرك بكل شىء " . ثم أخبرته بكل ما حدث بشأن كاتس وحوارها مع الكولونيل مولر ، ثم قالت فى النهاية : " لا أعرف هل صديقى هو الصرصار أم لا ، ولكن من المحتمل أن يكون هو " .

انهار جوتييه على المقعد فى ذهول ، وقال : " يا إلهى ! لا أهتم بمعرفة من هو ، ولا أريدك أن تتورطى معه فى أى شىء . قد نقتل بسبب ذلك . أنا أكره الألمان مثلك و ... " ثم توقف عن الكلام ؛ لأنه لا يعرف هل نويل تكره الألمان أم لا . ثم قال : " يا عزيزتى طالما أن الألمان هم من يضعون القوانين الآن فيجب علينا الطاعة ؛ لأننا لن نتحمل التورط مع المخابرات الألمانية . هذا اليهودى ـ ماذا كان اسمه ؟ "

" لم أقل لك اسمه ، ولن أتفوه به "

نظر إليها لبرهة ، وقال : " هل هو حبيبك ؟ "

" كلا يا أرمان . "

" هل تحبينه ؟ "

" كلا . "

قال جوتييه بارتياح : " حسناً ، ليس هناك داع للقلق ، لن يلومك أحد على مقابلته بالصدفة . إذا لم تقابليه مرة أخرى فلن يتذكروا الأمر " .

قالت نويل : " بكل تأكيد . "

فى طريقها للمسرح فى الليلة التالية ، كان يراقبها رجلان من المخابرات الألمانية .

منذ ذلك اليوم ظلت نويل تحت المراقبة أينما ذهبت . كان الأمر فى البداية مجرد إحساس أو هاجس بأن هناك من يمعن النظر إليها ، وكلما استدارت ترى فى الزحام رجلاً ضخماً كالجنود القدامى ؛ لكنه يرتدى زياً مدنياً ، وبدا وكأنه لا يعيرها انتباهه ، لاحقاً يعود إليها شعور أنها تحت المراقبة ، وتلتفت وراءها فتجد رجلاً آخر بنفس الملامح والهيئة . فى كل مرة تجد رجلاً مختلفاً ولكن كان الزى موحداً ، واتجاههم

متشابهاً : اتجاه احتقار للآخر والقسوة والسمو والتعالى ، وتلك الإشارات لا يمكن تجاهلها .

لم تقل نويل أى شىء لجوتييه عما يحدث لها من مراقبة ؛ لأنها وجدت أنه لا فائدة من تعريضه للقلق دون داع ؛ لأن ما حدث من المخابرات فى شقته جعله عصبياً ، ولم يكن يتحدث سوى عما قد يفعله الألمان له ولها من تدمير لمستقبلهما إن أرادوا ذلك . كانت نويل تعلم أنه على حق . بمقدور المرء أن يقرأ الصحف فقط لكى يعرف أن الألمان لا يرحمون أعداءهم . حاول الجنرال شايدر الاتصال بنويل عدة مرات ، لكنها لم تهتم وتجاهلته تماماً . فهى لا تريد أن يصبح النازيون أصدقاءها أو أعداءها . قررت أن تكون محايدة تماماً مثل دولة سويسرا . وعلى كاتس وأمثاله الاهتمام بأنفسهم بعيداً عنها . كانت فضولية فقط ، وتريد معرفة ماذا كان يريد منها ، ولكنها لم تكن تريد التورط معه .

بعد أسبوعين من مقابلة كاتس لنويل قرأت نويل فى الصحف مقالاً فى الصفحة الأولى عن أن المخابرات ألقت القبض على مجموعة من المخبرين الذين يتزعمهم الصرصار . قرأت نويل المقال بدقة ، ولم يذكر المقال هل قبضوا على الصرصار أم لا .

تذكرت وجه كاتس عندما اقترب منه الألمان ، وعلمت أنه لم يكن ليدعهم يقبضون عليه حياً . قالت نويل لنفسها : " لابد أنه نجار مسالم كما ذكر لى ؛ ولكن خيالى يجعلنى أظن أنه الصرصار " . لكن إذا كان مسالماً ، فلماذا تريد المخابرات القبض عليه ؟ هل هو الصرصار ؟ هل هرب أم قبضوا عليه ؟ ألقت نويل نظرة من النافذة المطلة على شارع مارتجنى ، فرأت رجلين فى معاطف مطر سوداء ، يقفان تحت عمود نور فى انتظارها . لماذا ؟ بدأت تشعر بالقلق مثل جوتييه ولكنها شعرت بالغضب أكثر . تذكرت كلمات الكولونيل مولر : " يجب أن تخشى على نفسك منى " . كان الأمر يمثل تحدياً لها ، وشعرت أنها ستقابل كاتس مرة أخرى . •

جاءتها رسالة فى صباح اليوم التالى من شخص غير متوقع ، وهو حارس العقار . كان رجلاً قصيراً ، وضئيل الحجم ، وكانت عيناه ضيقتين ، ويبدو فى السبعينيات من العمر ، وله وجه نحيل وخشن ، وليس لديه أسنان فى الفك السفلى ، ولذلك من الصعب فهمه عندما يتحدث . عندما استدعت نويل المصعد كان هو بالداخل ونزلا معاً ، وقال لها بصوت منخفض : " كعكة عيد الميلاد التى طلبتها فى المخبز فى شارع دى باسى " حدقت إليه نويل ، واعتقدت أنها لم تسمعه جيداً ، ثم قالت : " لم أطلب أى حلوى " .

قال الرجل بإصرار : " شارع دى باسى " .

فجأة فهمت نويل أنه رسول كاتس لها ، لكنها لن تفعل شيئاً طالما أنه يوجد رجلان من المخابرات يلاحقانها كظلها مثل المجرمين عبر الشوارع ! كان الرجلان يتحدثان ولم يرياها على مدخل البناية ، فقالت للبواب : " أين الباب الخلفى للبناية ؟ " قال لها : " من هنا يا سيدتى " .

تبعته نويل من المدخل الخلفى ، وعبر سلالم القبو إلى الحارة خلف البناية ، وبعد ثلاث دقائق كانت فى التاكسى فى طريقها لمقابلة كاتس .

كان المخبز معتاداً وشكله مألوفاً فى منطقة متواضعة فى حى للطبقات المتوسطة . كان مكتوباً بالحروف الكبيرة على زجاج المحل كلمة " مخبز " بالفرنسية ، وكانت الحروف متآكلة وطلاؤها متقشراً . عندما دخلت نويل إلى المكان بعد فتح الباب استقبلتها امرأة قصيرة بدينة ترتدى مريلة بيضاء نظيفة للغاية .

" أى خدمة يا آنسة ؟ "

ترددت نويل ، وكان أمامها وقت للتراجع ، وعدم التورط فى شىء خطير لا تهتم به .

انتظرت المرأة ردها .

قالت نويل وهى تشعر بالغباء ، كأن خطورة الموقف يتم تحقيرها بالتمثيل المصطنع لها : " لديك كعكة عيد ميلادى هنا " .

أومأت المرأة برأسها ، وقالت : " إنها جاهزة يا آنسة " ووضعت لافتة " مغلق " على باب المخبز وأغلقته ، وقالت لنويل : " من هنا يا آنسة " .

كان كاتس مستلقياً على الفراش فى حجرة خلفية صغيرة من المخبز ، وعلى وجهه أمارات الألم المبرحة ، وعرقه الغزير ينضح من كل جسده . كانت الملاءة ملطخة بالدماء ، وكان هناك رباط ضاغط حول ركبته اليسرى .

" كاتس "

حرك رأسه ناحية الباب ، ووقعت الملاءة ، وكشفت عن ساقه المبتورة وعظمة الفخذ ، واللحم المحاط بها .

قالت نويل : " ماذا حدث ؟ "

حاول الابتسام فلم يستطع ، كان صوته متحشرجاً ومجهداً من الألم : " لقد حاولوا قتلى ، ولكن ليس من السهل أن يقتل الصرصار . "

كانت نويل على حق بأنه هو الصرصار فقالت : " قرأت عنك ، هل ستكون بخير ؟ "

سحب نفساً عميقاً ، وشعر بالآلام المبرحة ، وأومأ لها رأسه بالإيجاب ، وقال بصعوبة وهو مجهد :

" المخابرات تقلب باريس رأساً على عقب بحثاً عنى ، وفرصتى فى النجاة هى الخروج من المدينة .. إذا كان يمكننى الذهاب إلى لوهافر فلدىّ أصدقاء يساعدوننى للحصول على مركب للفرار من البلاد " .

قالت نويل : " ألا يتمكن أصدقاؤك من إخراجك من باريس ؟ لماذا لا تتخفى فى شاحنة و ... " .

هز رأسه فى ضعف ، وقال : " الطرق مسدودة ، ومستحيل الهرب من باريس " .

قالت نويل فى سرها : " ولا حتى الصرصار يمكنه الهرب . "

وقالت له : " هل يمكنك السفر بساقك المبتورة ؟ " ثم وقفت تفكر فى القرار ملياً .

ابتسم ابتسامة ممزوجة بالألم الذى يعتصره

وقال : " لن أسافر بهذه الساق . "

نظرت نويل إليه ، ولم تفهم ما قاله ، وفى تلك اللحظة انفتح الباب ودخل رجل عريض المنكبين ، ضخم الجثة ، وطويل اللحية ، وكان يحمل فى يده فأساً ، وأزاح الملاءة بعد أن سار إلى الفراش ، واستعد لبتر ساق كاتس ، وشعرت نويل بالدم يهرب من وجنتيها .

فكرت نويل فيما سيفعله معها الجنرال شايدر ، ورجل المخابرات الألمانية إذا اكتشفا أمرها .

قالت نويل : " سأساعدك يا كاتس " .

كاثرين

واشنطن ـ هوليوود ١٩٤١

٧

بدا لـ " كاثرين " أن حياتها دخلت مرحلة جديدة فى الحياة ، وكأنها صعدت لمستوى انفعالى أعلى ، بل إلى ذروة الابتهاج . عندما كان فريزر فى المدينة كانا يتناولان العشاء معاً كل ليلة ، ويذهبان للحفلات الموسيقية أو المسرح أو الأوبرا . ثم قام فريزر لاحقاً باستئجار شقة صغيرة وجميلة لها بجوار أرلينجتن . كان يريد دفع الإيجار ، ولكنها أصرت على دفعه بنفسها . كان يشترى لها الهدايا والملابس والمجوهرات ، وكانت ترفضها فى البداية بسبب خجلها النابع من نشأتها الدينية ، لكنه أصبح سعيداً جدًا عندما أصبحت تقبلها منه .

قالت كاثرين لنفسها : " سواء رضيت أم لا ، فأنت مجرد عشيقة " . كانت تلك الكلمة محملة بالنسبة لها بالإيحاءات التى تشير إلى امرأة رخيصة ومبتذلة فى شقة فى شارع خلفى ، وتحيا حياة الإحباط العاطفى . لكن الآن هى داخل التجربة نفسها ، فهى لا تعيش التجربة بإيحاءاتها المذكورة سلفاً ، فهى تمارس الحب مع رجل تحبه ، ولم تشعر أن الأمر قذر بل طبيعى .

قالت كاثرين لنفسها : " من المثير أن ما يفعله الناس يبدو بشعاً ، ولكن عندما تفعل مثلهم يبدو الأمر عادياً . فعندما تقرأ عن تجارب الآخرين تبدو مثيرة ، ولكن تجاربك أنت كالجريدة المملة " .

كان فريزر رفيقاً متفهماً ، ومراعياً لشعورها ، وبدا وكأنهما يعيشان معاً منذ زمن بعيد . كانت كاثرين تتوقع ردود أفعال لكل المواقف ، وتحفظ كل حالاته المزاجية .

كان والاس تيرنر كبير المحاسبين يدير الوكالة الإعلانية الخاصة بـ " فريزر " فى غيابه . حاول فريزر التدخل فى عمل الوكالة بأقل قدر ممكن ، لكى يكرس كل وقته لعمله فى واشنطن ، ولكن كلما حدثت مشكلة كبرى تحتاج لمشورته فى الوكالة الإعلانية ، اعتاد فريزر مناقشتها مع كاثرين كصدى لروحه ولأفكاره . لقد اكتشف أن لديها موهبة طبيعية فى إدارة الأعمال ، وكانت تأتى بأفكار للحملات الإعلانية ، وكان لها آراء فعالة ، وثبت صحتها .

قال لها ذات مرة على العشاء : " إذا لم أكن أنانياً يا كاثرين لكنت جعلتك رئيسة الوكالة لكى تديرى الحسابات . " ثم أمسك يدها قائلاً : " ولكن فى تلك الحالة كنت سأفتقدك كثيراً ، وأريدك أن تظلى بجوارى " .

" أريد أن أظل معك يا بيل ، وأنا سعيدة بالوضع كما هو " وكانت تلك هى الحقيقة ، لقد فكرت فى أنه بينما هى فى وضع كهذا ، فيجب أن تسعى للزواج . لكن فى موقفها لم تكن متعجلة ، فهى تتعامل معه كزوجته بالضبط .

فى نهاية يوم العمل كانت تنتهى كاثرين من عمل ما ، ودخل عليها فريزر المكتب قائلاً :

" ما رأيك أن نذهب إلى الريف الليلة ؟ "

" بكل تأكيد ، إلى أين سنذهب "

" إلى فيرجينيا لتناول العشاء مع والدىَّ " .

نظرت إليه فى دهشة ، وقالت : " ماذا يعلمان عن علاقتنا ؟ "

قال مبتسماً : " لا يعرفان الكثير ، سوى أن مساعدتى الرائعة ستحضر معى العشاء " .

شعرت بخيبة الأمل ، ولكنها لم تظهرها على وجهها ، وقالت : " حسناً ، سأذهب للمنزل ، وأبدل ملابسى " .

" سأحضر لاصطحابك فى السابعة مساءً " .

" لا بأس " .

كان منزله الفخم المطل على جبال فيرجينيا الجميلة يقع وسط مزرعة تبلغ مساحتها ٦٠ فداناً ، والعشب الأخضر الزاهى اللون ، وكان أثرياً من القرن الثامن عشر .

قالت كاثرين بدهشة وتعجب : " لم أر منزلاً كهذا من قبل . "

قال فريزر : " إنها من أفضل مزارع أمريكا " .

مرت السيارة بإسطبل ملىء بالخيل وأكواخ ساسة الخيل .

تعجبت كاثرين قائلة : " كأنه عالم مختلف ، كم أغبطك لأنك نشأت هنا " .

" هل تظنين أنك يمكنك الإقامة فى إحدى المزارع ؟ "

قالت بجفاء : " إنها ليست مزرعة بالضبط ، بل الأمر مثل امتلاك عالم صغير خاص بك " .

ثم وصلت السيارة أمام الباب .

قال فريزر لها : " والداى يتعاملان بشكل رسمى ، ولكن لا تقلقى ، كونى على طبيعتك ، هل أنت متوترة الآن ؟ "

قالت كاثرين : " كلا ، ولكنى خائفة " . بمجرد أن قالت ذلك اندهشت لأنها كانت تكذب . كل الفتيات فى القصص عندما يقابلن آباء فتيانهن كن يشعرن بالخوف الشديد . لكنها لم تكن تشعر بشىء

سوى الفضول . لا وقت للتعجب الآن ؛ حيث خرجا من السيارة ، وفتح لهما الباب رئيس الخدم بزى فاخر ، وألقى التحية بابتسامة .

الكولونيل فريزر وزوجته كان شكلهما ، وكأنهما قد خرجا من كتاب للقصص التاريخية القديمة ، وكان أول ما اندهشت له كاثرين هو كم هما عجوزان وضعيفان .

كان كولونيل فريزر نسخة باهتة بالكربون لرجل كان وسيماً ومفعماً بالحيوية ، وكان يذكر كاثرين بشخص ما ، ثم فزعت عندما أدركت أنه صورة قديمة بالية لابنه . كان لديه شعر خفيف وأبيض ، وكان ينحنى بألم أثناء سيره . كانت عيناه لونهما أزرق باهت ويداه القوية فى الماضى أصابها التهاب المفاصل . كانت زوجته تبدو من عائلة أرستقراطية ، ومازالت تحتفظ بمسحة جمال كالفتيات الصغيرات ، وكانت كريمة وعطوفة مع كاثرين .

على الرغم مما أخبرها به فريزر ، كانت تشعر أنها هنا لكى يفحصها أبواه حيث ظلا طوال الليل يطرحان الأسئلة عليها بشكل غير مباشر . أخبرتهما كاثرين بكل شىء عن طفولتها وأبويها وحدثتهما عن الانتقال من مدرسة لأخرى ، وجعلت الأمر يبدو كمغامرة ممتعة ، وليس أمراً مؤلماً . بينما كانت تتحدث رأت أن بيل فريزر يبتسم لها لكونه فخوراً بها . كان العشاء رائعاً ، حيث تناولوه على ضوء الشموع فى حجرة سفرة كبيرة ، وذات طراز قديم ، ولها مدفأة ورخام ، وكان الخدم بالزى الرسمى القديم . كانت فضيات المائدة قديمة والنقود قديمة ، والشراب معتقاً . نظرت إلى بيل فريزر وسرت فى جسدها موجة من الامتنان الدافئ له ، كانت تشعر أن هذه الحياة ستصير لها إن أرادت هى ذلك ، وكانت تعلم أنه يحبها وهى تحبه ، لكن كان هناك شيء ناقص : الشعور بالإثارة . فكرت قائلة : " ربما أنا الخيالية أكثر من اللازم ، ربما تأثرت بالروايات الرومانسية ، فالحب ليس فارساً ذا درع لامعة ، بل فلاح مهذب فى بدلة أنيقة . " بينما تنظر إلى

الكولونيل ، قالت إن بيل فريزر سيكون كذلك بعد ٢٠ عاماً ، حيث إنه سوف يشبه أباه بالضبط ، ظلت كاثرين صامتة طوال باقى السهرة .

فى طريقهما للمنزل سألها فريزر : " هل استمتعت الليلة ؟ "

" نعم جدًّا ، وأحببت والديك "

" ولقد أحباكِ أيضاً "

" أنا سعيدة بذلك " . كانت تلك هى الحقيقة ، عدا الفكرة المقلقة المبهمة فى خلفية ذهنها عن أنها كانت يجب أن تشعر بالتوتر أكثر بشأن مقابلة والديه .

فى الليلة التالية تناولا العشاء معاً فى نادى الجوكى ، وأخبرها بأنه سيذهب إلى لندن فى عمل يستغرق أسبوعاً . قال لها : " أثناء غيابى لدى عمل مثير لك ، فلقد طلبوا من وكالتى للإعلان الإشراف على تصوير فيلم عن تجنيد ضباط الطيران فى استوديوهات " مترو جولدن ماير " فى هوليوود . أريد منك تولى مهام الإشراف أثناء غيابى " .

حدقت إليه كاثرين وهى لا تصدق : " أنا ؟ أنا لا أعرف حتى أقل القليل عن الجيش ، كيف سأشرف على فيلم عن تدريب الجنود ؟ "

ابتسم فريزر قائلاً : " الأمر فى غاية السهولة ، وكلها أمور جديدة فلا داعى للقلق ، فسيكون هناك المنتج وكل العاملين ، والجيش يخطط لاستخدام الممثلين فى الفيلم للقيام بدور الجنود " .

" لماذا ؟ "

" ربما يعتقدون أن الجنود الحقيقيين لا يقنعون المشاهدين إذا لعبوا نفس الدور فى الفيلم " .

" وهل هذا مفيد للجيش ؟ "

" تحدثت لفترة طويلة على الهاتف مع الجنرال " ماتيوز " اليوم ، وظل يؤكد على أهمية العرض المبهر ، فالإبهار سيضمن توزيع وبيع الفيلم ، فهو موجه لشباب أمريكا لكى يتطوعوا فى الجيش . "

" ما المطلوب منى ؟ "

" إدارة ومتابعة سريان الأمور على ما يرام ، وسيكون لك الرأى النهائى فى كل شىء ، وحجزت لك على طائرة لوس أنجلوس فى التاسعة من صباح غد ".

أومأت برأسها وقالت : " لا بأس ".

" هل ستفتقديننى ؟ ".

" تعلم بالطبع أننى سوف أفتقدك ".

" سأحضر لك هدية لدى عودتى ".

" لا أريد هدايا ، بل عد إلىّ بالسلامة ".

أضافت بتردد : " هل الأمور تسير إلى الأسوأ على المستوى العالمى ؟ ".

" نعم ، وأعتقد أن الحرب ستقع قريباً ".

" شىء بشع ".

" سيكون الأمر بشعاً إذا لم نتدخل فى الحرب ".

وأردف بهدوء قائلاً : " انسحبت إنجلترا من معركة دانكيرك بأعجوبة . إذا أراد هتلر عبور بحر المانش فلن يتمكن البريطانيون من صده " . انتهيا من احتساء القهوة فى صمت ، ثم قام فريزر بدفع الحساب .

" هل تودين قضاء الليلة فى منزلى ؟ ".

" لا داعى لذلك ، فيجب أن أستيقظ مبكراً ، وأنت كذلك ".

" حسناً ".

بعد أن قام بتوصيلها إلى منزلها ، استعدت للذهاب إلى الفراش ، وسألت نفسها لماذا لم تقض معه الليلة قبل رحيله . ولكن لم تتوصل إلى الإجابة أبداً.

بدا وكأنها نشأت فى هوليوود ، على الرغم من أنها لم تذهب إلى هناك أبداً . فلقد قضت مئات الساعات فى المسارح ودور السينما ،

وكانت تذوب فى الأحلام السحرية فى أفلام عاصمة السينما فى العالم ، وكانت تشعر بالامتنان لتلك الساعات المتعة .

عندما هبطت طائرة كاثرين فى مطار بيرباتك ، كانت تشعر بالإثارة ، وكانت هناك سيارة ليموزين فى انتظارها لاصطحابها إلى الفندق . أثناء سير السيارة عبر الشوارع الواسعة المشمسة كان أول ما لاحظته كاثرين هو أشجار النخيل الباسقة فى السماء بسيقانها الرشيقة العارية من الورق ، وفى الجزء العلوى أوراق خضراء زاهية اللون . فى مركز كل نخلة كانت هناك دائرة مجعدة من الأفرع الورقية من سعف النخيل ، وكانت تبدو لكاثرين كالملابس المتسخة المعلقة بدون نظام على عمود أخضر .

مرت السيارة بمبنى ضخم أشبه بالمصنع ، وكانت هناك لافتة ضخمة على المدخل مدون عليها " الأخوان ورنر " ، وتحتها " نجمع بين الأفلام الرائعة والمواطنة الشريفة " ، وعندما مرت السيارة من البوابة ابتسمت كاثرين وهى تتذكر الأفلام التى شاهدتها وأبطال هذه الأفلام .

مرت السيارة بالتل المدون عليه بالحروف الكبيرة المنحوتة فى الصخر اسم هوليوود ، وكان ضخماً جداً ، ثم انحرفت السيارة إلى شارع هاى لاند ، ثم غرباً لشارع هوليوود ، مروراً بالمسرح المصرى ، ثم الصينى ثم اتجه السائق لشارع صانست ، واتجه إلى فندق " بيفرلى هيلز " . قال السائق : " ستستمتعين بالإقامة فى هذا الفندق يا آنسة ، فهو من أفضل فنادق العالم " .

حقاً ، فهو من أجمل الفنادق التى رأتها كاثرين ، وكان يقع شمال شارع صانست ، وتحيط به أشجار النخيل والحدائق الكبيرة . كان هناك ممر للسيارات بمنحنى حتى مدخل الفندق ذى اللون الأحمر الفاتح الرقيق . جاء مساعد المدير الشاب الممتلئ بالحماس لكى يصطحب كاثرين إلى حجرتها . وهى عبارة عن شاليه فخم خلف المبنى

الرئيسى للفندق . كانت هناك باقة ورد بها بطاقة تقول : " مع تحيات إدارة الفندق " ، وباقة أخرى أكبر وبها بطاقة تقول : " أتمنى لو كنت معك أوكنت معى ، أحبك ، بيل " . أحضر مساعد المدير ثلاث رسائل هاتفية لـ " كاثرين " ، وكانت كلها من آلان بنيامين منتج فيلم التدريب العسكرى كما قيل لها . بينما كانت كاثرين تقرأ البطاقة التى جاءت مع الورد من بيل رن جرس الهاتف ، فهرعت إليه ورفعت السماعة ، وقالت بلهفة : " بيل ؟ " لكن اتضح أن المتحدث هو : " آلان بنيامين " .

قال صوته عبر الأثير : " أهلاً بك فى كاليفورنيا يا آنسة كاثرين ألكساندر ، أنا القائد العام آلان بنيامين منتج الفيلم القصير " .

فكرت كاثرين : " مجرد قائد عام ، كان لابد أن يكون المنتج برتبة كابتن أو كولونيل على الأقل " .

" سنبدأ التصوير غداً ، هل أخبروك بأننا سنستعين بممثلين بدلاً من الجنود ؟ "

" نعم . "

" سنبدأ التصوير فى التاسعة فى صباح الغد ، إذا حضرت فى الثامنة ، فأنا أريدك أن تلقى نظرة عليهم ، فأنت تعلمين ماذا يريد جيش الدفاع الجوى "

قالت بشغف : " نعم " ، ولكنها لم يكن لديها أدنى فكرة عما يريده جيش الدفاع الجوى ، لكنها افترضت أنه إذا استخدمت عقلها السليم ، وقامت باختيار ممثلين يصلحون للقيام بدور الطيارين فسيكون ذلك كافياً .

" سأجهز لك سيارة على باب الفندق فى الساعة السابعة والنصف من صباح الغد ، وسوف يستغرق الطريق نصف ساعة للوصول لاستوديوهات مترو جولدن ماير فى مدينة كالفر ، وسأقابلك فى المحطة رقم ١٣ " .

لم تنم كاثرين ، ولم يغمض لها جفن قبل الساعة الرابعة صباحاً ، وبدا وكأنها أغلقت عينيها لمدة دقيقة ، ثم رن جرس الهاتف ، وأخبرها عامل تحويل المكالمات بأن هناك سيارة ليموزين بانتظارها .

بعد نصف ساعة كانت كاثرين فى طريقها إلى استوديوهات مترو جولدن ماير .

كان أكبر استديو تصوير سينمائى فى العالم ، وكان هناك حوالى ٣٢ استوديو للتصوير ، ومبنى ضخم للإدارة يؤوى حوالى ٢٥ مديراً تنفيذياً وأشهر المنتجين والمخرجين وكتاب السيناريو فى عالم السينما ، وفى منطقة أخرى كانت هناك الديكورات الخارجية ، والتى يعاد استخدامها فى أفلام متعددة بعد إدخال التعديلات عليها . فبعد تغييرها فى ٣ دقائق مثلاً سيكون المنظر لجبال الألب السويسرية ، أو لمدينة فى الغرب الأمريكى ، أو مبنى ضخم فى مانهاتن أو فى شاطئ هاواى . كانت هناك منطقة ثالثة على طريق واشنطن بها ديكورات تساوى ملايين الدولارات للتصوير الخارجى .

كان كل ما سبق هو ما أوضحته المرشدة لـ " كاثرين " ، وكانت هى المكلفة باصطحابها لاستوديو رقم ١٣ . قالت المرشدة بفخر : " وكأنها مدينة متكاملة ، فنحن نولد الكهرباء الخاصة بنا ، ومطاعمنا تصنع الطعام لستة آلاف موظف يومياً ، ونصنع الديكورات فى الساحة الخلفية ، فلدينا اكتفاء ذاتى ، ولا نحتاج لمساعدة خارجية ".

قالت كاثرين : " ماعدا الجمهور ."

بينما سارا عبر الشارع مرا بقلعة مكونة من واجهة لها أعمدة محمولة عليها ، وعلى مقربة منها بحيرة ، وبهو مسرح سان فرانسيسكو .

ضحكت كاثرين بقهقهة ، ونظرت إليها الفتاة المرشدة فى دهشة قائلة : " هل ثمة خطأ قد حدث ؟ "

قالت كاثرين : " كلا ، فكل شيء رائع . "

عشرات الكومبارس يجوبون الشارع ، من رعاة البقر إلى الهنود الحمر ، وكلهم يتحدثون بود معاً ، وهم متجهون إلى استوديوهات الصوت . ظهر رجل دون توقع من أحد الأركان ، وتراجعت كاثرين للخلف ، لكى تتجنبه ، ورأت أنه فارس يرتدى البدلة الحديدية لفرسان العصور الوسطى ، وخلفه مجموعة بنات بملابس البحر . قررت كاثرين أنها ستستمتع بهذا التغيير المؤقت فى عملها فى مجال السينما ، وتمنت لو أن والدها قد رأى ذلك ، فكم كان سيستمتع .

قالت المرشدة : " ها قد وصلنا " . كانتا أمام مبنى ضخم رمادى به لافتة تقول : " استوديو ١٣ ".

" سأتركك هنا . هل ستكونين بخير ؟ "

" نعم ، شكراً ."

أومأت المرشدة برأسها وانصرفت . التفتت كاثرين لاستوديو الصوت ، وكانت اللافتة مدوناً عليها : " ممنوع الدخول عند إضاءة الضوء الأحمر " . وكان الضوء منطفئاً، فحاولت فتح الباب ، لكنه كان ثقيلاً بشكل غير متوقع ، واستجمعت كل قوتها لفتحه .

بداخل الاستوديو الواسع كالكهف كان يوجد عشرات العمال المسرعين جيئة وذهاباً ، وكان كل منهم مشغولاً بمهمة ما . حيث كانت هناك مجموعة من الرجال فى سلاح الطيران بالزى العسكرى ، وأدركت كاثرين أنهم الممثلون فى الفيلم . وفى أحد أركان استوديو الصوت كان يتواجد مكتب كامل بالمقاعد والمناضد والخريطة العسكرية الكبيرة المعلقة على الحائط وكان العمال التقنيون يضيئون المكان .

قالت كاثرين لأول رجل يعبر بجوارها : " اعذرنى ، هل الأستاذ آلان بنيامين هنا ؟ "

" القائد العام ؟ هناك . " ثم أشار بذراعه .

استدارت كاثرين ، فرأت رجلاً قصيراً وضعيفاً فى حلة عسكرية لا تليق بحجمه وبرتبة قائد ، وكان يصرخ فى قائد آخر برتبة جنرال .

كان يصرخ قائلاً : " اللعنة على ما يقوله المخرج ، فأنا لدىّ العديد من الجنرالات ، وأريد رجالاً للأدوار الأخرى . " ثم رفع يديه فى يأس قائلاً : " الكل يريد دور الرئيس ، ولا أحد يريد دور الهندى " .

قالت كاثرين : " المعذرة ، أنا كاثرين ألكساندر ."

قال الرجل القصير : " الحمد لله ! " ثم قال للآخرين بمرارة : " انتهى اللعب يا أغبياء ، فمندوبة واشنطن هنا " .

اندهشت كاثرين ، وقبل أن تتحدث قال القائد ذو الحجم الضئيل : " لا أعرف ما الذى أفعله هنا ، لدىّ عمل أتقاضى فى مقابله ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار فى العام فى مدينة ديربورن ، حيث إننى رئيس تحرير مجلة متخصصة فى الأثاث ، ثم قيدت اسمى فى الجيش وهأنذا أكتب سيناريو فيلم تدريبى . ما الذى أعرفه أنا عن الإنتاج والإخراج ؟ تلك أسوأ فوضى رأيتها " . ثم أصدر صوتاً من فمه ، ووضع يده على معدته ، وقال : " لدىّ قرحة فى المعدة " ثم أردف متذمراً : " أنا ليس لدىّ علاقة حتى بالتصوير ، المعذرة سأذهب الآن " .

ثم أسرع للخروج من الباب ، وترك كاثرين واقفة هناك ، فنظرت حولها فى يأس ، وبدا وكأن الجميع يحدق إليها فى انتظار أوامرها وأفعالها .

جاءها رجل نحيل شعره أبيض يرتدى معطفاً ، وقال لها فى هدوء مبتسماً : " هل يمكننى تقديم أى مساعدة ؟ "

قالت كاثرين بصراحة : " أحتاج لمعجزة ، فأنا المسئولة عن كل شىء هنا ، ولا أعرف ما المفترض أن أقوم به " .

ابتسم لها قائلاً : " أهلاً بك فى هوليوود وأنا توم أوبراين المدير المساعد " .

نظرت إليه مستفهمة عن مقصده .

فقال : " أنا المدير المساعد ، ومن المفترض أن القائد العام سيخرج الفيلم ، ولكنى أشعر أنه لن يعود " . كان يتحدث بثقة وهدوء واطمئنان جعلها ترتاح إليه .

قالت له : " منذ متى وأنت تعمل فى استوديوهات مترو جولدن ماير ؟ "

" منذ ٢٥ عاماً . "

" هل تظن أنه بإمكانك إخراج الفيلم ؟ "

انفرجت شفتاه عن ابتسامة خفيفة : " سأحاول " وقال بجدية : " لقد شاركت فى إخراج ستة أفلام مع " ويلى وايلر " ، وأعرف أن الأمر هنا ليس بهذا السوء كما يبدو ، فنحن بحاجة فقط إلى النظام ، فالسيناريو مكتوب ، والديكور جاهز " .

قالت كاثرين : " تلك هى البداية الصحيحة . "

ثم نظرت فى أرجاء الاستوديو على الرجال ذوى الزى العسكرى ، فكان معظمهم لا يرتدى الزى على المقاس المناسب ، وبدا عليهم التوتر من الزى غير المناسب .

قالت كاثرين : " مظهرهم كفتيان إعلانات التطوع للبحرية . "

ضحك أوبراين لتعليقها المرح .

" من أين تم إحضار الملابس ؟ "

" إنها أزياء غريبة ؛ لأن قسم الأزياء نفدت منه الأزياء ، وإننا بحاجة لغيرها ، فنحن نصور ثلاثة أفلام عن الحرب . "

فحصت كاثرين الرجال بنظرة انتقادية ، وقالت : يوجد حوالى ستة أفراد فى غاية السوء ، لنطردهم ونرى هل سنحسن العمل أم لا . "

أومأ برأسه موافقاً ، وقال : " إننى أوافقك ذلك . "

ذهبت كاثرين وأوبراين إلى مجموعات الكومبارس ، وكانت ضجة الحوار فى الاستوديو الواسع تكاد تصم الآذان .

صاح " أوبراين " : " رجاءً التزام الصمت يا رجال ، هذه هى الآنسة كاثرين ألكساندر المسئولة عن كل شىء هنا . "

ظل الرجال يصفرون ويصدرون الأصوات ابتهاجاً بها .

ابتسمت كاثرين ، وقالت : " شكراً لكم ، معظمكم يبدو مظهره رائعاً ، ولكن يجب على بعضكم الذهاب لقسم الملابس للحصول على أزياء مختلفة ، لتقفوا فى صف لكى أراكم جيدًا " .

قال أحد الرجال : " وأنا أريد أن أراك جيداً ، ما خطتك للعشاء الليلة ؟ "

قالت كاثرين : " سأتناوله مع زوجى بعد انتهائى من العمل معكم " .

قسمهم أوبراين إلى صفوف ، وسمعت كاثرين أصواتهم الخافتة وتعليقاتهم وضحكاتهم وتعبيرات الضيق والغمغمة . كان أحد رجال الكومبارس يقف بجوار خلفية الديكور يتحدث إلى ثلاث فتيات ينصتن له بتركيز ، ويضحكن بصوت عال على كل ما يقوله . راقبتهن كاثرين للحظة ، ثم اتجهت للرجل وقالت : " معذرة ، هلا انضممت للباقين ؟ "

قال الرجل وهو يستدير ببطء : " هل تتحدثين معى ؟ "

قالت كاثرين : " نعم ، يجب أن نتأهب للعمل " ثم رحلت مبتعدة عنه .

همس الرجل بشىء للفتيات جعلهن ينفجرن ضاحكات ، ثم ذهب ببطء خلف كاثرين . كان هذا الرجل طويلاً ومتناسق القوام ، ونحيفاً ووسيماً جدًا ، وله شعر أسود مائل للزرقة ، وعينان داكنتان لامعتان . كان صوته عميقاً ، ويوحى بالمتعة والجرأة ، وقال لـ " كاثرين " : " هل من خدمة أؤديها لك ؟ "

قالت له : " هل تريد العمل ؟ "

قال مطمئناً لها : "بالطبع ، بالطبع . "

قرأت كاثرين ذات مرة مقالاً عن الكومبارس . كانوا رجالاً من نوع غريب ، يقضون حياة بلا شهرة فى الاستوديوهات كخلفية للمشاهد التى بها زحام من الناس حيث يظهر النجوم ، وكانوا بلا وجوه أو أصوات فى الفيلم ، وبلا طموح للسعى وراء وظيفة لها حيثية . كان الرجل الماثل أمامها مثالاً يجسد ذلك ؛ لأنه وسيم للغاية . ربما أخبره أحد فى بلدته أنه قد يصبح نجماً سينمائياً ، ولذلك جاء إلى هوليوود ، وتعلم أهمية الموهبة والوسامة ، وقرر أن يصبح " كومبارس " كطريق مختصر وسهل للشهرة .

قالت كاثرين بصبر : " ستغير هذا الزى مثل بعض الرجال هنا . "

" لماذا ؟ هل يوجد فى الزى ما يعيب ؟ "

نظرت كاثرين عن قرب إلى ملابسه ، واعترفت أنها تليق بقوامه . وتظهر أنه عريض المنكبين دون مبالغة ، وجسده ممشوق ، وعلى كتفيه رتبة كابتن ، وعلى صدره شارات ملونة ونياشين .

قال لها : " هل كل هذا مؤثر بشكل كاف فى باريس ؟ "

" من قال لك إنك ستلعب دور الكابتن ؟ "

نظر إليها بجدية ، وقال : " إنها فكرتى ألا تظنين أننى أصلح لدور الكابتن ؟ "

هزت رأسها بالنفى ، وقالت : " كلا ، لا تصلح . "

قال متسائلاً : " ملازم أول ؟ "

" كلا "

" ملازم ثان ؟ "

" بل أنت لا تصلح للقيام بأدوار عسكرية . "

نظر إليها بعينيه الداكنتين . وكان يتساءل : " هل ثمة ما يستوجب إصلاحه فى ملابسى ؟ "

قالت له : " نعم ، الميداليات تجعلك ذا مظهر شجاع أكثر من اللازم . "

ضحك قائلاً : " أعتقد أنها ستضفى لوناً للفيلم . "

قالت له بصرامة : " يوجد ما نسيته حقاً ، نحن لسنا فى الحرب حقاً ، لابد أنك ربحت تلك الأوسمة والميداليات فى المسابقات والمهرجانات " .

ابتسم لها الرجل قائلاً بنبرة اعتراف : " أنت محقة ، لم أفكر فى ذلك ، سأخلع الميداليات . "

قالت له كاثرين : " اخلعها كلها "

ابتسم لها بوقاحة ، وقال : عُلم يا سيدتى الرئيسة " . كانت على وشك الرد " لا تقل لى رئيسة " ، لكنها قالت لنفسها : " عليه اللعنة " ثم ابتعدت عنه وذهبت للتحدث مع أوبراين .

أرسلت كاثرين ثمانية رجال لتغيير ملابسهم ، ثم قضت ساعة فى مناقشة المشهد التالى مع أوبراين . كان القائد القصير الضئيل قد عاد منذ قليل ، ثم اختفى ، كان ذلك من الأفضل من وجهة نظر كاثرين ، حيث إن كل ما يفعله إما الشكوى أو التذمر ، وإصابة الآخرين بالتوتر . انتهى أوبراين من تصوير المشهد الأول قبل وقت الغداء ، وشعرت كاثرين أنه كان مشهداً لا بأس به . لكن حدث شىء واحد أفسد نهارها ، فلقد أعطت عدة سطور للكومبارس وذلك لكى تظهره بمظهر سيئ عقاباً له على وقاحته . لكنه قرأ السطور بمهارة ، وأظهر قدرات تمثيلية فائقة ، وعندما انتهى قال لها : " هل أعجبك ذلك يا سيدتى الرئيسة ؟ "

عندما جاءت حصة الغداء ذهبت كاثرين لمطعم الاستوديو الضخم ، وجلست على مائدة فى الركن ، وجلس على المائدة الضخمة المجاورة لها مجموعة من العساكر بالزى العسكرى . كانت كاثرين جالسة بجوار الباب عندما شاهدت الكومبارس الذى أغاظها يدخل إلى المطعم ، وحوله ثلاث فتيات يتدافعن للبقاء بجواره . شعرت كاثرين بالدم يغلى فى عروقها ، وقالت لابد أنه مجرد تفاعل كيميائى فى جسدها . كان هناك

من تكرههم من أول نظرة مثلما يوجد من تحبهم من أول نظرة . هناك شيء فى غروره وتكبره يثيرها ، كان يصلح لدور رفيق امرأة عجوز ثرية ، وربما هو كذلك بالفعل .

أجلس الفتيات على المائدة ونظر إلى أعلى ، ورأى كاثرين ، ثم انحنى على الفتيات ، وقال لهن شيئاً ، فنظرن إليها ، وانفجرن ضاحكات ، يا لسذاجته ! ثم رأته يتجه إلى مائدتها وحدق إليها بابتسامته المعهودة وقال لها : " هلا سمحت لى بالجلوس معك لبرهة من الوقت ؟ "

" أنا ... "

لكنه قد جلس أمامها بالفعل ، وأخذ يتفرس فى وجهها ، ويشعر بالاستمتاع .

قالت له بصرامة : " ماذا تريد ؟ "

ابتسم ابتسامة عريضة قائلاً : " هل تريدين معرفة ذلك حقاً ؟ "

شعرت بغضب شديد ، وقالت : " أنصت إلىّ جيداً ... "

قال سريعاً : " أردت معرفة رأيك فى أدائى ، ثم مال إليها وقال فى جدية : " هل كنت مقنعاً كممثل ؟ "

قالت له : " قد تكون مقنعاً لهم " وأشارت للفتيات ، " لكن إن أردت رأيى ، فأنت مزيف ومخادع " .

" هل فعلت ما يسيء إليك ؟ "

قالت بهدوء : " كل ما تفعله يسيء لى ، فأنا لا أحب نوعك من الرجال " .

" ما نوعى ؟ "

" أنت مزيف ومخادع ، وتستمتع بارتداء الزى العسكرى ، وتثرثر مع الفتيات ، ولكن هل فكرت فى الانضمام للجيش ؟ "

حدق إليها مذهولا وغير مصدق : " ويطلق أحدهم الرصاص علىّ ؟ هذا للحمقى فقط ." ثم مال إليها مبتسماً ، وقال : " إن البقاء هنا ممتع أكثر " .

اهتزت شفتاها من الغضب ، وقالت : " هل لا تصلح للجيش ؟ "

" بل من الناحية التقنية ، أصلح ، لكن هناك صديقاً لى يعرف رجلاً مهماً فى واشنطن لإعفائى من الجيش . " لقد قال العبارة الأخيرة بصوت خفيض .

صاحت كاثرين : " أعتقد أنك حقير ومثير للاشمئزاز . "

" لماذا ؟ "

" إذا لم تعرف السبب ، فلن أقوله لك . "

" لماذا لا تحاولين ؟ الليلة على العشاء مناسب ؟ فى منزلك ؟ هل تجيدين الطهى ؟ "

قامت كاثرين ، وقد احمرت وجنتاها غضباً : " لا تأت إلينا غداً ، لأننى سأقول للسيد أوبراين أن يرسل لك باقى حسابك لعملك اليوم ، ولا نريدك بعد الآن ! "

ثم تأهبت للذهاب ، ثم بدا وكأنها تذكرت شيئاً ، فسألته : " ما اسمك ؟ "

" لارى دوجلاس . "

اتصل فريزر بـ " كاثرين " من لندن فى الليلة التالية ، لمعرفة آخر الأخبار فى سير الأمور ، فذكرت له كل وقائع اليوم عدا ما حدث من لارى دوجلاس . عندما يعود فريزر إلى واشنطن ستخبره بذلك ، لكى يضحكا معاً .

فى الصباح أثناء ارتداء كاثرين لملابسها للذهاب إلى الاستوديو ، دق جرس الباب ففتحت باب الشاليه ، ووجدت عامل التسليم معه باقة ورد كبيرة ، وقال لها : " الآنسة كاثرين ألكساندر ؟ "

" نعم . "

" وقعى هنا من فضلك . "

وقعت على الإيصال ، وأعطته للعامل وأخذت الزهور ، وقالت : " إنها باقة جميلة " .

" السعر هو ١٥ دولاراً "

" أفندم ؟ "

" ١٥ دولارًا ، والدفع عند الاستلام "

" لا أفهم ... " ثم لم تنبس ببنت شفة وأخذت البطاقة المرفقة بالأزهار ، وفتحت المظروف ، وقرأت : " كنت سأدفع ثمنها بنفسى ، لولا أننى بلا وظيفة . مع حبى : لارى ."

حدقت فى البطاقة وهى لا تصدق ما قرأته .

قال عامل التسليم : " حسناً ستأخذين الزهور أم لا ؟ "

قالت بحدة : " لا " ثم ألقت الزهور له . قال لها وهو يشعر بالحيرة : " قال إنك سوف تضحكين من هذه النكتة الظريفة ."

قالت : " لن أضحك " ، ثم أغلقت الباب بغضب فى وجهه .

ظلت طوال اليوم تتذكر هذا الموقف . لقد قابلت رجالاً مغرورين كثيراً ، لكن ليس هناك من يضاهى غرور وتفاخر وأنانية لارى دوجلاس . كانت متأكدة من أن له مغامرات مع الشقراوات الفارغات العقل ، والسمراوات السمينات اللاتى لم يقاومن الذهاب معه إلى مكان خال . كونه قد وضعها فى تلك الفئة يشعرها بالإهانة ، وكأنها فتاة رخيصة . مجرد التفكير فيه يجعلها تغلى من الغضب . قررت طرده من ذهنها نهائياً .

فى السابعة مساءً بدأت تتأهب لمغادرة الاستوديو ، فجاء إليها أحد المساعدين وفى يده مظروف لها .

" هلا دفعت ثمن تلك الأدوات يا آنسة ؟ "

قرأت الإيصال ، وكان من إدارة اختيار الممثلين :

عدد واحد زى عسكرى (برتبة كابتن)

عدد ٦ شارات (متنوعة)

عدد ٦ ميداليات (متنوعة)

اسم الممثل : لارى دوجلاس .. (أدوات تابعة للآنسة كاثرين ألكساندر من استوديوهات مترو جولدن ماير) .

نظرت إلى العامل وقد احمر وجهها من الغضب

" كلا ! "

" ماذا سأقول لهم فى الإدارة ؟ "

" أخبرهم أننى لن أدفع ثمن كل ذلك " .

انتهى تصوير الفيلم بعد ثلاثة أيام ، وشاهدت كاثرين النسخة الأولية للفيلم بعد ذلك ووافقت عليها . لن يفوز الفيلم بأى جوائز ؛ لكنه كان بسيطاً وفعالاً . لقد قام توم أوبراين بعمل جيد .

فى صباح يوم السبت حجزت كاثرين على الطائرة المتجهة إلى واشنطن ، لم تسعد من قبل عندما كانت تغادر أى مدينة بمثل السعادة التى تشعر بها الآن . كانت فى صباح الاثنين التالى فى مكتبها تحاول ملاحقة ومتابعة العمل المتراكم طوال مدة غيابها .

قبل الغداء قالت لها سكرتيرتها آنى عبر الاتصال الداخلى : " الأستاذ لارى دوجلاس على الهاتف من هوليوود فى كاليفورنيا ، هل تودين استقبال المكالمة ؟ "

قالت سريعاً : " لا " ، ثم أردفت قائلة : " أخبريه أننى .. لا عليك ، سأخبره بنفسى . ثم سحبت نفساً عميقاً ، وضغطت على زر تحويل المكالمات ، وقالت : " الأستاذ دوجلاس ؟ "

قال بصوت مثير : " صباح الخير ، عثرت عليكِ بصعوبة ، ألا تحبين الأزهار ؟"

قالت كاثرين بصوت متهدج من الغضب : " يا سيد دوجلاس ! " ثم سحبت نفساً عميقاً ، وقالت : " أنا أحب الأزهار ، ولكنك لا تعجبنى ، ولا أحب أى شىء متعلق بك ، فهل هذا واضح ؟ "

" أنت لا تعلمين عنى أى شىء . "

" بل أعرف بأكثر مما ينبغى ، وأعتقد أنك جبان وحقير ، ولا أريدك أن تتصل هنا مرة أخرى " . وضعت السماعة مكانها بعنف ، وهى ترتعش وبكت من الغضب . كيف يجرؤ ! ستكون سعيدة جداً عندما يعود بيل .

بعد ثلاثة أيام تلقت كاثرين صورة كبيرة لهذا الذى يدعى لارى دوجلاس عبر البريد ، وكان مدوناً خلفها : " إلى الرئيسة ، مع حبى ، لارى " .

حدقت آنى إلى الصورة فى انبهار ، وقالت : " يا إلهى ! هل هو حقيقى ؟"

ردت كاثرين بحدة : " بل مزيف ، الشىء الوحيد الحقيقى هو الورق المطبوع عليه الصورة . " ثم مزقتها شر ممزق .

شاهدتها آنى وهى حزينة : " يا لها من خسارة ! يا ليتنى قابلت هذا الرجل ! " .

قالت كاثرين بكآبة : " فى هوليوود توجد ديكورات وواجهات بلا أساس ـ ولقد رأيت إحداها للتو . "

خلال الأسبوعين ظل لارى يحاول أن يتحدث معها عبر الهاتف عشرات المرات ، وأمرت كاثرين آنى ألا تزعجها بمكالماته ، وألا تخبرها أنه حاول الاتصال . وفى أحد الأيام أثناء إملاء كاثرين لـ " آنى " بعض الخطابات قالت آنى بلهجة اعتذار : " أعلم أنكِ أخبرتنى بألا أزعجك بشأن مكالمات دوجلاس ، ولكنه فى آخر مكالمة كان يبدو عليه اليأس و .. والحيرة والحزن " .

قالت ببرود : " فليذهب إلى الجحيم ، وإذا كنت ذكية فلن يحاول الوصول إليك . "

" يبدو جذاباً جدًا . "

" بل هو ثقيل الظل . "

" لقد سأل عنك بكثير من الأسئلة ، لكنى بالطبع لم أجبه " . ثم نظرت إلى وجهها تتفحصه .

" هذا تصرف جيد منك يا آنى " .

واصلت كاثرين الإملاء ، ولكن لم تكن تفكر فيما تمليه ، بل كانت تفكر فى أن العالم ملىء بأمثال لارى دوجلاس ، مما جعلها تكن كل الاحترام لـ " ويليام فريزر " .

عاد فريزر فى صباح يوم الأحد التالى ، وذهبت كاثرين إلى المطار لاستقباله ، وراقبته وهو ينتهى من الإجراءات الجمركية ، وتوجه إلى باب الخروج ، حيث وقفت فى انتظاره ، وقد أشرق وجهه عندما رآها .

قال لها : " كاثى ، يا لها من مفاجأة سارة ! لم أتوقع انتظارك فى المطار " .

قالت له : " لم أعد أطيق الانتظار " ثم ابتسمت واحتضنته بدفء مما جعله ينظر إليها باستغراب .

قال لها : " هل افتقدتنى ؟ "

" بأكثر مما تتصور "

" هل استمتعت بالإقامة فى هوليوود ؟"

قالت بعد تردد : " لا بأس ، ولقد نال الفيلم كل الاستحسان والرضا . "

" لقد سمعت عن ذلك . "

" عندما تسافر المرة القادمة خذنى معك . "

نظر إليها ، وقد بدا عليها السرور والتأثر

ثم قال : " اتفقنا ، لقد افتقدتك ، وفكرت فيكِ كثيراً . "

" حقا ؟ "

" هل تحبيننى ؟ "

" نعم ، جدًا . "

" أنا أيضاً أحبك ، لماذا لا نسهر ، ونحتفل الليلة ؟ "

قالت مبتسمة : " رائع ! "

" لنتناول العشاء فى نادى جيفرسون . "

ثم أوصلته إلى المنزل ، فقال لها : " لدىّ العديد من المكالمات الهاتفية التى يجب أن أجريها ، هلا تقابلنا فى النادى فى الساعة الثامنة ؟ "

" حسناً . "

عادت كاثرين لمنزلها ، وقامت بأعمال الغسيل والكى ، وفى كل مرة تمر على الهاتف وتتوقع أن يرن ؛ لكنه يظل صامتاً . فكرت فى دوجلاس وهو يحاول خداع آنى لكى يطلب منها معلومات عنها فضغطت على أسنانها من الغيظ . ربما تطلب من فريزر إعادته للكومبارس " كلا ، لن أهتم ، فربما يخذل من حوله ويظل مخادعاً ، ثم اغتسلت ، وعندما كانت تجفف جسدها رن جرس الهاتف ، فشعرت بتوتر ورفعت السماعة وقالت ببرود : " مرحباً " .

كان المتحدث هو فريزر : " أهلاً ، هل ثمة سوء ؟ "

قال سريعاً : " كلا بالطبع يا بيل ، فأنا كنت أغتسل . "

قال لها مازحاً : " أنا آسف لأننى لست متواجدًا معك الآن ! "

" وأنا أيضاً . "

" لقد اتصلت لكى أقول لك إننى أفتقدك فلا تتأخرى . "

ابتسمت قائلة : " لن أتأخر . "

أغلقت السماعة ببطء وهى تفكر فيه . لأول مرة تشعر أنه على وشك طلب يدها للزواج ، وتصبح مدام فريزر . قالت هذا الاسم بصوت عال :

" مدام ويليام فريزر " ، إنه اسم يوحى بالاحترام والكرامة . " ياه لقد أصبحت غير مكترثة ، منذ ٦ شهور كنت سأقفز فرحاً إذا تقدم لى ، والآن كل ما أقوله هو أن الاسم يوحى بالاحترام " . هل تغيرت حقاً إلى هذا الحد ؟ لم ترتح لهذه الفكرة ، ثم نظرت إلى الساعة ، وبدأت ترتدى ملابسها سريعاً .

كان نادى جيفرسون فى شارع فخم ، وكان نادياً عريقاً فى مبنى قديم محاط بسور حديدى وكان نادياً للصفوة فقط ، ولا يقبل أعضاء جدداً إلا بصعوبة مثل غيره من نوادى الصفوة . كان أسهل طريقة للانضمام كعضو فى هذا النادى أن يكون والدك مشتركاً فيه ، وإذا لم يتوافر هذا الشرط ، فمن الضرورى أن يزكيك ثلاثة أعضاء للنادى . كانت عروض الالتحاق تقدم مرة واحدة سنوياً ، ومجرد نقطة سوداء واحدة فى ملفك فإن ذلك معناه عدم قبول عضويتك مدى الحياة ؛ لأنه كانت هناك قاعدة أساسية تنص على أن المرشح المرفوض لا يمكنه التقدم مرة أخرى .

كان والد فريزر من مؤسسى النادى ، وبالتالى كان فريزر وكاثرين يتناولان العشاء هناك مرة أسبوعياً ، وكان الطاهى فرنسياً ، والطعام رائعاً وممتازاً ، وقد صمم ديكورات النادى أشهر مصممى الديكور فى العالم ، حيث وجهوا اهتمامهم لتناسق الألوان والإضاءة ، لكى تصير النساء فى ضوء الشموع أجمل بكثير . فى أى ليلة قد يتصادف وجود نائب رئيس الجمهورية ، أو أعضاء هيئة القضاء ، أو الوزارة ، أو سيناتور من مجلس الشيوخ ، ورجال الصناعة ذوى النفوذ الذين يتحكمون فى الإمبراطوريات الصناعية عبر أنحاء العالم .

كان فريزر فى قاعة الاستقبال ينتظر كاثرين إلى أن حضرت .

قالت كاثرين : " هل تأخرت ؟ "

قال لها وهو ينظر إليها فى إعجاب : " لا بأس ، هل تعلمين أنك رائعة جدًا الليلة ؟ "

" بالطبع فالجميع يعلمون أننى الرائعة جدًّا كاثرين ألكساندر "

قال بصوت جاد جدًّا : " بل أعنى ما قلته يا كاثى " ، وشعرت هى بالإحراج .

قالت بإحراج : " شكراً لك يا بيل ، ولا تحدق إلىّ هكذا "

" لا أستطيع المقاومة " ثم تأبط ذراعها

قادهما النادل لويس لمكانهما فى قاعة الطعام : " هنا يا سيد فريز ويا آنسة كاثرين ألكساندر ، استمتعا بالعشاء "

فرحت عندما ناداها كبير الندل باسمها ، فهو كبير الندل فى أعرق وأفخم ناد . كانت تشعر أنها طفلة ساذجة عندما فرحت ؛ لكنها أحست أن لها كيانًا وشهرة ، وأنها تنتمى للمكان .

جلست وهى تشعر بالرضا والاسترخاء ، وظلت تفحص القاعة ثم قال فريزر : " هلا احتسيت شراباً ؟ "

" كلا ، شكراً "

هز رأسه بالنفى ، وقال : " يجب أن أعلمك بعض العادات السيئة "

همست قائلة : " لقد فعلت ذلك بالفعل "

ابتسم لها ، وطلب لنفسه شراباً .

ظلت تتفرس فى وجهه ، وهى تفكر كم هو رجل رقيق وعزيز لديها ، وهى متأكدة أنها ستسعده عندما تصبح زوجته ، وستصبح سعيدة جدًّا . قالت لنفسها بإصرار " سأكون سعيدة جدًّا وسيشهد بذلك الجميع ومجلة " التايم " . كانت تكره كل ما تفكر فيه الآن ، ولا تدرى ما الذى دهاها ؟

بدأت تقول له : " بيل " .. " ثم تصلبت كالتمثال فجأة .

كان لارى دوجلاس يسير فى اتجاههما ، وتعلو وجهه ابتسامة تدل على أنه تعرف على كاثرين . كان يرتدى الزى العسكرى لسلاح الطيران . راقبته كاثرين وهى غير مصدقة ما يحدث إلى أن جاء إلى

مائدتهما وهو يبتسم فى سعادة . قال لهما : " أهلا بكما " لكنه لم يوجه الحديث لـ " كاثرين " ، بل لـ " فريزر " الذى قام وصافحه بحرارة .

" رائع أن أراك هنا يا لارى "

" وأنا أيضاً يا بيل "

حدقت كاثرين إليهما ، وشعرت بتصلب عقلها ، وكأنه خارج نطاق الخدمة .

قال فريزر : " كاثى ، هذا هو الكابتن لورانس دوجلاس . لارى ، هذه هى الآنسة كاثرين ألكساندر " .

نظر دوجلاس إليها ، وكان يسخر منها بعينيه الداكنتين ؛ لكنه قال بجدية : " سررت بلقائك يا آنسة كاثرين "

همت بقول أى شىء ؛ لكنها أدركت فجأة أن ليس لديها ما تقوله . كان فريزر ينظر إليها فى انتظار أن تتحدث ؛ لكن كل ما فعلته أنها أومأت برأسها ، فلم تثق فى صوتها الآن ، وإلا سيفضح مكنون نفسها .

قال فريزر : " هلا جلست معنا يا لارى ؟ "

نظر لارى إلى كاثرين ، وقال بتواضع : " إذا كنت متأكدًا من أننى لا أتطفل عليكما ... "

" بالطبع لا . اجلس "

جلس لارى بجوار كاثرين

قال فريزر : " هلا احتسيت شراباً "

قال لارى : " نعم ، من فضلك "

قالت كاثرين بدون تفكير : " وأنا أيضاً "

نظر إليها فريزر فى دهشة : " لا أصدق ذلك "

قالت له : " لقد قلت إنك تريد تعليمى بعض العادات السيئة ، فلماذا لا نبدأ الآن " .

عندما أمر فريزر بإحضار الشراب قال لارى : " سمعت عن مغامراتك العسكرية من الجنرال تيرى - فى البر وفى الجو " .

حدقت كاثرين إلى لارى ، وكان رأسها يدور ، وحاولت المحافظة على اتزانها ، وقالت : " بشأن الميداليات .. "

نظر إليها فى براءة ، وقال : " نعم ؟ "

ابتلعت ريقها ، وقالت : " أعنى - من أين حصلت عليها ؟ "

قال بجدية : " من المهرجانات كجائزة "

ضحك فريزر : " من المهرجانات ؟ بل إن لارى طيار فى سلاح الطيران ، وهو قائد سرب الطيران الأمريكى ، وكان يرأس قاعدة حربية هنا فى واشنطن لتجنيد وتدريب الشباب للجيش "

استدارت كاثرين وحدقت إلى لارى الذى كان يبتسم بدون أى مقصد سخرية أو خبث ، وكانت عيناه ترقصان فرحاً . مثل إعادة فيلم قديم ، تذكرت كاثرين كل كلمة دارت بينها وبين لارى فى أول لقاء ، لقد أمرته حينئذ بخلع كل ميدالياته وشاراته وأطاعها بمرح ، وظنت أنها ذكية وماهرة ومتسلطة - ولقد قالت له إنه جبان ! ودت لو اختبأت تحت المائدة من فرط الخجل .

قال فريزر : " ليتك أخبرتنى أنك ستأتى إلى هنا ، وكنت سأسعى إليك بأقصى سرعة ، يجب أن نقيم حفلاً احتفالاً بعودتك " .

قال لارى : " بل أفضل أن أظهر فجأة " ، ثم نظر إلى كاثرين فأبعدت نظرها عنه ، لأنها غير قادرة على النظر إلى عينيه . أردف قائلاً وبراءة الأطفال فى عينيه : " فى الحقيقة بحثت عنك عندما كنت فى هوليوود يا بيل ، وسمعت أنك تنتج فيلماً عن تدريب سلاح الطيران " .

توقف وقال بعد أن أشعل السيجارة ، وأطفأ عود الثقاب بحرص : " ذهبت إلى هناك ، ولم أجدك يا بيل "

قال فريزر : " اضطررت للسفر إلى لندن ، وكاثرين كانت فى هوليوود للإشراف العام . أنا مندهش لأنكما لم تتقابلا "

نظرت كاثرين إلى لارى ، وكان يراقبها وتطل السعادة من عينيه . والآن قررت كاثرين أن هذا هو الوقت المناسب لسرد كل ما حدث بينه وبينها لـ " فريزر " ، ويضحكون وينتهى الأمر كذكرى لطيفة مرحة . لكن الكلمات وقفت فى حلقها ، ولم تنبس ببنت شفة .

انتظر لارى دقيقة ، ثم قال : " الاستوديو كان مزدحماً ، ولم نتقابل ولو مرة واحدة "

كانت تكرهه لأنه أنقذها من مأزق الإحراج أمام فريزر ، وكأنهما يتآمران عليه .

عندما جاء المشروب ، احتست كاثرين الكأس دفعة واحدة ، وطلبت غيرها . تلك هى أسوأ ليلة فى حياتها ، لا تطيق الانتظار حتى ترحل من هنا ، للهرب من لارى دوجلاس .

سأله فريزر عن مغامراته فى الحرب ، وكان لارى يقصها عليهما بطريقة مرحة ومسلية ، ولم يكن يأخذ أى شىء بمأخذ الجد . كان يبدو تافهاً ، لكن كاثرين اعترفت لنفسها أن التافهين لا يتطوعون فى سلاح الطيران ، ويصبحون أبطالاً ، ويحاربون ضد الألمان . بشكل مناف للعقلانية كرهته أكثر ، لأنه كان بطلاً فى الحرب . كان اتجاهها لا معنى له لديها عندما فكرت فيه وهى تحتسى الكأس الثالثة . ما الفرق لديها سواء كان بطلاً أو عاطلاً بلا عمل ، ثم أدركت أنه عندما كان رجلاً عاديًا بالنسبة لها كان يمكنها التعامل معه كما يجب ، أما الآن مع تأثير الشراب فقد جلست فى استرخاء وسمعتهما يتحدثان ، وكان لارى يتحدث بحماس وحيوية ملموسة أثرت على نفسيتها ، وكأنه أكثر الرجال المفعمين بالحيوية الذين قابلتهم فى حياتها . أحست كاثرين أن حياته كتاب مفتوح ، ولا يخفى لديه أى أسرار ، وأنه يطلع

الآخرين بحب وحماس على كل شيء فى حياته ، وكان يسخر ممن يخافون البوح بمكنون أنفسهم مثلها . كانت خائفة جدًّا .

بالكاد تناولت طعامها ، ولم تكن تعلم ما الصنف الذى تتناوله . كان محور تفكيرها هو لارى ، ولقد نظرت إلى عينيه خلسة ، وشعرت وكأنها كانت تعرفه منذ زمن طويل وأنهما يحبان بعضهما البعض . بدأت تشك فى قواها العقلية . كان مثل الدوامة القوية الطبيعية يجذب أى امرأة وهى تعلم أنه سيدمرها .

ابتسم لها لارى ، وقال : " لماذا لا تشترك كاثرين معنا فى الحوار ؟ فمن المؤكد أن حياتها أكثر إثارة منا " .

قالت كاثرين بغلظة : " أنت مخطئ ، فأنا حياتى مملة جدًّا ، فأنا أعمل مع بيل . " فجأة انتبهت أنها قالت تعليقاً وقحاً ، واحمر وجهها وقالت : " أنا لا أقصد ذلك بل أعنى .. " .

قال لارى ليساعدها : " أفهم مقصدك . " فشعرت بكراهية شديدة نحوه ، فاتجه إلى بيل وقال : " كيف عثرت على مساعدتك الحسناء ؟ "

قال فريزر بدفء : " كنت محظوظاً جدًّا . ألم يحن الوقت لك لكى تتزوج يا لارى ؟ "

هز كتفيه دون اكتراث وقال : " مَنْ التى ستقبلنى زوجاً لها ؟ "

فكرت كاثرين : " يا لك من وغد " ونظرت حول القاعة ، ووجدت ست سيدات على الأقل يحملقن إلى لارى ، بعضهن خلسة والبعض الآخر بشكل ظاهر . كان وكأنه مغناطيس يجذب النساء إليه . قالت كاثرين باندفاع : " ما رأيك فى فتيات إنجلترا ؟ "

قال بأدب : " إنهن رائعات بالطبع ، ولكن لم يكن لدىّ وقت لهن ، حيث انشغلت بالطيران ."

فكرت كاثرين : " أيها الكذاب ! أراهن أنك لم تدع فتاة تفوتك على مساحة مائة ميل ! " لكنها قالت بصوت عال . " يا للأسى

للفتيات المسكينات ! لقد فاتهن الكثير . " كانت هناك مسحة سخرية فى كلامها لم تكن تريد إظهارها .

اندهش فريزر من وقاحتها ، وقال : " كاثى "

قال لارى سريعاً : " لنتناول مشروباً "

قال فريزر : " أعتقد أنها احتست بما فيه الكفاية ."

بدأت تقول : " لا ليس صحيحاً ، .... " ثم أدركت أنها فاقدة لاتزانها ، ولا تنطق الكلمات بشكل صحيح . ثم أردفت قائلة : " أريد العودة للمنزل " .

قال فريزر لـ " لارى " بنبرة اعتذار : " حسناً ، كاثرين يبدو عليها الإرهاق ."

قال لارى : " لابد أنها تشعر بالإثارة ، لأنك عدت لها "

أرادت كاثرين سكب كوب الماء فى وجهه ، كانت تحركه بدرجة أقل عندما اعتقدت أنها عاطل ، والآن تكرهه أكثر ولا تعرف السبب فى ذلك .

فى الصباح استيقظت كاثرين وهى تشعر بصداع شديد لدرجة أنها ظنت أن حالتها هى الأولى من نوعها فى تاريخ الطب الحديث ، وكأنها لديها ثلاثة رؤوس على كتفيها ، وكل رأس به صداع مختلف ، وكان الاستلقاء فى الفراش مؤلماً ، ومحاولة الحركة أسوأ وأكثر إيلاماً . بينما جلست تقاوم الغثيان والرغبة فى التقيؤ ظلت تتذكر أحداث الليلة الماضية ، وبالتالى زاد الألم . ألقت باللوم على لارى بدون تعقل ، وقالت إنه سبب الصداع الذى انتابها . أدارت رأسها بألم لكى ترى الساعة بجوار الفراش ، ووجدت أنها نامت أكثر من اللازم ، وأخذت تفكر هل تظل فى الفراش أم تستدعى آلة رافعة لنقلها للعمل . قامت بحرص وببطء من على الفراش ، وسارت بخطى متثاقلة إلى الحمام ، وكادت تقع وهى عند البانيو ، وفتحت الماء البارد على جسدها ،

وصرخت بصوت عال من جراء ذلك ، ولكنها شعرت بتحسن بعد الانتهاء من الاستحمام ، ولكنها لم تكن على ما يرام .

بعد خمس وأربعين دقيقة كانت على مكتبها ، ودخلت عليها آنى السكرتيرة يملؤها الحماس ، وقالت لها : " خمنى ما حدث " قالت لها كاثرين هامسة : " لست على ما يرام هذا الصباح ، أخبرينى بما حدث بهدوء "

أعطتها آنى الصحيفة وقالت : " انظرى ! إنه هو فى الصفحة الأولى . كانت صورة لارى دوجلاس بزيه العسكرى ويبتسم ابتسامته الوقحة ، وكان التعليق على الصور : " عودة بطل سلاح الطيران إلى واشنطن ليرأس وحدة جديدة من الجنود . " وكان هناك مقال من عمودين .

صاحت آنى : " أليس خبراً مثيراً ؟ "

قالت كاثرين : " نعم للغاية ثم ألقت بالجريدة فى القمامة " .

" هلا عدنا للعمل ؟ "

نظرت إليها آنى في دهشة ، وقالت : " أعتذر ! اعتقدت أنك ستهتمين بالأمر ، فهو صديقك . "

قالت لها كاثرين : " ليس صديقى بل عدوى . "

ثم نظرت لوجه آنى ، وأردفت قائلة : " هلا نسيت أمره تماماً ؟ "

قالت آنى فى حيرة : " بالطبع ، لكنى قلت له إنك قد تسعدين للخبر . "

حدقت إليها كاثرين وقالت : " متى قلت له ذلك ؟ "

" عندما اتصل هاتفياً هذا الصباح ، حيث اتصل ثلاث مرات . "

ضغطت كاثرين على نفسها ، لكى يبدو صوتها طبيعياً :

" لماذا لم تخبرينى ؟ "

" لقد طلب منى ألا أخبرك بمكالماته . " ثم نظرت إلى كاثرين فى حيرة ، ثم سألتها كاثرين : " هل ترك رقم هاتفه ؟ "

" كلا . "

" رائع " . فكرت كاثرين فى وجهه ، وعينيه الداكنتين الساحرتين ، وقالت : " رائع . " بصوت حازم وأنهت إملاء الخطابات لـ " آنى " . وعندما تركتها آنى ، استعادت كاثرين الجريدة من سلة المهملات ، وقرأت المقال الذى يتناول لارى كلمة كلمة . كان قد أسقط ثمانى طائرات ألمانية ، وتحطمت طائرته مرتين . اتصلت بـ " آنى " عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وقالت : " إذا اتصل السيد دوجلاس مرة أخرى فسأتحدث معه ، فقومى بتحويل المكالمة . "

توقفت آنى لبرهة من الوقت عن الكلام ، ثم قالت : " حسناً يا آنسة " ، فعلى الرغم من كل شىء لا داعى لأن تكون وقحة مع هذا الرجل ، وسوف تعتذر له لسلوكها فى الاستوديو معه ، وتطلب منه التوقف عن محاولة الحديث معها هاتفياً . سوف تتزوج ويليام فريزر .

لقد انتظرت مكالمة منه ، لكنه لم يتصل وحان موعد الانصراف . قالت لنفسها : " لماذا لم يتحدث ؟ لابد أنه يصاحب الكثير من الفتيات . إننى محظوظة حيث لم أتورط معه ؛ لأنه مثل البائع فى محل الجزارة ، سيسلم كل فتاة رقماً مسلسلاً ، لكى تنتظر دورها معه " .

فى طريقها للخروج قالت لـ " آنى " : " إذا اتصل السيد دوجلاس غداً قولى له إننى غير موجودة . "

لم تهتم آنى أو تتعجب هذه المرة ، وقالت : " حسناً ، إلى اللقاء . "

" إلى اللقاء . "

نزلت عبر المصعد ، وكانت مستغرقة فى التفكير . وكانت متأكدة من أن فريزر يعتزم الزواج منها . أفضل شىء هو أن تقول له إنه يجب الإسراع فى الزواج ، وستقول له ذلك الليلة ، ويذهبان لمكان بعيد لقضاء شهر العسل ، وعند عودتها سيغادر دوجلاس المدينة أو يختفى من حياتها بطريقة ما ؛ فتح باب المصعد فوجدت لارى دوجلاس أمامها

مستنداً على الحائط ، ولم يكن يرتدى ميدالياته أو شاراته بل مجرد علامة تدل على أنه ملازم فى سلاح الطيران . ابتسم عندما رآها وسار إليها .

قال بمرح : " هل مظهرى الآن أفضل ! "

حدقت إليه وكان قلبها يدق بعنف ، وقالت : " أليس ادعاء أنك ذو رتبة مختلفة ضد اللوائح العسكرية ؟ "

قال بجدية : " لا أعرف ، ولكنك المسئولة عن ذلك : " ظل يحدق إليها ، قالت له بصوت منخفض : " لا تفعل هذا بى ، دعنى وشأنى ، فأنا أحب بيل " .

" وأين خاتم الزواج ؟ "

تخطته كاثرين وسارت إلى مدخل البناية ومنه إلى الشارع ، لكنه سبقها وفتح لها باب المدخل .

وعندما خرجا أمسك ذراعها ، وشعرت برجفة تسرى فى كل جسدها .

قال لها : " كاثى ..... "

قالت بيأس :" ماذا تريد منى بالله عليك ؟ "

قال بهدوء : " كل شىء . أريدك أنت "

قالت له : " أن تتمكن منى ؟ اذهب وانتق لك فتاة أخرى . " ثم سارت مبتعدة ، لكنه أوقفها وقال : " ماذا تقصدين بالضبط ؟ "

قالت كاثرين وكانت على وشك البكاء : " لا أعرف ، لكننى مصابة بصداع ، وأتمنى أن أموت الآن " .

ابتسم تعاطفاً معها ، وقال : " لدىّ علاج رائع للصداع " . ثم قادها للمرآب ففزعت ، وقالت : " إلى أين نحن ذاهبان ؟ "

" سنذهب لإحضار سيارتى " .

نظرت إلى وجهه ، لكنها لم تجد أية علامة من علامات الانتصار ، بل وجدت وجهاً قوياً ووسيماً مليئاً بالدفء والرحمة والعطف .

أحضر عامل المرآب السيارة الرياضية السوداء ، التى لها سقف متحرك وكان مفتوحاً ، وساعدها لارى على ركوب السيارة وجلست بجواره ، بينما جلس هو فى مقعد القيادة . جلست هى تحملق إلى الأمام وهى تعلم أنها تدمر حياتها لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها . وكأن كل ما يحدث كان يحدث لشخص آخر ، وأرادت أن تهرب وأخذت توبخ نفسها كفتاة لاهية عابثة .

قال برقة : " أنذهب لمنزلى أم لمنزلك ؟ "

قالت دون اكتراث : " لا يهم " .

" سنذهب إلى منزلى "

لم يكن عديم الإحساس بها ، بل كان متعاطفاً ورحيماً معها ، ربما يخاف من أن تقارن بينه وبين فريزر .

شاهدته يقود بمهارة وسط زحام الليل ، فقالت لنفسها : " إنه لا يخاف من أى شىء " ، وكان هذا جزءاً من انجذابها له .

حاولت أن تقول لنفسها إنها حرة ، ويمكنها رفض ما يحدث ، والهرب منه ، لكن كيف تقول إنها تحب فريزر ، وفى نفس الوقت هى منجذبة إلى لارى ؟

قال لارى بهدوء : " إذا كان هذا سيساعدك ، فاعلمى أننى متوتر مثلك تماماً " .

نظرت إليه وشكرته ، فهى تعلم أنه كان يكذب ، وربما قال ذلك لكل ضحاياه اللاتى قام بإغوائهن ومراودتهن عن أنفسهن ، لكن على الأقل لم يتفاخر ، ولكن كان يضايقها سؤال : لماذا تخون فريزر ؟ فهو رجل مهذب وعزيز لديها ولا تريد جرحه ، وما ستفعله سيجرحه . كانت تعلم ذلك ، وتعلم أنها مخطئة وبلا إحساس ، ولكن بدا وكأنها مسلوبة الإرادة .

وصلا لمنطقة راقية تحيط شوارعها الأشجار ، ثم أوقف السيارة أمام مدخل العمارة السكنية ، وقال لها بهدوء : " لقد وصلنا " .

كانت تعلم أن تلك هى فرصتها الأخيرة للرفض والابتعاد عنه ، ولكنها خرجت من السيارة ، وذهبت لشقته .

نويل

باريس ١٩٤١

٨

شعر كريستيان باربيه بالتعاسة ، كان المخبر السرى الضئيل الأصلع جالساً على مكتبه ، ويمسك بين أسنانه القذرة المكسورة سيجارة رفيعة ، ويتأمل بحزن الملف الموضوع أمامه . كان يعلم أن المعلومات بداخله ستجعله يخسر عميلته نويل . كان يأخذ منها مبالغ كبيرة لقاء خدماته ، لكن فقدان المال لا يهمه ، بل ما أحزنه أنه سوف يفتقد نويل . كان يكرهها ، ولكنها كانت أكثر النساء إثارة قد قابلها فى حياته . كان يحلم بنزوات عاطفية معها ، وكانت ترضخ لقوته فى هذه الخيالات . والآن مهامه معها سوف تنتهى ، ولن يراها ثانية . جعلها تنتظره فى صالة الاستقبال . بينما يحاول أن يفكر فى طريقة لتناول الأمر لكى يحصل منها على أموال إضافية ، ولكى تطول مدة احتياجها لخدماته ، لكن استنتج على مضض أنه لا سبيل إلى ذلك . تنهد باربيه ، وأطفأ سيجارته وسار إلى الباب وفتحه . كانت نويل جالسة على أريكة من الجلد الصناعى ، وبينما يتفرس فى وجهها أحس

بحشرجة فى حلقه ثم تأمل جمالها الصارخ ، وقال : " مساء الخير يا آنستى ، تفضلى بالدخول " .

دخلت مكتبه بخطوة رشيقة تليق بعارضة أزياء . كان من المفيد أن تكون نويل الممثلة الشهيرة من عملائه ، وكان يتباهى بذلك كثيراً لجذب المزيد من الزبائن ، ولم يكن ضميره يؤنبه ، ولم يكترث للأخلاقيات . قال لها : " تفضلى بالجلوس " . وأشار إلى المقعد ، وقال : " هلا أحضرت لك شراباً ؟ " .

كان جزءاً من خيالاته أن يجعلها تسكر ويقوم بإغوائها .

قالت له : " كلا ، لقد حضرت من أجل التقرير " .

اللعينة لم تكن تريد تناول الشراب معه فى لقائها الأخير ! قال لها : " فى الحقيقة توجد عدة أخبار " ، ثم تظاهر بدراسة الملف الذى التقطه على المكتب ، لكنه فى الحقيقة كان يحفظه عن ظهر قلب .

قال لها : " أولاً ترقى لارى دوجلاس لرتبه كابتن ، وأصبح قائد كتيبة ، وانتقل لعدة مدن وكان يقود طائرات طراز " ـ كان يتحدث ببطء شديد عن قصد ، ويعلم أنها ليست مهتمة بالجزء الخاص بالجيش ـ " هاريكين وسبيتفاير .. " .

قالت له مقاطعة ، وقد نفد صبرها : " لا يهمنى ذلك ، أين هو اليوم ؟ " .

كان باربيه فى انتظار هذا السؤال : " فى الولايات المتحدة " . ثم شاهد رد فعلها قبل أن تتمكن من إخفائه ، واستمتع بضراوة عندما شاهدها ، وقال لها : " إنه فى مدينة واشنطن " .

" فى إجازة ؟ "

هز رأسه بالنفى ، وقال : " كلا . لقد ترك الخدمة فى الجيش البريطانى ، وأصبح قائداً فى جيش الطيران الأمريكى " .

شاهدها وهى تستوعب المعلومات ، ولم يكن تعبير وجهها ينبئ بمكنون نفسها ، لكن باربيه لم ينته من التقرير بعد . تناول قصاصة من

جريدة بين أصابعه القذرة ، وأعطاها لها قائلاً : " اعتقدت أن هذا الخبر سيهمك " .

رآها وهى تقرأ الخبر ، وكأنها كانت تعلم فحواه ومضمونه . كانت القصاصة من الجريدة اليومية " نيويورك ديلى نيوز " والخبر هو : " زواج قائد الحرب " وكانت هناك صورة لـ " لارى دوجلاس " وزوجته . تأملت نويل الصورة لوقت طويل ، ثم مدت يدها لكى تأخذ باقى الملف ، فهز باربيه كتفيه دون اكتراث ، ووضع الورق فى مظروف كبير وأعطاه لها . كان على وشك فتح فمه لتوديعها ، لكنها قالت له : " إذا لم يكن هناك رجال لك فى واشنطن فحاول الحصول على مراسلين لك هناك ، فأنا أنتظر تقريرًا أسبوعيًا . " ثم ذهبت وتركته فى حالة من الحيرة التامة .

عندما عادت لشقتها ذهبت إلى حجرة النوم ، وأغلقت الباب خلفها وأخذت قصاصات الورق والجرائد من المظروف ، ووضعتها على الفراش وأخذت تدرسها . كانت صورة لارى كما تتذكره بالضبط . حيث كانت صورته فى ذهنها أوضح من صورة الجريدة ؛ لأنه يحيا فى ذهنها بأكثر من الحقيقة .

لم يمض أى يوم بدون أن تفكر فى ماضيها معه . وكأنهما تقاسما البطولة فى مسرحية معاً منذ زمن بعيد.، وكانت تتمكن من تذكر المشاهد بمحض إرادتها ، وتعيدها فى ذهنها فى أيام محدودة ، وتدخر الذكريات الأخرى لأيام أخرى لكى تظل كل ذكرى حية فى ذاكرتها .

ثم حولت انتباهها لعروس لارى .كانت جميلة شابة ، ذات وجه ينم عن الذكاء ومبتسم . كان بالنسبة لها وجه غريمتها التى يجب أن تموت مثل لارى تماماً .

ظلت حبيسة الحجرة مع الصورة طوال النهار .

بعد عدة ساعات طرق أرمان جوتييه على الباب بشدة ، وأخبرته نويل بأن يبتعد ، فظل بالخارج فى حجرة المعيشة ، وهو يتوجس

خيفة من حالتها المزاجية ، لكنها عندما ظهرت له فى النهاية بدت مرحة مبتهجة وكأنها تلقت أخبارًا سارة ، ولكنها لم تشرح له أى شىء ، وكان يعرفها الآن جيداً فلم يسألها .

ليلاً ، وبينما هى نائمة ، راودها حلم مزعج به كولونيل مولر التابع للمخابرات الألمانية ، يعذبها بالحديد الساخن ، ويحرق جلدها بأشكال الصليب المعقوف رمز النازية . ظل يستجوبها ، وكان صوته ناعماً لدرجة أنها لم تسمعه ، وظل يحرقها بالحديد الساخن ، ثم شاهدت لارى على المائدة يصرخ فى ألم . استيقظت نويل فى فزع ، وكان قلبها يدق بعنف ، وكانت غارقة فى عرق بارد ، ثم أضاءت الأباجورة ، وأشعلت سيجارة ، ويداها ترتعشان ، وحاولت تهدئة أعصابها . فكرت فى كاتس وساقه المبتورة بالفأس ، وأنها لم تره منذ أن قابلته فى المخبز ، ولكن أخبرها بواب العمارة أنه بخير ؛ لكنه ضعيف ، وأصبح من الصعب عليه الاختباء ، وأنه لا حول له ولا قوة ، وأخبرها أيضاً بأنه قد تم تكثيف البحث عنه ، فإذا كان سيتم نقله خارج باريس فلابد أن يتم ذلك سريعاً . رغم مخاوف نويل بما قد يجلبه عليها ذلك من غضب المخابرات الألمانية . هل كان الحلم مجرد إنذار لما قد يحدث ؟ أم تحذير لكيلا تساعد كاتس ؟ جلست على الفراش تتذكر كيف أنه ساعدها على الإجهاض ، وقتل ابن لارى . كما أنه قد أعطاها المال ، وساعدها على إيجاد عمل . لطالما خدمها رجال كثيرون أكثر منه ؛ لكنها لم تشعر أنها مدينة لهم ؛ لأنهم ، وهذا يشمل والدها ، كانوا يريدونها لغرض ما ، ولقد دفعت الثمن لكل هؤلاء الرجال . لكن كاتس لم يطلب منها أى شىء ، وشعرت أنها يجب أن تساعده .

لم تهون نويل من حجم الخطر ؛ لأن مولر كان يشك فيها بالفعل وتذكرت حلمها المزعج وارتعدت . يجب أن تتأكد من أن مولر لن يتمكن من إثبات شىء عليها . يجب عليها تهريب كاتس خارج باريس ؛ ولكن كيف ؟ كانت متأكدة أن مخارج ومداخل باريس يراقبها الألمان ،

وكذلك كل الطرق ونهر السين . لابد أن الألمان أوغاد ، لكنهم كانوا خبراء عسكريين ، وكان هذا الأمر يمثل تحدياً كبيراً ومهلكاً لها ، لكنها مصرة على المحاولة .

المشكلة تتمثل فى أنها لن تعتمد على مساعدة أحد ، والنازيون أخافوا جوتييه وهو جبان ورعديد أساساً ، ولذلك ستقوم بالمهمة وحدها . فكرت فى كولونيل مولر والجنرال شايدر ، وفكرت فى الإيقاع بينهما ؛ لكى تخرج من خلافهما منتصرة .

فى الليلة التالية لكابوس نويل حضرت مع جوتييه حفل عشاء لإحدى راعيات الفن الثريات . كان المدعوون خليطاً من الضيوف : أصحاب بنوك ، وفنانين ، وقادة سياسيين ، وفتيات فاتنات . لاحظ جوتييه انشغال نويل ؛ ولكن عندما سألها قالت إن كل شىء على ما يرام .

بعد بدء العشاء بربع ساعة حضر مدعو جديد عبر الزحام ورأته نويل ، وقررت أنها قد وجدت الحل للمشكلة . ذهبت للمضيفة وقالت لها : " كونى لطيفة ، وأجلسينى بجوار ألبير هيلر " .

كان ألبير هيلر من رواد كتاب المسرح فى فرنسا ، وكان رجلاً ضخم الجثة فى الستينيات من عمره ، وله شعر أبيض كثيف ، وكتفان عريضان ، ومنخفضان ، وكان طويلاً جدًّا بالنسبة لمتوسط طول أى رجل فرنسى . لكنه كان ظاهراً فى الزحام على أية حال ؛ لأن وجهه كان قبيحاً ، وله عينان خضراوان تخترقان أى شىء تحدقان إليه ، ولم يكن يفوتها أى شىء . كان لديه أيضاً خيال خصب ، فقد كتب أكثر من ٢٠ مسرحية وفيلماً ناجحاً . كان يسعى وراء نويل لتلعب دور البطولة فى إحدى مسرحياته الجديدة ، ولقد أرسل لها نسخة من النص . والآن هى جالسة بجواره على العشاء ، وقالت : انتهيت للتو من قراءة مسرحيتك الجديدة يا ألبير ، ولقد أعجبتنى جدًّا " .

قال بابتهاج : " هل ستقومين ببطولتها ؟ "

وضعت يدها على يديه ، وقالت : " أتمنى لو استطعت يا عزيزى ، فلقد ألزمنى جوتييه بمسرحية أخرى " .

عبس بوجهه ، فتنهد باستسلام : " اللعنة ! حسناً يوماً ما سنعمل معاً " .

" سأستمتع بذلك ، فأنا أحب كتاباتك المسرحية ، حيث تدهشنى كيف تكتب الحبكة الدرامية ؟ لا أعرف كيف تفعلها " .

هز كتفيه دون اكتراث ، وقال : " مثلما تتقنين التمثيل ، فهذه هى حرفتنا لنكسب منها قوتنا " .

" كلا ، فقدرتك على استخدام خيالك معجزة بالنسبة لى " ثم ضحكت مصطنعة الخجل ، وقالت : " أنا أعرف ذلك ، لأننى حاولت الكتابة "

قال بأدب : " حقاً ؟ "

قالت : " نعم ، لكنى فى موقف درامى بلا حل " . ثم سحبت نفساً عميقاً ، ونظرت حولها . فوجدت كل الضيوف مشغولين فى حواراتهم فمالت ناحية ألبير هيلر ، وقالت بصوت منخفض : " لدىّ موقف درامى تحاول فيه البطلة تهريب حبيبها خارج باريس ، والنازيون يبحثون عنه " .

قال لها : " آه ! " ثم أخذ يطرق بالملعقة على الطبق ، ثم قال : " من السهل أن تجعليه يرتدى الزى العسكرى الألمانى ويسير وسطهم " .

تنهدت قائلة : " هنا تكمن المشكلة ، فلقد جُرح ، ولا يمكنه المشى ، فلقد بترت ساقه " .

توقف عن طرق الملعقة عن الطبق وبعد فترة صمت طويلة قال : " ما رأيك فى قارب عبر نهر السين ؟ "

" النهر تحت المراقبة " .

" وكل وسائل النقل إلى خارج باريس يتم تفتيشها " .

" نعم " .

" إذن اجعلى النازيين يقومون بالعمل بدلاً من البطلة " .

" كيف ؟ "

" هل بطلتك جميلة ؟ " قال ذلك دون النظر إليها .

" نعم " .

" اجعليها تصاحب ضابطاً ألمانياً ذا رتبة عالية . هل هذا ممكن ؟ "

قالت دون أن تنظر إليه : " نعم " .

" حسناً اجعليها تحدد معه موعداً غرامياً خارج باريس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ، ويرتب الأصدقاء لإخفاء البطل فى شنطة السيارة . يجب أن يكون الضابط ذا رتبة عالية ، لكيلا يُسمح بتفتيش سيارته " .

" إذا تم إغلاق حقيبة السيارة هل سيختنق ؟ "

قال بعد تفكير : " ليس بالضرورة . " ثم تحدث معها بصوت منخفض لمدة خمس دقائق ، وقال لها بعد انتهائه : " حظاً سعيداً " . ولم ينظر إليها طوال حديثه معها .

فى صباح اليوم التالى مبكراً اتصلت نويل هاتفياً بالجنرال شايدر ، وحولها عامل السويتش للمساعدة ، ثم حولتها المساعدة إلى السكرتيرة .

" من يريد الجنرال شايدر ؟ "

" نويل باج " .

" أعتذر ، لديه اجتماع ، ولا يمكن إزعاجه حالاً " .

قالت بتردد : " هل يمكننى الاتصال به لاحقاً ؟ "

" سيظل فى اجتماع مغلق طوال اليوم ، وأقترح أن تتركى له رسالة بما تريدينه منه " .

جلست تفكر ، وقالت مبتسمة فى سخرية : " لا عليك ، فقط أخبريه أننى اتصلت به " .

بعد ساعة رن جرس الهاتف ، وكان الجنرال شايدر : " آسف . سامحينى لم تخبرنى السكرتيرة الحمقاء بمكالمتك إلا الآن فقط ، كان يجب أن أعطى الأوامر بأن يوصلوك بى ؛ ولكن لم يجل بخاطرى أنك ستتصلين " .

قالت نويل : " أنا التى مدينة لك بالاعتذار ، أعرف كم أنت مشغول " .

" كيف أقدم لك أى خدمة يا آنستى ؟ "

ترددت وقالت وهى تنتقى ألفاظها : " هل تذكر ما قلته عند عشائنا معاً ؟ "

بعد فترة صمت قال : " نعم " .

" ظللت أفكر فى كلامك لفترة طويلة يا هانس ، وأود كثيراً أن أراك " .

قال بلهفة : " هل يمكن الليلة ؟ "

قالت نويل : " ليس فى باريس ، بل يجب أن نكون معاً بعيداً عن هنا " .

" أين ؟ "

" مكان خاص لنا ، ما رأيك فى قرية إتراتا " ؟ "

" لا أعرفها " .

" إنها قرية صغيرة على بعد ١٥٠ كم من باريس ، بالقرب من مدينة لوهافر ، ويوجد فندق هادئ وقديم هناك " .

" يبدو ذلك رائعاً يا نويل ؛ ولكن ليس من السهل لى أن أسافر الآن فى تلك الآونة و .... " .

قالت ببرود : " حسناً ، أفهمك ، لنفعلها لاحقاً "

قال لها : " انتظرى ! " ثم بعد فترة صمت طويلة : " متى تريدين السفر معى ؟ "

" ليلة السبت بعد العرض المسرحى " .

قال لها : " سأقوم بتجهيز كل شيء ، سنسافر بالطائرة " .

" كلا ، لماذا لا نذهب بالسيارة فهي أجمل ؟ ! " .

" كما ترغبين ، سأوافيك لدى المسرح " .

قالت بسرعة : " لكن يجب الذهاب إلى المنزل لإعداد بعض الأغراض ، لماذا لا توافيني لدى منزلي ؟ " .

" كما تريدين يا عزيزتي ، إلى اللقاء يوم السبت " .

بعد ١٥ دقيقة أخبرت نويل البواب بالأمر ، وأنصت إليها ، ولكنه ولكنه اعترض بشدة : " كلا إن الأمر شديد الخطورة ولكني سأخبر صديقنا ؛ ولكنه بالتأكيد سيعترض ، وإلا صار أحمق ! وكأنك تطلبين مني العمل لدى المخابرات الألمانية " .

قالت له : " بل لن تخفق الخطة ، فلقد دبرها أعظم عقل في فرنسا " .

عندما سارت خارج المبنى هذا اليوم رأت رجلاً يقف في الشارع يتظاهر بقراءة الجريدة وعندما سارت إلى الجو البارد المنعش بدأ يتبعها بمسافة مأمونة ، فسارت عبر الشوارع ببطء وبتمهل واستمتاع بينما تتأمل كل الفترينات .

بعد خمس دقائق من مغادرة نويل للمبنى خرج البواب ، ونظر حوله للتأكد من أنه لا يتبعه أحد ، ثم استدعى " تاكسي " ، وأعطاه عنواناً لمتجر بيع الأدوات الرياضية . بعد ساعتين قال البواب لـ " نويل " : " سيأتي حسب الخطة ليلة السبت " .

بعد انتهاء العرض ليلة السبت كان الكولونيل كيرت مولر في انتظار نويل في الكواليس . شعرت بالترقب والتوجس يسري في جسدها ؛ لأنها تعلم أن خطة الهروب تعتمد على التوقيت بالثانية ، ولا توجد مساحة لإضاعة الوقت .

قال لها : " رأيت أداءك من هنا ، ولقد تقدمت كثيراً في التمثيل " .

كان صوته ناعماً ونسائياً ، وجعلها تتذكر حلمها المزعج .

" شكراً يا كولونيل ، اسمح لي ، فيجب أن أغير ملابسي " .

سارت إلى حجرتها ؛ لكنه سار معها ، وقال : " سأدخل معك الحجرة " .

دخلت الحجرة ودخل وراءها ، وجلس على كرسي وثير .

ثم قال لها : " قالت لي العصفورة إنه سيحاول الهرب الليلة " .

دق قلبها في عنف لكيلا تظهر في وجهها أي تعبير ، وبدأت تزيل الماكياج ، وقالت لإضاعة الوقت :

" من الذي يحاول الهرب ؟ " .

" صديقك كاتس " .

التفتت إليه : " لا أعرف من يدعى ... " ، ثم لاحظت ابتسامة نصر على شفتيه الحمراوين ، وقالت بعد أن أدركت الفخ : " انتظر ، إنني أعرف هذا الاسم . إنه لطبيب شاب " .

" هل تذكرينه إذن ؟ " .

" بالكاد . لقد عالجني من الالتهاب الرئوي منذ سنوات ومن الإجهاض أيضاً " . عاودها الشعور بالخوف ، فهو لن يعرف كل هذه المعلومات إلا إذا كان متأكداً من تورطها . كانت غبية إذ تورطت إلى هذا الحد ؛ ولكنها تعرف أنه فات أوان التراجع . لقد سبق السيف العذل ، ففي غضون ساعات إما سيهرب كاتس أو يقتل .. ولكن ، ماذا عنها ؟

قال لها : " هل ذكرت أن آخر مرة رأيت كاتس كان في المقهى منذ أسابيع ؟ " .

هزت رأسها بالنفي : " لم أقل ذلك " .

نظر إلى عينيها مباشرة ، ثم نظر بوقاحة لباقى جسدها ، ثم تنهد قائلاً : " أنا أحب الجمال ، ولن أحب أن أشوه جمالك بسبب رجل لا يعنى لك شيئاً ، هل يعتزم صديقك الهرب ؟ "

هدوء صوته جعلها ترتعد خوفاً ، فلعبت دور " آنيت " الشخصية البريئة فى المسرحية :

" لا أعلم عما تتحدث يا كولونيل ، أود مساعدتك ، لكننى لا أعلم شيئاً " .

نظر إليها لفترة طويلة ، وقال ببرود : سأعلمك كيف تساعديننى ، وسأستمتع بذلك " .

ثم أغلق الباب خلفه ، وقال قبل رحيله : " لقد نصحت الجنرال شايدر بعدم الخروج معك لعطلة نهاية الأسبوع " .

شعرت بقلبها يسقط إلى أسفل ، لقد فات الأوان بالنسبة لـ " كاتس " :

" هل الكولونيل يتدخل فى الحياة الشخصية للجنرال ؟ "

قال بأسى : " فى هذه الحالة لا ، فهو يريد الذهاب معك " .

ثم استدار وغادر الحجرة .

حدقت نويل وراءه ، وكان قلبها يدق بعنف ، ونظرت للساعة الذهبية ، وبدأت ترتدى ملابسها سريعاً .

فى الحادية عشرة ، وخمس وأربعين دقيقة ليلاً اتصل البواب هاتفياً بـ " نويل " ، لكى يقول لها إن الجنرال شايدر فى طريقه لشقتها ، وكان صوته يرتجف خوفاً .

" هل لديه سائق فى السيارة ؟ "

" نعم يا آنسة ، ولكنه سيصعد مع الجنرال إليك " .

" شكراً " .

وضعت السماعة بسرعة ، وفحصت الحجرة لكى تتأكد من الأغراض فى الحقائب ، فلا يجب أن يكون هناك أى خطأ . دق جرس الباب وذهبت للصالة وفتحت الباب .

كان الجنرال شايدر فى الممر ، ومعه السائق برتبة كابتن واقفاً خلفه ، وكان الجنرال لا يرتدى الزى العسكرى ، بل يرتدى حلة رمادية جميلة ، وقميصاً أزرق ، ورابطة عنق سوداء ، وقال لها بطريقة رسمية : " مساء الخير " ودخل إلى الشقة ، وأومأ للسائق لكى يدخل .

قالت نويل : " حقائبى فى الحجرة " وأشارت للباب " .

قال الكابتن : " شكراً يا آنسة " ودخل لحجرة النوم ، جاء الجنرال إلى نويل ، وأمسك يديها قائلاً : " هل تعرفين أننى ظللت أفكر فيك طوال اليوم ؟ ظننت أنك غيرت رأيك ، وفى كل مرة يرن جرس الهاتف كنت أخاف من اعتذارك " .

قالت : " أنا أفى بوعودى دائماً " . ثم رأت السائق يخرج من الحجرة ومعه الحقائب الخاصة بالماكياج والملابس التى تكفى ليلة واحدة . قال السائق : " هل هذه كل الحقائب ؟ "

" نعم لا شىء آخر " .

خرج السائق بالحقائب خارج الشقة

قال الجنرال : " هل أنت جاهزة "

قالت سريعاً : " لنتناول مشروباً قبل رحيلنا " ثم ذهبت لإحضار المشروب .

قال لها : " دعينى أخدمك ، اسمحى لى " .

نظرت خلسة إلى الساعة ، وكان الجنرال يتحدث إليها ، لكنها لم تسمعه لأن عقلها كان يتخيل ما يحدث فى الشارع ، فيجب أن تكون حريصة ، لأنها إذا تحركت أسرع من اللازم أو أبطأ من اللازم قد تدمر نفسها والجميع .

قال لها الجنرال : " ما الذى تفكرين فيه ؟ "

قالت بسرعة : " لا شيء " .

" إنك لم تصغ لى " .

" أعتذر ، كنت أفكر فينا ، وما سنفعله " ، ثم ابتسمت له

" أنت تثيرين حيرتى " .

" أليس كل النساء لغزاً كبيراً ؟ "

" ليس مثلك ، فأنت متقلبة المزاج ، تارة لا تريدين رؤيتى ، والآن سنقضى معاً عطلة نهاية الأسبوع فى الريف " .

" هل أنت نادم يا هانز ؟ "

" بالطبع لا ، ولكنى أسأل نفسى ، لماذا الريف ؟ "

" أخبرتك السبب " .

" نعم لأنه شيء رومانسى ، وهذا ما يحيرنى ، فأنا أعتقد أنك واقعية ، ولست رومانسية " .

" ماذا تحاول قوله ؟ "

" لا شيء ، بل أنا أفكر بصوت عال ، وأستمتع بحل الألغاز ، وسأحل لغزك يا نويل مع الوقت " .

قالت دون اكتراث : " بمجرد العثور على الحل ستنتهى الإثارة " .

وقال : " سنرى ، ألا نذهب الآن ؟ "

" سأضع الأكواب على حوض المطبخ " .

راقبها وهى تسير للمطبخ ، وكانت من أجمل وأكثر النساء إثارة ممن قابلهن من النساء ، وأراد أن يمتلكها . لم يعن ذلك أنه غبى أو أعمى ، فهو يعلم أنها تريد شيئاً منه ، وكان عليه معرفة هذا الشيء . حذره مولر من أنها ستساعد على تهريب عدو لدود للرايخ الثالث ، ونادراً ما يخطئ مولر . ربما تريد منه حمايتها بطريقة ما ، لكنها لا تعلم إلا القليل عنه وعن الجيش الألمانى ، وإذا كانت مذنبة فسيسلمها للمخابرات دون غضاضة ، لكنه سيستمتع بها أولاً ، فلقد كان يتطلع لهذه العطلة .

خرجت من المطبخ وكان يبدو القلق على وجهها : " كم حقيبة أخذها السائق ؟ "

قال : " اثنتان ، واحدة للماكياج والأخرى للملابس "

قالت فزعة : " ياه أنا آسفة يا هانز ! لقد نسى السائق أهم حقيبة ، هل تمانع ؟ "

ثم رآها تلتقط سماعة الهاتف وتتحدث : " اطلب من السائق الصعود مرة أخرى ، لأنه توجد حقيبة أخرى سيأخذها " ثم وضعت السماعة وقالت : " أعلم أننا سنقضى هناك ليلتين ، لكنى أريد إسعادك . " ثم ابتسمت .

قال لها : " إن أردت إسعادى فلن تحتاجى لأى ملابس " ثم نظر لصورة جوتييه ، وقال : " هل يعلم جوتييه بذهابك معى ؟ "

قالت كاذبة : " نعم " ، كان جوتييه فى مدينة نيس فى اجتماع مع منتج سينمائى ، ولم ترد أن تقلقه بخططها . دق جرس الباب ، ففتحت نويل للسائق فقال : " هل توجد حقيبة أخرى ؟ "

قالت له بلهجة اعتذار : " نعم ، فى حجرة النوم " .

أومأ الكابتن وذهب للحجرة .

قال شايدر لها : " متى تريدين العودة ؟ "

قالت له : " أود البقاء معك لأطول مدة ممكنة ، لكنى يجب أن أعود فى مساء الاثنين من أجل العرض المسرحى ، وهذا سيجعلنا نقضى ليلتين معاً " .

جاء السائق من الحجرة ، وقال : " أنا آسف يا آنسة . لكن ما شكل هذه الحقيبة ؟ "

" إنها حقيبة كبيرة وزرقاء ومستديرة " .

وقالت للجنرال : " بها رداء لم ألبسه بعد ، ولن أرتديه إلا لك أنت وحدك " .

كانت تثرثر لإطالة الوقت ولإخفاء توترها . ذهب السائق لحجرة النوم ، وقال : " أنا آسف لا أجدها " .

قالت نويل : " دعنى أحضرها لك " ثم ذهبت للدواليب ، وفتشتها كلها ، وقالت : " لابد أن الخادمة الحمقاء أخفتها فى مكان ما " ثم شرع ثلاثتهم فى البحث عنها فى كل دولاب فى الشقة ، ووجدها الجنرال فى دولاب فى الصالة ، وقال لها : " إنها تبدو فارغة ؟! "

فتحتها سريعاً ، ونظرت داخلها ، ولم يكن بها شىء ، فقالت له بغضب : " لابد أن الخادمة الحمقاء وضعت الرداء فى الحقيبة الأخرى مع باقى الملابس . أتمنى ألا تكون قد دمرته تماماً ، هل لديكم مشاكل مع الخدم فى ألمانيا ؟ "

" الخدم هم الخدم فى كل مكان . " ثم تفرس فى وجهها ، وكانت بالنسبة له تتصرف فى غرابة ، وتتحدث كثيراً على غير العادة ، ولقد لاحظت نظرة الشك البادية على وجهه .

قالت له : " لا تجعلنى أشعر كتلميذة صغيرة ، فأنا أشعر بالتوتر الآن " .

ابتسم لها قائلاً لنفسه : " هل هى تلاعبه أم ماذا ؟ "

إذا كانت تخدعه فسرعان ما سيعرف ، ثم نظر لساعته وقال : " يجب أن نغادر الآن ، وإلا تأخرنا " .

" أنا جاهزة " .

تمنت أن يكون الآخرون قد انتهوا من مهمتهم .

وصلوا مدخل البناية ، وكان البواب واقفاً ، ولونه شاحب من القلق ، وتساءلت نويل هل حدث خطأ أم لا ، فنظرت إليه لكى يشير لها بأى إشارة ؛ لكنه لم يتمكن من الرد عندما ظهر الجنرال ، وتأبط ذراعها وقادها خارج الباب .

كانت سيارته الليموزين أمام الباب مباشرة ، وكانت شنطة السيارة مغلقة ، والشارع خالياً من المارة . قفز السائق لفتح باب السيارة له ،

والتفتت نويل لكى ترى المدخل الخاص بالعمارة لترى البواب ، لكن الجنرال حال دونها وبين مجال الرؤية . هل فعل ذلك عن قصد ؟ ثم نظرت لشنطة السيارة المغلقة ، ولم تتأكد من أى شىء . لن تعرف أن خطتها نجحت إلا بعد ساعات . كانت الإثارة فوق الاحتمال .

قال الجنرال : " هل أنت بخير ؟ " ثم حدق إليها ، وشعرت أن ثمة شيئاً فظيعاً قد حدث . أرادت اختلاق أى عذر للعودة للبواب وسؤاله ؛ لكنها أجبرت نفسها على الابتسام .

قالت له : " تذكرت أن صديقة لى ستتصل بى هاتفياً ، وسأترك لها رسالة مع البواب " .

جذبها من ذراعها ، وقال : " فات الأوان . لا تفكرى فى سوى الآن " . ثم ركبت السيارة معه وانطلقا .

بعد خمس دقائق سارت سيارة شايدر الليموزين ، وابتعدت عن المبنى السكنى . وصلت سيارة مرسيديس سوداء وقفت بصوت عال أمام العمارة ، وخرج الكولونيل مولر ومعه رجلان من السيارة ، ثم نظر مولر عبر الشارع وقال : " لقد ذهبا " ثم أسرع إلى مدخل العمارة ودق جرس البواب ، فتح الباب ووقف البواب مرتسماً على وجهه نظرة فزع ، وقال : " ما الذى يحدث من .... ؟ " لكن مولر دفعه داخل حجرته وقال بحدة :

" أين نويل ؟! "

حدق إليه البواب فى فزع ، ثم قال : " لقد غادرت المكان " .

" أعرف أيها الأحمق ! بل أسألك إلى أين ذهبت ! "

هز رأسه بصورة تنم عن قلة الحيلة ، وقال : " ليس لدى أدنى فكرة يا سيدى ، كل ما أعرفه أنها غادرت مع ضابط من الجيش " .

" ألم تخبرك بمكان وصولها ؟ "

" كلا يا سيدى ، فهى لا تثق فىَّ " .

حدق مولر فى البواب العجوز للحظة ، ثم ولى الأدبار مسرعاً .

وقال رجاله : " لا يمكن أن يكونوا قد ذهبوا بعيداً " .

اتصلوا بكل نقاط التفتيش على الطرق ، وأمر بأنه عندما تأتى سيارة الجنرال شايدر يجب إيقافها والاتصال به فورا !

لم يكن هناك سيارات كثيرة عبر الطريق لأن الوقت كان موعد حظر التجوال وبالتالى أسرعت سيارة شايدر خارج باريس من الطريق الغربى وعبرت قصر فرساى ، وفى غضون خمس دقائق وصلت لمفترق الطرق الذى يؤدى إلى ثلاثة أماكن : فيش ولوهافر وكوت دازور .

بدا لنويل أن المعجزة تحققت ، لأنهم غادروا باريس دون أن يوقفهم أحد . كان يجب أن تعلم أن الألمان أكفاء ، ولكن ليس لدرجة تفتيش كل الطرق المؤدية لخارج المدينة ، ولكن بينما تفكر فى ذلك بدت نقطة التفتيش أمامهم بشكل مفزع . أضيئت أنوار حمراء من منتصف الطريق وكانت هناك شاحنة تسد الطريق ، وجنود الجيش الألمانى وسيارتان تابعتان للبوليس الفرنسى . عندما أوقفوا السيارة قال أحد الجنود للسائق : " اخرج ، وأظهر بطاقتك الشخصية ! "

فتح الجنرال شايدر النافذة الخلفية ، وأخرج رأسه وقال بصوت أجش : " أنا الجنرال شايدر ، ماذا يحدث هنا بحق الجحيم ؟ " .

انتبه الملازم الذى طلب منهم إبراز هوياتهم ، وقال : " اعذرنى يا سيدى الجنرال ؛ لكننى لم أدرك أنها سيارتك " .

نظر الجنرال عبر نقطة التفتيش ، وقال : " علام هذه الجلبة ؟ "

" لدينا أوامر بتفتيش كل سيارة تغادر باريس ؛ لأن كل مخارج المدينة مغلقة " .

قال الجنرال لـ " نويل " : " اللعنة على المخابرات الألمانية . أنا آسف يا عزيزتى " .

شعرت بلون وجهها يشحب ، وكانت ممتنة ؛ لأن الظلام يخفى تعابير وجهها . لكن عندما تتحدث كان صوتها ثابتاً .

قالت له : " لا يهم " .

ثم فكرت فى حمولة حقيبة السيارة ، فإذا نجحت الخطة فإن كاتس بالداخل ، وقد يقبض عليه فى أى لحظة ، وكذلك عليها .

قال الملازم للسائق : " افتح حقيبة السيارة من فضلك " .

قال السائق : " لا يوجد سوى الحقائب ، لقد وضعتها بنفسى " .

" آسف يا كابتن ، الأوامر واضحة ، ويجب تفتيش كل سيارة تغادر باريس " .

ظل السائق يرغى ويزبد ثم فتح باب السيارة وبدأ يخرج ، وكان عقل نويل يفكر بسرعة صاروخية ، فعليها إيقافهم بدون إثارة شكوكهم . خرج السائق وكان الوقت يجرى ، فاختلست نويل نظرة سريعة لوجه الجنرال شايدر ، وكان وجهه ممتقعاً من الغضب فقالت بهدوء وبراءة الأطفال فى عينيها : " هل نخرج من السيارة يا هانز ، هل سيفتشوننا تفتيشاً ذاتياً ؟ " ثم شعرت بجسده ينتفض غضباً .

قال بصوت أجش وحاد : " انتظر أيها السائق . عد إلى السيارة ! "

ثم قال بغضب عارم للملازم : " أخبر من يخبرك بالأوامر أنها لا تنطبق على الجنرالات فى الجيش الألمانى ، وأنا لا أتلقى الأوامر ممن هو فى رتبة ملازم . أبعد الحاجز عن طريقى ! "

حدق الملازم فى وجه الجنرال الغاضب ، ووجه له التحية الرسمية ، وقال : " سمعاً وطاعة يا سيدى الجنرال . " ثم أشار إلى تابعه الذى يقود الشاحنة بإفساح الطريق .

قال الجنرال شايدر بلهجة الآمر : " واصل القيادة " ، فهرعت السيارة ، واختفت وسط الظلام .

استرخت نويل على مقعدها ، وشعرت بالتوتر يقل من جسدها ؛ لأن الكارثة مرت بسلام ، وتمنت لو كانت تعلم هل كاتس فى حقيبة السيارة ، وهل هو على قيد الحياة أم لا .

نظر الجنرال لـ " نويل " ، ورأت أنه مازال يغلى من الغضب . قال لها : " أنا أعتذر عما حدث ، فهى حرب غريبة ، هل من الضرورى أن نُعلم المخابرات أن الحروب تدار بواسطة الجيش ؟! "

قالت نويل : " والجيش يديره الجنرالات " .

قال لها : " بالضبط ، فالجنرالات يقودون الجيوش ، أنا سألقن كولونيل مولر درساً لن ينساه " .

بعد مغادرة السيارة لنقطة التفتيش بعشر دقائق جاءتهم مكالمة من المخابرات ؛ للبحث عن السيارة ، فقال الملازم : " لقد عبرت السيارة بالفعل . " وشعر أن الأمر لن يمر بسلام . لاحقاً تحدث إليه كولونيل مولر بنفسه .

قال له بنعومة : " منذ متى غادروا الطريق ؟ "

" منذ عشر دقائق " .

" هل فتشت سيارته ؟ "

شعر الملازم بألم ورعب ، وقال : " كلا فلم يسمح لى .. "

" اللعنة ! إلى أى طريق سارت السيارة ؟ "

ازدرد الملازم لعابه ، وقال بلهجة من يعرف أن مستقبله العسكرى انتهى : " لست متأكداً فهناك تقاطع طرق كبيرة ، وربما ذهب إلى روان أو للبحر أو لوهافر " .

" سلّم نفسك فى مكتبى فى المخابرات فى التاسعة صباحاً " .

قال الملازم : " نعم يا سيدى " .

وضع مولر السماعة بعنف ، وقال لرجاله : " لنذهب إلى لوهافر فى سيارتى ؛ لأننى سأقبض على الصرصار ! "

الطريق إلى لوهافر يسير مع مجرى نهر السين بواديه الغنى بالمزارع الخصبة والتلال . كانت ليلة رائعة ، والسماء مرصعة بالنجوم ، وكان

الجو جميلاً ، وكانت المزارع القريبة تبدو من بعيد كبؤر ضوئية جميلة مثل الواحات فى الصحراء .

ظلت تتحدث نويل مع الجنرال ، وهما جالسان على المقعد الخلفى الوثير للسيارة . أخبرها عن زوجته وأطفاله ، وصعوبة الزواج للضباط فى الجيش ، وأنصتت له نويل بتعاطف ، وأخبرته بصعوبة الحياة العاطفية للممثلة . كان كلاهما يعلم أن الحوار ما هو إلا مناورة لإخفاء ما هو بداخل كل منهما .

لم تقلل نويل ولو للحظة من قدر ذكاء الرجل الجالس بجانبها ، فهى تفهم خطورة المغامرة التى تقوم بها ، وتعلم أن الجنرال لن يصدق أنها فجأة وجدته لا يقاوم ، فلابد أنه يشك أنها ستطلب منه شيئاً ما . كانت تأمل نويل فى أن تتغلب على مناوراته فى تلك اللعبة اللفظية . لم يذكر الجنرال الحرب إلا قليلاً ، ولكن ظلت تذكره لفترة طويلة بما قاله الآن .

قال لها : " فى بريطانيا شعب غريب ، فمن الصعب إدارتهم فى وقت السلام ، ولكن فى وقت الكوارث يصبحون رائعين ، فالبحار الإنجليزى لا يكون سعيداً إلا عندما تغرق سفينته " .

وصلا إلى لوهافر فى أولى ساعات الصباح فى طريقهما لقريه ايتراتا .

قالت نويل : " هلا توقفنا لتناول الطعام ، فأنا أتضور جوعاً " .

قال لها : " بالطبع كما تريدين " ، وقال للسائق : " ابحث لنا عن مطعم مفتوح " .

قالت نويل : " أنا متأكدة من وجود مطعم بجوار الميناء " فانحرف السائق بمحاذاة النهر ، وتوقفت السيارة على شاطئ النهر ، وكانت هناك عدة سفن شحن رأسية على الميناء فى المرفأ ، وهناك لافتة من بعيد مكتوب عليها : " مطعم " .

فتح الكابتن الباب وخرجت نويل يتبعها الجنرال .

قالت نويل : " ربما هو مفتوح طوال الليـل للبحـارة والعمـال " ثم سمعت صوت موتور ، ووجدت آلة رفع الشحنات ذات الشوكة الكبيرة تقترب من السيارة الليموزين ، وكـان هنـاك رجـلان يرتـديان معـاطف طويلة وغطاء للرأس الخاص بقائدى الدراجات البخارية لإخفاء الوجه ، وقد خرجا من آلة الرفع ، ونظر أحدهما بعمق إلى نويـل ، وبـدأ يضـيق شوكة الآلة . شعرت نويل أن بطنها يتقلص من القلق والخوف ، لكنهـا أمسكت ذراع الجنرال وسارا للمطعم ، ونظرت نويل للسـائق الـذى ظـل جالساً على المقعد خلف عجلة القيادة فى السيارة .

" ألن يأتى معنا لتناول بعض القهوة ؟ "

" بل سيظل فى السيارة "

حدقت نويل إليه ، فالسائق لا ينبغـى أن يظـل فـى السيارة ، وإلا ستفشل الخطة ؛ لكنها لم تلح فى طلبها ؛ لكيلا يشك فيها .

عندما سـارا نحـو المطعـم كانـت هنـاك ممـرات تـؤدى لـه ، مغطـاة بالحصـى الكـبير الخشـن فتظـاهرت بـالتواء كاحلـها ، ووقعـت علـى الأرض ، وصرخت فى ألم ، فحاول الجنرال الوصول إليها وإنقاذها مـن الوقوع ؛ لكنها وقعت بالفعل .

"هل أنت بخير ؟ "

عندما رأى السائق ما حدث هـرع مسرعاً إليهمـا ، وقالـت نويـل : " أنا آسفة ، لقد التوى كاحلى ، وأظن أنه قد كسر " .

تحسس بيده على كاحلـها كـالخبير ، وقـال : " لا يوجـد تـورم ، مجرد التواء فى المفاصل فقط ، هل يمكنك الوقوف ؟ "

" لا أعلم " .

أمسك الـرجلان بهـا مـن ذراعيهـا ، ورفعاهـا ، وحاولـت السير ؛ لكنها صرخت فى ألم : " آسفة ، لو أننى فقط أستطيع الجلوس ! " .

" ساعدنى أيها السائق على الدخول بها للمطعم " .

بمساندتهما لها من كلا الجانبين ، ساروا للمطعم ، وعنـدما اقتربـوا من الباب اختلست نظرة إلى السيارة ، فوجدت العمال الملـثمين يقتربـون من شنطة السيارة .

قال لها : " هل أنت متأكـدة أنـك ستتمكنين مـن الـذهاب مباشـرة لقرية ايتراتا ؟ "

" نعم . لا تقلق . سأكون بخير " .

قادهم صاحب المطعم لمائدة فى ركن هادئ ، وساعدوها فى الجلـوس على مقعد مريح " .

قال لها الجنرال : " هل لازلت تشعرين بألم ؟ "

" قليلاً " . ثم وضعت يدها على يده قائلة : " لا تقلق يا هانز . لن أفسد رحلتنا معاً " .

فى تلك اللحظة أثناء وجودهما فى المطعم كان كولونيـل مـولر يسـير بسرعة رهيبة للحاق بهما على حدود لوهافر . كان ضابط الشرطة قـد تم إيقاظه ، وكان بانتظار رجال المخـابرات أمـام قسم الشـرطة ، وقـال : " لاحظ أحد عسـاكر المرور أن السيارة الخاصـة بـالجنرال واقفـة علـى ضفاف نهر السين بالقرب من هنا " .

ابتسم مولر عندما شعر بالرضا ، وقال له بلهجة الآمر :

" خذنى إلى هناك حالاً " .

بعد خمس دقائق لحقت سـيارة المخـابرات التـى بهـا مـولر ورجالـه بسيارة الجنرال شايدر على المرفأ ، وخرجوا وحاصـروا السيارة ، وفـى تلك اللحظة كـان وقـت خـروج الجنـرال ونويـل والسـائق مـن المطعـم ، ولاحظ السائق وجود رجال المخابرات ، وأسرع بالذهاب إليهم .

قالت نويل : " ماذا حدث ؟ " ثم رأت نويـل الكولونيـل مـولر عـن بعد ، وشعرت ببرودة تسرى فى جسدها .

قال الجنرال : " لا أعرف " ، ثم أسرع الخطو نحو سيارته ، وسارت نويل خلفه ، وهى تمثل أنها عرجاء .

قال شايدر لـ " مولر " : " ما الذى تفعله هنا ؟! "

قال مولر بجفاء : " آسف لمقاطعة إجازتك . لكنى أريد تفتيش حقيبة سيارتك يا جنرال " .

" لا يوجد سوى الحقائب " .

وصلت نويل ولاحظت اختفاء الأداة الرافعة ، وكان الجنرال ومولر ينظران شزرا لبعضهما البعض .

" أنا مصر على طلبى يا جنرال ، لدىّ سبب مقنع بأن عدو الرايخ الثالث يختبئ فى شنطة السيارة " .

قال مولر ذلك بعد أن نظر إليه طويلاً ، ثم التفت إلى نويل وفحصها جيداً ، لكنها قالت بحزم :

" لا أعلم عما يتحدث عنه " .

نظر الجنرال لكاحلها ، ثم قرر وأمر السائق : " فتش حقيبة السيارة " .

" حاضر يا سيدى الجنرال " .

ثم توجهت كل العيون ، وشخصت الأبصار لحقيبة السيارة ، وشعرت نويل وكأنها على وشك الإغماء . لكن بعد أن فتحها وجدوها فارغة .

قال السائق : " لقد سرق أحدهم أمتعتنا ! "

تلون وجه مولر من الغضب ، وقال : " لقد هرب ! "

قال الجنرال " من تقصد ؟ "

" الصرصار ! يهودى يدعى كاتس تم تهريبه فى حقيبة هذه السيارة ! "

قال الجنرال : " مستحيل ، إذا كان هناك أحد هنا لمات مختنقاً ، فهى مغلقة بإحكام "

تفحص مولر حقيبة السيارة ، وقال لأحد رجاله : " ادخل إليها " .

" أمرك سيدى الكولونيل " .

وأطاع الرجل الأمر ، وأغلق مولر حقيبة السيارة بإحكام وظل ينتظر وهو يحدق إلى ساعته ، ولمدة ٤ دقائق ساد الصمت ، وكل من الحضور غارق فى أفكاره ، وفى النهاية بعد أن مرت اللحظات ببطء شديد فتح مولر الغطاء ، فوجدوا أن الرجل قد تعرض للإغماء . قال شايدر لـ " مولر " الذى رمقه بنظرة احتقار : " إذا كان هناك من يختبئ فلابد أنهم احتضنوا جثته " .

قال شايدر للسائق : " هيا دعنا نمضى . " ثم ساعد نويل على ركوب السيارة ، وابتعدا عن رجال المخابرات .

أمر مولر بتفتيش كل المنطقة ، ولم يجدوا أى شىء حتى وقت العصر .

أبحرت السفينة إلى أفريقيا ليلاً من ميناء لوهافر ، وبها كاتس ، وظهرت الأمتعة المفقودة لدى قسم المفقودات فى محطة القطار الشمالية لباريس .

أما بالنسبة لنويل والجنرال فلقد قضيا عطلة رائعة فى قرية أتراتا ، وعادا لباريس فى عصر يوم الاثنين ؛ لكى تلحق نويل بالعرض المسرحى .

كاثرين

واشنطن ١٩٤١ـ١٩٤٤

٩

تركت كاثرين عملها مع ويليام فريزر يوم زواجها من لارى ، وطلب منها فريزر تناول الغداء معه عند عودتها لواشنطن ، وكان يبدو شاحباً ونحيلاً ، وأكبر من عمره الحقيقى ، شعرت كاثرين فقط بالتعاطف معه . كانت جالسة أمام رجل طويل ووسيم ؛ لكنه بدا غريباً عنها ، وإن كانت تكن له كل التقدير والمحبة ، لكنها لم تصدق كيف كانت تتخيله زوجاً لها . ابتسم فريزر فى ضعف ، وقال :

" أصبحت امرأة متزوجة " .

" وسعيدة جداً فى زواجى " .

"حدث الأمر فجأة ، ليتنى تقدمت لك قبله " .

قالت بصدق : " حدث ما حدث ، ولا أعرف كيف ، لكنه الحب " .

" لارى فتى محظوظ " .

" نعم " .

قال فريزر بتردد : " كاثرين ، أنت لا تعرفين عنه إلا القليل . أليس كذلك ؟ " .

تصلب جسدها ، وقالت : " أعرف أننى أحبه يا بيل وأنه يحبنى ، وتلك بداية جيدة أليس كذلك ؟ " .

عبس وجهه وصمت ، وكأنه يحاور ذاته ، ثم قال :

" كاثرين .... "

" نعم ؟ "

" احترسى "

" مم ؟ "

تحدث إليها ببطء وحذر شديد : " لارى مختلف " .

قالت له : " كيف ؟! "

" أعنى أنه ليس مثل معظم الرجال " . ثم رأى نظرة امتعاض على وجهها ، فقال : " لا تنظرى إلىَّ على هذا النحو " ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، وقال : " هل قرأت قصة إيسوب الحكيم : الثعلب والعنب الحصرم ؟ " .

أمسكت يده بحب ، وقالت : " لن أنساك يا بيل ، وأرجو أن نظل أصدقاء " .

" آمل ذلك . هل أنت متأكدة من عدم استمرارك فى العمل ؟ "

" يريدنى زوجى أن أترك العمل ، فهو ذو عقلية قديمة ، ويقول : إن الزوج يعول زوجته ، ولا يجب أن يدعها تعمل " .

قال لها فريزر : " إذا غيرت رأيك فلا تترددى فى إخبارى " . خلال الوقت المتبقى لتناول غدائهما تناقشا فى أمور العمل ، ومن يحل محلها فى الوظيفة . كانت تعلم أنها ستفتقده جداً ، فهى تعلم أن الحب الأول لأى فتاة له مكانة خاصة فى قلبها ؛ لكنه كان يعنى لها أكثر من ذلك ، كان عزيزاً لديها ، وصديقاً رائعاً . لكنها تضايقت من آرائه إزاء لارى .

بدا وكأنه أراد تحذيرها من شيء ثم توقف لكيلا يفسد سعادتها . هل الحالة كما قال ، العنب الحصرم ؟ بيل فريزر ليس من نوع الرجال الذين يشعرون بالغيرة أو الضعف ، بل هو يريد لها كل السعادة ، لكنها متأكدة من أنه يحاول أن يقول لها شيئاً . شعرت ذهنياً بأن ذلك نذير شؤم لما قد يحدث لاحقاً ؛ لكنها نسيت هذا الشعور الباهت عندما جاء لارى إليها ، وابتسم لها لاحقاً بعد ساعة ، ونسيت كل شيء سوى أنها متزوجة من هذا الرجل الرائع الممتع .

كان من الممتع البقاء مع لارى بأكثر مما تعرف كاثرين ، كان كل يوم مغامرة أو إجازة ، كانا يذهبان للريف كل عطلة نهاية الأسبوع ، وزارا أجمل الأماكن السياحية ، وتنزها فى القوارب ، ومارسا صيد السمك . كانت كاثرين تخاف من الماء ؛ لأنها لم تتعلم السباحة أبداً ؛ لكنه أخبرها ألا تقلق ؛ لأنها فى أمان معه .

كان لارى يغمرها بالحب وكان جذاباً ويبدو أنه لا يأبه لاهتمام النساء به . كان يمثل بالنسبة لها منتهى ما تريده فى الحياة . مرا بمحل تحف فى شهر العسل ، وأعجبتها قلادة على شكل طائر مصنوعة من الفضة لكن لارى اشترى لها قلادة مماثلة مصنوعة من الكريستال ، وكان ذلك بداية مجموعتها من المجوهرات . احتفلا بمرور ثلاثة أشهر على زواجهما ، وتناولا العشاء فى مطعم صغير فى ميرى لاند .

فى اليوم التالى ، السابع من ديسمبر ، هجمت القوات اليابانية على ميناء " بيرل هاربور "

أعلنت أمريكا الحرب على اليابان فى اليوم التالى فى تمام الساعة الواحدة والنصف ظهراً ، بعد مرور أقل من ٢٤ ساعة على الهجوم اليابانى . كان لارى فى القاعدة الجوية ، ولم تطق كاثرين البقاء وحيدة

فى الشقة ، فاستقلت تاكسى لمبنى الكابيتول لتعرف ما حدث فى البلاد . مئات الناس كانوا يلتفون حول أجهزة المذياع بالقرب من ميدان الكابيتول ، وشاهدت كاثرين موكب الرئيس الأمريكى روزفلت ، وشاهدته عن قرب وهو ينزل من سيارته الليموزين مع مساعديه ، وعشرات من رجال الشرطة يؤمنون الطريق له فى قمة التيقظ لمنع أية مشكلة . كان اتجاه الجماهير هو الغضب الشديد كجمهور الماضى الذى كان ينتظر أن يشهد حكماً بالإعدام على الملأ .

دخل الرئيس مبنى الكابيتول ، وجاء صوته عبر الأثير وهو يخاطب الكونجرس ، وكان صوته حازماً وقوياً ومفعماً بالإصرار .

" لن تنسى أمريكا هذه الهجمة ... القوة الخيرة هى التى ستنتصر فى النهاية ... سنفوز لا محالة . ساعدنا يارب " .

بعد ربع ساعة من خطاب الرئيس أعلنت الحكومة الحرب على اليابان ، وحصلت على أغلبية ساحقة عند التصويت فى الكونجرس بنسبة ٣٨٨ صوتاً مقابل صوت واحد معارض ، وكان للعضوة جانين وانكين المعارضة للحرب . كان خطاب روزفلت قد استغرق عشر دقائق ، وكان أقصر خطاب فى تاريخ الكونجرس الأمريكى .

صاحت الجماهير بالموافقة على قرار الحرب والغضب والانتقام ، وأخيراً تحركت أمريكا .

ظلت كاثرين تتفرس فى وجوه من حولها نساءً ورجالاً . كانت تعابير وجوه الرجال المتحمسين مثل لارى بالأمس ، وكأنهم جميعاً رواد ناد سرى واحد تمارس فيه لعبة مثيرة . حتى النساء تأثرن بالحماس الزائد الطاغى على الجماهير . لكن تساءلت كاثرين كيف سيكون حالهن عندما ينتظرن بلهفة أخبار أزواجهن وأبنائهن الغائبين فى الحرب ويشعرن بالوحدة ؟ عادت كاثرين للمنزل سيراً على الأقدام ، وشاهدت الجنود فى كل مكان ، ومعهم بنادق بها سونكى متأهبة لأن يتم استخدامها . •

سرعان ما امتلأت المدينة بالجنود بأسرع مما تتخيل كاثرين ، ما بين يوم وليلة تحولت واشنطن لثكنة عسكرية ، وامتلأت الشوارع بالجنود .

امتلأ الجو بإثارة سرت بين كل الناس ، وكأن السلام مجرد تكاسل وشيء مقزز يدعو للضيق . وكأن الحرب هى ما سيعيد للحياة رونقها وبهاءها وبهجتها .

كان لارى يقضى ست عشرة إلى ثمانى عشرة ساعة فى القاعدة الجوية ، وأحياناً يبيت بها ، ويقضى ليلته هناك ، وقال لـ " كاثرين " : " إن الاحوال فى " بيرل هاربور " و " هيكام فيلد " أسوأ مما يعتقد الناس ، فلقد كانت الهجمات السرية ناجحة ومدمرة ، وتم تدمير جزء كبير من البحرية الأمريكية والقوات الجوية " .

قالت كاثرين بصدمة : " هل تعنى أننا سنخسر الحرب ؟ " نظر إليها وهو يفكر ملياً : " هذا يعتمد على سرعة استعدادنا ، فالكل يعتقد أن اليابانى رجل قصير بعينين ضيقتين ، وهذا كلام فارغ ، فهم أقوياء ، ولا يهابون الموت ، ونحن الضعفاء " .

فى الشهور التالية بدا وكأنه لن يوقف اليابانيين شيء ، وكانت عناوين الصحف الرئيسية تعلن عن نجاحاتهم : " هجوم على مدينة ويك " .. استعدادات لغزو الفلبين .. غزو " جوام " .. " بورنجو " .. " هونج كونج " أعلنت مانيلا أنها مدينة مفتوحة ، والقوات الأمريكية المحاصرة فى الفلبين استسلمت .

فى أحد أيام شهر إبريل اتصل لارى بـ " كاثرين " من القاعدة الجوية ، وطلب منها انتظاره فى مطعم فندق ويلارد فى وسط المدينة للاحتفال .

قالت كاثرين : " سنحتفل بماذا ؟ "

قال لها : " سأخبرك الليلة ! " وكانت هناك نبرة إثارة فى صوته .

عندما أغلقت السماعة باغتها هاجس شؤم ، وحاولت أن تفكر فى الأسباب الممكنة للاحتفال ، ولكنها كانت تصل دائماً لنفس الفكرة المرعبة التى لا تريد مواجهتها .

فى الخامسة كانت كاثرين فى قمة زينتها ، وتجلس على الفراش ، وتحملق إلى المرآة على التسريحة .

قالت لنفسها : " لابد أننى مخطئة ، ربما حصل على ترقية ويود الاحتفال بها ، أو ربما هناك أخبار سارة عن الحرب . " لكنها لم تصدق نفسها ، وتفحصت تعبيرات وجهها فى المرآة ، وحاولت أن تكون موضوعية ؛ على الرغم من أنها ليست فى جمال نجمات السينما ، ولكنها كانت جذابة ، وكان قرارها بلا تحيز ، وكان قوامها رشيقاً . وكانت تقول لنفسها : " أنت ذكية ومرحة ومهذبة وعطوف ومثيرة ، فلماذا يتركك لارى ويذهب للحرب ويقتل ؟ "

فى السابعة مساءً توجهت لمطعم ويلارد ، ولم يكن لارى قد وصل بعد فاصطحبها النادل للمنضدة المحجوزة لهما ، ثم قالت إنها لن تتناول شيئاً ، ثم غيرت رأيها بعصبية ، وطلبت مشروباً مثلجاً .

عندما التقطت الكأس كانت يداها ترتجفان ، ثم رأت لارى قادماً إليها ، وهو يشق طريقه عبر الموائد ويرد التحيات التى يقدمها له الناس . كان مفعماً بالحيوية ، وكانت تحيط به هالة جعلت كل العيون تتجه إليه . تذكرت عندما رأته فى مطعم استديوهات مترو جولدن ماير فى هوليوود . أدركت أنها ساعتها لم تكن تعرفه حق المعرفة ، وتساءلت هل تعرفه الآن جيداً .

قال لها معتذراً : " أنا آسف على التأخير يا كاثى ، لكن القاعدة الجوية كانت فى حالة من الفوضى اليوم ، وكان هناك هرج ومرج " ؛ ثم جلس ، وطلب مشروباً مثلجاً .

كانت كاثرين تصرخ داخلياً : " أخبرنى بمفاجأتك ، وبماذا سنحتفل " ، لكنها لم تقل شيئاً . كان هناك مثل مجرى قديم يقول :

" الحمقى فقط يستعجلون الأخبار السيئة . " ربما لم يكن المثل مجرياً بل كان مثلاً خاصاً بـ " كاثرين دوجلاس " ليمهد لها الكارثة ويحميها من الصدمة . ربما شعرت بأن حدسها سيصدق ، وأحست أن الهواجس صحيحة . لكن وجه لارى كان مفعماً بالحب . شعرت أنها على خطأ فيما تفكر فيه من هواجس ، فـ " لارى " لن يطيق السفر والبعد عنها ، مثلما لا تطيق البعد عنه . من تعبيرات وجهه المبتهجة أحست أنه سيقول لها أخباراً سارة .

مال إليها وهو يبتسم كالأطفال ، وتناول يدها بين يديه ، وقال : " لن تخمنى ما حدث يا كاثى ، فلقد تم صدور قرار بسفرى " .

بدا الأمر وكأنه تم إسدال ستارة شفافة كالغلالة الرقيقة على عينيها ، وبدت كل الدنيا من حولها غير حقيقية . كان لارى جالساً أمامها ، وتتحرك شفتاه لكنها لا تسمعه ، وبدا لها كل شىء مشوشاً ، شعرت بالدوار ، وكأن حوائط المطعم تتحرك وتبتعد ، فانبهرت بذلك المشهد الخيالى .

هز لارى ذراعها وقال : " كاثرين " . عاد إليها تركيزها ببطء ، وعادت كل الأشياء حولها لطبيعتها " هل أنت بخير ؟ "

أومأت وازدردت لعابها ، وقالت باضطراب : " نعم ، الأخبار السارة تفعل بى هكذا دوماً " .

" أنت تتفهمين أننى مضطر للسفر . أليس كذلك ؟ " " نعم " قالت لنفسها : " الحقيقة إننى لم أفهم حتى لو كان عمرى ألف عام ، لكنى إذا قلت لك ذلك يا عزيزى فستكرهنى ، لا أحد يحب الزوجة اللحوحة النكدية ، فيجب على زوجات الأبطال توديعهم بابتسامة " .

كان يراقبها وشعر بالقلق ، وقال : " أتبكين ؟ "

قالت بحرقة مشوبة بالغضب : " كلا " . لكنها اندهشت ، لأنها وجدت نفسها تبكى حقاً : " إننى فقط أعتاد على فكرة سفرك " .

قال لارى : " سأكون قائد فرقة بأكملها "

قالت مفتعلة الإحساس بالفخر : " أحقاً " . قالت لنفسها : " سيكون له فرقة خاصة به .كان لديه ـ عندما كان صغيراً ـ مجموعة قطارات للعب بها ، ثم طائرات لعبة ، لكنها لم تكن كالفرق الحربية التى ستؤدى به للموت " . قالت له : أود احتساء شراب آخر " .

" بكل تأكيد يا عزيزتى " .

" متى سوف تسافر ؟ "

" بداية الشهر القادم " .

قالها بحماس وكأنه متلهف على الرحيل . كان شعوراً مرعباً لها ، وكأن نسيج زواجها يتمزق كالحرير الخفيف . تذكرت الأغنية الرومانية لـ " كول بورتر " التى يقول فيها : " رحلة إلى القمر على غلالة من الحرير . " وشعرت بالسخرية المزوجة بالألم .

قال لها: " سيتاح لنا وقت كاف قبل رحيلى " .

قالت لنفسها : " وقت كاف لأى شىء . " ثم أحست بمرارة وهى تتساءل : " وقت كاف لتربية وتكوين أسرة ، والعيش معاً حتى نكبر ونصير عجائز ؟ "

" ماذا تقترحين لقضاء الليلة ؟ "

قالت لنفسها : " أتمنى أن نذهب للمستشفى لكى نقطع أحد أصابع قدمك أو نثقب طبلة أذنك لكيلا تذهب للحرب . " لكنها قالت له : " لنذهب للمنزل " وكان فى صوتها نبرة حادة تدل على الإلحاح والرغبة اليائسة .

مضى الشهر سريعاً ، وكان الوقت يمضى مهرولاً ، وكأنه حلم مزعج فى روايات كافكا المفزعة ، وكانت الساعات تمر كالدقائق ، وفجأة جاء يوم لارى الأخير معها . أوصلته كاثرين للمطار وكان مرحاً ويثرثر كثيراً بينما كانت تخيم عليها سحابة حزن وبؤس . الدقائق القليلة الأخيرة كانت إجراءات المطار ، ودخل لارى الطائرة التى ستأخذه بعيداً عنها . ودعته بتحريك يدها ، ووقفت تشاهد الطائرة تتضاءل فى

السماء إلى أن اختفت . وقفت ساعة فى مكانها ثم أدركت أن الليل خيّم على المدينة ، فعادت لمنزلها الخاوى الآن .

شنت أمريكا على اليابان عشر معارك جوية وبحرية خلال العام الذى تلا موقعة بيرل هاربور . فاز الحلفاء بثلاث معارك ولكن كانت هناك معركتان حاسمتان : ميدواى وجوارد الكنال .

كانت كاثرين تتابع الأخبار فى شغف ولهفة ، وتتابع الحرب والمعارك ، وكانت تطلب المزيد من التفاصيل من ويليام فريزر . كانت تكتب خطابًا إلى لارى يومياً ، لكن مرت ثمانية أسابيع ثم تلقت أول خطاب منه . كان خطابه مفعماً بالحماس والتفاؤل ؛ لكنه كان مختصراً ، ولم يكن لديها فكرة عما يفعله ، لكنه كان من الواضح أنه يستمتع بحياته . ظلت كاثرين ليالى وساعات طويلة مستلقية على الفراش فى حيرة تفكر فى سر استمتاعه ، وتجاربه مع تحديات الحرب والموت . لم يكن بالطبع يتمنى الموت ، لأنه كان مفعماً بالحيوية أكثر من أى شخص عرفته فى حياتها ، ربما هذا هو الوجه الآخر للعملة مما يجعل إحساسه بالحياة رائعاً ، وحاد عن طريقها اقترابه المستمر من الموت .

تناولت الغداء ذات يوم مع ويليام فريزر ، وعرفت كاثرين أنه حاول الالتحاق بالجيش ؛ لكن الحكومة فضلت بقاءه فى منصبه للصالح العام للبلاد ، وكان محبطاً ويشعر بالمرارة ؛ لكنه لم يخبر كاثرين بهذا . أثناء جلوسهما للغداء معاً قال لها :

" ألديك أخبار عن لارى ؟ "

" جاءنى خطاب منه الأسبوع الماضى " .

" ماذا يقول فيه ؟ "

" وفقاً للخطاب ، فالحرب بالنسبة له كاللعبة ، وقد خسرنا أولى المناورات ، لكننا نفوز بالأرض وبثبات سوف ننتصر " .

أومأ برأسه وقال : " هذا هو لارى " .

قالت بهدوء : " لكن الحرب ليست كما قال . فهى ليست لعبة ، بل إن ملايين الناس ستموت قبل نهاية الحرب " .

قال لها برقة : " إذا كنت فى غمار الحرب سيكون من الأسهل اعتبارها لعبة يا كاثرين " .

قررت كاثرين العودة للعمل . كانت تريد التطوع للخدمات النسائية للجيش ، لكنها فضلت القيام بشىء مفيد ، بدلاً من قيادة السيارات والرد على الهاتف .

قالت لـ " فريزر " : " أريد العودة للعمل يا بيل ؛ لكى أساعد المجتمع فى حالة الحرب " .

تفرس فى وجهها للحظة ، وقال : " لدى شىء مناسب لك ، فالحكومة تريد بيع السندات لصالح الحرب . هلا ساعدت فى تنسيق هذا الأمر ؟ "

بعد أسبوعين نظمت كاثرين بيع السندات من خلال المشاهير . كان الأمر يبدو سخيفاً ، لكن تنفيذه مثير ؛ لأن النجوم كانوا كالأطفال المتحمسين للمساعدة فى المجهود الحربى ؛ ولكن كان من الصعب تحديد موعد مع كل منهم ، حيث كانت أجندة عمل كل منهم مختلفة ، وتتضارب مواعيد تصوير الأفلام ، ولم يكن ذلك خطأ من جانبهم . ظلت كاثرين تتنقل ما بين هوليوود وواشنطن ، واعتادت على السفر المفاجئ بإعداد حقيبة تكفى لقضاء الليلة فى كل رحلة ، وقابلت عشرات المشاهير .

ذات مرة قالت لها السكرتيرة عندما عادت من هوليوود : " هل قابلت الممثل كارى جرانت حقاً ؟ "

" تناولنا الغداء معاً " .

" هل كان ساحراً ووسيماً حقاً كما يقولون ؟ "

" يمكنه أن يصبح أغنى رجل فى العالم إن أراد ذلك " .

حدث كل شىء بالتدريج ، ولم تدرك كاثرين أنه قد مر ستة أشهر ، وكان فريزر قد طلب منها حل مشكلة حسابات شركة الإعلان المملوكة لـ " والاس تيرنر " ، فقادت حملة إعلانية بطريقة مرحة وجذابة أسعدت العميل ، بالتالى طلب فريزر منها المساعدة فى مشكلة مشابهة ، لكنها أدركت أنها تضيع أكثر من نصف وقتها فى وكالات الإعلان ، وكانت مسئولة عن حسابات ست شركات كلها ذات أحوال جيدة ، وكان فريزر يعطيها راتباً كبيراً ، ونسبة من الأرباح . فى أحد الأيام قبل أعياد الميلاد جاء فريزر إلى مكتبها ، وكان كل الموظفين قد انصرفوا ، وكانت كاثرين تنهى عملها .

قال لها : " هل تستمتعين بوقتك ؟ "

قالت مبتسمة : " إنه كسب القوت ، وخاصة مع الراتب الضخم ، شكراً لك يا بيل " .

" لا تشكرينى ، فلقد عملت بجد واجتهاد مقابل كل تلك الأموال ـ وأكثر ، وأريد أن أعرض عليك أن تكونى شريكتى فى الشركة " .

" تعرض على الشراكة ؟ " وكان على وجهها نظرات الدهشة

" نعم ، لقد ربحنا كثيراً بسببك خلال الشهور الستة السابقة . " ثم نظر إليها وهو يفكر ملياً ، ولم يقل كلمة أخرى ، وفهمت مكانتها لديه .

قالت له : " أوافق على الشراكة " .

هدأ وجهه ، وقال لها : " ليس لديك فكرة كم أنا سعيد الآن " .

" وأنا كذلك "

" لكنك تعلمين أننى أحبك "

" وأنا أيضاً أحبك " . قالت لنفسها : " يؤكد علم الدلالة أن الفرق كبير جدًا بين أحبك وأنا واقعة فى غرامك " .

ابتسم فريزر وقال : " أعدك بألا أضايقك ، فأنا أحترم ما بينك وبين لارى " .

قالت له بتردد : " شكراً لك يا بيل ، لا أعرف إذا كان هذا سيساعدك على رفع معنوياتك ، أم لا ، لكن لو لم يكن هناك أحد فى حياتى لصرت أنت حبيبى "

قال مبتسماً : " هذا يكفينى ، وسيجعلنى مستيقظاً طوال الليل " .

نويل

باريس ١٩٤٤

١٠

كف جوتييه عن التلميح ، بموضوع الزواج بـ " نويل " ، فى البداية شعر أنه أفضل منها اجتماعياً ولكن الوضع معكوس الآن . عندما كانا يتحدثان فى المؤتمرات الصحفية كانت معظم الأسئلة توجه لـ " نويل " ، وعندما كانا معاً فى أى مكان كانت هى ما ينجذب إليه الناس ، وكان يأتى بعدها فى بؤرة الاهتمام .

كانت رفيقة رائعة لـ " جوتييه " ، وكانت تعمل على إرضائه ، خاصة أمام ضيوفه ، وتجعله أكثر الرجال المحسودين فى فرنسا ، ولكنه فى الواقع لم ينعم بالراحة قط ؛ لأنه لم يمتلكها أبداً ، ولن يحدث ذلك أبداً ، وسيأتى اليوم الذى ستختفى فيه نويل من حياته لتتبع أى نزوة ، وتذكر الأسبوع الذى اختفت فيه عنه وشعر بالحزن . على الرغم من غريزته وذكائه وخبراته مع النساء ، لكنه وقع فى حبها بجنون وكانت أهم شىء فى حياته ، وكان يسهر الليالى يخطط لمفاجآت ضخمة لكى يسعدها ، وعندما كانت تنجح خططه

كانت تكافئه بابتسامة أو لقاء دون أن يطلب . كلما نظرت نويل لرجل آخر كان يشعر بغيرة شديدة ، لكنه كان أذكى من أن يتحدث معها فى الأمر . لكن فى إحدى الليالى بعد أن قضت وقت الحفل كله فى التحدث مع طبيب شهير كان غاضباً منها ، واستمعت للومه وتقريعه ، ثم قالت بهدوء : " إذا كان حديثى مع الرجال الآخرين يضايقك يا أرمان فسأجمع أشيائى الليلة ، وأختفى من حياتك " .

منذ ذلك الحين لم يفتح هذا الموضوع مرة أخرى .

فى بداية شهر فبراير افتتحت نويل صالوناً خاصاً بها لاستقبال المشاهير فى مختلف المجالات . بدأ الأمر بغداء بسيط مع بعض الأصدقاء من المسرح ، لكن خبر إقامة الصالون انتشر وازداد عدد الضيوف ليشمل رجال السياسة والعلماء والأدباء ـ وأى شخص تعتقد الجماعة أنه مثير أو مسل . كانت نويل هى سيدة الصالون ، ومن أهم ما يجذب الناس له . كان الجميع متحمساً للتحدث معها ، لأنها تطرح أسئلة ذكية وتنتظر الإجابات . تعلمت السياسة على أيدى السياسيين ، وعرفت كذلك عن عالم الأموال من أصحاب البنوك ، وعلمها خبير فنى كل شىء عن الفن ، وبالتالى تعرفت سريعاً على كل فنانى فرنسا المعاصرين ، وكذلك تعلمت فنون المعمار . كان لديها بذلك أفضل معلمين فى العالم ، وكان لديهم بدورهم أجمل طالبة ، وكان عقلها سريع الاستيعاب ، وكانت مستمعة ذكية ولبقة .

كان جوتييه يشعر وكأنها أميرة متوجة تتحدث مع وزرائها ، وكان هذا هو الشىء الوحيد الذى توصل إليه عن شخصيتها الحقيقية ؛ لكنه لم يعلم ذلك .

بمرور الشهور شعر جوتييه بالأمان أكثر ، لأنه أحس أنها تقابل من يهمها ، لكنها فى الحقيقة لم تهتم بأحد .

هذا كان صحيحاً إلى أن قابلت نويل ديميريس .

* * *

كان كونستانتين ديميريس صاحب امبراطورية ضخمة ، ذات قوة ونفوذ أقوى من عدة دول . لم يكن لديه لقب أو منصب رسمى ، لكنه كان باستمرار يبيع ويشترى رؤساء الوزارات ورجال الدين فى الكنائس والسفراء والملوك . كان من أغنى ثلاثة رجال فى العالم ، وكانت قوته أسطورية . كان يملك أكبر أسطول فى العالم لنقل البضائع وخطاً جوياً خاصاً ، وجرائد وبنوكاً ومصانع ، ومناجم ذهب . كان كالأخطبوط الذى تمتد أذرعه فى كل مكان ، كما كان جزءاً لا يتجزأ من نسيج اقتصاد عدة دول .

كانت لديه أكبر مجموعة لوحات فنية فى العالم ، ولديه سرب من الطائرات الخاصة ، وعشرات الشقق والفيلات فى جميع أنحاء العالم .

كان طوله أعلى من المتوسط ، وله صدر رشيق أسطوانى وكان عريض المنكبين ، أسمر البشرة ، ولديه أنف كبير وعينان بلون الزيتون اليونانى الأسود ، وكانتا تشعان ذكاءً . لم يهتم أبداً بالملابس ، ومع ذلك كان دائماً فى قائمة أفضل الرجال أناقة ، وكانت هناك شائعة تقول إنه يمتلك أكثر من ٥٠٠ بدلة . كان يجعل الملابس تفصل له أينما كان على يد أشهر مصممى الأزياء فى لندن وروما وباريس وغيرها من الدول .

كان حضوره جذاباً ، وكانت كل الجرائد والمجلات عبر أنحاء العالم تكتب دون توقف عنه وعن أنشطته فى مجال الأعمال والناحية الاجتماعية .

اكتشف رجال الصحافة أن أقواله ساخرة وتستحق نشرها فى الصحف . عندما سأله صحفى : هل الأصدقاء يساعدونه على النجاح

قال : " لكى تنجح فأنت بحاجة إلى الأصدقاء ، لكن لكى تنجح نجاحاً ساحقاً فأنت تحتاج لأعداء " .

عندما سأله أحد الصحفيين عن عدد موظفيه قال : " ليس لدىَّ موظفون بل أتباع مخلصون ، فعندما يتعلق الأمر بكل هذا النفوذ والمال يتحول العمل لعبادة ، والمكاتب تصبح دور عبادة " .

كان كل الناس يعلمون أنه متزوج من ابنة عائلة يونانية عريقة تعمل فى مجال الصرافة ، وهى سيدة جميلة وأصيلة ، وأن ديميريس عندما يذهب فى اليخت الخاص به ، أو إلى جزيرته الخاصة نادراً ما يذهب إلى هناك بصحبة زوجته . بل كان يذهب بصحبة ممثلة جميلة أو راقصة باليه ، أو ما طاب له من نساء حسب حالته المزاجية . كانت مغامراته العاطفية أسطورية وبها تفاصيل مثيرة مثل مغامراته التجارية . لقد رافق عشرات من ممثلات السينما وزوجات أعز أصدقائه . وروائية تبلغ من العمر ١٥ عاماً ، والأرامل اللائى فقدن أزواجهن حديثاً .

تم تأليف عشرة كتب عن ديميريس ، ولكن لم يتوصل أى كتاب منها لأصله وروحه أو سر نجاحه . كان ديميريس من أهم الشخصيات العامة فى العالم ، لكنه كان يحب الخصوصية ، وكان يستغل صورته الذهنية لدى الناس كستار ليخفى شخصيته الحقيقية ، وكان لديه عشرات الأصدقاء من كل مجال فى الحياة ، لكن لم يعرف شخصيته الحقيقية أحد . مجرد حقائق عن حياته السابقة هى المعروفة للتاريخ والزمن . كان قد بدأ حياته فى مدينة بيرايوس ، وكان ابناً لحمّال فى الميناء فى أسرة بها أربعة عشر أخاً وأختاً ، ولم يكن هناك طعام يكفى كل هذا العدد ، ومن أراد المزيد فعليه النضال من أجله .كان ديميريس لا يشبع أبداً وطوال الوقت يطلب المزيد من كل شىء ، ويسعى ويقاتل من أجل ذلك .

حتى فى طفولته كان عقله يحول أى شىء تلقائياً إلى رياضيات . كان يعرف عدد السلالم فى مبنى البارثينون الأثرى ، وعدد الدقائق

التى يتطلبها السير إلى المدرسة ، وعدد المراكب والقوارب فى الميناء فى اليوم وكان الوقت بالنسبة له عبارة عن عدد مجزأ إلى قطع ، ولقد تعلم عدم إهدار الوقت . بالتالى تعلم تحقيق أكبر كم فى أقل وقت . كان حسه التنظيمى غريزياً بالفطرة ، وكان لديه موهبة تعمل بشكل تلقائى حتى فى أقل شيء يفعله وكان كل شيء بالنسبة له لعبة يقوم فيها بمقارنة ذكائه بما لدى الآخرين من حوله .

كان ديميريس يدرك أنه أذكى ممن حوله من الرجال ، لكنه لم يكن مغروراً . عندما ترغب فيه امرأة لم يكن يمدح نفسه ويقول إن ذلك بسبب شكله أو شخصيته ، لكنه لم يكن يسمح لذلك بأن يزعجه . فالعالم بالنسبة له عبارة عن سوق كبيرة ، والناس به إما مشترون أو بائعون ، وكان يعلم أن بعض النساء يردن ماله ، والأخريات يردن قوته ، وقليل جداً منهن يردن عقله وخياله .

كان كل من يقابله يطلب منه خدمة : تبرعاً لعمل خيرى ، أو تمويلاً لمشروع أو بسط نفوذ وقوة عن طريق الأصدقاء والمعارف . كان يستمتع بالتحدى ، كما كان يعرف غرض كل من حوله من الناس ؛ لأنه نادراً ما يكون الغرض الحقيقى معلناً عنه فى الظاهر . كان عقله التحليلى يشك فى الحقيقة السطحية ، وبالتالى لم يكن يصدق ما يسمعه ، ولا يثق فى أحد .

الصحفيون الذين أرقوا حياته سُمح لهم فقط برؤية لطفه وكرمه وشخصيته كرجل مهذب ومحنك وخبير فى أحوال الدنيا . لم يشك أحدهم للحظة أن هذا الستار يخفى شخصية قاتل ومحارب من محاربى الشوارع الذى يضرب ويصيب فى مقتل دائماً .

فى اللغة اليونانية كلمة " العدل " تترادف مع كلمة " الانتقام " ، وكان مفتوناً بهاتين الكلمتين . كان يتذكر كل إهانة تعرض لها ، وكان يعاقب الذين أساءوا إليه واستجلبوا عداوته بما يوازى مساوئهم بمئات المرات . ولكنهم لم يعلموا أبداً مَنْ كان وراء ذلك ؛ لأن عقله الرياضى

كان يخطط للانتقام كلعبة ، ويضع خططاً كبيرة ، وأفخاخاً للإيقاع بالضحايا وتدميرهم .

عندما كان يبلغ من العمر ١٦ عاماً بدأ أول عمل له مع رجل يكبره سناً يسمى " سبيروس نيكولاس " ، وكان ذلك فى متجر صغير لبيع الوجبات الساخنة للبحارة والعمال فى الميناء فى نوبة العمل الليلية ، وكانا قد اتفقا على اقتسام الأرباح بالتساوى ، لكن عندما نجح المشروع أجبر نيكولاس ديميريس على الانسحاب من المشروع ، وسرق حقه فى الأرباح . تقبل ديميريس نصيبه وقدره دونما اعتراض ، وخاض مشروعات أخرى .

مرت عشرون عاماً ، ونجح نيكولاس ، وصار غنياً ، وعمل فى مجال تعبئة اللحوم ، وتزوج وأنجب ثلاثة أطفال ، وصار من أشهر رجال اليونان . انتظر ديميريس بصبر حتى يبنى نيكولاس مملكته التجارية الصغيرة ، وعندما وصل نيكولاس لقمة النجاح والسعادة انتقم منه ديميريس .

كان نيكولاس يفكر فى شراء مزارع حيوانات لتوفير اللحم ، وفتح سلسلة محلات للبيع بالتجزئة ، وذلك لأن عمله صار مزدهراً وناجحاً ، ولكن ذلك كان يلزمه الكثير من المال . كان ديميريس يمتلك البنك الذى يتعامل معه نيكولاس ، والبنك شجعه على الاقتراض مع خفض نسبة الفائدة ، وقدم له عرضاً مغرياً لا يمكن رفضه . ثم طلب البنك فجأة قيمة القرض فاعترض الرجل لأنه ليس معه سيولة ، فبدأ البنك فى إجراءات الحجز على ممتلكاته . نشرت الصحف التى يملكها ديميريس الخبر بشكل لافت للأنظار ، وبالتالى طالب المقرضون الآخرون نيكولاس بأموالهم . فحاول الاقتراض من البنوك الأخرى لكن لأسباب مجهولة رفض الجميع مساعدته ، فانتحر يوم إشهار إفلاسه .

كان إحساس ديميريس بالعدل سلاحاً ذا حدين ؛ فمثلما لا ينسى أو يغفر الإساءة ، لم يكن أيضاً ينسى المعروف . عندما كان شاباً عطفت

عليه سيدة وأطعمته ، وكسته عندما كان لا يملك المال ، وفجأة وجدت نفسها تملك عقاراً سكنياً دون أن تعرف من هو المحسن الكبير الذى منحها إياه . ومنح فيلا ومرتباً سنوياً مدى الحياة لفتاة أقام معها علاقة حميمة عندما كان معدماً ، ومن تعامل معه طوال الأربعين عاماً الماضية عندما كان شاباً لم يعرف أن مجرد العلاقة الجيدة العابرة معه ستؤثر على حياته ، وقد طلب المساعدة وهو شاب من أصحاب البنوك والمحامين وقائدى السفن والنقابات والساسة ورجال المال ، فساعده وشجعه البعض ، وغشه وتخلى عنه البعض الآخر ، وظل يحفظ فى ذاكرته سجلاً لا يمحى لكل تعامل قام به مع الناس حتى اتهمته زوجته بالمنتقم .

قال لها : " الكل ينتقم ولكن البعض يروق له ذلك ، والبعض الآخر لا " .

" لكن من الخطأ أن تدمر حياة الناس يا كوستا " .

" ليس خطأ ، إنه العدل " .

" بل الانتقام " .

" كلاهما نفس الشيء ، معظم الناس يفلتون من العقاب على ما اقترفوه من آثام ، وأنا فى وضع يسمح لى بعقابهم ، وهذا هو العدل " .

كان يستمتع بالساعات التى يقضيها فى التخطيط للأفخاخ التى يعدها لأعدائه . كان يدرس كل ضحاياه بحرص ، ويحلل شخصياتهم ونقاط قوتهم وضعفهم .

عندما كان يمتلك ثلاث سفن شحن ، وأراد توسيع أسطوله ، ذهب إلى صاحب بنك سويسرى فى مدينة " بازل " ، لكنه رفض مساعدته وحرض أصدقاءه من أصحاب البنوك على رفض طلبه بالاقتراض . فى النهاية تمكن ديميريس من الاقتراض من تركيا .

حدد ديميريس موعداً للانتقام من هذا المصرفى السويسرى ، ووجد نقطة ضعفه فى طمعه وجشعه . وقام ديميريس بإجراء مفاوضات لشراء آبار بترول اكتشفت حديثاً ، وكان يريد شراء سندات تلك الآبار التى ستدر أرباحاً تقدر بمئات الملايين من الدولارات لشركة ديميريس .

كلف أحد عملائه لتسريب الخبر للمصرفى السويسرى عن الصفقة التى كانت على وشك أن تتم ، فتلقى الرجل عرضاً للمشاركة بنسبة ٢٥٪ فى الشركة الجديدة إذا اشترى أسهماً بحوالى خمسة ملايين دولار . كان يعلم أنه سيربح ٥٠ مليون دولار من تلك الصفقة . وتحقق الرجل من صحة العرض وجديته ، ثم وافق ، لكنه لم يملك المال اللازم ، فاختلس من أموال البنك دون أن يخبر أحداً ، لأنه لا يريد أن يشاركه أحد حظه السريع من المكسب . واعتقد أنه إذا قام بشراء الأسهم ، ففى خلال أسبوع سيجنى المكسب السريع ، ويعيد المال الذى اختلسه .

عندما حصل ديميريس على الشيك الموقع عليه المصرفى السويسرى أعلن فى جرائده أن الصفقة مع الأمير السعودى قد ألغيت ، فانهارت البورصة ولم يتمكن المصرفى من تعويض خسارته ، فتم اكتشاف الاختلاس ، واشترى ديميريس الأسهم من الرجل بسعر بخس ، ثم استمر فى المفاوضات حول آبار البترول فارتفعت الأسعار فى أسهم البورصة التى انتعشت . وتم إثبات تهمة الاختلاس على الرجل ، وحكم عليه بالسجن ٢٠ عاماً .

لا يزال هناك رجال لم يصفِّ ديميريس حسابه معهم بعد ، لكنه لم يكن متعجلاً ، فقد كان يستمتع بالترقب والتخطيط ثم التنفيذ . كان الأمر بالنسبة له يشبه لعبة الشطرنج ، وكان ماهراً فيها للغاية . لكنه حالياً لم يعد يكوّن العداءات ، لأنه لا يوجد من يجرؤ على استجلاب عداوته ، ولذلك كان انتقامه يحل بمن آذوه فى شبابه فى الماضى .

هذا إذن هو الرجل الذى ظهر فى صالون نويل حيث كان يقضى بضع ساعات فى باريس فى طريقه إلى القاهرة ، واقترحت رفيقته الحالية والتى كانت تعمل فى مجال النحت أن يذهبا لصالون نويل الأدبى . ومنذ أن رأى ديميريس نويل رغب فيها بشدة .

لم تكن الملكية متاحة لابنة الصياد التى جاءت من مارسيليا ، لكن ديميريس كان أقرب لكونه ملكاً متوجاً ، وبعد أن قابلته فى الصالون مرت ثلاثة أيام ، ثم تركت المسرحية التى تمثلها دون سابق إنذار ، وأعدت حقائبها لكى تلحق بـ " ديميريس " فى اليونان .

بسبب شهرة كل منهما ومكانته فى المجتمع ، لم يكن هناك مفر من أن أخبار العلاقة بينهما ستصبح أهم قضايا المشاهير فى الصحف العالمية ، وكان الصحفيون والمصورون يحاولون طوال الوقت إجراء حوار مع زوجة ديميريس ، لكنها لم تظهر لهم أبداً أنها فقدت رباطة جأشها . كان تعليقها الوحيد أن زوجها لديه أصدقاء كثيرون حول العالم ، ولا ترى غضاضة فى ذلك . لكن فى حياتها الخاصة ما كانت تقوله لأبويها الغاضبين أن كوستا كانت له علاقات متعددة بالنساء من قبل ، وسرعان ما سيمل من عشيقته الجديدة مثل سابقاتها . كان زوجها يخرج فى مهام عمل تستغرق أياماً طويلة ، وكانت ترى فى الجرائد صورا له مع نويل فى القسطنطينية أو طوكيو أو روما . كانت ميلينا امرأة ذات كبرياء ؛ لكنها قررت أن تتحمل هذه الإهانة ؛ لأنها تحبه حقاً . وتقبلت حقيقة أنه لسبب لا تفهمه يحتاج بعض الرجال لأكثر من امرأة ، فهناك رجال يحبون زوجاتهم ؛ لكنهم قد يعرفون سيدات أخريات أيضاً . كانت تفضل الموت على أن تخونه مع رجل آخر . لم تلق اللوم على زوجها أو تعاتبه ؛ لأنها تعرف أن هذا لن يفيد بشىء ، بل سيجعله يهجرها ، وبذلك كان زواجها مستقراً ؛ لكنها لو علمت كم يستمتع زوجها مع نويل لأصبحت تعسة .

كان أهم ما يجذب ديميريس لـ " نويل " - وهو الخبير فى النساء ولا يفاجئه شىء فيهن - هو أنها تحمل له مفاجآت كثيرة طوال الوقت ، فهو مولع بالألغاز ، وكانت بالنسبة له لغزاً كبيراً يحاول حله ، لكنه لم يتمكن بعد ، كان الأمر بالنسبة له بمثابة تحد ، ولم يقابل أحداً مثلها من قبل . كانت تقبل هداياه الجميلة ، لكنها كانت تصبح سعيدة بالضبط مثل مقدار سعادتها عندما لا يعطيها شيئاً . اشترى لها فيلا على البحر فى خليج " حدوة الحصان " فى اليونان ، لكنه وجد أنها لا تكترث ، وكانت سعادتها ستتساوى حتى إذا أوجد لها شقة فى الحى القديم فى أثينا .

قابل ديميريس العديد من النساء فى حياته ، ممن قمن باستغلال العلاقة لغرض ما ، لكن نويل لم تطلب منه أى شىء . كان النساء يردن منه الشهرة والمال ، لكن نويل كانت هى من يهرع إليها الصحفيون والمصورون فلقد كانت نجمة لامعة . ثم أخذ ديميريس يفكر فى احتمال أنها قد وقعت فى حبه ، لكنه كان أميناً مع نفسه ، ولم يصدق الوهم .

فى البداية كان التحدى هو الوصول لعمق شخصية نويل لكى يقمعها ويخضعها لإرادته ، فحاول ديميريس إخضاعها عاطفياً أولاً ؛ لكنها كانت تعامله معاملة الند بالند ، وكأنها كفء له ، وكانت تجيد الطهى مثل أحسن طاه لديه يقبض راتباً ضخماً ، وتعرف الكثير جداً عن الفن مثل رعاة الفن الذين يستأجر خدماتهم لشراء اللوحات وأعمال النحت له . كان يستمتع بمناقشة نويل معهم فى أمور الفن ، وكانت تدهشهم بعمق معرفتها فى مجال الفن .

كان ديميريس قد اشترى مؤخراً لوحة للفنان رامبرانت ، وكانت نويل متواجدة فى جزيرة ديميريس الصيفية عند وصول اللوحة ، وكان أحد رعاة الفن المأجورين هو من اشترى له اللوحة ، وقال وهو يزيح عنها الستار : " إنها من أروع إبداعات الفنان العظيم " .

كانت لوحة رائعة لأم وابنتها . كانت نويل جالسة على مقعد تحتسى المشروب ، وتشاهد فى صمت ما يحدث .

قال ديميريس موافقاً : " إنها جميلة " ثم التفت لـ " نويل " قائلاً : " ما رأيك ؟ "

قالت : " إنها جميلة حقاً " ثم قالت للرجل : " من أين أحضرتها ؟ "

قال بفخر : " تفاوضت مع تاجر تحف فى بروكسل ، وأقنعته ببيعها لى . "

قالت نويل : " كم دفعت فيها ؟ "

" مائتين وخمسين ألف جنيه إسترلينى "

قال ديميريس : " إنها صفقة رابحة . "

التقطت نويل سيجاراً ، فهرع الرجل لكى يشعله لها ، فشكرته نويل ونظرت إلى ديميريس قائلة : " ستكون صفقة رابحة حقاً يا كوستا إذا اشتريتها ممن يملكها حقاً . "

قال ديميريس : " لا أفهم مقصدك . "

نظر إليها الرجل باستغراب .

قالت موضحة : " إذا كانت اللوحة أصلية ، فلقد جاءت من منطقة توليد فى أسبانيا " ، ثم التفتت للرجل قائلة : " أليس كذلك ؟ "

تحول وجهه للون الأبيض من الخوف والارتباك ، وقال : " ليس لدىّ فكرة ، فالتاجر لم يخبرنى ."

قالت له بلوم : " لا تكذب ، هل تعنى أنك اشتريتها دون التحقق من مصدرها وموطنها ؟ من الصعب تصديق ذلك . لقد تحدد سعرها فى بلدها . وهو ١٧٥ ألف جنيه إسترلينى ، وأردت خداع ديميريس بفارق ٧٥ ألفاً ! "

اتضح أنها محققة ، وتم القبض على الرجل ومعه تاجر التحف بتهمة النصب ، ودخلا السجن ، وأعاد ديميريس اللوحة . لاحقاً تأمل ديميريس ما حدث ، فلم تدهشه معلومات نويل عن الفن ، بل دهشته أمانتها . فلو أرادت لابتزت الرجل ، وهددته مقابل الحصول على ٥٠٪ من المبلغ ، ولكن بدلاً من ذلك كشفت أمر الرجل أمامه بدون أن يكون لديها دافع أو غرض داخلى . اشترى لها عقداً من الزمرد تقديراً لها ، ولكنها تقبلته ، وكأنها تقبل ولاعة هدية . كان يصر على أن تصطحبه فى كل مكان . لم يكن يثق فى أحد فى العمل . لذلك كان يتخذ قراراته بنفسه ، لكنه وجد أنه من المفيد مناقشة نويل فى الصفقات التجارية . كان يجد فى معلوماتها فى مجال الأعمال والتحدث معها ، مساعدة على اتخاذ القرارات بسهولة . لاحقاً أصبحت نويل تعرف عن أعماله الكثير ، أكثر من أى شخص باستثناء محاميه ومحاسبيه . فيما مضى كان لدى ديميريس عدة رفيقات فى آن واحد ، ولكن الآن تشبع نويل كل رغباته ، ولذلك هجرهن واحدة تلو الأخرى ولكنهن تقبلن ذلك دون أن يشعرن بمرارة ؛ لأنه كان كريماً معهن ، ومازال يصرف عليهن ، ويغطى نفقاتهن .

كان لدى ديميريس يخت فخم طوله ١٣٥ قدماً ، وله أربعة محركات ديزل ، وكان يحمل طائرة وطاقماً به ٢٤ بحاراً وقاربين سريعين وحمام سباحة به ماء منعش ، واثنى عشر جناحاً للضيوف ذات أثاث فخم وجناح كبير خاص به ملىء بالتحف واللوحات . عندما كان يذهب لليخت كانت نويل هى التى تقوم باستقبال ضيوفه ، وكان يصطحبها فى جزيرته الخاصة عند السفر لها بحراً أو جواً ، بينما تظل ميلينا فى المنزل . كان حريصاً على عدم تواجد زوجته ونويل فى مكان واحد ؛ لكنه كان يعلم أن زوجته على علم بهذه العلاقة .

كانت نويل تتلقى معاملة كالملوك أينما ذهبت ، لكنها اعتبرت هذا من حقها ؛ فمنذ نعومة أظافرها وهى تعاون أباها فى مرسيليا . والآن

أصبحت الأساطيل الكبرى فى العالم طوع أمرها . لم تكن نويل منبهرة بثروة أو سمعة ديميريس ، بل بذكائه وقوته . كان له عقل وإرادة عملاقة ، وكانت المقارنة بينه وبين الرجال الآخرين ظالمة لهم ؛ لأنها تجعلهم يبدون جبناء . شعرت بالقسوة بداخله التى لا تخطئها العين ، وهذا ما جعله مثيراً بالنسبة لها ؛ لأنها أيضاً قاسية القلب .

لم تكترث نويل للعروض التى تلقتها للتمثيل فى المسرح والسينما ؛ كانت تلعب أهم دور بطولة فى قصة حياتها ، وكان هذا أكثر إثارة من أى قصة لأى مؤلف بارع . كانت تتناول العشاء مع رؤساء وزارات وملوك وسفراء ، وكانوا يخاطبون ودها لكى تتوسط لهم عند ديميريس الذى كان يطيعها ويلبى طلباتها . كانوا يلمحون بحاجاتهم ، ثم يعدونها بالعالم كله لقاء مساعدتها لهم .

لكنها كانت تملك العالم بالفعل . كانت تجلس مع ديميريس ، وتخبره بكل ما يحتاجه كل واحد منهم ، وكان ديميريس يعرف من تلك المعلومات نقاط قوتهم وضعفهم ، مما يمكنه من الضغط عليهم لمصالحه ولأرباحه التى تتدفق لخزائنه الممتلئة .

كانت من أهم مصادر سعادة ديميريس جزيرته الخاصة ، والتى قد اشتراها وهى أرض جدباء فحولها لجنة على الأرض . أنشأ فيها فيلا على قمة تل تثير دهشة من يراها ، وكان يقيم بها كلما نزل إلى الجزيرة ، وكان بالجزيرة أيضاً اثنا عشر جناحاً للضيوف ، ومحمية طبيعية للصيد ، وبحيرة صناعية بها ماء صاف ومنعش ، وحديقة حيوان وميناء لرسو اليخت وممر لطائراته . كان بالجزيرة ثمانون خادماً وخادمة ، وحراس مسلحون لإبعاد الدخلاء . أعجبت نويل بعزلة الجزيرة ، وكانت تستمتع أكثر فى حالة عدم وجود الضيوف ، وكان ديميريس سعيداً ؛ لأنها تفضل أن تكون بمفردها معه . كان سيندهش لو علم أن ذهنها مشغول برجل واحد لا يعلم عن وجوده شيئاً .

كان لارى دوجلاس فى النصف الآخر من الكرة الأرضية يحارب فى المعارك السرية فى الجزر السرية ، ولكنها كانت تعلم عنه أكثر مما تعرف عنه زوجته التى يراسلها بانتظام . كانت نويل تسافر إلى باريس بانتظام - كل شهر على الأقل - لتقابل كريستيان باربيه ، المخبر القصير الضعيف النظر الأصلع والذى كان لديه دائماً تقارير حديثة جاهزة لها .

فى إحدى المرات عندما كانت فى باريس ، وأرادت العودة لليونان حدثت لها مشاكل فى جمارك المطار ، ولم يسمح لها بتجديد الفيزا ، وانتظرت خمس ساعات ، وفى النهاية سمحوا لها باستخدام الهاتف فاتصلت بـ " ديميريس " . بعد عشر دقائق من المكالمة هرع الضابط إليها معتذراً بشدة نيابة عن حكومته ، وأصدروا لها فيزا خاصة ، ولم يوقفها أحد بعد الآن كلما زارت باريس .

كان المخبر باربيه يتوق لزيارات نويل الشهرية ؛ لأنه يجنى منها أتعاباً ضخمة ، لكنه بأنفه المدرب شم رائحة أرباح أخرى أكبر فى الطريق . كان سعيداً بعلاقتها بـ " ديميريس " ، حيث شعر أنه سيستفيد منه مادياً . لكنه كان يجب أن يتأكد أن ديميريس لا يعلم شيئاً عن اهتمام نويل بـ " لارى دوجلاس " ، ثم عرف قيمة هذه المعلومة لدى ديميريس ، حيث إن ذلك يعنى أن نويل سوف تخرسه بالمزيد من النقود . كان على وشك أن يجنى أرباحاً طائلة إذا مارس لعبته بحرص . كانت المعلومات حول لارى مهمة جدًّا ودقيقة ؛ لأن باربيه كان يدفع جيداً لمصادره الخاصة لجمع المعلومات .

بينما كانت زوجة لارى تقرأ خطاب زوجها وهى لا تعرف مكانه ، كان باربيه يقول لـ " نويل " على مكانه بالضبط أثناء الحرب :

" إنه يطير مع المجموعة القتالية ١٤ وبها ٤٨ طائرة ." بينما كاثرين تقرأ فى الخطاب : " .. لا يمكننى تحديد مكانى فى المحيط الهادئ لسرية المعلومات يا حبيبتى ... " .

كما يقول باربيه لـ " نويل " : " إنه فى منطقة تاراوا ، ومتجه إلى جوام " . وبينما تقرأ زوجته :

" أفتقدك كثيراً يا كاثى ، الأمور معقدة هنا ، ولا يمكننى البوح بالتفاصيل ، لكن لدينا طائرات رائعة للغاية ... "

" صديقك يقود طائرات من طراز ... "

" أنا سعيد لعملك فى واشنطن لكى تشغلى وقتك . كونى مخلصة لى وحدى يا حبيبتى ، كل شىء على ما يرام هنا ، ولدىّ خبر سار سأخبرك به عند عودتى ... "

" تم منحه وسام آخر لشجاعته ، وتم ترقيته إلى رتبة كولونيل . "

عندما كانت تفكر كاثرين فى زوجها كانت تدعو الله من أجل عودته سالماً لأرض الوطن ، وكانت نويل تتابع خطوات لارى ، وتدعو الله أيضاً لعودته سالماً . وسرعان ما ستنتهى الحرب ويعود لارى دوجلاس للوطن ، ولكلتا المرأتين : كاثرين ونويل .

كاثرين

واشنطن : ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦

١١

استسلمت ألمانيا أمام قوات الحلفاء دون شروط فى مدينة الرايمز فى فرنسا فى السابع من مايو ١٩٤٥ ، وانتهى عهد الرايخ الثالث الذى كان من المعتقد أنه سيستمر ألف عام . إن من شهدوا الدمار الشامل فى بيرل هاربور ومعركة دانكيرك لم يدخلوا التاريخ مثل من شهدوا معركة ووترلو فى إنجلترا ، ومن كان فى سلاح الطيران عرف أن دفاع لندن كان ضعيفاً أمام هجمات طيران الألمان . لكن كل هؤلاء الناس كانوا على علم بسلسلة المعجزات التى جلبت النصر للحلفاء ـ لقد انتصروا بصعوبة وبشق الأنفس . حيث كانت قوى الشر تبدو منتصرة فى البداية ، وكانت الفكرة سخيفة ، وعلى عكس المعتقد السائد بأن الشر سينهزم أمام الخير والحق ، لكنهم أمام الناس شكروا الله ، وأخفوا كل جرائم الحرب من أمام عيون الأجيال القادمة فى تلال من الملفات السرية للغاية .

تحول انتباه العالم إلى الشرق الأقصى وإلى اليابانيين قصار القامة ذوى النظر الضعيف والأجسام المضحكة ، حيث كانوا يستميتون فى الدفاع عن كل شبر من الأرض ، وكانت تبدو أنها حرب طويلة وعصيبة ومكلفة فى الأموال والأرواح .

لكن فى السادس من أغسطس تم إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وكان الدمار يفوق كل التوقعات . فى غضون دقائق مات معظم سكان المدينة . فقد تجاوز عدد الموتى عدد ضحايا الوباء والحروب فى العصور الوسطى .

فى التاسع من أغسطس وبعد ثلاثة أيام ألقيت القنبلة الذرية التالية على نجازاكى . كانت النتائج دماراً أكثر ، وقد وصلت المأساة لقمتها عندما أبيد شعب بأكمله حيث مات ملايين من الناس فى ثوان معدودة . كان هذا أكبر مما تتحمله اليابان ، فاستسلمت بدون شروط فى الثانى من سبتمبر ١٩٤٥ ، وبذلك انتهت الحرب العالمية الثانية .

لمدة زمنية طويلة كانت الأخبار تتوالى تباعاً ، وحبس العالم أنفاسه ، ثم عم الهتاف من القلب بانتهاء الحرب وحل السلام ، وامتلأت شوارع القرى والمدن حول العالم بمسيرات للاحتفال بالسلام ، ونهاية الحروب إلى الأبد ...

فى اليوم التالى حدث ما لم تستطع كاثرين تفسيره ، حيث تمكن بيل فريزر من الاتصال هاتفياً بـ " لارى " فى جزيرة ما فى جنوب المحيط الهادى ، وأراد تحضير هذه المفاجأة لـ " كاثرين " . طلب منها الانتظار فى مكتبه لكى يتناولا الغداء معاً . فى الساعة الثانية والنصف ظهراً اتصلت كاثرين عبر الهاتف الداخلى بـ " فريزر " .

قالت له : " متى سنتناول طعامنا ؟ سرعان ما سيحين وقت العشاء . "

" ابق مكانك ، وسوف أحضر بعد دقيقة واحدة . "

بعد خمس دقائق قال لها عبر الجهاز : " يوجد مكالمة لك "

التقطت كاثرين السماعة وقالت : " نعم ؟ " وسمعت صوتاً كالأمواج ، وكأن الصوت قادم من المحيط البعيد .كررت قائلة : " نعم ؟ " فسمعت رجلاً يقول : " هل أنت مدام دوجلاس ؟ "

قالت : " نعم من معى ؟ " وشعرت بالفضول .

" لحظة واحدة من فضلك ؟ "

ثم سمعت صوتاً عالياً كالصيحة ، ثم صوت الأمواج ، ثم صوتاً يقول : " كاثى ؟ "

دق قلبها بعنف ، وقالت : " لارى ؟ لارى ؟ "

" نعم يا حبيبتى . "

بدأت تبكى من الذهول والمفاجأة ، وسرت رعشة فى جسدها : " آه لارى ! "

" كيف حالك يا حبيبتى ؟ "

قرصت ذراعها لكى تشعر بالألم ، فتتوقف الهستيريا التى أصابتها فجأة ، ثم قالت : " إننى بخير ، أين أنت ؟ "

" إذا أخبرتك فسينقطع الخط ، أنا فى مكان ما فى المحيط الهادئ . "

بدأت تتحكم فى صوتها ، وقالت :

" أنت قريب جداً ! هل أنت بخير يا حبيبى ؟ "

" نعم يا عزيزتى . "

" متى ستعود لأرض الوطن ؟ "

" فى أية لحظة غير متوقعة . "

اغرورقت عيناها بالدموع ، وقالت : " حسناً لنضبط ساعتنا على توقيت واحد . "

" أتبكين ؟ "

" بالطبع يا لارى ! "

" أفتقدك ياحبيبتى . "

فكرت فى الليالى الطويلة الوحيدة التى قضتها عبر الأسابيع والشهور والأعوام الأربعة بدونه وبدون حضنه الدافئ وحمايته وحبه ، ثم قالت : " وأنا أيضاً يا حبيبى . "

جاء صوت الرجل مرة أخرى على الخط قائلاً : " آسف يا سيدى الكولونيل . إننى مضطر لقطع الاتصال . "

" كولونيل ! "

" لم تخبرنى أنك ترقيت . "

" خفت عليك من الصدمة يا عزيزتى ... "

جاء صوت هدير موج المحيط ، ثم ساد الصمت وانقطع الاتصال . جلست كاثرين على مكتبها تحدق إلى الهاتف ، ثم أجهشت بالبكاء بعد أن أخفت وجهها بين ذراعيها .

جاء صوت فريزر بعد عشر دقائق على آلة الاتصال الداخلى : " إننى جاهز للغداء يا كاثى عندما تكونين جاهزة . "

قالت بمرح : " إننى جاهزة لأى شىء الآن ، بعد خمس دقائق ". ابتسمت لأن فريزر كلف نفسه العناء لإسعادها على هذا النحو . كان أحب الرجال إليها بعد لارى بالطبع .

تخيلت لحظات وصول لارى كثيراً لدرجة أن وصوله الفعلى بدا بلا إثارة . شرح لها فريزر أن لارى سيحضر فى طائرة عسكرية ، لكنها ليس لها مواعيد كالطائرات السياحية التى لا يمكن التكهن بموعد وصولها ، فالطائرات العسكرية ليس لها مواعيد وأماكن أو اتجاهات ثابتة .

ظلت كاثرين فى المنزل طوال اليوم فى انتظار لارى ، وحاولت شغل وقتها بالقراءة ؛ لكنها كانت متوترة ، ولم تتمكن من القراءة ، فاستمعت للأخبار فى المذياع وفكرت فى عودته للوطن ، هذه المرة إلى الأبد . بحلول منتصف الليل لم يصل بعد ، فقالت إنه غالباً سوف

يصل غداً . وفى الثانية بعد منتصف الليل لم تتمكن من مواصلة الاستيقاظ طوال هذا الوقت ، فنامت على الفراش .

استيقظت عندما أحست بيد على ذراعها ، ففتحت عينيها ، ووجدت لارى واقفاً أمامها وينظر إليها ، ويبتسم بوجهه النحيف الذى لفحته الشمس ، وفى أقل من ثانية ارتمت فى أحضانه ، واختفى ألم ووحدة وعذاب وقلق الأعوام الأربعة الماضية فى تيار السعادة الذى ملأ كل ذرة فى كيانها . احتضنته بقوة لدرجة أنها خافت من أنها ستكسر عظامه . أرادت أن تظل فى حضنه إلى الأبد ولا تتركه أبداً .

قال لارى فى النهاية : " احترسى يا عزيزتى . " ثم تركها مبتسماً وقال : " سيكون خبراً مضحكاً فى الصحف : " احتضان طيار حتى الموت على يد زوجته فور عودته من الحرب . "

أنارت كاثرين كل أنوار الحجرة لكى تتمكن من رؤيته وإشباع رغبتها الملحة فيه . صارت فى وجهه علامات النضج ، وكانت هناك تجاعيد بسيطة حول عينه وفمه لم تكن موجودة من قبل ، لكنه كان أوسم من ذى قبل .

قالت بلهفة : " أردت مقابلتك فى المطار ، لكن لم أعرف أين أو متى أنتظرك ، واتصلت بسلاح الطيران فلم يعطونى أية معلومات ، فانتظرت هنا و ... " .

قاطعها بابتسامة لطيفة قائلاً : " دعينا يا عزيزتى لا نطيل الحديث الآن " واستغرقا فى لحظات الشوق الدافئة .

بمباركة فريزر أخذت كاثرين إجازة لمدة شهر ، وقضت كل لحظة مع لارى . قامت بطهى الأصناف التى يفضلها ، وتحدثا كثيراً ، واستمعا للأغانى ، وحاولا تعويض الفجوة الزمنية والأعوام الأربعة الضائعة . ليلاً كانا يذهبان للحفلات أو للمسرح ، وعند العودة للمنزل كانا يقضيان الليلة بين مشاعر الحب الدافئة .

لم ترغب حتى فى الاعتراف لنفسها بأن هناك تغييراً لا يمكن تحديده فى لارى . كان يطالب بالكثير ولا يعطى إلا القليل . كان عنيفاً جسدياً معها ؛ كأنه يحاول الانتقام من شىء ما ، أو يوقع العقاب على أحد . وكانت كاثرين تشعر أنها قد تلقت ضرباً مبرحاً ، وتشعر بالآلام وكأنها مجروحة . قالت لنفسها مدافعة عنه ، إنه ظل لمدة أربع سنوات بدون نساء .

بمرور الأيام ظلت تلاحظ التغييرات الأخرى التى لحقت بلارى . حاولت تقييمه دون عواطف مع نسيان أنه زوجها الذى تعشقه ، فرأت أمامها رجلاً طويلاً رشيقاً شعره أسود ، وله عينان داكنتان ، ووجه جميل . كانت هناك تجاعيد حول فمه مما أضاف صرامة لملامحه . وكانت تشعر أنه غريب عنها ، وأنه رجل أنانى بلا رحمة . لكنها أخبرت نفسها أنها تهول الأمور ، فهذا هو زوجها الحبيب العطوف الذى يراعى الآخرين .

كانت تقدمه بفخر لصديقاتها ولزميلاتها فى العمل ؛ لكنه شعر بالملل منهن ، ففى الحفلات كان ينسحب لركن ويقضى ليلته فى الشراب . وكان يبدو لـ " كاثرين " أنه لم يعد اجتماعياً ، عندما ناقشته فى الأمر قال عن الحاضرين : " أين كان هؤلاء الرعاع ، وأنا أعرض نفسى للموت وللخطر فى الحرب ؟ "

تطرقت كاثرين عدة مرات بشكل غير مباشر لخطط لارى للمستقبل ، فاعتقدت أنه يريد أن يظل فى الجيش ؛ لكنه قام بتقديم استقالته بمجرد وصوله لأرض الوطن .

قال لها : " الجيش والعسكرية للحمقى فقط ، حيث لا نهاية للمرء سوى الموت . "

كانت تلك محاكاة هزلية لأول حوار دار بينها وبينه فى هوليوود ، لكنه كان يمزح حينها عندما قال نفس العبارة .

قررت كاثرين مناقشة الأمر مع بيل فريزر ، وأخبرته بكل ما يساورها من قلق ؛ لكنها لم تخبره بالتفاصيل الشخصية فى العلاقة الحميمة بينهما .

قال لها متعاطفاً : " إذا كان هذا سيعزيك قليلاً ، فهناك ملايين النساء يحدث لهن ما يحدث لك عند عودة أزواجهن من الحرب . الأمر بسيط يا كاثرين ، اعتبرى نفسك متزوجة من رجل غريب . "

نظرت إليه كاثرين ، ولم تقل له شيئاً .

توقف فريزر لملء الغليون وإشعاله ، ثم أردف قائلاً : " لا تتوقعى استكمال ما كان عليه لارى فى الماضى . انتهى الماضى الآن ، ولم يعد له وجود . ما يجعل الزواج قوياً هو الخبرات المشتركة بين الزوج والزوجة ، حيث يكبران معاً وينمو زواجهما ، لكن لا تقلقى ، فسوف تجدين معه أموراً مشتركة لاحقاً " .

" أشعر أننى أخونه عندما أناقش الأمر يا بيل . "

ابتسم وقال : " عرفتك قبله ، ألا تذكرين ؟ "

" بل أذكر ذلك . "

" أنا متأكد من أن لارى يشعر بالتغيير أيضاً ، فلقد عاش مع ألف رجل لمدة ٤ سنوات ، والآن سيعتاد أن يعيش مع امرأة . "

ابتسمت وقالت : " أنت محق دائماً يا بيل . ربما كنت بحاجة لمن يقول لى ذلك بالفعل . "

قال لها : " لدينا جميعاً نصائح لعلاج الأوجاع والجروح ، لكن بعض الجروح لا تظهر لأنها عميقة " ثم نظر إلى وجهها ، وقال : " لا أعنى شيئاً خطيراً ؛ لكن أتحدث عن الأمور المروعة التى كان الجنود يشاهدونها فى القتال . لابد أن لها تأثيراً عميقاً على الإنسان إلا إذا كان أحمق ، هل تفهمين ذلك ؟ "

أومأت برأسها ، وقالت : " نعم لكن التساؤل هو : " ما تأثير الحرب على لارى ؟ "

عادت كاثرين لعملها ، وكان الموظفون سعداء بعودتها . لمدة ثلاثة أيام لم تفعل سوى مراجعة الحملات الإعلانية ، وتصميماتها للعملاء الجدد ومتابعة العملاء القدامى . كانت تعمل من أول النهار إلى آخر الليل ، وتحاول تعويض ما مضى من وقت ، وتضغط وتلح على العاملين والفنانين ، وتهدئ من توتر العملاء . لقد كانت بالفعل ماهرة فى عملها وتحبه .

كان لارى ينتظر عودتها ليلاً ، وكانت تسأله عما يفعله فى غيابها ، لكن كانت إجاباته مبهمة ، فكفت عن سؤاله . كان بينه وبينها حاجز لم تتمكن من أن تتخطاه . كان يأخذ كل ما تقوله له على محمل الإهانة ، وكان يفتعل الشجار على أمور تافهة . بين الحين والآخر كان يدعوها فريزر للعشاء ، وكانت تحاول أن تظل أمامه مرحة ؛ لكيلا يشعر أنها تعسة مع لارى ، لكن كان عليها مواجهة حقيقة أن ثمة شيئاً خطأ قد حدث . شعرت أن الفشل يصيبها جزئياً ، لكنها لا تزال تحبه ، وتحب مظهره وملمسه وذكراه ، ولكن أحست أنه لو استمر الحال على هذا المنوال فسيكون ذلك طريق الدمار لهما معاً .

تناولت العشاء مع فريزر ذات ليلة

قال لها : " كيف حال لارى ؟ "

كان الرد الآلى " بخير " على طرف لسانها ، لكنها قالت بجرأة : " إنه بحاجة إلى وظيفة " .

رجع فريزر للخلف فى مقعده ، وأومأ برأسه ، وقال : " بدأ يمل من مكوثه بلا عمل ؟ "

ترددت ولم ترغب فى الكذب : " لا يريد العمل ، لكن يجب أن يعمل فى مجال مناسب له . "

حاول فريزر فهم مرماها ومقصد كلامها ، فتفرس فى وجهها لمعرفة مغزى كلماتها ، ثم قال :

" هل يريد أن يصبح طياراً كما كان ؟ "

" إنه لا يريد العودة للعمل فى الجيش "

" إننى أفكر فى الخطوط الجوية المدنية ، فلدىّ صديق مدير فى شركة طيران بان أمريكان ، وسيكونون محظوظين لو عينوا طياراً فى خبرة وكفاءة لارى " .

جلست كاثرين تفكر فى الأمر ، ووضعت نفسها مكان لارى . فهو يحب الطيران للغاية أكثر من أى شىء ، وسيحب هذا العمل لأنه سيعمل فى مجال اهتمامه . قالت : " يبدو هذا رائعاً ؛ لكن هل تظن أن بإمكانه الحصول على الوظيفة ؟ "

" سأحاول لكن لماذا لا تحاولين معرفة رأيه أولاً ؟ "

" سأفعل ، شكراً لك . " ثم صافحته وهى تشعر بالامتنان .

قال لها برقة : " علام تشكرينني ؟ "

" لأنك دائماً بجانبى كلما احتجت إليك . "

وضع يده على يدها ، وقال : " أنا تحت أمرك "

عندما قالت كاثرين لـ " لارى " على اقتراح فريزر قال لها : " تلك أحسن فكرة سمعتها منذ أن عدت للوطن ." بعد يومين تحدد له موعد لمقابلة كارل ايستمان فى مقر شركة بان أمريكان فى مانهاتن . قامت كاثرين بالعمل على أناقة لارى ، واختارت له القميص ورابطة العنق ، وقامت بتلميع حذائه ؛ حتى صارت ترى انعكاس وجهها على الحذاء من فرط اللمعان . قال لارى : " سأتصل بك هاتفياً لأطلعك على ما حدث . " ثم ابتسم ابتسامته الطفولية المعهودة ، ثم غادر المنزل . شعرت كاثرين أن لارى كالطفل الصغير ، وكان ذلك واضحاً من عدة نواح ، فهو كان سريع الغضب ، وسيئ الخلق ، ووقحاً كالطفل الشقى ، لكنه كان أيضاً محبوباً وكريماً .

قالت كاثرين وهى تتنهد : " يا لحظى التعس ! لابد أن أكون الزوجة المثالية الوحيدة فى العالم . "

كان أمامها يوم مزدحم فى العمل ، ولكنها لم تفكر سوى فى لارى . كانت أكثر من مجرد وظيفة ، كان لديها إحساس أن زواجها معلق على ما سيحدث .

سيكون أطول يوم فى حياتها .

كان مقر شركة بان أمريكان فى مبنى حديث فى الشارع رقم (٥) ، وكان مكتب كارل ايستمان كبيراً وفخماً ومؤثثاً بأفخر الأثاث ، وكان منصبه مهماً فى الشركة .

ألقى التحية على لارى عندما دخل إلى مكتبه ، وقال له : " اجلس يا سيد دوجلاس " .

كان ايستمان فى الخامسة والثلاثين من العمر وكان رجلاً نحيلاً ذا ذقن مربع وعينين بنيتين لا تخطئان أى شىء . أشار لـ " لارى " بالجلوس على الأريكة ، ثم جلس على المقعد المقابل له .

" هلا تناولت القهوة ؟ "

" كلا ، شكراً . "

" أتفهم أنك تريد العمل معنا . "

" إذا كانت هناك وظيفة شاغرة . "

" يوجد بالفعل . وتقدم لها ألف شخص لا يستحقونها " ثم أضاف بمسحة ندم : " شىء مذهل ، سلاح الطيران يدرب آلاف الشباب لقيادة أعقد الطائرات ، ثم يسرحونهم من الخدمة بعد أن يقوموا بعملهم على أكمل وجه " ثم تنهد وأردف قائلاً : " لن تصدق عدد المتقدمين للعمل ، يوجد آلاف المتقدمين لكل وظيفة شاغرة ـ كل شركات الطيران تعانى من نفس الوضع . "

شعر لارى بالإحباط ، فقال للرجل : " إذن لماذا طلبت رؤيتى ؟ "

" لسببين : أولاً لأن من هو أعلى منى فى الهيكل الوظيفى طلب منى ذلك " .

شعر لارى بالغضب ، وقال : " لا أريد ... "

مال ايستمان عليه ، وقال : " السبب الثانى هو أن لديك ملفاً مدهشاً لخبرتك كطيار . "

قال لارى ببرود : " شكراً . "

تفرس ايستمان فى وجهه ، وقال : " ستتبع برنامجاً تدريبياً هنا كما تعلم ، وسيبدو الأمر كأنك تعود لتعلم مبادئ الطيران . "

تردد لارى ، ولم يعرف إلى ماذا سيؤدى هذا الحوار .

فقال بحرص : " يبدو ذلك جيداً . "

" ستتلقى تدريبك فى نيويورك . "

أومأ لارى برأسه موافقاً فى انتظار لما يلى .

" ستقضى أربعة أسابيع فى التدريب النظرى ثم شهراً فى التدريب العملى " .

" أنتم تستخدمون طائرات من طراز " دى . سى . فورز " " .

" نعم ، وعند انتهاء تدريبك ستصبح مساعد طيار ، وسيكون أجرك أثناء التدريب ٣٥٠ دولاراً شهرياً . "

حصل على العمل فى النهاية ! كان الرجل اللعين يضايقه ويتلاعب بأعصابه عندما ذكر أن آلاف الطيارين يسعون لنفس الوظيفة . لكنه حصل عليها فى النهاية ! لماذا شعر بالقلق ؟ لا أحد يملك ملفاً مشرفاً مثله .

ابتسم لارى ، وقال : " ليس لدىّ مانع من أن أبدأ كمساعد طيار ، لكنى طيار بالفعل ، فمتى أكون كذلك حقا ؟ "

تنهد ايستمان ، وقال : " تم توحيد شركات خطوط الطيران ، والترقى يكون فقط عن طريق طول الخبرة فى المجال ، ويوجد رجال سبقوك فى سنوات الخبرة ، هل تريد أن تجرب ؟ "

قال لارى : " لِمَ لا ؟ ليس لدىّ ما أخسره . "

قال ايستمان : " سأرتب الإجراءات ، وبالطبع سيتم توقيع الكشف الطبى عليك ، هل هناك مشكلة ؟ "

ابتسم لارى ، وقال : " لم يجد اليابانيون مشكلة معى . "

" متى ستستعد للعمل ؟ "

" منذ ظهر اليوم إن أردت . "

" لنبدأ يوم الاثنين القادم " ثم دوّن اسماً على بطاقة ، وأعطاها لـ " لارى " وقال : " خذ ، سنتوقع وصولك فى التاسعة صباح يوم الاثنين . "

عندما اتصل لارى بـ " كاثرين " لإطلاعها على الخبر كان فى صوته إحساس بالإثارة لم تسمعه منذ فترة طويلة . كانت تعلم أن كل شىء سيكون على ما يرام .

نويل

أثينا : ١٩٤٦

١٢

كان ديميريس يمتلك سرباً من الطائرات لاستخدامه الشخصى ، لكنه كان يفتخر بطائرة ماركة هوكر سيدلى ، التى كانت تنقل ستة عشر راكباً فى قمة الرفاهية والراحة ، وتصل سرعتها إلى ٣٠٠ ميل فى الساعة ، وطاقمها مكون من أربعة طيارين ، كانت كالقصر حيث إن بداخلها ديكوراً وحوائط صممها أشهر مصممى الديكور فى العالم ، وبدلاً من المقاعد المعتادة للطائرات ، كانت توجد أرائك ومقاعد وثيرة حول أرجاء الكابينة . وقد تحولت المقصورة الخلفية لحجرة نوم فاخرة ، وكان خلف كابينة القيادة مطبخ حديث . كلما سافر على متنها نويل وديميريس كانا يُحضران معهما طاهياً محترفاً .

اختار ديميريس طيارين شخصيين له : الأول طيار يونانى يدعى بول متكساس ، والآخر إنجليزى كان طياراً فى الجيش الإنجليزى سابقاً يسمى أيان وايتستون . كان متكساس رجلاً ممتلئاً ومحبوباً ، ودائم الابتسام ، كثير الضحك . كان يعمل ميكانيكياً ، وتعلم الطيران ع

وخدم فى جيش الطيران فى إنجلترا حيث تقابل مع وايتستون . كان وايتستون رجلاً نحيفاً وطويلاً ، ذا شعر أحمر ، وكان سلوكه خجولاً كمعلم فى مدرسة متواضعة فى أول أيام الدراسة فى مدرسة بها أطفال أشقياء . لكن فى الجو كان شخصاً آخر تماماً ، حيث كانت لديه مهارة طبيعية لقيادة الطائرات بشكل فطرى لا يمكن تعلمه . كان قد قاد مع بول متكساس الطائرات ضد الطائرات الألمانية ، وكانا يحترمان بعضهما البعض .

كانت تستقل نويل الطائرة كثيراً مع ديميريس فى رحلات عمله ، وأحياناً لمجرد المتعة ، وتعرفت على الطيارين ، لكنها لم تأبه لهما .

فى إحدى المرات سمعتهما بالصدفة يتذكران أيامهما فى الجيش الإنجليزى .

منذ تلك اللحظة كانت نويل إما تقضى وقتاً كبيراً فى كابينة القيادة تتحدث إليهما ، أو تدعو أحدهما للجلوس معها فى المقصورة الخاصة بها فى الطائرة . كانت تشجعهما على التحدث عن خبراتهما فى الحرب ، وبدون طرح الأسئلة المباشرة علمت أن وايتستون كان يعمل فى فيلق لارى ، وأن ميتكساس التحق بالفيلق بعد أن تركه لارى . بدأت نويل تركز مع الطيار الإنجليزى وايتستون الذى تشجع بسبب اهتمام رئيسه به ، فتحدث بحرية عن حياته الماضية ، وتطلعاته فى المستقبل . أخبر نويل أنه مهتم بالإلكترونيات ، وزوج أخته فى أستراليا قد أنشأ شركة إلكترونيات وعرض عليه الشراكة ؛ لكن كان ينقصه رأس المال .

قال مبتسماً لـ " نويل " : " بأسلوب حياتى ، لن أوفر المال اللازم " .

استمرت نويل فى زيارة باريس مرة كل شهر لمقابلة كريستيان باربيه الذى وثق علاقته بوكالة استعلامات فى واشنطن ، وبالتالى كان هناك تيار متدفق من التقارير عن لارى دوجلاس ، قام باربيه باختبار نويل بحرص ، حيث عرض عليها إرسال التقارير إلى أثينا ؛ لكنها فضلت

الحضور لاستلامها بنفسها . أومأ باربيه ، وقال بخبث : " حسناً يا آنسة " ، لقد فهم أنها لا تريد أن يعرف ديميريس بالأمر ، وباهتمامها بـ " لارى دوجلاس " ، مما جعله يريد ابتزازها .

قالت نويل : " لقد كنت مفيداً جداً يا مسيو باربيه ، وكنت تحافظ على السرية والخصوصية دائماً " .

ابتسم بدهاء وخبث ، وقال : " شكراً لك يا آنسة ، فعملى يعتمد على السرية والخصوصية . "

قالت نويل : " أعرف أنك تحافظ على السرية ؛ لأن ديميريس لم يذكر اسمك لى من قبل ؛ لكن إذا ذكر لى اسمك يوماً ما فسأطلب منه قتلك " . قالت ذلك بلهجة الحوار العادى المرح ؛ لكن تأثيرها كان كالقنبلة .

حدق باربيه إليها فى ذهول لفترة طويلة ، وهو يلعق شفتيه ، ثم قال بتلعثم : " أؤكد لك يا آنسة أننى لن ... " .

" أعرف أنك لن تفعل ذلك . " ثم رحلت وتركته .

فى الطائرة السياحية التى استقلتها للعودة إلى اليونان فتحت نويل المظروف لكى تقرأ التقرير السرى .

وكاله " آكم " للأمن
١٤٠٢ شارع " دى "
واشنطن دى سى

المرجع # ٢١٠ - ١٧٩ - ٢ ٢ فبراير ١٩٤٦

عزيزى السيد باربيه :

أحد عملائنا تحدث مع موظف فى شركة بان أمريكان ، الهدف : طيار ماهر اعترفوا بمهارته ؛ لكنهم يتساءلون هل هو مهذب بالقدر الكافى ، لكى يعمل بما يرضى الإدارة فى المنظمة الكبرى ؟

حياته الشخصية لها نفس النمط كما فى التقارير السابقة ، لقد أقام علاقات متعددة مع نساء كثيرات ، وكان يقضى فى منازلهن من ساعة إلى خمس ساعات ، وغالباً كلها علاقات عابرة (الأسماء والعناوين فى الملف فى حالة الرغبة فى الاطلاع عليها) .

قد يتغير نمط سلوكه نظراً لحالته الآن فى عمله الجديد . سنتابع الهدف بناء على طلبك .

ستجد الفاتورة مع الخطاب

الوداع

آر . راتنبرج
المدير العام

أعادت نويل التقرير للملف ، واسترخت فى مقعدها ، وأغمضت عينيها ، وتخيلت لارى التعس المعذب المتزوج من امرأة لا يحبها ، ووقع فى فخ ضعفه وشهواته .

كان عمله فى شركة الخطوط الجوية يؤجل خططها ؛ لكنها كانت صبورة ، ففى الوقت المناسب ستجذبه لها ، وفى غضون ذلك ستتخذ بضع خطوات مهمة .

ابتهج وايتستون عندما دعته نويل للعشاء ، فى البداية ظن أنها منجذبة نحوه ، لكن كل مقابلاتهما كانت رسمية ، وكانت تعامله كموظف ، ولم تسمح له بتجاوز حدوده إطلاقاً . احتار فيما تريده منه ؛ لأنه رجل ذكى ، وشعر أن الحوارات العشوائية وراءها غرض معين لها لا يفهمه .

فى يوم الدعوة ذهبت نويل ووايتستون إلى مطعم على شاطئ البحر ، وكانت ترتدى زيًّا أبيض مكشوفاً وصندلاً ، وتركت شعرها الأصفر يتطاير فى الهواء ، فكانت بحق فاتنة . كان وايتستون قد خطب فتاة تعمل كعارضة أزياء فى لندن ؛ لكن جمالها لا يقارن بـ " نويل " الفاتنة . لم يقابل وايتستون من هى مثلها ، وحسد ديميريس على ذلك ، فلقد افتتن حقاً بها أكثر ؛ لكنه كان فى نفس الوقت يخاف منها قليلاً . تحدثت نويل معه عن خططه للمستقبل ، فتساءل هل هى تتبع أوامر ديميريس لتفقد موظفيه وإخلاصهم له ؟

قال لـ " نويل " بلهجة جادة : " أحب عملى هنا ، لن أغادره حتى سن التقاعد . "

تفرست نويل فى وجهه ، وأدركت شكوكه ، فقالت بأسى :

" خسارة ، كنت أتمنى أن يكون لديك طموح أكبر من هذا . "

حدق إليها وقال : " لا أفهم . "

" ألم تخبرنى برغبتك فى امتلاك مصنع إلكترونيات ؟ "

تذكر أنه قال ذلك بطريقة عفوية لها سابقاً ، واندهش لأنها تذكرت ذلك .

قال لها : " كان ذلك حلم الشباب ، ولكن الأمر يحتاج لأموال كثيرة . "

قالت له : " رجل بمثل قدراتك لا يوقفه نقص الأموال . "

جلس وايتستون وهو يشعر بالقلق ، ولم يحر جواباً . كان يحب عمله ، ويربح منه بأكثر مما كان يحلم به ، وأوقات العمل رائعة وممتعة ، من ناحية أخرى كان طوع بليونير غريب الأطوار ، يتوقع أنه متاح له فى أى ساعة من ليل أو نهار ، لكى يقلع بالطائرة له . فلقد كان ذلك على حساب حياته الشخصية ، ولم ترض خطيبته عن أسلوب حياته سواء كان يربح أموالاً طائلة أم لا .

قالت نويل : " تحدثت مع صديق لى عنك ، وهو يحب تمويل المشروعات الجديدة . "

كبحت حماسها ، وكأنها تشعر بالإثارة ، لكنها حرصت على عدم دفعه أكثر من اللازم ، ونظر وايتستون فى عينيها مباشرة ، ولم يحر جواباً .

قالت له نويل : " صديقى مهتم بك كثيراً . "

ازدرد لعابه ، وقال : " لا أعرف ماذا أقول لك يا آنسة . "

" لا ترد الآن ، أريدك أن تفكر فى الأمر . "

جلس مطرقاً يفكر ، ثم قال : " هل السيد ديميريس يعلم ذلك ؟ "

ابتسمت نويل بخبث : " كلا ، فهو لن يوافق أبداً ، فهو لا يحب أن يخسر موظفيه الممتازين ، لكن ... " ثم توقفت لبرهة ، ثم أردفت قائلة : " لكن شخصاً مثلك يستحق الحصول على كل ما يريد فى الحياة إلا إذا أردت العمل تحت إمرته طوال عمرك . "

قال بسرعة : " كلا " . وأدرك أنه تسرع فى الإعلان عن رغبته ، ثم تفرس فى وجهها لكى يعلم إذا كان هذا فخًّا ، لكنه رأى فى وجهها أنها متفهمة ومتعاطفة معه . لكنه قال مدافعاً : " أى رجل يحب أن يستقل بذاته فى العمل . "

قالت نويل : " بالطبع ، فكر فى الأمر ، وسنتحدث لاحقاً ، وسيكون الأمر سراً بيننا . "

" اتفقنا ، شكراً لك ، إذا نجح الأمر فسيكون رائعاً "

أومأت وقالت : " أعرف أنه سينجح . "

كاثرين

واشنطن . باريس ١٩٤٦

١٣

وصل لارى لمكتب كبير الطيارين فى التاسعة صباح يوم الاثنين التالى فى مبنى شركة طيران بان أمريكان فى نيويورك ، وكان يدعى هال ساكوفيتش ، وعندما دلف لارى للمكتب أدخل ساكوفيتش الملف فى درج مكتبه .

كان ساكوفيتش رجلاً صارم الملامح ، وله وجه قاس حاد ، وله أكبر يدين شاهدهما لارى فى حياته . وكان ساكوفيتش من الطيارين المخضرمين ؛ بدأ بقيادة الطائرات للسيرك والطائرات ذات المحرك الواحد لنقل البريد للحكومة ، ثم انتقل للعمل كطيار لشركة طيران بان أمريكان منذ عشرين عاماً ، وكان طيارها الرئيسى منذ ٥ سنوات .

قال لـ " لارى " : " أنا سعيد بانضمامك لنا يا دوجلاس . "

" وأنا سعيد بذلك أيضاً . "

" هل أنت متحمس لقيادة الطائرات مرة أخرى ؟ "

" بالطبع ، إننى مستعد للإقلاع على الفور . "

أشار إليه ساكوفيتش بالجلوس ، وقال له : " اجلس ، فإننى أريد التعرف عليكم أيها المتقدمون لوظيفتى . "

ضحك لارى وقال : " على الرحب والسعة . "

" إننى لا ألقى باللوم عليكم ، فإنكم جميعاً طيارون متميزون ، ولكم تاريخ مشرف فى الحروب ، وقد حضرتم إلى هنا معتقدين أن ساكوفيتش هذا رجل أحمق ليكون كبير الطيارين ، وكان من الأحرى أن أكون رئيساً لهيئة الطيران . لا أحد منكم يريد أن يظل مساعد طيار لفترة طويلة ، فتلك مجرد خطوة لكى تكون طياراً ، حسناً لا بأس فى ذلك ؛ فهذا هو ما سيكون . "

" أنا سعيد لأنك تشعر بذلك "

" لكن هناك ما يجب أن تعرفه بوضوح ؛ كلنا نعمل فى هذه المؤسسة يا دوجلاس ، والترقية مقصورة على الأكبر سناً ، والأكثر خبرة . "

" أفهم ذلك . "

" ما قد لا تفهمه أنه يتوافد الكثيرون للحصول على عمل لدينا ؛ لأن العمل هنا جيد للغاية ، وهذا يبطئ عملية الترقية . "

" سأنال ما يتيحه حظى لى . "

أدخلت سكرتيرة ساكوفيتش القهوة والحلوى ، وقضى الرجلان حوالى ساعة فى التعارف والثرثرة . كان ساكوفيتش ودوداً ومحبوباً ، وأسئلته بدت بسيطة ، ولا علاقة لها بالعمل ، وقبل مغادرة لارى للتدريب كان ساكوفيتش قد عرف عنه الكثير . بعد دقائق من مغادرة لارى للمكتب جاء كارل إيستمان لمكتب ساكوفيتش .

قال ايستمان : " كيف تم الأمر ؟ "

" على ما يرام . "

نظر إليه إيستمان ملياً وقال : " ما رأيك يا سام ؟ "

" سنجربه . "

" سألتك عن رأيك أنت . "

هز كتفيه دون اكتراث ، وقال : " حسناً ، إن حدسى يخبرنى أنه طيار ممتاز ، والدليل هو خدمته السابقة ، فهو أفضل طيار مقاتل ".

قال إيستمان : " وماذا أيضاً ؟ "

ما أود قوله إنه يوجد الكثيرون من أمثاله فى مانهاتن ، وعرفت العديد ممن هم على شاكلته ، لسبب مجهول لى فإن حياتهم تتوق للخطر وتسعى إليه ، فمثلاً قد يتسلقون الجبال الخطرة ، أو يغطسون لقاع المحيط ، أو يسعون لأى خطر يجدونه . عند اندلاع الحرب يبرزون بكل حماسة لديهم . " ثم استدار بمقعده ونظر عبر النافذة ، فوقف إيستمان بلا حركة ، وانتظر ولم يقل شيئاً .

قال ساكوفيتش : " لدىّ حدس بشأن دوجلاس يا كارل ، ثمة شىء خطأ فى شخصيته ، لا أظن أنه مستعد نفسياً لتلقى الأوامر من مهندسى الطيران أو الملازم أول طيار ، خاصة إذا كان يعتقد أنه أفضل منهم ، والمضحك أنه ربما يكون أفضل منهم بالفعل " .

" لقد أصبتنى بالتوتر . "

" إنه أيضاً أصابنى التوتر ، لا أظن أنه ... "

ثم توقف لكى يبحث عن صفة مناسبة ، ثم أردف قائلاً : " ... سوىّ ، فهو عندما كان يتحدث معى ، كان على وشك الانفجار . "

" ماذا أنت فاعل ؟ "

" سندخله التدريب ونراقبه جيداً . "

" ربما سيأخذ حذره . "

" أنت لا تعرف هذا النوع من الرجال ، فهو سيتفوق على كل الطيارين فى التدريب . "

كان تنبؤ ساكوفيتش دقيقاً وصحيحاً .

كان التدريب قد استغرق أربعة أسابيع للتطبيق النظرى ، ثم شهراً للتطبيق العملى ، وبما أن المتدربين طيارون لديهم خبرة سنوات ، فكان

هدف التدريب : أولاً مراجعة مواد كالملاحة الجوية ، والراديو والاتصال ، وقراءة الخرائط وأدوات القيادة ؛ لإنعاش ذاكرة الرجال ، وتحديد نقاط ضعفهم ، ثانياً لكى يعتادوا الأدوات الجديدة التى سوف يستخدمونها .

كان التدريب يتم فى كابينة طيران غير حقيقية متحركة للتدريب ، وكانت الحوائط والسقف فى الكابينة سوداء لكيلا يرى المتدرب ما حوله ، ويعتمد على الأجهزة فقط . كان المدرب يلقن المتدرب من خارج الكابينة ، ويعطيه الأوامر للإقلاع أو الهبوط ، وغير ذلك فى مختلف السرعات والأجواء والعواصف والجبال وأى أخطار محتملة . من لم تكن لديهم خبرة وجدوا صعوبة فى التعامل مع التدريب ، وأيضاً بسبب الإحساس المرعب بأن يكونوا داخل كابينة لا يكون فيها كل حواسك متصلة بالعالم الخارجى .

كان لارى تلميذاً نجيباً وموهوباً ، وكان منتبهاً فى التدريب ، واستوعب كل ما كان يجب أن يتعلمه ، وكان يقوم بالواجب على أكمل وجه ، ولم يظهر أى توتر أو ضيق أو سأم ، بل على العكس كان متحمساً ومتفوقاً بشكل ملحوظ . كانت المجالات الجديدة له هى أجهزة الطائرات الحديثة التى لم يألفها فى زمن الحرب . درس كل بوصة فى الطائرات الحديثة لساعات وساعات ، وكيف تعمل كل أجهزتها ، وكان ليلاً يعكف على قراءة كتيبات الإرشادات لكل طائرة .

ليلاً وجد ساكوفيتش لارى يقوم بفحص أسلاك الطائرة ودراستها ، وذلك فى حظيرة الطائرة بعد أن غادر كل المتدربين المكان .

قال ساكوفيتش فى صباح اليوم التالى لـ " إيستمان " : " قلت لك إنه يسعى للعمل بكل جدية " .

ابتسم ايستمان قائلاً : " إذا استمر على هذا المنوال فسيحصل عليها بكل تأكيد ."

أقيم حفل تخرج بسيط بعد نهاية مدة التدريب الذى استغرق ثمانية أسابيع . سافرت كاثرين بالطائرة إلى نيويورك لتشهد منح لارى شارة مساعد الطيار . كان لارى يسخر من الأمر : " إنها قطعة ملابس غبية لكى أتذكر مهمتى عندما أدخل كابينة القيادة يا كاثى . "

قالت لـه : " لا تقل ذلك ، تحدثت مع الكابتن ساكوفيتش ، وأخبرنى بمدى مهارتك . "

" وما الذى يعرفه أحمق مثله ؟ لنحتفل الآن . "

ذهب لارى هذه الليلة مع كاثرين وأربعة من زملائه مع أزواجهم لمطعم فخم لتناول العشاء ، وكانت قاعة الانتظار مزدحمة ، وأخبرهم النادل بعدم وجود مكان شاغر بدون حجز مسبق .

قال لارى : " اللعنة على هذا المطعم ! لنذهب للمطعم المجاور . "

قالت كاثرين : " انتظر لحظة " ، وسألت عن شخص يدعى جيرى بيرنز .

بعد لحظات جاء رجل قصير نحيل بعينين جاحظتين قائلاً :

" إننى جيرى بيرنز ، هل من الممكن أن أقدم أى خدمة ؟ "

" أنا وزوجى وأصدقاؤنا عددنا عشرة ، ونريد مائدة لنا . "

قال لها : " بدون حجز لا يمكن أن ... "

بادرته قائلة : " إننى شريكة ويليام فريزر "

قال لها بلوم : " لماذا لم تقولى هذا من قبل ؟ انتظروا فقط ربع ساعة ، وستكون المائدة جاهزة " .

قالت كاثرين : " شكراً لك ". ثم قالت للأصدقاء : " مفاجأة وجدت مائدة لنا ."

قال لارى : " كيف فعلتِ ذلك ؟ "

" كان ذلك سهلاً ، ذكرت اسم ويليام فريزر ، فهو يرتاد هذا المطعم كثيراً ، وقال لى إذا أردت مكاناً هنا يوماً ما ، فما عليك سوى ذكر اسمى . "

قال لارى للآخرين : " لنخرج من هنا ، فهو مكان مقزز " .

سارت المجموعة باتجاه الباب ، وقال لارى لـ " كاثرين " : " هل أنت قادمة ؟ "

قالت : " بالطبع ، لكنى طلبت مائدة هنا أولاً و ... "

" عليهم اللعنة ، هل أنت قادمة أم لا ؟ "

التفت الناس إليهم ، فاحمرّ وجه كاثرين خجلاً ، وقالت : " نعم " ثم تبعته خارج الباب .

ذهبا لمطعم إيطالى مجاور ، وكان الطعام سيئاً . تظاهرت كاثرين وكأن شيئاً لم يكن ؛ لكنها كانت تغلى فى داخلها من الغضب بسبب السلوك الطفولى ، ولأنه أهانها أمام الناس .

عندما عادا للمنزل هرعت كاثرين لحجرة النوم دون أن تنبس ببنت شفة ، وخلعت ملابسها ، وأطفأت الأنوار ، وتأهبت للنوم . سمعت لارى وهو جالس فى غرفة المعيشة يعد مشروباً لنفسه .

بعد عشر دقائق عاد لحجرة النوم ، وأضاء النور ، وسار باتجاه الفراش وقال : " هل تلعبين دور الشهيدة المغلوبة على أمرها ؟ "

وقفت وكان يملؤها الغضب : " لا تحاول أن تضعنى فى موقف دفاع عن نفسى ، سلوكك اليوم لا يمكن تبريره ، فماذا حدث لك ؟ "

" ما حدث لك من صديقنا المشترك . "

حدقت إليه وقالت : " ماذا تعنى ؟ "

" عن الإنسان الكامل ومثلك الأعلى ويليام فريزر . "

نظرت إليه ولم تفهم ، قالت : " لم يفعل شيئاً سوى أنه ساعدنا " .

" نحن مدينان له بالكثير فى عملك وعملى ، حتى إننا لا نستطيع الجلوس فى مطعم بدون ذكر اسمه . مللت من تدخله فى حياتنا . "

صدمت كاثرين من نبرة صوته أكثر من كلامه ؛ لأن نبرة صوته مليئة بالعجز والإحباط ، وأدركت لأول مرة كم هو يتعذب . فقد جاء بعد

أربع سنوات من الحرب ، ليرى زوجته تشارك عشيقها القديم العمل ومما زاد الأمر سوءاً أنه لم يتمكن من العمل إلا بواسطة فريزر .

نظرت كاثرين إلى لارى ، وعرفت أن تلك هى نقطة التحول فى زواجها . إذا ظلت معه فيجب أن يحتل المرتبة الأولى فى حياتها قبل عملها ، وقبل كل شىء ، ولأول مرة أحست أنها تفهم شخصية لارى .

وكأن لارى قرأ ما يدور فى عقلها ، فقال بحزن : " آسف إذا كنت قد تصرفت بحماقة الليلة ، لكنى امتلأت غيظاً لدخول فريزر فى حياتنا ، لدرجة أننا لن نتمكن من الحصول على مائدة فى مطعم دون ذكر اسمه ، لقد نلت كفايتى ، وطفح الكيل " .

قالت كاثرين : " أنا آسفة يا لارى . لن أفعل هذا مرة أخرى " .

ثم ارتمت فى أحضانه ، وقال لها : " لا تتركينى أبداً يا كاثى " . فاحتضنته بشدة ، ولم تشعر بقربه منها إلا فى هذه اللحظة ، وقالت له : " لن أتركك يا حبيبى أبداً " .

كانت أول رحلة لـ " لارى " كمساعد طيار هى الرحلة رقم ١٤٧ المتجهة من واشنطن لباريس ، وكان يظل فى باريس ٤٨ ساعة بعد كل رحلة ، ثم يعود للوطن لمدة ثلاثة أيام قبل أن يبدأ الرحلة التالية .

ذات صباح اتصل لارى بـ " كاثرين " فى المكتب ، وكان صوته ممتلئاً بالإثارة : " وجدت مطعماً رائعاً لنتناول فيه الغداء معا ، هلا حضرت وتركت العمل الآن ؟ "

نظرت كاثرين إلى كومة الأوراق فى انتظار الانتهاء منها وتوقيعها قبل الظهيرة ، لكنها قالت دون تفكير : " بالتأكيد " . قال لها : " سأوافيك بعد خمس عشرة دقيقة . "

قالت لوسيا السكرتيرة المساعدة : " لن تتركى كل العمل لى ، إذا لم تنتهى من هذه الحملة الإعلانية اليوم فستحدث مشاكل كثيرة " .

" بل ستنتظر الحملة الإعلانية ، لأننى سأتناول الغداء مع زوجى . "

هزت لوسيا كتفيها دون اكتراث ، وقالت : " لا ألومك ، لكن إذا مللت زوجك أخبرينى . "

ابتسمت كاثرين قائلة : " عندما أمل منه فستكونين أنت عجوزاً ! "

جاء لارى لتوصيلها من المكتب ، وقال لها بخبث ومرح : " هل أفسدت عليك يوم العمل ؟ "

" بالطبع لا . "

ضحك قائلاً : " سيصاب كل المديرين التنفيذيين بصدمة عنيفة . "

قاد لارى السيارة إلى المطار ، وقالت كاثرين : " هل المطعم بعيد ؟ " فقد كان لديها خمسة لقاءات عمل . أولها فى الثانية ظهراً .

" كلا ... هل لديك يوم مشحون بالعمل ؟ "

" كلا ، ليس لدىّ مواعيد مهمة " وكانت تكذب بالطبع .

" جيد . "

دخل لارى من مدخل المطار ، قالت له :

" هل المطعم فى المطار ؟ "

" بل فى مكان آخر " ، ثم أوقفت السيارة ، وقادها من ذراعها إلى بوابة شركة الطيران بان أمريكان ، وألقت موظفة الاستقبال التحية على لارى باسمه .

قال لها بفخر : " هذه زوجتى ، وهذه يا كاثرين آنى وينستون . "

تبادلتا التحيات .

قال لـ " كاثرين " : " هيا بنا " ، ثم قادها من ذراعها لمكان مغادرة الطائرات ، فقالت : " لارى ، إلى أين .. ؟ "

" أنت أكثر الفتيات اللائى اصطحبتهن للغداء فضولاً " وصلا للبوابة ٣٧ ، وكان هناك موظفان يفحصان تذاكر الركاب ، وكان مدوناً على اللافتة بالأعلى : الرحلة ١٤٧ المتجهة إلى باريس ، موعد الإقلاع الواحدة ظهراً . "

قال لارى لأحد الموظفين : " هذه هى زوجتى كاثرين يا تونى ، كاثى ، هذا هو تونى لومباردى . "

قال لها الرجل مبتسماً : " سمعت عنك الكثير ، والتذاكر جاهزة " وأعطاها تذكرتين .

اندهشت وقالت : " لماذا هاتان التذكرتان ؟ "

قال لارى مبتسماً : " كنت أكذب عليك ، فأنا سأصطحبك لمطعم ماكسيم فى باريس . "

قالت بصوت متهدج : " ماكسيم ؟ باريس ؟ الآن ؟ "

" هذا صحيح . "

قالت بأسى : " لا يمكننى الذهاب لباريس الآن . "

قال مبتسماً : " بل يمكنك ، فها هو جواز سفرك فى جيبى . "

قالت له : " هل أصابك الجنون يا لارى ! ليست معى ملابسى ، ولدى مقابلات عمل و ... "

" سأشترى لك ملابس من باريس ، وقومى بإلغاء مواعيدك ، وفريزر يمكنه الاستغناء عنك لبضعة أيام . "

حدقت كاثرين إليه ، ولم تحر جواباً . تذكرت القرارات التى اتخذتها بأنه زوجها ، ويحتل المقام الأول فى حياتها ، وأدركت أنه لا يهتم بالسفر معها لباريس ، بل يريد التفاخر بالطائرة التى يقودها ، وهى كانت على وشك إفساد سعادته . وضعت يديها فى يديه ، وقالت مبتسمة : " علام الانتظار ؟ فإننى أتضور جوعاً ! "

كانت باريس مليئة بمتع شتى ، وحصل لارى على أسبوع إجازة ، وبدا لكاثرين أن كل ساعة ليلاً ونهاراً مشحونة بمهام ممتعة . كانا قد نزلا فى فندق رخيص وجميل على ضفاف نهر السين .

اصطحبها لارى فى أول يوم إلى شارع الشانزيليزيه لشراء الملابس ، فاشترت أهم ما يلزمها ، وذهلت من غلاء الأسعار .

قال لها لارى : " هل تعرفين مشكلتك ؟ أنت تقلقين أكثر من اللازم بشأن المال ، يجب أن تعتبرى الأمر كأنك فى شهر عسل جديد . "

قالت له : " حسناً يا سيدى " ، لكنها رفضت شراء زى سهرة هى ليست فى حاجة إليه ، وحاولت معرفة مصدر كل هذه الأموال ، لكنه لم يرغب فى مناقشة الأمر ، لكنها أصرت فقال :

" حصلت على سلفة من راتبى القادم ، فعلام إثارة مشكلة ؟ "

لم تجرؤ على أن تخبره بأنه يتصرف كالأطفال ، وكان مبذراً أكثر من اللازم ، لكن كان ذلك جزءاً من سحره وجاذبيته .

مثلما كان جزءاً من سحر وجاذبية والدها .

قاما بجولة لمشاهدة كل معالم باريس السياحية مثل متحف اللوفر ، وقبر نابليون ، وأسواق ومزارع باريس ، وقصر الفرساى ، وتناولا الغداء والعشاء فى أفخم المطاعم . كان بالفعل شهر عسل جديداً مثالياً .

جلس هال ساكوفيتش فى مكتبه يقرأ التقارير الأسبوعية ، وكان أمامه تقرير عن لارى دوجلاس ، فأخذ يدرسه ويفكر ملياً فيما جاء فيه بتركيز شديد ، فى النهاية قال للسكرتيرة عبر الاتصال الداخلى :

" أدخليه حالاً . "

لاحقاً دخل لارى مرتدياً زى شركة بان أمريكان ، ويحمل حقيبة السفر الخفيفة وقال مبتسماً لساكوفيتش : " صباح الخير يا سيدى . "

" اجلس . "

جلس لارى بتراخ وكسل على المقعد ، وأشعل سيجارة .

قال ساكوفيتش : " لدى تقرير يقول إنك تأخرت على موعد إقلاع الطائرة بـ ٤٥ دقيقة الاثنين الماضى فى رحلة باريس المتجهة إلى واشنطن " .

تغيرت تعابير وجه لارى وقال : " لقد تأخرت فى زحام احتفالات كانت مقامة فى شارع الشانزيليزيه ، وأنا فى طريقى للمطار ، لكن

الطائرة أقلعت فى موعدها ، لم أكن أعلم أن الدقة فى المواعيد مطلوبة إلى هذه الدرجة " .

قال بهدوء : " نحن ندير شركة طيران ، والمواعيد الدقيقة مهمة جدًا " .

قال لارى بغضب : " حسناً ، سأبتعد عن الشانزيليزيه بعد الآن ، هل هناك شيء آخر " .

" نعم ، يقول قائد الطائرة إنك احتسيت الخمور قبل الإقلاع فى آخر رحلتين " .

" إنه كاذب ؟! "

" ولماذا يكذب ؟! "

" لأنه خائف من أن أحل محله فيفقد وظيفته . " ثم أردف بغضب قائلاً : " إنه عجوز وكان يجب أن يتقاعد منذ عشرة أعوام . "

" لقد سافرت مع أربعة طيارين ، فأى منهم أعجبك ؟ "

" لا أحد " ، ثم أدرك أنه وقع فى فخ ، فقال مستدركاً : " أعنى لست فى خلاف مع أحد ، وكلهم رائعون " .

" لم يرضوا عن مستوى عملك معهم ، لأنك أنبتهم بتوتر "

" ماذا تعنى بالله عليك ؟ "

" أعنى أنه فى حالة الطوارئ يجب أن يطمئن ويثق الطيار فى مساعده تماماً ، وهذا لا ينطبق عليك . "

قال له لارى بغضب : " قضيت أربع سنوات فى حالة طوارئ أثناء الحرب فى ألمانيا والمحيط الهادى ، وكنت أجازف بحياتى يومياً . بينما كنتم فى بيوتكم آمنين تحصلون على رواتب ضخمة ، فكيف لا تثقون فى ؛ لابد أنك تمزح ! "

" لا أحد ينكر أنك مقاتل بارع ؛ لكننا هنا نقود طائرات مدنية أو لنقل ركاب ، وهذا شيء مختلف تماماً . "

جلس لارى وهو يغلى من الغضب ؛ لكنه حاول السيطرة على غضبه وقال راضخاً : " حسناً ، هل انتهى الأمر ؟ لدىّ طائرة على وشك الإقلاع بعد دقائق . "

" سيتولى أحدهم مكانك ، فأنت مفصول . "

حدق إليه لارى غير مصدق لما سمعه : " أنا ماذا ؟ "

" إنه خطئى يا دوجلاس . ما كان يجب أن أعينك فى بادئ الأمر . "

قال وهو يستشيط غضباً : " لماذا عينتنى إذن بالله عليك ؟ "

قال ساكوفيتش : " لأن زوجتك وويليام فريزر ... "

لكمه لارى بكل قوته فى وجهه ، فاندفع إلى الوراء فى الحائط ، ثم قام برد فعل الضربة ، وهجم على لارى وصفعه مرتين على وجهه ، ثم تراجع إلى الخلف وحاول السيطرة على انفعالاته وقال : " اخرج فى الحال ! "

حدق لارى إليه ، ووجهه يمتقع غضباً ويتقلص ازدراء له ، وقال : " عليك اللعنة ، لن أقترب من شركتكم حتى لو ترجيتمونى لكى أعود! " ثم استدار وخرج مسرعاً من المكتب .

نظر إليه ساكوفيتش وهرعت إليه السكرتيرة ، فوجدت المقعد المقلوب والدماء على شفاه ساكوفيتش ، فقالت : " هل أنت بخير ؟ "

" إننى فى أحسن حال ، استدعى لى إيستمان . "

سرد ساكوفيتش ما حدث لـ " إيستمان " فى خلال عشر دقائق ، فقال له إيستمان : " هل تظن أن دوجلاس مضطرب ؟ "

" بل إنه فى الواقع مريض نفسياً . "

نظر إليه إيستمان بعينيه الحادتين فاستطرد ساكوفيتش : " ليس لهذه الدرجة ، فهو لم يكن مخموراً أثناء الإقلاع ، ولم يثبت لدينا أنه احتسى الخمور ، وقد يتأخر مساعد طيار كل فترة بلا مشاكل . "

" إذا كان هذا كل شيء فلماذا طردته ".

" فى الواقع إنه سريع الانفعال والغضب ، ولقد قمت صراحة باستفزازه لأقصى درجة ، ولم يكن هذا صعباً وإذا كان قد تحمل الاستفزاز لمنحته فرصة أخرى ، لكن هناك ما يقلقنى ؟ "

" ماذا ؟ "

" سمعت قصة بشعة من صديق قديم كان مع دوجلاس فى الجيش أثناء الحرب . حيث كان دوجلاس يريد الاستحواذ على فتاة إنجليزية كانت مخطوبة لفتى يدعى كلارك فى فيلق طائرات دوجلاس ، ولقد حاول دوجلاس إغواء الفتاة فامتنعت عنه ، وقبل أسبوع من زواجها انطلق خطيبها فى غارة جوية على معاقل حصينة للألمان ، وألقوا القنابل وعادوا . لكن أشيع أن الألمان ضربوا طائرة كلارك وأسقطوها ".

ثم صمت ساكوفيتش ، وكأنه يرى حلم يقظة داخله ، ثم أردف قائلاً :

" وفقاً لزميلى ، لم يكن هناك طائرات ألمانية بجوار كلارك " .

قال إيستمان : " يا إلهى ! هل تقول إن لارى دوجلاس هو الذى ... " .

قال له : " أنا لا أقول لك حقيقة بل مجرد تخمين " ثم مسح الدماء بمنديله من على شفتيه ، ثم قال : " لا أحد يعرف ما يحدث أثناء المعركة ، ربما نفد وقود طائرة كلارك ، أو حدث شىء آخر لا نعرفه ، لكنه كان سيئ الحظ " .

" وماذا حدث للفتاة ؟ "

" غرر بها دوجلاس حتى نال غرضه ، ثم تركها عندما عاد للوطن . لكننى متأكد من أن زوجة دوجلاس فى وضع سيئ ، وأنا آسف من أجلها " .

كانت كاثرين فى اجتماع مجلس إدارة ، وفجأة فتح لارى الباب ودخل .

كانت عيناه منتفختين ومتورمتين ، وهناك جرح فى خده ، فهرعت إليه كاثرين ، وقالت له :

" لارى ، ماذا حدث ؟ "

قال بصوت منخفض : " استقلت من العمل . "

أخذته كاثرين إلى مكتبها بعيداً عن عيون المتطفلين ، ووضعت قماشة مبللة وباردة على عينيه وخده ، وقالت له : " قص علىّ ما حدث " وكانت تكتم غضبها لما حدث له .

" كانوا يخدعوننى طوال الوقت يا كاثى . كانوا يغارون منى لأننى شاركت فى الحرب وهم لم يشاركوا فيها . اليوم نلت كفايتى وطفح الكيل ، استدعانى ساكوفيتش ، وقال إن السبب الوحيد الذى جعله يقوم بتعيينى هو من أجل ويليام فريزر . "

نظرت إليه كاثرين ولم تحر جواباً .

قال لارى : " فضربته ، ولم أتمكن من منع نفسى . "

قالت له كاثرين : " يا حبيبى ! إننى آسفة من أجلك . "

قال لارى : " لابد أن ساكوفيتش نادم أكثر فلقد طرحته أرضاً ، سواء هناك عمل أم لا ، فلن أسمح بأحد أن يتحدث عنك بهذه الطريقة " .

احتضنته وقالت : " لا تقلق ، ستجد عملاً لدى أية شركة طيران فى البلاد " .

لم تتحقق نبوءة كاثرين له ؛ تقدم لارى بطلب عمل لدى عدة شركات طيران ، وبعد أن أجرى حوارات ولقاءات مع المسئولين بها لم يتلق أى رد . أثناء تناول كاثرين الغداء مع فريزر كانت على وشك إخباره بشىء لكن فى كل مرة تتوقف . لكنه قال فى النهاية : " لدىّ معارف كثيرون يا كاثى . هل تريدين منى أن أجد عملاً لـ " لارى " " .

قالت له بامتنان : " كلا ، شكراً . لا أظن أنه سيقبل ، لكنه سيعمل على حل مشكلته بنفسه " .

نظر إليها لبرهة ، وقال : " إذا غيرت رأيك فأخبرينى . "

قالت له بامتنان : " سأفعل ، يبدو أننى أعتمد عليك فى المشاكل دائماً " .

وكالة " آكم " للأمن
١٤٠٢ شارع " دى "
واشنطن دى سى

المرجع # ٢١٠ ـ ١٧٩ ـ ٢

١ أبريل ١٩٤٦

عزيزى السيد باربيه :

شكراً لك على الخطاب بتاريخ ١٥ مارس ١٩٤٦ وعلى الشيك .

منذ آخر تقرير ، حصل الهدف على عمل كطيار لشركة نقل تسمى فلاينج ويلز تستخدم طائرات من طراز DC-٣ ، و B-٢ ، ورأس مالها ٧٥٠ ألف دولار ، ومدينة للبنوك بأكثر من ٤٠٠ ألف دولار . يخبرنى رئيس بنك فرنسا أنهم أقرضوهم الكثير ، لكن العمل مزدهر ولديهم مستقبل ممتاز . البنك يدرس مشروع إقراضهم المزيد لشراء طائرات إضافية بناء على أن دخلهم ٨٠ ألف دولار سنويا يزيد ٣٠٪ كل عام على مدار الأعوام الخمسة السابقة .

إذا أردت المزيد من التفاصيل عن الحالة المالية للشركة فأخبرنى من فضلك .

بدأ الهدف العمل من ١٩ مارس ١٩٤٦ والمدير (وأحد أصحاب الشركة أيضاً) يقول إنه محظوظ بتعيينه . سأوافيك بالتفاصيل لاحقاً .

المخلص

آر . راتنبرج
المدير العام

بنك باريس
فرع نيويورك

فيليب شاردون
مدير البنك

عزيزى نيل ،

لقد أصبحت سيئاً حقاً ! لا أعرف ماذا فعل هذا الرجل ، لكن أياً كان فلقد دفع الثمن . لقد تم طرده من شركة فلاينج ويلز ، وأخبرنى صديقى بها أن ذلك نتيجة كارثة حدثت بسببه .

أنا أفكر فى السفر إلى أثينا ، وأنا أعتمد على رؤيتك أولاً . تحياتى إلى كوستا ـ ولا تنس إسداء معروف صغير لى ؛ لكى يظل ما فعلنا معاً سراً بيننا .

محبتى وتحياتى إليك
فيليب

وكالة " آكم " للأمن
١٤٠٢ شارع " دى "
واشنطن دى سى

المرجع # ٢١٠ - ١٧٩ - ٢ ٢٢ مايو ١٩٤٦

عزيزى السيد باربيه :

هذا متابعة لتقريرى بتاريخ ١ مايو ١٩٤٦

فى يوم ١٤ مايو ١٩٤٦ فصل الهدف من شركة فلاينج ويلز للنقل الجوى ، وحاولت الاستفسار عن السبب بحرص وفى سرية ، لكننى أخفقت فى معرفة السبب ، ولم يتحدث أحد عن السبب ، لكن يبدو أن الهدف قد جلب لنفسه العار ، ولا يريد أحد فى الشركة التحدث عما حدث .

الهدف يبحث عن عمل آخر فى الطيران ، وليس لديه هدف محدد فى الوقت الراهن .

سأحاول معرفة سبب الفصل

المخلص

آر . راتنبرج
المدير العام

تلغراف ١٩ مايو ١٩٤٦

إلى كريستيان باربيه
مكتب بريد كريسبار
باريس ، فرنسا

سنتوقف عن البحث عن سبب فصل الهدف من عمله ؛ لكن سنستمر فى إعطاء التقارير .

مع تحياتى

آر . راتنبرج
وكالة " آكم " للأمن

وكالة " آكم " للأمن
١٤٠٢ شارع " دى "
واشنطن دى سى

المرجع # ٢١٠ - ١٧٩ - ٢ ١٦ يونيو ١٩٤٦

عزيزى السيد باربيه

شكراً على خطاب ١٠ يونيو والشيك . فى يوم ١٥ يونيو حصل الهدف على عمل كمساعد طيار فى شركة طيران جلوبال للنقل الجوى بين واشنطن وبوسطن وفيلادلفيا .

شركة جلوبال للنقل الجوى شركة صغيرة بها ثلاث طائرات فقط ، وهى شركة عليها ديون كثيرة ، ولقد أخبرنى مديرها أنه سيقترض من بنك دالاس لتوسيع الشركة وسد الديون

الهدف محل الاحترام فى عمله الجديد ، ومتوقع له مستقبل باهر . من فضلك أخبرنى إن أردت معلومات أخرى عن الشركة .

المخلص

آر . راتنبرج
المدير العام

وكالة" آكم " للأمن
١٤٠٢ شارع " دى "
واشنطن دى سى

المرجع # ٢١٠ - ١٧٩ - ٢ ٢٠ يوليو ١٩٤٦

عزيزى السيد باربيه

أفلست شركة جلوبال للنقل الجوى ، مما دفع بنك دالاس لرفض القرض . فقد الهدف عمله ، وعاد لأنماطه السلوكية السابقة كما ذكرتها سابقاً .

لن أحاول معرفة أسباب رفض البنك القرض ، أو سبب المشاكل المالية للشركة إلا إذا طلبت معرفة ذلك .

المخلص

آر . راتنبرج
المدير العام

كانت نويل تحتفظ بكل التقارير وقصاصات الجرائد فى حقيبة جلدية خاصة ، وتحتفظ بمفتاحها الوحيد ، وكانت تحتفظ بالحقيبة فى حقيبة رقمية مغلقة خلف دولاب حجرة النوم ، ليس لأنها تظن أن ديميريس سيعبث بأشيائها ؛ لكن لأنها تعلم مدى حبه للمكائد وللغموض ، كان هذا الأمر يخصها وحدها ، وأرادت التأكد من أنه لا يعرف شيئاً عنه .

سيلعب ديميريس دوراً مهماً فى انتقامها دون أن يعرف . نظرت للمرة الأخيرة للأوراق ، ثم أخفتها وشعرت بالرضا .

الآن يمكنها البدء فى الانتقام .

بدأ الأمر كله بمكالمة هاتفية حيث كان لارى وكاثرين يتناولان عشاءهما فى صمت فى المنزل ، والوجوم يخيم على وجهيهما . حيث يجلس لارى فى المنزل لفترات قصيرة ، ويظل وقحاً ، لكن كاثرين فهمت شعوره باليأس والقهر .

قال لها عندما أفلست شركة جلوبال : " لابد أن حظى تعيس للغاية ، وكأن هناك شيطاناً مارداً يتربص بى " . كان ما يقوله هو الصواب . فلقد حدثت له سلسلة من الأمور السيئة المتعلقة بسوء الحظ . حاولت كاثرين أن تطمئنه وتذكره كم هو طيار ماهر ، وأن الشركة التى ستحصل على خدماته ستكون محظوظة . لكنها كانت تبدو وكأنها تعيش مع أسد جريح ، ولم تعرف متى يهاجمها ، ولأنها كانت خائفة من إغضابه وخذلانه ، فحاولت فهم نوبات غضبه والتغاضى عنها . رن جرس الهاتف وهى تقدم له الحلوى ، فرفعت السماعة وقالت : " نعم ؟ "

كان هناك صوت رجل إنجليزى على الخط يقول : " هل لارى دوجلاس موجود من فضلك ؟ أنا أيان وايتستون . "

قالت كاثرين : " لحظة من فضلك . " ثم مدت يدها بالسماعة لـ " لارى " وقالت : " مكالمة لك من أيان وايتستون . "

عبس وجه لارى وشعر بالحيرة : " من ؟ " فأمسك بالسماعة وقال ضاحكاً : " أيان ؟ ، لم أرك منذ سبعة أعوام ، كيف تتبعنى بالله عليك ؟ "

شاهدته كاثرين وهو يبتسم ويومئ برأسه ، وبعد خمس دقائق قال : " هذا يبدو مثيراً يا صديقى القديم ، بالطبع ، أين ؟ ، حسناً سأوافيك خلال نصف ساعة ، أراك لاحقاً . "

ثم وضع السماعة وهو يفكر ملياً .

قالت كاثرين : " هل هو أحد أصدقائك ؟ "

قال لها : " كلا ، ولذلك فإن الأمر يبدو غريباً ، كان زميلاً فى الجيش فى سلاح الطيران ، ولم نكن على وفاق أبداً ، لكن يقول إنه لديه عرض عمل لى . "

قالت له : " أى عمل ؟ " .

قال لها : " عندما أعرف سأخبرك . "

عاد لارى فى الثالثة بعد منتصف الليل للمنزل ، وكانت كاثرين مستلقية على الفراش تقرأ عندما وقف لارى عند باب حجرة النوم .

" هاى ، كاثى ! "

طرأ عليه تغير من نوع ما ، فهو يشع إثارة لم ترها كاثرين منذ فترة طويلة . سار نحوها إلى الفراش ، فقالت له :

" كيف سارت المقابلة ؟ "

" كانت رائعة ، ولم أصدق نفسى من فرط السعادة ، فعرض العمل مغر وسأقبله . "

" هل ستعمل لدى أيان وايتستون ؟ "

" كلا ، فهو طيار مثلى ، وسنعمل معاً . "

" حقاً ؟ "

" حسناً ، بعد الحرب عرفه صديقه اليونانى بـ " ديميريس " ، وأصبح يعمل كطيار خاص له . "

" إنه رجل أعمال شهير فى مجال الشحن ؟ "

" الشحن والبترول والذهب ، فهو يمتلك نصف العالم ، ولـ " وايتستون " عمل رائع معه ، لكن حدث ما حدث . "

" ماذا حدث ؟ "

نظر إليها وابتسم : " سيترك وايتستون عمله ، ويذهب إلى أستراليا للعمل فى مجال يحبه . "

" لكنى لا أفهم ، ما علاقة هذا بك ؟ "

" لقد رشحنى لدى ديميريس لكى أحل محله ، وديميريس ليس لديه وقت للبحث عن بديل عندما يترك وايتستون العمل . ويقول صديقى إن الحصول على العمل سهل " ثم أردف متردداً : " هل تعرفين معنى ذلك يا كاثى ؟ " .

فكرت كاثرين فى أعماله السابقة ، وتذكرت والدها وأحلامه الفارغة ، فجعلت نبرة صوتها هادئة ، ولا تدل على أية انفعال ؛ لكيلا تشجع لدى لارى أحلاماً وآمالاً كاذبة ، وفى نفس الوقت لا تريد تثبيط عزمه : " ألم تقل إنك لم تكن على وفاق مع وايتستون ؟ "

قال لها : " بلى " ثم عبس بوجهه ، لأن الحقيقة أنهما كانا يكرهان بعضهما البعض ، وكانت المكالمة مفاجأة كبيرة . وفى لقائهما كان يبدو وايتستون متوتراً وعصبياً ، وعندما شرح الموقف قال له لارى : " إننى مندهش لأنك فكرت فىّ " فساد الصمت المحرج لبرهة ، ثم قال وايتستون : " يريد ديميريس طياراً ممتازاً مثلك " . بدا الأمر وكأن وايتستون يضغط على لارى لقبول العمل كنوع من إسداء المعروف ، وبدا عليه الارتياح لحماس لارى ، وبدا متعجلاً على الرحيل . كان اجتماعاً غريباً جداً .

قال لـ " كاثرين " : " قد تكون تلك فرصة العمر ، فـ " ديميريس " يدفع لـ " وايتستون " ١٥ ألف دراخمة شهرياً ، وهذا يعنى ٥٠٠ دولار ، كما أنه يعيش كالملك هناك . "

" هل معنى ذلك أنك ستعيش فى اليونان ؟ "

" بل سنعيش معاً هناك ، بكل هذا المال سندخر ؛ لكى نستقل بحياتنا خلال عام ، يجب أن أستغل الفرصة . "

ترددت كاثرين ، وكانت تنتقى كلماتها بحرص : " لارى ، المكان بعيد ، ونحن لا نعرف شخصية ديميريس ، لابد أن هناك عملاً مناسباً لك هنا و ... " .

قال لها بنبرة وحشية : " كلا ! لا يهتم هنا أحد بكونى طياراً ممتازاً ، كل ما يهتمون به هو دفع مستحقات النقابة ، وهناك سأكون مستقلاً ، وهذا ما كنت أحلم به يا كاثى ، ديميريس لديه سرب طائرات مذهل ، وسأطير ثانية يا عزيزتى ، الشخص الوحيد الذى سأسعى لإرضائه هو ديميريس ، ويقول وايتستون إنه سيعجب بى " .

فكرت كاثرين فى تجربة لارى مع شركة بان أمريكان ، وإخفاقه فى كل الشركات الأخرى . قالت كاثرين لنفسها : " ما الذى جلبته على نفسى ؟ سأخسر شراكتى مع فريزر ، وسأعيش فى مكان غريب مع الغرباء ، ومع زوج كالغريب بالنسبة لى تقريباً " .

كان يراقبها وقال : " هل أنت معى ؟ "

نظرت لوجهه المتحمس ، هذا هو زوجها ، وهى تريد المحافظة على زواجها ، وستعيش معه فى أى مكان . سيكون الأمر مدهشاً إذا حصل على العمل ، سيعود لارى لشخصيته المحبوبة الساحرة الرائعة تماماً مثلما كان فى أول أيام الزواج . يجب عليها منحه الفرصة لكى يعود كما كان ، فقالت :

" بالطبع سأسافر معك ، لماذا لا تسافر وحدك لمقابلة ديميريس ، إذا حصلت على العمل سأتبعك إلى هناك . "

ابتسم ابتسامته المعهودة الطفولية ، وقال : " كنت أعلم أنه يمكننى الاعتماد عليك يا عزيزتى "

فكرت فى مدى صعوبة أن تقول لفريزر إنها ستنسحب من الشراكة .

فى صباح اليوم التالى سافر لارى إلى أثينا لمقابلة ديميريس .

فى الأيام التالية لم تسمع كاثرين عن زوجها ، وبعد أن مر أسبوع كانت تتمنى لو فشل الأمر فى اليونان ، وأنه سيعود ، لأنه حتى لو حصل على العمل فلن يستمر فيه طويلاً ، وبالتأكيد سيجد عملاً فى الوطن .

بعد أسبوع تلقت كاثرين مكالمته .

" كاثرين ؟ "

" نعم يا عزيزى . "

" احزمى حقائبك ، فقد حصلت على العمل كطيار شخصى لـ " ديميريس " .

بعد عشرة أيام سافرت كاثرين إلى اليونان .

الكتاب
الثانى

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٤

بعض الرجال يشكلون المدن ، وبعض المدن تشكل الرجال . كانت أثينا كسندان الحداد ، فتحملت ضربات الزمن القاسية على مر العصور وتم احتلالها من جانب العرب والإنجليز والأتراك ، وفى كل مرة نجحت وبقيت ورحلوا هم عنها . تقع أثينا فى الناحية الجنوبية لسهل أتيكا العظيم الهائل لخليج سارون من الجهة الجنوبية الغربية ، وتطل على جبال هايمتوس الساحرة الخلابة . تحت الطبقة اللامعة للمدينة يجد المرء آثار المدينة القديمة ، ذات التقاليد القديمة ، والمجد التليد فى العصور الغابرة ، حيث سيحيا المواطنون كما عاش أسلافهم عبر القرون الماضية ، وكانت أثينا مدينة مليئة بالمفاجآت والاستكشافات ، وفى النهاية لا يمكنك سبر أغوارها .

وصل لارى لمطار هيلينيكون لمقابلة كاثرين ، وفى المطار وهى تنزل من الطائرة شاهدته يسرع إليها نحو الممر ، وكان وجهه مليئاً بالحماس

والإثارة ، وهو يجرى ناحيتها . بدا لها أكثر نحافة وسمرة منذ آخر مرة رأته . وبدا هو بلا أى قلق أو هموم .

" إننى افتقدتك كثيراً يا كات " " أنا أيضاً افتقدتك " وأدركت كم كانت تعنى هذه الكلمة حقاً ، ظلت تنسى تأثيره عليها حتى قابلته الآن ، وعاد إليها هذا التأثير من جديد . قال لارى لها وهما فى صالة الجمارك : " كيف استقبل فريزر خبر سفرك ؟ "

" بروح رياضية ، وكان سعيداً لسعادتى " .

قال لارى باستهجان : " لم يكن لديه خيار آخر ، أليس كذلك ؟ " تذكرت كاثرين مقابلتها له ، فقد نظر إليها فى ذهول من هول الصدمة وقال : " ستسافرين للعيش فى اليونان ! لماذا ؟ "

قالت له : " لمرافقة زوجى . "

" أعنى ، لماذا لم يحصل لارى على عمل هنا يا كاثرين ؟ "

" لا أعرف يا بيل ، كلما حصل على عمل كان ثمة ما يسوء ، ولكن عمله فى اليونان يسعده ، ويبدو أنه ناجح به . "

بعد رفضه العفوى فى بادئ الأمر ، كان فريزر لطيفاً معها ، حيث سهّل كل شىء ، وأقنعها بإبقاء نصيبها فى الشركة ، وقال لها عدة مرات : " فلن تظلى بعيدة عن الوطن للأبد . "

ظلت كاثرين تفكر فى كلماته ، وهى تشاهد لارى وهو يأمر الحمّال بحمل حقائبها للسيارة الليموزين .

كان يتحدث معه باللغة اليونانية ، وتعجبت كاثرين من طلاقته وفصاحته اللغوية .

قال لها : " ستقابلين ديميريس ، إنه يحيا كالملوك ، وكل رجال الأعمال الكبار يحاولون إرضاءه طوال الوقت . "

" إننى سعيدة لأنك معجب به . "

" وهو أيضاً معجب بى . "

لم تسمعه من قبل سعيداً ومتحمساً لهذه الدرجة ، واعتبرت ذلك فألاً حسناً .

فى الطريق للفندق حكى لها لقاءه الأول مع ديميريس حيث استقبل لارى فى المطار سائق ديميريس الذى كان يرتدى الزى الرسمى ، وطلب منه لارى إلقاء نظرة على سرب طائرات ديميريس ، فقاده السائق لحظيرة الطائرات فى نهاية المطار ، وكانت هناك ثلاث طائرات فحصها لارى بعين ناقدة فاحصة . كانت الطائرات على أحدث طراز ، وكانت مبهرة لـ " لارى " ، وبعد أن انتهى من فحصه لكل طائرة عاد للسائق الذى كان يراقبه .

" إنها طائرة رائعة ، هيا بنا . "

قاده السائق إلى فيلا فى فاركيزا ، وهو حى الصفوة الذى سيبعد ٢٥ كيلو متراً من أثينا .

قال لارى لـ " كاثرين " : " لن تصدقى مدى روعة وفخامة مقر ديميريس " .

قالت كاثرين بحماس : " كيف كان شكله ؟ "

" من المستحيل وصفه ، فهو مقام على مساحة عشرة أفدنة ، وبه بوابات كهربائية ، وحرس أمنى ، وكلاب للحراسة وما إلى ذلك . ومن الخارج تبدو الفيلا كالقصر ، ومن الداخل كالمتحف ، وبها حمام سباحة داخلى ، ومسرح متكامل وقاعة للعرض السينمائى ، وستشاهدين كل ذلك يوماً ما " .

" هل هو لطيف معك ؟ "

" بكل تأكيد ، فهو يعاملنى بكل احترام ، ولابد أن سمعتى كطيار وصلت له قبل مجيئى " .

فى الحقيقة جلس لارى فى قاعة الانتظار ثلاث ساعات فى انتظار ديميريس ، وفى الظروف العادية كان سيغضب من هذه الإهانة ، لكنه كان يعلم مدى أهمية الاجتماع بـ " ديميريس " ، واعتماد مستقبله على

العمل ، ولذلك ظل متوتراً ، ولم يغضب من فرط التوتر . لقد أخبر كاثرين بمدى أهمية العمل له ؛ لكنه لم يخبرها أنه فى حاجة ماسة إليه ؛ لأنه يشعر بالضياع بدون استغلال مهاراته الفائقة فى الطيران . وكأن حياته سقطت فى عمق انفعالى مجهول ، والضغوط أكبر من أن يتحملها . كل شىء الآن يعتمد على حصوله على العمل مع ديميريس .

فى نهاية الساعات الثلاث جاء الخادم ، وأعلن أن السيد ديميريس مستعد لرؤيته ، وقاد لارى عبر قاعة استقبال كبيرة بدت كأنها جزء من قصر الفرساى ، كانت هناك درجات الألوان الذهبى والأخضر والأزرق ، وهناك تحف فنية ، وسجاد فاخر ، ولوحات فنية وتماثيل ، ونجف فاخر ، وأثاث فخم يملأ المكان .

فى نهاية المكتبة الفخمة كان هناك مكتب فاخر ، وكان ديميريس واقفاً بجواره يدرس خريطة كبيرة بها دبابيس كثيرة ملونة ، واتجه إلى لارى ، ويده ممتدة للمصافحة قائلاً : " أنا كونستانتين ديميريس " ولم يبد على لكنته أثر لغته الإنجليزية إلا قليلاً . كان لارى قد رأى صورته فى الجرائد والمجلات عبر السنوات الماضية ، لكن لم يكن مستعداً لمواجهة قواه الحيوية .

صافحه لارى ، وقال : " أعرفك بالطبع ، وأنا لارى دوجلاس " .

رأى ديميريس أن لارى ينظر للخريطة على الحائط ، فقال له :
" هذه إمبراطوريتى الاقتصادية ، تفضل بالجلوس " .

جلس لارى على المقعد المواجه للمكتب .

قال ديميريس : " علمت أنك كنت زميل أيان وايتستون فى الجيش فى سلاح الطيران " .

" نعم . "

استرخى ديميريس فى مقعده ، وتفرس فى وجه لارى ، وقال :
" أيان يزكيك بشدة . "

" أنا أيضاً أعلم أنه طيار ممتاز . "

" هو أيضاً يقول عنك نفس الشىء ، ويقول إنك رائع . "

شعر لارى بالدهشة مرة أخرى عندما تذكر عرض وايتستون له ، ويبدو أنه مدح فيه أمام ديميريس بصورة مبالغ فيها ، مقارنة بعلاقتهما فى الجيش ، حيث لم يكونا أبداً على وفاق . قال لارى : " إننى ماهر فى عملى " .

أومأ ديميريس برأسه وقال : " أحب الماهرين فى أعمالهم ؛ ولكن هل تعلم أن معظم سكان العالم ليسوا كذلك ؟ "

" لم أفكر فى هذا الأمر . "

" لكن أنا فكرت فيه . " ثم ابتسم فى برود ، وأردف قائلاً :
" فهذا عملى : دراسة الناس ، والغالبية العظمى منهم يكرهون مجال عملهم يا سيد دوجلاس . بدلاً من التخطيط لعمل ما يحبون ، يظلون فى ضجر وضيق طوال العمر مثل الحشرات بلا عقل . من النادر أن تجد من يحب عمله ، وعندما تجد من يحب عمله ، فهو إنسان ناجح " .

قال لارى بتواضع : " إنك على حق . "

" لكنك لست ناجحاً . "

نظر إليه لارى فى حيرة وقال : " هذا يعتمد على تعريفك للنجاح يا سيد ديميريس . "

قال ديميريس بجفاء : " ما أعنيه أنك صاحب أداء ممتاز فى الحرب ؛ لكنك فشلت كطيار مدنى . "

شعر لارى بانقباض عضلات فكه ، وأحس أنه يلقى له الطعم لكى يغضب ، فحاول أن يكظم غيظه ، وكان يعد عقله سريعاً بشكل محموم لإنقاذ فرصة العمل التى يحتاج إليها بشدة . كان ديميريس يراقبه ، ولاحظ عليه كل هذا .

" ماذا حدث لعملك فى بان أمريكان يا سيد دوجلاس ؟ "

ابتسم لارى رغماً عنه وقال : " لم أحب فكرة الانتظار ١٥ سنة لأصبح مساعد طيار؟ "

" لذلك ضربت المدير ؟ "

اندهش لارى وقال : " من أخبرك بذلك ؟ "

قال ديميريس وقد نفد صبره : " إذا أردت العمل معى يا سيد دوجلاس ، فأنا أضع حياتى بين يديك فى كل رحلة طيران ، وحياتى غالية . فهل سأدعك تعمل عندى بدون معرفة كل شىء عنك ؟ "

" بالطبع لا " .

قال ديميريس : " لقد فُصلت من عملك من قبل بعد شركة بان أمريكان ، وهذا ليس فى صالحك " .

رد لارى : " لم يتعلق الأمر بقدراتى . " وبدأ الغضب يتصاعد بداخله ، وأردف قائلاً : " كان العمل سيئاً فى إحداهما ، والأخرى أفلست ، ولكنى طيار ممتاز " .

تفرس ديميريس فى وجهه للحظة ، ثم ابتسم قائلاً : " أعرف أنك كذلك ، لكنك لا تلتزم بالنظام ، أليس كذلك ؟ "

" لا أحب تلقى الأوامر من الحمقى ، الذين لا يعرفون شيئاً ، أو يعرفون أقل منى . "

قال ديميريس بجفاء : " أتمنى ألا أنتمى لتلك الفئة . "

" إلا إذا كنت ستخبرنى كيف سأقود طائراتك يا سيد ديميريس . "

" كلا ، فهذا عملك ، ومن صميم عملك أن تصل بى إلى حيث أريد بكفاءة ، وبشكل مريح وآمن " .

" سأبذل أفضل ما لدىّ يا سيد ديميريس . "

قال له ديميريس : " أصدقك فلقد فحصت طائراتى قبل مجيئك . "

حاول لارى إخفاء دهشته فقال : " إنها تحفة فنية . "

قال ديميريس : " هل قدت هذا الطراز من الطائرات من قبل ؟ "

تردد لارى للحظة ، وكان يريد أن يكذب ؛ لكنه قال : " كلا يا سيدى "

قال ديميريس : " هل تظن أنه يمكنك التعلم ؟ "

" إذا أتيحت لى الفرصة لمدة ١٠ دقائق فسأتعلم كل شىء . "

مال ديميريس إلى الأمام فى مقعده وضغط كلتا يديه بأصابعه النحيلة الطويلة معاً ، وقال : " يمكننى اختيار طيار على دراية بطراز طائرتى . "

قال لارى : " لكنك لن تفعل لأنك تشترى طائرات جديدة باستمرار ، وتريد طياراً يعتاد على كل ما تشتريه سريعاً . "

أومأ ديميريس برأسه ، وقال : " أنت محق ، فأنا أبحث عن طيار ممتاز يكون فى أسعد حالاته عندما يطير . "

منذ تلك اللحظة علم لارى أنه سيحصل على الوظيفة .

لم يدر لارى أنه كان على وشك فقدان عمله حيث كان يعتمد قدر كبير من نجاح ديميريس على حاسته القوية للشعور بالمشاكل قبل حدوثها ، ونادراً ما كان يتجاهل شعوره عندما يحس باقتراب المشاكل . عندما جاءه وايتستون لكى يخبره بأنه سيستقيل ، دق جرس الإنذار فى ذهن ديميريس ، بسبب سلوك وايتستون غير الطبيعى ، والذى يدعو للريبة ، ولم يكن الأمر متعلقاً بالمال كما أكد وايتستون لـ " ديميريس " ، بل حصل على فرصة الدخول فى معاملات تجارية لنفسه مع زوج أخته فى سيدنى ، ولقد خاض هذه الفرصة كتجربة ، وبعدها قام بترشيح طيار آخر .

قال لـ " ديميريس " : " إنه طيار أمريكى كان معى فى سلاح الطيران ، وهو ليس رائعاً فقط ، بل ممتاز ، ولا أعرف من هو أفضل منه . "

أنصت ديميريس له بهدوء وهو يعدد فى محاسن صديقه ، وحاول التقاط نبرة المبالغة والكذب التى شوهت كلامه حتى أدركها ، فلقد كان وايتستون يبالغ ، لكن ربما كان ذلك بسبب إحراجه من ترك العمل بهذه الصورة المفاجئة .

ولأن ديميريس كان لا يدع أقل شىء للمصادفة ، فلقد أجرى مكالمات هاتفية عديدة مع عدة دول بعد أن غادر وايتستون ، وتأكد من أن هناك من قام بتمويل شركة إلكترونيات فى أستراليا لحسابه . ثم تحدث مع وزارة الدفاع الجوى البريطانية ، وبعد ساعتين حصل على تقرير لفظى عن دوجلاس : " إنه غريب الأطوار على الأرض ، لكنه طيار ممتاز " . ثم أجرى اتصالاته فى واشنطن ونيويورك ، وعرف حالة لارى دوجلاس فى الوقت الراهن .

كان كل شىء يبدو على ما يرام ظاهرياً ، لكن كان ديميريس يشعر بإحساس مبهم بعدم الراحة ، وكأن هناك مشاكل على وشك الوقوع ، ولم يتركه هذا الهاجس ، ولقد ناقش الأمر مع نويل ، وقال إنه سيمنح وايتستون مالاً أكثر لكى يبقى ، فأنصتت له نويل ، وقالت : " كلا ، دعه يرحل يا كوستا ، وإذا كان يزكى لك الطيار الأمريكى فجربه أولاً . "

وفى النهاية قرر ديميريس أن يجرب لارى دوجلاس .

لم تتمكن نويل من التفكير فى أى شىء سوى لارى منذ أن سمعت أنه فى طريقه إلى أثينا . فكرت فى كل السنوات الماضية وتخطيطها الدقيق بصبر ، والإحكام التام للشباك حول ضحيتها ، وقالت لنفسها إنه إذا عرف ديميريس بالأمر فسوف يفتخر بها . لو لم تكن قد قابلت لارى لصارت سعيدة مع ديميريس ، فهما يكملان بعضهما البعض للغاية ؛ كلاهما يحبان القوة ، ويعرفان كيفية استخدامها ، فى النهاية لن يخسرا بسبب صبرهما الذى ليس له مثيل فى عمقه ، وكأنهما يستطيعان الانتظار للأبد ، ولكن لن يطول انتظار نويل بعد الآن .

قضت نويل اليوم فى الحديقة مستلقية على الفراش المعلق وهى تراجع خطة انتقامها من لارى ، وبدأت الشمس تغيب ، وشعرت

بالرضا ، لكنها فكرت فى الأعوام الستة السابقة ، وكم كانت مليئة بالرغبة فى الانتقام ، تلك الرغبة التى كانت الدافع الوحيد لكل حركاتها ، وتبث فيها قدراً من النشاط والحيوية والإثارة ، لكن بعد أسابيع سيختفى كل هذا .

فى تلك اللحظة لم تدرك نويل أن تلك هى البداية للنهاية ، وذلك عندما كانت مستلقية تحت الشمس التى مالت للغروب ، وعندما بدأ النسيم البارد يهب على الحديقة الهادئة .

فى ليلة وصول لارى لم تتمكن نويل من النوم ، وظلت مستيقظة طوال الليل ، وتذكرت باريس ، والرجل الذى منحها القدرة على الضحك ، ثم سلبها منها مرة أخرى ... تذكرت ابن لارى فى أحشائها وهو يمتلك جسدها مثلما امتلك أبوه عقلها . تذكرت يوم أن أجهضت نفسها بمشجب المعاطف الذى كلما كان يغرز فى اللحم ويمزق طفلها كانت تشعر بألم ممتع لكنه لا يحتمل ، وفى نفس الوقت بالهستيريا والجنون مع تدفق الدم فى جسدها . تذكرت كل تلك اللحظات فى ذهنها ... الألم والكراهية .

قامت نويل من على الفراش فى الخامسة فجراً ، وارتدت ملابسها وراقبت شروق الشمس من حجرتها المطلة على بحر أيجيان ، وتذكرت أحد الأيام فى باريس عندما استيقظت مبكرة ، وارتدت ملابسها وانتظرت لارى - لكنه اليوم سيأتى لأنها أحكمت تدبيرها لذلك . لقد كانت فى حاجة له فى الماضى ، والآن هو من يحتاج لها ؛ حتى إن لم يكن على وعى بذلك .

أرسل ديميريس فى طلب نويل لتتناول الإفطار معه ، لكنها كانت تشعر بالإثارة البالغة ، وخافت أن يثير ذلك شكوكه ، لقد تعلمت منذ فترة طويلة أن ديميريس له حساسية كالقط ، ولا تفوته أقل الأشياء . ذكّرت نفسها بأنها يجب أن تحتاط ، وتأخذ حذرها ؛ لأنها تريد إنزال

العقاب بـ " لارى " بمفردها وعلى طريقتها ، وكانت تعلم أن ديميريس لن يعجبه أن تستخدمه كأداة .

احتست القهوة اليونانية ونصف ساندويتش ، فلم تكن شهيتها مفتوحة ، وكان عقلها يركز بشكل محموم على مقابلة لارى بعد بضع ساعات . اهتمت بزينتها بشكل أكثر من المعتاد واهتمت باختيارها لفستانها ، وعلمت أنها الآن أجمل من ذى قبل .

بعد الساعة الحادية عشرة سمعت نويل صوت توقف السيارة الليموزين أمام المنزل . سحبت نفساً عميقاً لكى تسيطر على توترها ، وسارت ببطء نحو النافذة ، وخرج لارى من السيارة ، وشاهدته نويل وهو يسير إلى الباب الأمامى . عاد بها الزمن للوراء عندما كانا معاً فى باريس . لقد نضج لارى ، ولقد جعلت الحرب والحياة اليومية التجاعيد تتسلل لوجهه ، لكنه بدا أكثر وسامة من ذى قبل . شعرت نويل بالانجذاب إليه كانجذاب الحيوان المفترس لفريسته ، وهو على بعد ١٠ ياردات منها وهى فى النافذة ، شعرت بالرغبة القديمة تملؤها ممزوجة بالكراهية والمقت ، ثم غمرها شعور بالإثارة ، ثم قامت بإلقاء نظرة أخيرة وسريعة على نفسها فى المرآة ، ثم نزلت لمقابلة الرجل الذى كانت على وشك تدميره .

بينما كانت تنزل عبر السلم تساءلت ماذا سيكون رد فعل لارى عندما يراها ، هل سوف يتفاخر أمام أصدقائه ، وربما لزوجته أن نويل باج الممثلة الشهيرة كانت تحبه فى يوم من الأيام ؟ هل كان يتخيل ذهنياً سحر أيام باريس معها ، ويندم على فعلته معها ؟ هل اغتاظ لأنها أصبحت شهيرة على مستوى العالم ، وكانت حياته البائسة عبارة عن سلسلة من الإخفاقات ! أرادت رؤية كل هذا فى عينيه فى تلك المقابلة بعد مرور سبع سنوات تقريباً .

وصلت نويل لقاعة الاستقبال ، وأوصلها رئيس الخدم للقاعة عبر الباب ، وكان لارى جالساً فى القاعة الفسيحة وهو مبهور ، ثم استدار

ورأى نويل ، ونظر إليها للحظة طويلة ، ثم استنار وجهه كعادته عندما يرى امرأة جميلة ، وقال بأدب : " أهلاً أنا لارى دوجلاس ، ولدىّ موعد مع السيد ديميريس . "

لم يتعرف عليها وكان ذلك ظاهراً على وجهه .

لم يتعرف عليها على الإطلاق

أثناء القيادة عبر شوارع أثينا حتى الفندق ذهلت كاثرين من كثرة الدمار والأطلال من حولها .

ولكن ما أثار إعجابها هو مبنى البارثينون فى الأكروبوليس ، وكانت الفنادق والمبانى فى كل مكان ، لكنها كانت تبدو لـ " كاثرين " مؤقتة وزائلة ، على العكس من البارثينون الذى يبدو خالداً عبر الزمن فى وضوح وصفاء الجو .

قال لارى مبتسماً : " الأمر مذهل ، أليس كذلك ؟ كل ما فى هذه المدينة الأثرية جميل . "

مرت السيارة بحديقة كبرى فى وسط المدينة ، بها نافورات مدهشة فى المنتصف ، وبها مئات المناضد والأسوار ، ذات الأعمدة الخضراء والبرتقالية والمظلات الزرقاء الجميلة .

قال لارى : " هذا هو ميدان الدستور ويجلس فيه الناس طوال اليوم لاحتساء القهوة اليونانية ، ومشاهدة العالم من حولهم . "

كان يوجد فى كل مبنى تقريباً مقهى ، وفى الأركان والزوايا يوجد باعة الإسفنج وباعة الزهور ، وكانت أكشاكهم ذات ألوان مبهرة .

قالت كاثرين : " المدينة بيضاء جداً ومبهرة . كان جناح الفندق كبيراً وساحراً ويطل على ميدان " سينتاجما " فى مركز المدينة . كانت بالحجرة زهور جميلة وسلة كبيرة من الفواكه الطازجة .

قالت كاثرين وهى تشاهد أرجاء الجناح : " إنه رائع يا حبيبى . "
ثم جاء الساعى بالحقائب ، وأعطاه لارى البقشيش ، وكان يخاطبه باليونانية ، ثم رحل الساعى ، وأغلق الباب خلفه .

عانقها لارى وقال : " مرحباً بك فى اليونان "

كانت هناك علبة صغيرة على منضدة ، فقال لها : " افتحيها " . وعندما فتحتها وجدت قلادة صغيرة من العقيق على شكل طائر . رغم انشغاله لكنه تذكر أن يحضر لها هدية ، فتأثرت كاثرين ، وأحست أن ذلك فأل حسن ، لانتهاء كل مشاكلها .

دعت كاثرين في صلاتها أن تبدأ حياة جديدة سعيدة مع زوجها الذى تحبه حباً جماً . لقد عاد لارى القديم والمشاكل القديمة جعلت زوجها أكثر صلابة .

لن يؤذيهما شىء بعد الآن .

فى صباح اليوم التالى قام لارى باصطحاب كاثرين للسمسار للبحث عن شقة لهما . كان السمسار يدعى ديميتروبولوس ، وكان قصيراً وأسمر ، وله شارب كثيف ، ويتحدث سريعاً بخليط من اليونانية والإنجليزية ، ولم تفهم منه كاثرين شيئاً .

ترجته كاثرين بعطف شديد ـ حيلة تعلمتها وستستخدمها كثيراً فى الشهور التالية ـ أن يتحدث ببطء ، لكى تفهم ما يقوله بالإنجليزية .

المكان الرابع الذى أظهره لها كان شقة مريحة مشمسة مكونة من أربع حجرات فى أرقى حى فى ضواحى أثينا الذى يدعى كولوناكى وهو ملىء بالمبانى السكنية والمتاجر الفخمة .

عندما عاد لارى للفندق فى تلك الليلة أخبرته كاثرين عن الشقة ، وبعد يومين انتقلا للإقامة بها .

كان لارى يعمل طوال اليوم ، لكنه كان يحاول اللحاق بموعد العشاء يومياً فى المنزل مع كاثرين . كان العشاء فى أثينا ما بين الساعة التاسعة والثانية عشرة مساءً وبين الساعة الثانية ، أما فى الخامسة مساءً فينام الجميع نوم القيلولة ، ثم تفتح المتاجر حتى الليل المتأخر ، ووجدت كاثرين نفسها مستمتعة بالمدينة ؛ ففى ليلتها الثالثة فى أثينا عرفها لارى على صديق له يدعى الكونت جورج باباس ، وهو رجل طويل ونحيل فى الخامسة والأربعين من العمر ، وله شعر أسود بدأ المشيب يخط فيه حول الصدغين ، وكان شكله مثيراً يدعو للاحترام ، كأنه قادم من الماضى ، وأعجبت به كاثرين . اصطحبها هذا الصديق للعشاء فى مطعم فخم فى أقدم حى فى أثينا ، ويدعى بلاكا وهو حى صغير فى قلب المدينة وبه مبان قديمة متهالكة منذ أيام الحكم العثمانى للمدينة عندما كانت مجرد قرية صغيرة ، وكانت كل المبانى مدهونة باللون الأبيض ، والمكان مليئاً بباعة الفاكهة والزهور ، ورائحة القهوة المحمصة تملأ المكان ، والمشاجرات فى كل مكان حتى بين القطط والكلاب ، وكان تأثير كل هذا ساحراً لـ " كاثرين " ، فهذا حى فقير بمقاييس أى مدينة أخرى ؛ لكن كان فى أثينا يبدو أثراً تاريخياً .

كان المطعم له مناضد بالخارج فوق سقف مفتوح يطل على كل المدينة ، والنوادل يرتدون ملابس مزركشة .

قال الكونت لـ " كاثرين " : " ماذا تفضلين تناوله الآن ؟ نظرت للقائمة ولم تفهم أى شىء ، فقالت : " اطلب لى ما تشاء ، أخشى أن أشير لأى اسم هنا . يتضح أنه اسم صاحب المطعم ! "

أمر الكونت لهما بوليمة عظيمة من أشهر المأكولات اليونانية من لحوم وسلطات وفطائر ، وشعرت كاثرين بالتقزز من بعض الأصناف .

قال الكونت : " هذا هو الطعام القومى لدينا " ، ثم شاهد كاثرين ، وهى تتناول الطعام فى نهم "

تناولا الطعام على أنغام موسيقى البوزوكيا اليونانية الشهيرة المبهجة ، وشاهدا عرضاً مبهراً ، واستمتعت به كاثرين كثيراً .

لم يغادروا المطعم إلا الساعة الثالثة فجراً ، وأوصلهما الكونت إلى شقتها الجديدة ، وقال لـ " كاثرين " : " هل شاهدت المعالم السياحية ؟ "

قالت : " كلا ، لكنى منتظرة أن يحصل لارى على إجازة لهذا الغرض " .

قال الكونت لـ " لارى " : " ربما ستسمح لى باصطحابها لرؤية المعالم السياحية إلى أن تتفرغ وتنضم لنا لاحقاً . "

قال لارى : " سيكون ذلك رائعاً إذا لم يمثل لك عبئاً . "

قال الكونت : " بل سأستمتع بذلك . " ثم توجه إلى كاثرين قائلاً : " هل تمانعين فى أن أكون مرشدك السياحى ؟ "

نظرت إليه وفكرت فى أنها لا تعرف اليونانية ، وأرادت من يتفاهم معها بلغتها ، فقالت : " بل سأحب ذلك جداً . "

كانت الأسابيع التالية رائعة لـ " كاثرين " فهى تقضى النهار فى تنظيف الشقة ، وتشاهد الآثار والمعالم السياحية فى حالة عدم وجود لارى مع الكونت .

ذهبا إلى منطقة أوليمبيا ، وقال لها : " هذا مكان أولى دورات الألعاب الأوليمبية التى كانت تقام سنوياً لآلاف السنين على الرغم من الحروب والمجاعات والأوبئة . "

شاهدت كاثرين ذلك فى رهبة وإعجاب ، وشاهدت ساحات الألعاب الأوليمبية ، وفكرت فى روعة وبهاء المسابقات التى كانت تقام هنا عبر القرون الماضية ، والانتصارات والهزائم .

قالت كاثرين : " حدثنى عن ملاعب إيتون ، ألم تبدأ الروح الرياضية هنا حقاً منذ فجر التاريخ ؟ "

ضحك الكونت ، وقال : " أخشى أن هذا ليس صحيحاً ، فالحقيقة مخجلة بعض الشىء . "

نظرت إليه كاثرين باهتمام وقالت : " لماذا ؟ "

" أول سباق بالعجلات التى تجرها الخيل حدث به غش . "

" غش ؟ "

" أخشى أنه كذلك ، كان هناك أمير غنى يدعى بيلوجس فى نزاع مع غريمه ، وأقيم سباق لتحديد من الأفضل ، لكن فى ليلة ما قبل السباق عبث بيلوجس بعجلات غريمه ، وعندما بدأ السباق انقلبت عجلات غريمه ، وجرته الخيل حتى لقى حتفه ، حيث علق فى سيور التحكم فى الخيل ، وكان الناس يشجعون بيلوجس الذى انتصر فى النهاية " .

قالت كاثرين : " هذا شىء بشع ، وماذا فعل الناس به ؟ "

" هذا هو الجزء المخزى فى القصة ، عرف الناس فعلته ، وجعلوه بطلاً كبيراً ، وخلدوا ذكراه فى نصب تذكارى لا يزال قائماً حتى اليوم فى معهد زيوس فى جبل أوليمبيا ، وللأسف عاش الشرير حياة سعيدة ، ويوجد حى باسمه فى مدينة كورينش يدعى بيلوبونسوس " .

قالت كاثرين متعجبة : " من قال إن الجريمة لا تفيد ؟ "

كلما وجد لارى وقت فراغ كان يكتشف المدينة مع كاثرين ، ووجدا متاجر رائعة للتسوق ، وقضاء الساعات فى الفصال مع الباعة بسبب الأسعار ، وأصبحت المطاعم الصغيرة جزءاً من حياتهما وذكرياتهما . كانت أياماً رائعة ، ورفيقهما كان ساحراً . وفرحت كاثرين لأنها ضحت بعملها فى أمريكا ، لكى تظل مع زوجها .

لم يكن لارى دوجلاس سعيداً من قبل فى حياته مثلما هو سعيد هذه الأيام . كان العمل مع ديميريس قد حقق له حلم حياته .

كانت الأموال التى يتقاضاها جيدة ؛ لكنه لم يأبه لها ، بل كان مهتما بقيادة الطائرات المدهشة الحديثة الرائعة ، وقد تعلم قيادة طائرة ديميريس المفضلة فى ساعة واحدة ، وأتقن قيادتها بعد خمس رحلات بها ، وكان يعمل مع مساعد الطيار بول متكساس اليونانى المرح السعيد معظم الوقت . اندهش متكساس من الرحيل المفاجئ لـ " وايتستون " ، وكان يترقب حدوث المشاكل عندما جاء البديل . وكان قد سمع الأقاويل حول لارى دوجلاس ، ولم تعجبه الإشاعات ؛ لكن بدا دوجلاس متحمساً جدًّا لعمله الجديد ، وعندما انطلق معه فى أول رحلة طيران علم أنه طيار ممتاز .

بالتدريج هدأ متكساس من ناحية لارى ، وصارا صديقين .

عندما لم ينطلق لارى فى رحلات طيران كان يقضى الوقت فى فحص سرب طائرات ديميريس ؛ لمعرفة كل شىء عنها ، وبالتالى كان يتمكن من قيادتها بشكل أفضل من أى طيار سبقه للعمل عند ديميريس .

كان التنوع فى العمل هو ما يدهش لارى . فهو يصطحب ديميريس والعاملين معه فى رحلات عمل عبر مدن مختلفة فى العالم ، أو يوصل ضيوفه إلى جزيرة أو لحفل فى منزله فى سويسرا للتزلج على الجليد ، وسرعان ما اعتاد توصيل كبار المشاهير ممن كان يرى صورهم على الصفحات الأولى للجرائد والمجلات ، ثم يحكى لـ " كاثرين " ما رآه وسمعه . لقد قاد الطائرة وهى تحمل على متنها رئيس جمهورية دولة من دول البلقان ، ورئيس وزراء بريطانيا ، وأحد رجال النفط الأثرياء مع زوجته ، ومغنيات الأوبرا ، وراقصات الباليه ، وفرقة مسرحية لأداء عرض مسرحى لليلة واحدة فى عيد ميلاد ديميريس فى لندن ، وقضاة من المحكمة العليا ، ونواب الكونجرس ، ورئيساً أمريكياً سابقاً . أثناء تلك الرحلات كان لارى يقضى معظم وقته فى كابينة القيادة ، ومن وقت لآخر كان يتفقد أحوال الركاب ، ويتأكد من راحتهم . أحيانًا كان

يسمع جزءاً من حوار الركاب ، مثل كبار رجال الأعمال الذين يتحدثون عن دمج الشركات الكبرى ، وكان يمكنه أن يجمع ثروة من بيع هذه المعلومات للمنافسين ؛ لكنه لم يكن مهتماً ، كل ما كان يهمه هو الطائرة التى يقودها ، وأن يشعر بالقوة والحيوية والتحكم .

بعد مرور شهرين قاد لارى الطائرة ، وعلى متنها ديميريس لأول مرة . كان يوماً ملبداً بالغيوم ، وكانت هناك عواصف وشيكة على طول الطريق ، وخطط لارى جيداً لكى يطير فى أقل الطرق خطراً ، لكن الجو كان مضطرباً بشكل يصعب معه تجنب المطبات الهوائية .

بعد ساعة من مغادرة مطار أثينا طلب من الركاب ربط أحزمة الأمان ، وقال لزميله متكساس : " تماسك يا بول ، فهذه الرحلة قد تجعلنا نفقد العمل " .

اندهش لارى عندما جاء ديميريس إلى الكابينة ، وقال : " سأنضم إليكما . "

قال له لارى : " تفضل ولكننا سنواجه صعوبات الآن . " جلس ديميريس فى مقعد متكساس وربط الأحزمة . كان لارى يفضل بقاء مساعد الطيار بجواره للتصرف السريع فى حالة الطوارئ ؛ ولكنها كانت طائرة ديميريس ، وهو الآمر الناهى بها .

استمرت العاصفة ساعتين . أخذ لارى يمر حول السحب الكثيفة كالجبال ، متفادياً الاصطدام بها فى لونها الأبيض القاتل .

قال ديميريس : " إنها سحب بديعة . "

قال لارى : " لكنها قاتلة ، وسبب انتفاخها هو وجود الهواء الشديد بداخلها ، وسرعته الشديدة قد تفقدنا التحكم فى الطائرة . "

قال ديميريس بهدوء : " أنا متأكد من أنك لن تدع ذلك يحدث " .

قاوم لارى السحب التى تحاول جذب الطائرة إليها ، وحافظ على سيطرته عليها ، ونسى أن ديميريس بجواره ، وركز كامل انتباهه مع الطائرة ، واستغل كل مهارته التى تعلمها ، وفى النهاية خرج بالطائرة

من العاصفة ، والتفت لارى وهو منهك القوى إلى ديميريس ، فوجد متكساس جالسًا بجواره ، فقال له : " إنها أول رحلة له معى ، وقد كانت سيئة ، وقد كان هناك احتمال أن أواجه مشكلة . "

بعد قليل أوشك لارى على الهبوط فى المطار فقال له ديميريس : " كنت محقاً ، فأنت ماهر فى القيادة ، وأنا مسرور منك " ثم غادر الكابينة .

ذات صباح كان لارى يستعد للسفر للمغرب ، فاتصل الكونت باباس مقترحاً اصطحاب كاثرين لنزهة فى الريف ، ووافق لارى .

حضر الكونت مبكراً لاصطحابها ، وقاد سيارته نحو سهول ثيسالى وكان على طول الطريق توجد نساء متشحات بالسواد ، ومنحنيات الظهور من حمل الأخشاب الثقيلة .

تساءلت كاثرين : " لماذا لا يقوم الرجال بهذا العمل ؟ "

ابتسم الكونت ، وقال : " لن تدعهم النساء يعملون ، فهم بحاجة إلى قوتهم من أجل ممارسة الحب ليلاً معهن . "

قالت كاثرين لنفسها : " هذا يجب أن يعلمنا جميعاً درساً فى الحياة " .

وصلا لاحقاً لجبال بيندوس المنيعة ذات الصخور الشاهقة فى عنان السماء ، وكان الطريق مسدوداً بقطيع أغنام ومعه الراعى وكلب للحراسة خاص بالقطيع ، فتوقف باباس لكى يمر القطيع ويخلى الطريق ، وشاهدت كاثرين الكلب ، وهو يعض أرجل الأغنام الشاردة ، ويضمها فى صف واحد ، ويجبرها على السير فى الاتجاه الذى يريده .

قالت كاثرين معربة عن دهشتها : " إن هذا الكلب يتصرف كالإنسان تماماً . "

نظر إليها الكونت دون أن ينبس ببنت شفة ، فلم تفهم كاثرين مغزى نظرته فقالت : " ما الأمر ؟ "

قال لها بتردد : " إنها قصة سيئة قد تؤلمك . "

قالت له : " لكنى فتاة ناضجة الآن . "

قال لها : " تلك منطقة برية متوحشة ، والأرض صخرية لا تصلح للعيش الرغد ، والمحصول ضئيل ، أو قد تسوء الحالة الجوية ، ولا يكون هناك محصول فتحدث مجاعة . "

" ثم ؟ "

" منذ سنوات هبت العواصف ودمَّر المحصول وكانت هناك مجاعة وثارت الكلاب الخاصة بالرعاة وهجرت الحقول ، وتجمعت فى مجموعة كبيرة وهجمت على كل المزارع " . كان يتحدث بصوت خفيض ، ويحاول نزع الخوف من صوته .

قالت كاثرين : " وقتلت الأغنام ؟ "

صمت قليلاً ، وقال : " بل قتلت الرعاة ، وأكلتهم . "

حدقت كاثرين مذهولة تحت تأثير الصدمة .

أردف قائلاً : " وأرسلت الحكومة قوات فيدرالية للسيطرة على المنطقة ، واستغرق الأمر شهراً " .

" شىء بشع . "

قال لها بهدوء : " إنه الجوع . "

بعد أن عبرت الماشية والغنم نظرت كاثرين للكلب وارتعدت .

بمرور الأسابيع كان كل ما بدا غريباً لـ " كاثرين " أصبح مألوفاً لديها ، ووجدت الناس ودودين ومتفتحين ، وعلمت أين تتسوق لشراء الطعام والملابس ، وكانت الشوارع فى حالة فوضى ولكنها إلى حد ما منظمة ، لا يسع المرء إلا أن يستمتع بها . لا أحد فى عجلة من أمره ، وإذا سألت أحداً عن الطريق قد يعرض عليها أى شخص توصيلها بنفسه سيراً على الأقدام أو يقول لها : " المكان على مسافة تدخين سيجارة واحدة " . وكانت تتجول فى الشوارع لاستكشافها ، وتستمتع بصيف اليونان . ●

زارت كاثرين ولارى عدة أماكن ، ولكن كانت البقعة المفضلة لـ " كاثرين " هى جزيرة باروس المزروعة التى يوجد بها جبل مغطى بالزهور ، وعندما كانا يذهبان إليها بالقارب ، يقف لهما المرشد بعد رسو القارب ، ويعرض خدماته فى تقديم جولة على ظهر البغال إلى أعلى الجبل ، فيركبان للاستمتاع بالجولة .

كانت كاثرين ترتدى قبعة من القش ، ذات حافة كبيرة للوقاية من الشمس الحارقة ، وأعطت إحدى الفلاحات هدية لـ " كاثرين " عبارة عن مجموعة أعشاب لوضعها على القبعة كزينة . بعد الجولة التى استمرت ساعتين للصعود للجبل وصلا لهضبة بها سهل ملىء بالأشجار ، وملايين الأزهار فى شكل مبهر أخاذ . أوقف المرشد البغال ، وراقبا فى انبهار سيمفونية الألوان .

قال المرشد بإنجليزية بها أخطاء : " يسمونه وادى الفراشات . "

لم تر كاثرين أية فراشات ، فقالت : " لماذا أطلقوا عليه هذا الاسم ، فلا يوجد أى فراشات ؟ "

قال لها بابتسامة ، وكأنه كان يتوقع السؤال : " سأشرح لك . " والتقط فرع شجرة غليظاً ، وضرب به شجرة بكل قوته ، فطارت مئات الفراشات ، والتى ظنتها كاثرين أزهاراً على الشجرة ، وامتلأ الهواء بآلاف الفراشات الملونة ، وسيمفونية ألوان راقصة فى ضوء الشمس .

انبهر كل من لارى وكاثرين ، وحدقا إلى المشهد الخلاب الأخاذ ، وراقبهما المرشد بفخر واعتزاز ، وكأنه المسئول عن هذه المعجزة التى شاهداها ، كان ذلك من أجمل أيام حياة كاثرين ، وإذا خيرت أن تعيد يوماً من أيام حياتها لاختارت اليوم الذى قضته مع لارى فى جزيرة باروس .

قال بول متكساس مبتسماً لـ " لارى " : " لدينا راكبة مهمة جداً اليوم ، انتظر حتى تراها . "

" من هى ؟ "

" نويل باج صديقة ديميريس ، يمكنك أن تنظر إليها ، ولكن لا تلمسها " .

تذكر لارى عندما رآها فى منزل ديميريس عندما وصل صباح يوم الاثنين . كانت جميلة ، وكان وجهها مألوفاً لديه ، لكنه بالطبع كان قد رآها فى السينما فى فيلم فرنسى أصرت كاثرين على مشاهدته معه . لا يحتاج لارى لتوصيات بالأدب ، فحتى إن لم يكن العالم به نساء لإشباع رغباته فلن يجرؤ على إزعاج صديقة ديميريس ، فهو يحب عمله جدًّا ولن يخاطر به أمام أية نزوة ، ولكن ربما يحصل على توقيعها لـ " كاثرين " .

تعطلت السيارة الليموزين التى كانت تنقل نويل للمطار ، بسبب أعمال إصلاح الطرق لكنها رحبت بالتأخيرات . سترى لارى لأول مرة منذ أن قابلته عند ديميريس . لقد اهتزت بشدة لما حدث ، أو بالأحرى لما لم يحدث ، حيث لم يتعرف عليها .

عبر السنوات الست التالية كانت تتخيل مقابلتها معه بمئات الأشكال المختلفة ، وتتخيل المشاهد عدة مرات فى عقلها . لكن الشىء الوحيد الذى لم تتخيله أنه لن يتذكرها . أهم حدث فى حياتها لم يكن يعنى له أى شىء سوى نزوة عابرة من مئات العلاقات التى كان يقيمها مع النساء . حسناً ، بعد أن تنتقم منه سيتذكرها .

كان لارى يسير إلى الطائرة ، ومعه خطة الرحلة عندما وصلت السيارة الليموزين ، ووقفت عند الطائرة الكبيرة ، وخرجت منها نويل . سار لارى نحوها ، وقال بلطف : " صباح الخير يا سيدتى ، أنا لارى دوجلاس ، وسأطير بك إلى مدينة كان " .

التفتت نويل ، وسارت متجاهلة وجوده ، وكأنه لم يتحدث ، أو كأنه ليس موجوداً ، ووقف لارى ونظر إليها فى حيرة .

بعد نصف ساعة أقبل الضيوف ، وصعدوا على متن الطائرة وأقلع لارى ومتكساس . كان الاتجاه إلى كوت دازور فى فرنسا ، ثم سيذهبون ليخت ديميريس . كانت رحلة هادئة ؛ لكن كانت هناك مطبات الجو المعتادة فى الساحل الجنوبى الفرنسى فى الصيف ، ولارى هبط بالطائرة بسلاسة ، وذهب بالتاكسى لإحضار السيارات الليموزين لنقل الضيوف ، والتى كانت فى انتظارهم ، وعندما أوشك أن يغادر لارى ومساعده الطائرة جاءت نويل إلى متكساس وهى تتجاهل لارى ، وقالت بصوت ممتلئ بالاحتقار : " الطيار الجديد مجرد هاو يا بول ، فلتعطه بعض الدروس فى الطيران " وعندما ركبت نويل السيارة تركت لارى واقفاً فى حيرة شديدة ، وغضب مكتوم .

قال لنفسه : " إنها حمقاء " ، وربما كانت معتلة المزاج اليوم . لكن ما حدث بعد ذلك أقنعه أنه يواجه مشكلة خطيرة .

بناء على أوامر ديميريس كان على لارى توصيل نويل من أوسك إلى لندن . وبسبب ما حدث قام لارى بمراجعة خطة الرحلة بدقة ، ووجد منطقة ضغط جوى مرتفع فى الشمال مع احتمال وجود برق ورعد فى الشرق ، فتحرك فى طريق آخر ؛ لكى يتجنب كل ما سبق ، وسارت الرحلة بسلاسة ، والهبوط تم بمهارة فائقة ، وعندما خرج مع متكساس من الكابينة كانت نويل تضع أحمر الشفاه عندما جاءها لارى قائلاً بكل أدب واحترام : " أتمنى أن تكونى قد استمتعت برحلتك " .

" نظرت إليه لبرهة ، ولم يظهر وجهها أى تعبير واضح ، وقالت لـ " متكساس " : " أنا أكون متوترة دائماً عندما يطير بى شخص غير كفء " .

احمر وجه لارى ، وكان على وشك التحدث معها ؛ لكن نويل قالت لـ " متكساس " : " أخبره ألا يتحدث معى مستقبلاً إلا إذا بدأت أنا بالحديث معه . "

قال متكساس متلعثماً بعد أن ازدرد لعابه : " حسناً يا سيدتى . "

حدق لارى إليها ، وكانت عيناه مليئتين بالغضب ، بينما قامت وغادرت الطائرة . كان أول رد فعل حدثت به نفسه إليه هو أن يصفعها ؛ لكنه كان يعلم أنه إن فعل ذلك فسيفصل ، وهو يحب عمله أكثر من أى عمل آخر قام به ، ولا يريد تركه أبداً ، وإذا فُصل فلن يطير أبداً بعد الآن ، وعليه أن يكون أكثر حرصاً فى المستقبل .

عندما جاء لارى للمنزل تحدث مع كاثرين عما حدث ، وقال : " إنها تريد النيل منى . "

قالت له : " هذا شىء فظيع ، هل ضايقتك دون أن تدرك ذلك يا لارى ؟ "

" أنا لم أتحدث معها إلا قليلاً . "

هزت يديه قائلة : " لا تقلق " وحاولت تهدئته ، وقالت : " قبل أن يمر وقت طويل ستدهشها . صدقنى ، وانتظر . "

فى اليوم التالى قام لارى بتوصيل ديميريس لرحلة عمل فى تركيا ، وجاء ديميريس لكابينة القيادة ، وجلس مكان متكساس بجوار لارى فى صمت يراقب الطائرة ، وهى تشق السحاب .

فى النهاية قال ديميريس : " السيدة نويل باج لا يعجبها سلوكك معها وهى لا تطيقك " .

شعر لارى بيده تضغط على أجهزة التحكم بشدة ؛ لكنه أجبر نفسه على الاسترخاء ، وقال بصوت هادئ :

" هل ذكرت السبب ؟ "

" قالت إنك كنت وقحاً معها . "

هم بالاعتراض لكنه عدل عن ذلك ، وقال : " إننى آسف ، وسأحاول أن أكون حريصاً فى المرات القادمة يا سيد ديميريس . "

قام ديميريس وقال : " بادر بذلك ، ولا تضايقها مرة أخرى " . ثم غادر كابينة القيادة .

مرة أخرى ! كان ذهنه يغلى من التفكير والغضب ، فهو لم يضايقها ألبتة . ربما لم تعجب هى بنوعه من الرجال ، أو تشعر بالغيرة لأن ديميريس يفضله ويثق فيه ، لكن كل تلك المبررات لم تكن مقنعة له . لم يتوصل لمبرر مقنع ، ومع ذلك كانت نويل تحاول فصله من عمله .

فكر لارى فى احتمال فقدانه لعمله ، ومهانة البحث عن عمل ، ومقابلات العمل ، وكتابة أوراق التقديم كالحمقى ، وساعات الانتظار الطويلة ، ومحاولات قتل الوقت مع العاهرات وفى الخمارات . تذكر صبر وتحمل كاثرين له . كلا ، لن يجتاز كل هذه المراحل مرة أخرى ولن يتحمل فشله مرة أخرى .

فى فترة انتظاره فى بيروت بعد أيام من هذا الموقف شاهد لارى صورة نويل على أفيش فيلم فى دار عرض سينمائى ، فقرر مشاهدته وهو ممتلئ بمقت شديد للفيلم وللبطلة ، لكنه انبهر من تمثيلها الرائع ، وشعر مرة أخرى أنها مألوفة لديه ، وأنه رآها من قبل . فى يوم آخر طار لارى مع نويل وبعض رجال الأعمال من منزل ديميريس إلى زيورخ ، وانتظر لارى حتى أصبحت نويل بمفردها ، وأراد أن يقترب منها . تردد كثيراً قبل التحدث معها ، وتذكر تحذيرها له ، وقرر أن يرضى غرورها كنجمة لامعة ، فكل الممثلات مغرورات ، فجاءها وقال فى أدب : " يا سيدتى ، لقد شاهدت فيلمك " الوجه الثالث " ، وأعتقد أنك أعظم ممثلة رأيتها " .

حدقت إليه لبرهة ، وقالت : " يبدو أنك ناقد أفضل من كونك طياراً ، لكنى أشك فى أن لديك الذوق أو الذكاء الكافى لذلك " ثم انصرفت عنه .

وقف مذهولاً ، وشعر كأنه تلقى طعنة ، وقال لنفسه : " إنها فتاة لعينة ! ، وشعر برغبة كبيرة فى اللحاق بها ، وإخبارها برأيه فيها ؛ لكنه علم أنه لو فعل هذا فستكون نهايته على يدها . كلا ، من الآن فصاعداً سيؤدى عمله ، ويبتعد عنها قدر الإمكان .

فى الأسابيع التالية سافرت نويل معه فى عدة رحلات لكنه لم يتحدث معها أبداً ، وكان يرتب ويحتاط للأمر لكيلا تراه ، وكان يرسل متكساس لنقل أى رسائل للركاب ، وكان لا يخرج من كابينة القيادة ، ولم يعد هناك تعليقات أخرى من نويل ، فهنأ لارى نفسه على حل المشكلة .

لكن اتضح أنه هنأ نفسه أسرع من اللازم . ففى يوم ما أرسل ديميريس فى طلبه فى الفيلا ، وقال له : " ستسافر نويل إلى باريس لعمل خاص بى ، وأريدك أن تبقى بجوارها طوال الرحلة " .

" حسناً يا سيد ديميريس " حدق إليه ديميريس ، وتفرس فى وجهه ، ثم هم بإضافة شىء ما ؛ لكنه قال بعد أن غير رأيه : " هذا هو كل شىء "

كانت نويل الراكبة الوحيدة فى الرحلة إلى باريس ، وقال لارى لـ " متكساس " أن يهتم بشئون نويل ، وظل هو فى كابينة القيادة ، ولم يرها طوال الرحلة . عندما هبطت الطائرة ذهب إليها لارى ، وقال : " أرجو المعذرة يا سيدتى ، فلقد طلب منى السيد ديميريس مرافقتك إلى باريس . "

نظرت إليه باحتقار ، وقالت : " حسناً . لكن حاول ألا تشعرنى بوجودك . "

أومأ لها فى صمت وبرود .

غادرا مطار أورلبى فى سيارة ليموزين خاصة ، وجلس لارى مع السائق ، وجلست نويل فى الأريكة الخلفية ، ولم تتحدث إليه طوال الطريق إلى باريس ، وكانت محطتها الأولى البنك المركزى فى باريس ، وظل مرافقاً لها حتى ذهبت لخزينة الودائع فى البنك . ظلت نويل بالداخل نصف ساعة ، وعندما عادت مرت بجوار لارى دون أن تنطق كلمة واحدة ، فحدق إليها ، ولم يسعه إلا أن يتبعها .

كانت محطتها التالية شارع فوبرج سانت أونريه ، وأرسلت السائق إلى الفندق ، وأتبعها لارى إلى سوق تجارى ، ووقف أثناء اختيارها لمشترياتها ، وأعطته الحقائب لكى يحملها . اشترت أحذية ، وأحزمة ، وحقائب وعطوراً من محلات فخمة ، وكان لارى يحمل بضائعها فى صمت . وكان مثقلاً بالحمولة الزائدة . لم تظهر نويل أنها تدرك معاناته ، وكأنه حيوان أليف تجره معها فى كل مكان .

عندما خرجا من المحل هطلت الأمطار ، وهرب المشاة بحثاً عن مأوى لهم ، لكن نويل قالت له بلهجة آمرة : " انتظرنى هنا " وشاهدها تذهب للمطعم المقابل للمحل ، ووقف هو فى المطر ساعتين محملاً بالعلب والحقائب ، ويلعنها ويلعن نفسه ، لأنه تحمل سلوكها . كان فى مأزق ، ولم يعرف مهرباً منه .

وشعر بأن الأمر سيزداد سوءاً .

كانت أول مرة تقابل كاثرين ديميريس فى فيلته ، حيث حضر لارى إليها لتسليم طرد ذهب أحضره من كوبنهاجن ، وذهبت كاثرين معه للفيلا . كانت واقفة فى بهو استقبال فسيح ، وتتأمل لوحة فنية فى إعجاب ، وفجأة فتح الباب ودخل ديميريس وراقبها للحظات ، وقال : " هل تعجبك لوحة مانيه يا مدام دوجلاس ؟ "

التفتت كاثرين سريعاً ، ووجدت نفسها فى مواجهة الرجل الأسطورة الذى سمعت عنه الكثير . كان لديها انطباعان : ديميريس

أطول مما تخيلت ، وكان هناك بداخله طاقة قوية تطغى على كل شىء بدرجة تخيفها . اندهشت لأنه عرفها وعرف اسمها ، وكأنه بذل جهداً لمعرفة كل شىء عنها وعن لارى . سألها إذا ما كانت تحب الإقامة فى اليونان ، وإذا ما كانت شقتها مريحة ، وأخبرها أن تلجأ له فى حالة طلب المساعدة فى أى شىء . وكان يعلم أيضاً أنها تحب تجميع القلادات التى تأخذ شكل طيور صغيرة ، وقال لها : " رأيت واحدة جميلة ، وسوف أرسلها لك " .

ثم جاء لارى ، وغادر الفيلا معها .

قال لها لارى : " هل أعجبك السيد ديميريس ؟ "

" إنه ساحر حقاً ، ولا عجب فى أنك تستمتع بالعمل معه . "

" وسأظل أعمل معه " وكانت هناك فى صوته كآبة لم تفهمها كاثرين .

فى اليوم التالى وصل لـ " كاثرين " طرد به قلادة من البورسلين على شكل طائر وكانت جميلة جداً .

رأت كاثرين ديميريس مرتين بعد ذلك ، مرة عندما ذهبت لسباق الخيل مع لارى ، ومرة فى حفل الكريسماس عند ديميريس فى فيلته . كان فى كل مرة يتحدث إليها ، ويوليها اهتماماً خاصاً . فى المجمل ظنت كاثرين أنه شخصية متميزة .

فى أغسطس بدأ احتفال أثينا ، حيث تقدم فى المدينة عروض مسرحية وباليه وأوبرا وحفلات موسيقية لمدة شهرين - فى أقدم مسرح يونانى مفتوح ، ويدعى هيرودس أتيكوس على سفح مبنى الأكروبوليس . شاهدت كاثرين عدة مسرحيات مع لارى ، ومع الكونت باباس عندما يكون لارى مشغولاً . كان من المدهش رؤية المسرحيات فى المكان الذى تم تمثيلها فيه لأول مرة منذ قرون على يد اليونانيين الذين أبدعوا تلك المسرحيات .

فى إحدى الليالى بعد مشاهدة كاثرين والكونت لمسرحية " ميديا " كانا يتحدثان عن لارى .

قال الكونت : " إنه رجل يدعو للإعجاب ، ومثله نطلق عليه لقب بولى ميكانوس . "

" ماذا يعنى هذا اللقب ؟ "

" من الصعب ترجمته ، لكن معناه الحرفى " محنَّك " .

" تعنى أنه واسع الحيلة ؟ "

" نعم . بل وأكثر من هذا ، فهو يعنى أنه جاهز دائماً بالأفكار والخطط الجديدة " قالت كاثرين : " فعلاً هذا هو زوجى الحبيب . "

كانت ليلة مقمرة ، وكان الجو الليلى دافئاً ، وسارا معاً نحو الميدان ، وكانا على وشك عبور الشارع فاندفعت سيارة مسرعة كادت أن تصدم كاثرين لولا أن الكونت جذبها بسرعة لحمايتها .

صاح الكونت خلف السائق الذى اختفى : " أحمق ! "

قالت كاثرين : " الجميع هنا لا يحسنون القيادة . "

ابتسم الكونت فى أسى ، وقال :

" هل تعرفين السبب ؟ لم ينتقل اليونانيون حقاً إلى القدرة على قيادة السيارات ، وفى أذهانهم مازالوا يقودون البغال والحمير . "

" أنت تمزح بالتأكيد . "

" للأسف لا ، إذا أردت معرفة اليونانيين حق المعرفة فلا تقرئى كتب السياح بل الدراما الإغريقية ، ففى الواقع نحن ننتمى لقرون الماضى ، كما أننا بدائيون جداً ، وبداخلنا انفعالات حادة درامية مثل الحزن الشديد ، والفرحة الغامرة ، والحب الكبير ، ولم نتعلم أن نخفيها تحت قناع التحضر والتمدن "

قالت كاثرين : " لا أظن أن ذلك شىء سيئ للغاية "

" ربما لكنه يشوه الواقع . وعندما يرانا الآخرون من الجنسيات الأخرى لا يرون ما يظنون أنهم يرونه ، وكأنك تنظرين إلى نجم بعيد ،

وفى الواقع لا تنظرين إليه ، بل لضوئه الذى كان هناك منذ مليون سنة مثلا ، وهكذا نحن اليونانيين ، عندما تنظرين إلينا فأنت تنظرين إلى انعكاس لصورة الماضى "

وصلا للميدان ، ومرا على محلات بها عرافون

قالت كاثرين : " يوجد الكثير من العرافين هنا ، أليس كذلك ؟ "

" نحن قوم نؤمن بالخرافات . "

" لكننى لا أومن بها . "

ثم وصلا لمطعم صغير ، وكانت هناك لافتة مكتوبة بخط اليد : " مدام بيريس ، العرافة "

قال لها الكونت : " هل تؤمنين بوجود الساحرات ؟ "

نظرت إليه كاثرين ، وظنت أنه يمزح ؛ لكنها وجدته يتكلم بجدية فقالت : " أحياناً "

" لا أعنى الساحرات ذوات المقشات والقطط السوداء والقدور المغلية . "

" ماذا تعنى إذن ؟ "

أشار إلى اللافتة ، وقال : " مدام بيريس ساحرة يمكنها قراءة الماضى والمستقبل . "

وجد الشك ظاهراً فى وجهها ، فقال لها : " سأخبرك بقصة ، منذ سنوات كان هناك رئيس شرطة يسمى فاسيلى وكان صديقاً لى ، واستخدمت نفوذى لكى أضعه فى هذا المنصب ، وكان رجلاً أميناً ، وهناك من أراد إفساده ليكون رجل شرطة فاسداً ؛ لكنه رفض فقرروا قتله ، فجاءنى ليخبرنى أن حياته فى خطر . وكان رجلاً شجاعاً ؛ لكن التهديد أزعجه ؛ لأنه جاء من أكبر وأقوى رئيس عصابة لا يرحم . وراوده شعور أنه سيموت قريباً ، وطلب مساعدتى . "

كانت كاثرين تنصت باهتمام شديد ، وقالت : " وماذا فعلت له ؟ "

" نصحته بالذهاب لقراءة الطالع عند مدام بيريس " ثم صمت مفكراً .

قالت له كاثرين : " وهل ذهب ؟ "

" نعم ، وأخبرته أن موته سيأتى فجأة بدون توقع عن طريق أسد فى عز الظهر ، لكن لا يوجد أسود فى اليونان عدا الأسود العجوزة فى حديقة الحيوان ، والأسود الحجرية فى ميدان ديلوس . "

بدأت كاثرين تشعر بالتوتر فى صوت الكونت ، " ثم ذهب فاسيلى للحديقة لتفقد أقفاص الأسود ، وسأل هل أحضرت الحديقة أسداً جديداً أم لا ، فكانت الإجابة بالنفى . ثم مر أسبوع ولم يحدث شىء ، وقال لى فاسيلى إن كلام الساحرة هراء وإنه أحمق لأنه آمن بالخرافات . مررت عليه ذات يوم فى قسم البوليس لأصطحبه لحفل عيد ميلاد ابنه فى قارب على البحر للذهاب فى نزهة بحرية للاحتفال لكن .. دقت الساعة الثانية عشرة ظهراً ، وحدث انفجار فى مكتب فاسيلى ومات . "

قالت كاثرين : " شىء بشع . "

بعد لحظة صمت قالت كاثرين : " لكن الساحرة كانت على خطأ ، فلم يكن هناك أسد . "

" لكن البوليس اكتشف ما حدث ، كما قلت لك لقد كان عيد ميلاد ابنه ، وكان مكتبه مليئاً بالهدايا ، ومن ضمنها لعبة من شخص مجهول كانت بها قنبلة على مكتب فاسيلى . "

شحب وجه كاثرين ، وقالت : " فهمت ، أسد لعبة . "

" نعم وانفجر فى عز الظهر كما قالت نبوءة الساحرة . "

" شىء مرعب حقاً . "

" مدام بيريس ليست مجرد عرافة عادية . "

" ولكن المنجمين كاذبون وإن صدقوا . "

رجعت كاثرين لمنزلها فى تاكسى مع الكونت الذى أوصلها . وعندما تأهبت للنوم قصت ما قاله لها على لارى ، فاحتضنها ومر وقت طويل حتى تمكنت من النوم .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٥

لولا نويل لما كان هناك ما يقلق لارى دوجلاس ، ويعكر صفو حياته . كان فى العمل الذى يحبه ، والمكان المناسب للحياة التى يريدها ، واستمتع بعمله وبمن يقابلهم ، وبالرجل الذى يعمل لحسابه . وعلى الأرض كانت حياته مرضية ، ويقضى معظم وقته مع كاثرين فى حالة عدم وجود سفريات ، ولأن عمله يتطلب التنقل باستمرار لم تكن كاثرين تعلم أين هو فى معظم الأحوال ، وبالتالى كان لارى يجد فرصاً كثيرة للخروج بمفرده . كان يذهب فى حفلات مع الكونت باباس وبول متكساس ، وأقام علاقة مع هيلينا التى تعمل مضيفة معه فى طائرة ديميريس . نعم ، كان لارى يحيا الحياة الرائعة التى كان يحلم بها دائماً .

ما كان يعكر صفو حياته هى نويل عشيقة ديميريس . لم يكن لديه أدنى فكرة عن سبب احتقارها له ، لكنها كانت تمثل خطراً يهدد عمله وأسلوب حياته . حاول لارى أن يكون مهذباً تارة ، وتارة أخرى

حاول أن يكون ودوداً ، ثم ابتعد عنها ، لكن فى كل مرة كانت نويل تنجح فى أن تجعله يبدو أحمق . كان يعلم أنه يمكنه أن يشكو لـ " ديميريس " ، لكنه كان يخشى أن يقف ديميريس فى موقف اختيار ما بينه وبين نويل . حاول لارى مرتين أن يجعل بول متكساس هو من يقود طائرة نويل ، لكن قبل كل رحلة بقليل تتصل به سكرتيرة ديميريس ، وتخبره برغبة ديميريس بأن يقود لارى الطائرة بنفسه فى رحلات نويل .

فى أحد الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر تلقى لارى اتصالاً هاتفياً به أوامر للقيام بتوصيل نويل إلى أمستردام ظهراً ، وتفقد لارى الأمر مع المطار ، وتلقى تقريراً سيئاً عن الأحوال الجوية فى أمستردام ، حيث يسود الضباب ، وتحجب الرؤية فى المجال الجوى للطائرات . اتصل لارى بسكرتيرة ديميريس ليعلن استحالة السفر إلى أمستردام اليوم بسبب سوء الأحوال الجوية . قالت السكرتيرة إنها ستعاود الاتصال به لاحقاً ، وبعد ١٥ دقيقة . قالت له إن نويل ستكون فى المطار الساعة الثانية ظهراً ومستعدة للإقلاع . تفقد لارى حالة الجو مع المسئولين فى المطار ؛ آملاً أن يتغير الجو لكن كانت الأحوال الجوية كما هى :

قال متكساس : " لابد أنها فى عجلة من أمرها للذهاب إلى أمستردام " .

شعر لارى أن أمستردام ليست هى لب الموضوع ، بل إنه تحدى الإرادة بينها وبينه ، وكأنها لا تهتم إذا اصطدمت الطائرة بالجبال ، لكنه لا يأبه لذلك ، فسوف يكون خلاصاً جيداً منها ، لكنه لن يغامر بحياته من أجل عاهرة مثلها . حاول الاتصال بـ " ديميريس " للتفاهم معه ، لكنه كان غير متاح بسبب انشغاله فى اجتماع عمل ، فأغلق لارى سماعة الهاتف بعنف وهو يغلى من الغضب . لم يكن لديه خيار سوى التحدث معها لإثنائها عن عزمها للسفر إلى أمستردام . وصل

للمطار الساعة الواحدة والنصف ، ولم تظهر نويل بحلول الساعة الثالثة ، فقال له متكساس : " ربما غيرت رأيها " .

لكن لارى كان يعلم أنها ستأتى ، وبمرور الوقت استشاط غضبه أكثر حتى أدرك نواياها ؛ كانت تحاول أنت تجعله يغضب ، فيرتكب فعلاً أرعن فيفقد عمله . كان لارى فى مبنى المطار فى صالة الوصول يتحدث مع مدير المطار عندما وصلت سيارة ديميريس المألوفة لديه ، وخرجت منها نويل ، فخرج لارى لمقابلتها .

قال بصوت مفتعل وهادئ : " أخشى أن الرحلة قد ألغيت يا سيدتى ، فمطار أمستردام مغطى بالضباب وملبد بالغيوم " .

تجاوزته وكأنه غير موجود ، وتحدثت إلى متكساس قائلة : " الطائرة بها معدات للهبوط الآلى . أليس كذلك ؟ "

قال متكساس بإحراج : " بلى " .

" إننى مندهشة حقاً ؛ لأن ديميريس استأجر طياراً جباناً ، وسأخبره بذلك الأمر " .

ثم استدارت نويل وذهبت لتستقل الطائرة ، نظر إليها متكساس وقال : " لا أعرف ماذا دهاها ، فلم تتصرف هكذا من قبل ، إننى آسف يا لارى " .

شاهدها لارى وهى متجهة للطائرة ، ويتطاير شعرها الأصفر فى الهواء ، ولم يكره أحداً فى حياته مثلما كرهها فى هذه اللحظة .

كان متكساس يراقبه وقال : " أنذهب ؟ "

" سنذهب . "

تنهد مساعد الطيار بعمق ، وسارا ببطء نحو الطائرة .

جلست نويل فى كابينة الركاب تتصفح على مهل فى مجلة الأزياء والموضة عندما دخلا الطائرة ، وحدق إليها لارى فى لحظة طويلة ، وكان الغضب يملؤه وخاف من التحدث حتى لا ينفجر فيها ثم ذهب لكابينة القيادة لفحص ما قبل الإقلاع .

بعد دقيقتين سمعوا نداء برج القيادة بأنهم متجهون إلى أمستردام .

النصف الأول من الرحلة مر بسلام ، وكانت سويسرا تحتهم مغطاة بالثلج ، وعندما وصلوا إلى ألمانيا مالت الشمس للمغيب . فاتصل لارى باللاسلكى بأمستردام ، وطلب فحصاً للحالة الجوية ، وجاءه تقرير أفاد بوجود ضباب وغيوم من بحر الشمال ، وأنه يزداد سمكاً . لكن حظ لارى كان عثراً ، لأنه إذا تغيرت اتجاهات الرياح وانقشع الضباب لحلت المشكلة ، وكان عليه الآن تحديد ما إذا كان سيخاطر بالهبوط اليدوى فى أمستردام أم يهبط فى مطار بديل . كان قد فكر فى مناقشة الأمر مع نويل ؛ لكنه تخيل نظرتها التى تدل على الاحتقار .

كان برج المراقبة فى ميونخ قد اتصل بـ " لارى " عبر اللاسلكى : " الرحلة الخاصة ١٠٩ . هلا أخبرتنا بخطة طيرانك من فضلك ؟ " كان عليه اختيار الهبوط فى بروكسل أو كولونيا أو لوكسمبورج ، وكان عليه اتخاذ القرار سريعاً ، أو الذهاب لأمستردام مباشرة .

تردد نداء برج المراقبة عبر اللاسلكى مرة أخرى ، فقال لارى وهو يضغط على زر نقل الصوت : " من الرحلة الخاصة رقم ١٠٩ إلى برج المراقبة فى ميونيخ ، نحن فى طريقنا إلى أمستردام . " ثم لاحظ أن متكساس ينظر إليه فى دهشة .

قال متكساس : " ليتنى ضاعفت قيمة التأمين على حياتى ، هل تظن أننا سنهبط بسلام ؟ "

قال لارى : " فى الحقيقة لم أعد أهتم . "

صاح متكساس : " رائع ! إننى فى طائرة فى عنان السماء مع اثنين من المجانين ! "

انهمك لارى لمدة ساعة فى قيادة الطائرة ، وهو يستمع للنشرات الجوية ولا يعلق . كان يأمل أن يتحسن الجو ؛ لكنه لم يتحسن ، والضباب ظل كثيفاً ، وتم إغلاق المجال الجوى عدا لحالات الطوارئ .

اتصل لارى ببرج مراقبة مطار أمستردام ، وقال :

" من الرحلة رقم ١٠٩ الخاصة إلى برج المراقبة فى أمستردام ، نحن على بعد ٧٥ ميلاً جوياً من كولونيا ، والساعة ١٩ بالتوقيت الدولى " .

بعد ثوان سمع الصوت عبر الأثير : " من برج مراقبة مطار أمستردام إلى الرحلة الخاصة ١٠٩ . لقد أغلقنا مجالنا الجوى ، ونقترح أن تهبط فى كولونيا أو بروكسل " .

" من الرحلة ١٠٩ إلى برج المراقبة ، لا يمكننا ، فلدينا حالة طوارئ . "

التفت متكساس فى دهشة إلى لارى .

جاء الصوت لرجل آخر عبر السماعة : " إلى الرحلة ١٠٩ ، إننى مدير مطار أمستردام ، ما حالة الطوارئ لديكم ؟ لقد أغلقنا مجالنا الجوى ومجال الرؤية صفر . أكرر مجال الرؤية صفر " .

" لقد أوشك وقودنا على النفاد ، ولدىّ بالكاد ما يكفى للوصول إليكم . "

نظر متكساس لمقياس الوقود ، ووجد أن خزان الوقود ممتلئ حتى منتصفه فقال : " يا إلهى ! يوجد ما يكفى لكى نصل إلى الصين ! "

صمت الراديو ، ثم جاء الصوت فجأة : " من برج مراقبة مطار أمستردام إلى الرحلة الخاصة ١٠٩ ، اتضحت حالة الطوارئ لنا ، ونحن جاهزون لاستقبالكم " .

" أفرغ بعض الوقود يا بول " .

ازدرد بول متكساس ريقه ، وقال بصوت محبوس : " هل تقول لى أن أفرغ بعض الوقود ؟ "

" سمعتنى يا بول ، دع فقط ما يكفى لنصل إليهم . "

" لكن يا لارى ! "

" لا تعترض ! إذا وصلنا ووجدوا لدينا وقوداً فسيسحبون تصاريح القيادة منا عقاباً لنا . "

أومأ متكساس بأسى ، وضغط على ذراع التخلص من الوقود ، وهو يضع عينيه على عداد الوقود ، وبعد خمس دقائق كانت الطائرة قد دخلت مجال الضباب الكثيف المظلم الذى يشبه القطن الأبيض ، وكان المكان المضيء الوحيد هو كابينة القيادة . كان إحساساً رهيباً ومفزعاً ، لأن المرء فى هذه الحالة ينفصل عن الزمان والمكان وباقى العالم . آخر مرة تعرض لارى لموقف كهذا كان فى تدريب على الطيران بلا مخاطر ، ولكن هنا الآن الخطأ الواحد قد يكلفه حياته . تساءل ماذا حدث لـ " نويل " ، وتمنى أن تكون قد أصيبت بأزمة قلبية من الموقف .

اتصل برج المراقبة مرة أخرى : " من برج مراقبة إلى الرحلة ١٠٩ ، أعددنا لكم ممر هبوط حالات الطوارئ ، ونراكم على الرادار ، اتجه ثلاث درجات غرباً فى نفس خط الطول إلى إشعار آخر ، وإلى حين صدور تعليمات أخرى . بسرعتكم الحالية ستصلون لأرض المطار فى خلال ١٨ دقيقة " .

كان الصوت القادم عبر الأثير يبدو متوتراً للغاية ، وكان لارى يعتقد أنهم على حق ، وشعر بالكآبة ، لأنه لو حدث خطأ واحد فستغرق الطائرة فى البحر ؛ لكن لارى اتبع التعليمات ، وحاول التركيز فقط فى الصوت القادم عبر الأثير ؛ لكى ينجو من هذا المأزق لأنه هو المخرج الوحيد . كان يقود الطائرة ، وكأنها جزء منه ، كان يقودها بعقله وروحه وقلبه . لم يكن على وعى بـ " متكساس " الجالس بجواره والعرق يتصبب منه وكان يأمر بالتحقق من آليات الطائرة بصوت منخفض ينم عن القلق البالغ ، لكن إنْ نجا من هذا الموقف فسيعود الفضل لـ " لارى دوجلاس " . لم ير لارى ضباباً كهذا فى حياته ؛ كان كالشبح الخفى يحيط به من كل جانب ، ويعميه ويغويه لكى يرتكب خطأ واحداً ليلقى حتفه . فلقد كان ينطلق بسرعة ٢٥٠ ميلاً جوياً فى الساعة ، ولم يكن يرى أمامه سوى الضباب . الطيارون يكرهون الضباب ، ويعرفون القاعدة الأولى : اصعد بالطائرة فوق الضباب ، أو

اهبط تحته ، فالمهم أن تخرج منه ! لكن لا مهرب منه الآن ، فهو محبوس فى موقف لا فرار منه ، بسبب نزوات عشيقة مدللة . كان تحت رحمة الأجهزة التى قد تخطئ ، والرجال فى المطار المعرضون للخطأ بدورهم . جاء الصوت عبر الأثير مرة أخرى ، وكان ينم عن توتر شديد هذه المرة :

" من برج المراقبة فى أمستردام إلى الرحلة ١٠٩ . أنتم على وشك الهبوط ، اخفض جناح الطائرة ، لقد هبطتم وتقتربون الآن بمقدار ٢٠٠٠ قدم .... ١٥٠٠ قدم ..... ألف قدم ... " .

لم يكن هناك أى أثر للمطار بالأسفل ، وكأنهم فى منتصف العدم . شعر لارى بالأرض تقترب من الطائرة .

جاء الصوت عبر الأثير : " قلل سرعة الطائرة إلى ١٢٠ ميلاً ... أنزل عجلات الهبوط ... أنت على مسافة ٦٠٠ قدم ... السرعة ١٠٠ ميل .. أنت على مسافة ٤٠٠ قدم ... " ولا أثر للمطار تماماً ، وزادت كثافة الضباب الآن .

تصبب العرق الغزير من جبهة متكساس ، وقال فى همس : " أين نحن بحق الجحيم ؟ "

ألقى لارى نظرة سريعة على مقياس خطوط الطول ودوائر العرض ، وكانت الإبرة تشير إلى ٣٠٠ قدم ، والأرض تقترب منهم بسرعة ١٠٠ ميل فى الساعة ، ولكن العداد يشير إلى أنهم على مسافة ١٥٠ قدماً . ثمة شىء ما قد حدث خطأ ؛ كان يجب أن يرى أنوار الممر فى المطار الآن . أخذ يحدق ليرى أمام الطائرة ، لكنه لم ير سوى الضباب الغادر عبر زجاج الطائرة يكاد يعمى الأبصار .

قال متكساس بصوت أجش : " لقد هبطنا بمقدار ٦٠ قدماً . " ولم يشاهد أى أثر للمطار .

" ٤٠ قدماً "

وكان تحت الطائرة ظلام دامس .

" ٢٠ قدماً . "

ليس هناك فائدة ، ففى غضون ثوان سيجتازون حاجز الأمان ، وتصطدم الطائرة وتتحطم ، وعلى لارى اتخاذ القرار فى التو .

قال لارى : " سأرفع الطائرة إلى أعلى وأطبق على عجلة القيادة ، ورفعها لأعلى ، وفى نفس اللحظة وجد أسهماً مضاءة فى صف ، تشير للممر الخاص بالهبوط ، وبعد ١٠ ثوان كانوا يهبطون على ممر مطار أمستردام فى سلام .

عندما توقفت الطائرة تماماً أوقف لارى المحركات بأصابع متجمدة من فرط التوتر ، وجلس بلا حراك لفترة طويلة . وفى النهاية قام ، ووجد ركبتيه ترتعشان ، ثم نظر إلى متكساس الذى ابتسم ابتسامة واسعة .

أومأ لارى برأسه ، وقال : " لقد نجونا " ، ثم استدار وذهب إلى حيث تجلس نويل ، وكانت مازالت تقلب بهدوء فى صفحات المجلة .

حدق لارى إليها وهو يتألم ؛ لأنه يكظم غيظه ، حيث أراد الصراخ فى وجهها ، وتمنى لو أنه يستطيع أن يغيظها . لابد أن نويل أدركت أنهم اقتربوا من الموت فى اللحظات الماضية لكنها بدت هادئة وغير مضطربة وفى قمة الاتزان .

قال لارى : " لقد وصلنا أمستردام . "

سارت السيارة بـ " لارى " ونويل عبر شوارع أمستردام فى صمت رهيب . جلست نويل فى المقعد الخلفى ، ولارى بجوار السائق . ظل متكساس مع الطائرة فى المطار لفحصها وملئها بالوقود .

وصلت السيارة للفندق ، وقالت نويل لـ " لارى " عندما وصلا للبهو : " ستحضر إلى هنا لتوصيلى للمطار فى العاشرة مساء بالضبط " ثم استدارت وسارت باتجاه المصعد ، والمدير يسرع بالانحناء لها ،

ويعرض خدماته وهو يهرع خلفها . قاد حامل الحقائب لارى لحجرة غير مريحة خلف الفندق فى الدور الأرضى ، وكانت بجوار المطبخ وعبر حائطها سمع لارى صوت قرع الأطباق ، وشم روائح الطهى والبخار .

قال لارى وهو ينظر لحال الحجرة الحقيرة الصغيرة : " إنها لا تصلح لمبيت حيوان أليف . "

" إننى آسف ، لقد أمرت السيدة نويل بحجز أرخص حجرة لدينا من أجلك . "

قال لارى لنفسه : " حسناً سأجد طريقة لإنزال العقاب بها . ديميريس ليس الوحيد فى العالم الذى يمتلك طائرات خاصة وطياراً خاصاً . سأبحث عن عمل لدى شخص آخر غداً ، فلقد قابلت العديد من أصدقائه الأثرياء " . لكنه فكر لبرهة ، وقال لنفسه : " لكن إذا فصلنى ديميريس فلن يعيننى أحد أو يثق فى ، لابد أن أستمر معه " . هم بالاستحمام ، لكنه قال : " ولماذا العناء ؟ أتمنى أن تصبح رائحتى كالحيوان القذر لكى تشعر هى بالتقزز . " ثم ذهب للبار واحتسى الخمور حتى ثمل . مر الوقت ولم ينتبه إلا الساعة العاشرة والربع . تذكر لارى أنها أمرته بانتظارها الساعة العاشرة تماماً . فزع لارى فجأة وترك الحساب الخاص بالمشروبات ، وهرع إلى المصعد . كانت نويل فى الجناح الإمبراطورى فى الطابق الخامس . جرى عبر الممر ، ولعن نفسه ؛ لأنه سمح لها بكل هذه التجاوزات معه . طرق باب جناحها ، وكان يختلق فى ذهنه أعذاراً للتأخر . لم يجب أحد فاضطر لارى لإدارة مقبض الباب ، ووجده مفتوحاً ، فدخل إلى غرفة المعيشة الفخمة ذات الأثاث الراقى ، ووقف للحظة وتردد . ثم قال صائحاً : " يا آنسة باج " لكنه لم يتلق أى رد . كانت تلك خطتها .

ظن لارى أنها ستقول لـ " ديميريس " :

" آسفة يا عزيزى كوستا ، لكنى حذرتك أنه لا يطاق فلقد طلبت منه أن يوافينى فى العاشرة تماماً ؛ لكنه جلس يسكر فى البار ، واضطررت للرحيل بدونه " .

لكنه سمع صوتاً من الحمام ، وكان الباب مفتوحاً فدخل ، ووجد نويل تخرج من البانيو عارية تماماً فهم بالاعتذار ؛ لكنها قالت دون اكتراث : " ناولنى الفوطة " وكأنه كان خادمها . كان لارى سيتحمل غضبها أو ثورتها ؛ لكن عدم الاكتراث والغرور جعله على حافة الانفجار .

حملها كالمجنون ، وقرر الانتقام ، ولم يتمكن من أن يمنع نفسه حتى لو كلفه الأمر وظيفته ، فقد كان يكتم الغضب منذ شهور ، ويتحمل إهاناتها له ، والآن هو مستعد للمغامرة بحياته لكى يقتص منها . إذا صرخت نويل كان سيفقدها الوعى بضربة واحدة ، لكنها رأت نظرة شرسة على وجهه ، ولم تنبس ببنت شفة عندما حملها إلى الفراش .

كان ضميره يحاول صارخاً إيقافه ؛ لكى يعتذر لأنه ثمل وينقذ نفسه قبل فوات الأوان . لكن فات أوان التراجع بالفعل ، وألقاها على الفراش بعنف وخلع ملابسه ورفض الاستماع لصوت العقل الذى يقول إن عقاب ديميريس له لن يكون مجرد الفصل فقد يقتله ، فلقد عمل معه ، وعرف طباعه ، ومع ذلك لم يتوقف . احتضنته بشدة وقالت : " مرحباً بعودتك " . لم يفهم تلك العبارة ، وظن أنها مجنونة أو تخلط بينه وبين شخص آخر ؛ لكنه سرعان ما نسى كل شىء ، وركز على لحظة اللقاء الحميم ، وشعر أن كل شىء سيكون على ما يرام .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٦

أصبح الزمن عدواً لـ " كاثرين " بشكل يصعب تفسيره ، ولم تكن على وعى به فى البداية ، لكن عندما تأملت الماضى لم تتذكر اللحظة التى أصبح فيها الزمن ضدها . لم تدر متى اختفى حب لارى ، وما سبب وكيفية ذلك ، لكنه فجأة اختفى فى غياهب الزمن ، وما تبقى منه هو عبارة عن صدى أجوف بارد . جلست وحيدة فى الشقة يومًا بعد يوم تحاول التفكير فيما حدث ، وهل ثمة خطأ ما حدث أم لا ، لكنها لم تتوصل لشىء محدد ، ولم يجل بخاطرها أية لحظة تقول : " هنا متى توقف لارى عن حبى ؟ " ربما بدأ الأمر بعد عودته من رحلة سفارى فى أفريقيا مع ديميريس . لقد افتقدت لارى بصورة لا توصف ، وقالت لنفسها : " إنه بعيد عنى لمعظم الوقت ، كما كان وقت الحرب ، ولكن هذه المرة لا يوجد عدو " .

لكنها كانت مخطئة ، فقد كان يوجد عدو .

قال لارى لها فى أحد الأيام : " لم أطلعك بعد على الأخبار السارة ، لقد زاد مرتبى ، وصار ٧٠٠ دولار شهرياً ، ما رأيك ؟ "

قالت له : " هذا رائع ، سنعود للوطن أسرع " ثم وجدت وجهه يمتقع فى غضب ، فقالت : " ما الأمر ؟ "

فقال لها بوقاحة : " هنا الوطن ! "

حدقت إليه ولم تفهمه : " حسناً ، فهذا حقيقى فى الوقت الراهن . " ثم قالت بضعف : " لكنى أعنى أنك لن تعيش هنا للأبد . "

قال لها بوقاحة : " الأمور هنا جيدة للغاية ، فكأننا نعيش فى منتجع سياحى . "

" لكنه ليس كالعيش فى أمريكا . أليس كذلك ؟ "

" اللعنة على أمريكا ! خاطرت بحياتى لأربع سنوات ، وما الذى حصلت عليه ؟ حفنة ميداليات حقيرة ، ولم يمنحونى وظيفة بعد الحرب " .

" ليس صحيحاً بل إنك .... "

" أنا ماذا ؟! "

لم تكن ترغب فى افتعال مشاجرة ، وخاصة فى أول ليلة له هنا بعد سفر لأسابيع طويلة فقالت : " لا شىء يا عزيزى ، فأنت متعب ، هيا بنا نأوى للفراش مبكراً . "

" لا داعى " . ثم أخذ يحتسى الشراب ، وقال لها : " سنذهب للملهى الليلى مع بول متكساس ، وبعض الأصدقاء " حدقت إليه كاثرين وقالت بصوت حاولت الحفاظ على ثباته : " لارى ، لم أرك منذ قرابة شهر ، ولم نحصل على فرصة لنجلس معاً ونتحدث . "

" لا يمكننى ترك عملى ومتطلباته "

ثم أردف قائلاً : " أتظنين أننى لا أحب قضاء الوقت معك ؟ "

قالت وهى تهز رأسها بالنفى : " لا أعرف ، سأسأل العرافة ؟ "

احتضنها وابتسم ابتسامته الطفولية المعهودة ، وقال : " اللعنة على متكساس والآخرين ، سنبقى هنا معاً الليلة . "

نظرت إليه فى وجهه ، وأحست أنها بالغت فى شكواها ، فبالطبع متطلبات عمله تأخذه بعيداً عنها ، وبالتالى فمن الطبيعى أن يرغب فى رؤية الآخرين والخروج معهم ، فقالت : " سنخرج إن أردت أنت ذلك يا عزيزى . "

قال لها : " بل سنظل معاً . "

ولم يغادرا المنزل لمدة يومين ، بل ظلت كاثرين تطهو أحياناً ، ثم يجلسان أمام نار المدفأة يتحدثان ويلعبان ويقرآن .

وفى إحدى الليالى الدافئة ظلت تتأمله وتقول لنفسها كم هى محظوظة بزوج مثله ! وابتسمت ، لكنه قال : " حاولى شغل نفسك الأسبوع التالى بمواعيد كثيرة ، لكيلا نضطر للبقاء معاً لهذه المدة الطويلة معاً بلا شىء مهم نفعله " . ثم ذهب وترك كاثرين والابتسامة متجمدة على وجهها .

ربما بدأت المشاكل بسبب المضيفة الحسناء اليونانية هيلينا ، ففى أحد أيام الصيف خرجت كاثرين للتسوق ، وكان لارى خارج المدينة ، وكانت تتوقع وصوله غداً ، فقررت أن تفاجئه بطهو أصنافه المفضلة ، وعندما كانت تغادر البقالة وذراعاها محملتان بالمشتريات مر بجوارها تاكسى ولمحت لارى ، وفى أحضانه فتاة ترتدى زى المضيفات فى الطائرات ، وفى تلك اللمحة رأتهما يضحكان ، ثم اختفى التاكسى فى الشارع المجاور .

وقفت كاثرين كالتمثال ، ولم تنتبه إلى أن المشتريات وقعت من يديها اللتين ارتعشتا إلا بعد أن نبهها فتى صغير مار بالشارع . ساعدها الناس على لملمة المشتريات ، ثم سارت بخطى متثاقلة على غير هدى إلى المنزل ، وقد شل عقلها عن التفكير . حاولت أن تقول لنفسها إن من رأته ليس لارى ، بل شخصاً يشبهه ، لكنه ليس له مثيل فى العالم ، بل هو فريد من نوعه . وهذا الجمال ملك لها وحدها ؛ لكنها شاهدته مع امرأة سمراء فى التاكسى ، فهل لديه عشيقات أخريات ؟!

ظلت ساهرة طوال الليل فى انتظار لارى . وعندما لم يأت قررت عدم قبول أعذاره على الرغم من أن ذلك سيدمر زواجها ، ولن تقبل أعذار نفسها التى تحاول بها التحقير من الأمر ، فهو كاذب وغشاش ومخادع ، وستطلب منه الطلاق .

لم يعد لارى قبل عصر اليوم التالى .

ثم قال لها بمرح ، وهو يدخل للمنزل : " هاى ، كاثى ! " ثم وضع حقيبته على الأرض ، ونظر لوجهها وقال : " ما الخطب ؟ "

قالت له بجفاء : " متى نزلت للمدينة ؟ "

قال له ويبدو عليه الحيرة : " منذ ساعة ، لماذا ؟ "

" رأيتك أمس مع فتاة فى التاكسى " ثم قالت لنفسها : " تلك الكلمات البسيطة ستنهى زواجى السعيد ، وهو سينكر فعله ، وسأقول إنه كاذب ، وسأهجره ، ولن يرانى ثانية " .

كان لارى واقفاً يحدق إليها .

قالت له : " هيا ، أخبرنى أنه لم يكن أنت من رأيت . "

قال لها وهو يومئ برأسه : " بالطبع كنت أنا من رأيته . "

شعرت كاثرين بألم حاد مفاجئ فى معدتها ، وأدركت أنها كانت تريده أن ينفى ما حدث .

قال لها : " ما الذى كنت تفكرين فيه ؟ "

بدأت تقول بصوت متهدج من الغضب : " إننى ... "

رفع يده وقال : " لا تقولى ما قد تندمين عليه . "

حملقت فيه بذهول : " أندم عليه ؟! "

" ذهبت لأثينا بالأمس لمدة ربع ساعة لتوصيل المضيفة هيلينا ميرليس إلى جزيرة كريت من أجل ديميريس ؛ لأنها تعمل لديه كمضيفة . "

قالت له : " لكن ... " ثم قالت لنفسها : " هل يقول الحقيقة أم أنه واسع الحيلة ، ويختلق الأعذار ببراعة " ، ثم قالت له : " لماذا لم تتصل بى ؟ "

قال لها بغضب : " فعلت ذلك ولم يرد أحد ، كنتِ بالخارج . أليس كذلك ؟ "

ازدردت ريقها وقالت : " كنت أتسوق لعشائك . "

قال لها : " لست جائعاً ، الشجار يفقدنى شهيتى " ثم استدار ، وغادر الشقة وتركها واقفة ، وكانت رافعة يدها وكأنها تستعطفه فى صمت لكى يعود .

* * *

توقعت كاثرين عودته على العشاء ، لكنه لم يأت أو يتصل هاتفياً ، كل ليلة كان يعود فى وقت متأخر ، وينام بدون عشاء فتغتاظ قليلاً .

لم تعد تخفى على نفسها حقيقة أنه يخونها مع الكثير من العشيقات منذ أن تزوجها ، حيث كانت تكتشف آثار أحمر الشفاه على ملابسه ، وهى تتأهب لغسلها .

فكرت فى لارى وهو فى أحضان الأخريات ، وشعرت بالرغبة فى قتله !

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٧

مثلما أصبح الزمن عدواً لـ " كاثرين " أصبح صديقاً لـ " لارى " . ما حدث فى أمستردام معجزة بكل المقاييس ، فلقد كان يواجه كارثة انقلبت لصالحه ، وحلت جميع مشاكله . قال لنفسه : " إنه حظ كل من ينتمى لعائلة دوجلاس " وشعر بالرضا .

لكنه كان يعلم أن الأمر أكثر من مجرد حظ ، كانت بداخله غريزة غامضة متوحشة تجعله يتحدى الأقدار ، ويتعرض للموت والدمار ، ويواجه الحظ فى لعبة خطرة على رهان الحياة والموت .

تذكر لارى عندما كان فى الحرب ، وهاجمته ثلاث طائرات يابانية ، وأخذ يناورها حتى دمر واحدة ، وجعل الأخريان تصطدمان ببعضهما بالحيلة والدهاء فى المناورة الجوية . كانت من أسعد لحظات حياته حيث كان يسخر من الموت ، ويتلاعب بمسألة الحياة والموت . وظل يتذكر هذه الذكريات فى ذهنه كثيراً ، وتذكرها بعد أن حدث ما حدث مع نويل فى أمستردام .

لقد تبادلا الحب بشكل عنيف وحميم وجامح ، ثم استلقت بين ذراعيه ، وتذكرت أيامها معه فى باريس قبل الحرب ، ثم تذكر هو متى رآها لأول مرة ، حيث كان قد أقام علاقات فى باريس ، ولم يكن بوسعه أن يتذكرها ، فهى كانت مجرد ذكرى عابرة لنزوة من نزوات الماضى .

قال لارى بعد أن تعرف عليها وتذكرها إنهما محظوظان ، لأنهما تقابلا مرة أخرى بعد مرور كل هذه السنوات .

قالت نويل : " أنت ملكى الآن . "

كانت نبرة صوتها بها شىء جعله لا يرتاح لها ، لكنه قال لنفسه : " ما الذى سأخسره من تلك العلاقة ؟ "

عندما تكون نويل تحت سيطرته سيظل مع ديميريس إلى الأبد إن أراد ذلك .

كانت تتفرس فى وجهه ، وكانت هناك نظرة غريبة فى عينيها لم يفهمها لارى .

لكن كل شىء كان يبدو له على ما يرام .

فى رحلة العودة من المغرب قضى لارى الليلة عند منزل هيلينا بعد أن تناول معها العشاء ، وفى الصباح عاد للمطار لتفقد الطائرة ، وتناول الغداء مع متكساس الذى قال له : " يبدو كأنك تستحوذ على كل النساء بحظك الرائع ، لماذا لا تعيرنى واحدة ؟ "

ابتسم لارى : " يا صغيرى أنا خبير ، ولن تصبح مثلى أبداً . "

وبعد تناول الغداء عاد للمدينة لاصطحاب هيلينا للمطار ، حيث ستكون المضيفة فى طائرته .

طرق باب شقتها ، وبعد وقت طويل فتحت الباب ، وبالكاد تعرف عليها حيث كان جسمها ووجهه مليئين بالجروح ، وكانت عيناها غائرتين فى ألم ، وبدت وكأنها تلقت ضرباً مبرحاً .

قال لارى : " يا إلهى ! ماذا حدث ؟! "

فتحت فمها للتحدث بصعوبة ، ولاحظ لارى فقدان ثلاث أسنان من فمها : " جاءنى رجلان منذ أن غادرت أنت . "

قال لها فزعاً : " هل أبلغت الشرطة ؟ "

" قالا سيقتلاننى إذا أخبرت أى شخص ، وكانا جادين يا لارى " ثم اهتزت وشعرت بالدوار ، وسندت على الباب لحفظ توازنها .

" هل سرقا ممتلكاتك ؟ "

" كلا بل اعتديا علىَّ وضربانى . "

" ارتدى ملابسك . سأذهب بك للمستشفى . "

" لا يمكننى الخروج ، ووجهى بهذا الشكل المشوه . "

كانت بالطبع على حق ، فاتصل لارى بطبيب صديق له ، لكى يحضر حالاً .

وقال لـ " هيلينا " : " آسف لن أتمكن من البقاء معك ، فعلى توصيل ديميريس خلال نصف ساعة . أراك عند عودتى . "

لكنه لم يرها أبداً بعد ذلك ، فعندما عاد لشقتها بعد يومين وجدها رحلت وأخبرته صاحبة العقار أنها تركت المكان ، ولم تدع عنوانها . حتى الآن لم يشك لارى فى أى شىء . لكن بعد بضع ليال أثناء لقاءاته مع نويل توصل لسبب ما حدث . كان يقول لنويل :

" أنت رائعة ومبهرة ، لم أقابل من هى مثلك قط . "

قالت له : " هل أشبع كل رغباتك ، وأعطيك ما تريد ؟ "

قال : " نعم بالطبع . "

فقالت بعد برهة : " إذن لا تتبادل الحب مع نساء أخريات ، والمرة القادمة سأقتلها إذا اقتربت منها . "

تذكر لارى كلماتها جيداً : " أنت ملكى " . وأصبح لتلك الكلمات معنى ينذر بالسوء ، لأول مرة يراوده هاجس بأن تلك العلاقة ليست عابرة ، ويمكنه إنهاؤها فى أى وقت إن أراد ذلك . لقد لمس المركز

البارد الميت الأسود داخل نويل ، وارتعد خوفاً . حاول أن يتحدث فى موضوع هيلينا عدة مرات طوال الليل ، لكنه خاف من رد فعل نويل التى يبدو أنها تستطيع القتل بدون تردد ...

على الإفطار في صباح اليوم التالى تفرس لارى فى وجه نويل دون أن تلاحظه ، بحثاً عن آثار القسوة أو السادية ، لكن كل ما رآه كان وجهاً جميلاً لامرأة جميلة تخبره بالنوادر والطرائف للترويح عنه ، وتلبى كل رغباته ، وتتوقعها قبل أن يتفوه بها . قال لارى لنفسه : " لابد أننى مخطئ " . لكنه حرص على عدم مواعدة أية فتاة أخرى ، وبعد أسابيع فقد رغبته فى كل النساء ، لأنه افتتن بـ " نويل " وشغفها حباً ، ولم يكن يرغب فى سواها .

منذ البداية حذرته لكى يخفي العلاقة عن ديميريس وحذرته قائلة : " لا يجب أن نثير شكه فينا أبداً " .

قال لها : " لماذا لا نؤجر شقة ، أعرف مكاناً مناسباً لـ ... " هزت رأسها بالنفى : " ليس فى أثينا ، فقد يتعرف علىّ أحد ، دعنى أفكر فى الأمر . "

بعد يومين أرسل ديميريس فى طلب لارى الذى توجس خيفة فى البداية وتساءل ما إذا كان قد علم بعلاقته مع نويل ، لكن ديميريس ألقى عليه التحية بمرح وناقشه فى طائرة جديدة كان بصدد شرائها .

قال ديميريس : " أريدك أن تفحصها ، فهى من طراز ميتشل بومر "

استنار وجه لارى وقال : " إنها رائعة لحجمها ووزنها ، وستكون أكثر الطائرات راحة لك فى السفر "

" كم راكباً يمكنها أن تتحمل ؟ "

" تسعة ركاب بوسائل الترفيه و٣ طيارين : الطيار ومهندس الملاحة ومساعد الطيار " .

" يبدو الأمر مثيراً ، هلا فحصتها من أجلى ، وتقدم لى تقريراً عنها ؟ "

قال لارى مبتسماً : " على الفور "

قام ديميريس وقال : " بالمناسبة أريدك أن تطير بـ " نويل " إلى برلين اليوم " .

قال لارى : " حاضر يا سيدى . " ثم أضاف وبراءة الأطفال فى عينيه : " هل رضيت عنى السيدة نويل باج ؟ "

نظر إليه ديميريس : " كلا ، بل فى الواقع اشتكت لى من وقاحتك صباح اليوم . "

حدق إليه لارى فى دهشة ، ثم أدرك مقصد نويل فجأة ، وقال بنبرة جادة : " إننى أحاول إرضاءها ، وسأحاول أكثر . "

أومأ ديميريس : " افعل ذلك ، فأنت أفضل طيار لدىّ يا دوجلاس ومن العار أن ... " لم يكمل العبارة لكن الرسالة كانت واضحة .

فى الطريق لمنزله لعن نفسه لأنه بطئ الفهم ، وتذكر أن نويل ذكية جدًا ، وأدركت أن أى تغيير فى اتجاهها نحوه أمام ديميريس سيثير الشك ، وتلك العلاقة التى تبدو فاترة تغطى وتموه علاقتهما الحميمة ، لأن ديميريس سيحاول أن يجعلهما معاً لكى يتصالحا ويكونا على وفاق . ضحك لارى عندما فكر فى ذلك ، وشعر بمدى روعة أن يمتلك ما يمتلكه ديميريس أقوى رجل فى العالم .

فى الرحلة إلى برلين سلم لارى دفة القيادة لـ " متكساس " وأخبره أنه سيذهب للتحدث إلى نويل .

قال متكساس : " ألا تخاف من أن تغيظك وتثير حنقك ؟ "

كان لارى على وشك التفاخر أمامه ، لكنه طرد تلك الرغبة بعيداً عن ذهنه ، وقال : " إنها حقيرة لكن يجب أن أستميلها ، وأحوز رضاها من أجل ديميريس ، لكيلا يفصلنى . "

قال له متكساس بلهجة جادة : " حظاً سعيداً . "

قال لارى : " شكراً لك . "

أغلق لارى باب كابينة القيادة جيداً ، وسار إلى مكان نويل فى نهاية الطائرة ، وكان يهم بالجلوس بجوارها ، لكنها قالت بصوت هادئ : " احترس ، فكل من يعمل لدى ديميريس يقول له كل شىء فى التقارير . "

نظر لارى للمضيفات وتذكر هيلينا .

قالت نويل : " وجدت مكاناً لنا . " وكان صوتها مفعماً بالإثارة .

" شقة ؟ "

" بل فيلا ، هل تعرف أين قرية رافينا ؟ "

" كلا . "

" إنها قرية صغيرة تطل على البحر على مسافة ١٠٠ كم من أثينا ، وبها فيلا معزولة بعيداً عن العيون . "

" قمت باستئجارها باسم من ؟ "

" بل اشتريتها باسم شخص آخر . "

تعجب لارى لأنها اشترت فيلا خصيصاً لنزواتها معه كل فترة ، ثم قال : " رائع . لا أطيق الانتظار حتى أراها . "

حملقت إلى وجهه ، وقالت : " هل ستكون مشكلة إذا هربت من كاثرين . "

نظر لارى إليها فى دهشة ، فهذه أول مرة تذكر فيها زوجته . بالطبع لم يخف زواجه ، لكن من الغريب أن تستخدم نويل اسم زوجته . لابد أنها تحرت عنه تحريات دقيقة . كانت منتظرة الرد فقال لها : " كلا فأنا أذهب إليها ، وأغيب عنها كما أريد . "

أومأت نويل برأسها ، وشعرت بالرضا ، وقالت : " رائع . ديميريس سيذهب فى رحلة عمل لمدة عشرة أيام ، وأخبرته أننى لن أذهب معه ، ولدينا كل هذه الأيام . اذهب الآن لكيلا تثير الشكوك . "

استدار عائداً إلى كابينة القيادة .

قال له متكساس : " كيف مر الأمر ؟ هل رضيت عنك قليلاً ؟ "

" ليس بعد ، سيستغرق الأمر وقتاً . "

على الرغم من أن لارى يمتلك سيارة ، إلا أن نويل أصرت على أن يقوم باستئجار سيارة من أثينا ، وذهبت هى للفيلا فى رافينا بمفردها ، وكان على لارى الذهاب فى أثرها لاحقاً . كانت الجولة ممتعة على طريق متعرج ملىء بالأتربة فوق مستوى سطح البحر . كان المكان على بعد ساعة والنصف من أثينا ، ووجد لارى أن القرية ساحرة على شاطئ البحر . لقد أعطته نويل تعليمات واضحة حتى لا يتوقف ويسأل عن الطريق . وصل لضواحى القرية ، ومر بفيلات كثيرة محاطة بأسوار حجرية ، لكن فى نهاية الطريق ظهرت فيلا فخمة مبنية على صخرة تطل على البحر .

توقف لارى عند البوابة ، ودق الجرس ، وبعد لحظات فتحت البوابة الكهربائية وقاد السيارة إلى الداخل ، وأُغلق الباب من ورائه . وجد نفسه فى حديقة كبيرة تتوسطها نافورة ، ومليئة بالزهور من كل لون . كانت الفيلا مألوفة مثل فيلات البحر المتوسط ، منيعة كالحصن . انفتح الباب الأمامى ، وظهرت نويل فى فستان قطنى أبيض ، ووقفا وابتسما لبعضهما البعض ، ثم احتضنها .

قالت له بحماس ، وهى تقوده للداخل : " هيا لكى تشاهد فيلتك الجديدة . "

كانت الفيلا واسعة جدًّا من الداخل ، وكانت غرفها الفسيحة بها أسقف كالقباب ، وبالأسفل قاعة ضخمة هى غرفة المعيشة ومكتبة ، وحجرة السفرة الرسمية ، ومطبخ فخم على الطراز القديم ، به طاولة مستديرة للطهى ، وكانت هناك غرف نوم كثيرة فى الطابق العلوى .

قال لارى : " وأين الخدم ؟ "

قالت له : " أنا . "

نظر إليها فى دهشة : " هل ستقومين بالطهى والتنظيف ؟ "

قالت وهى تومئ برأسها : " سيأتى اثنان من الخدم للتنظيف بعد رحيلنا ، لكن لن يريانا أو يعرفانا ، فلقد أعددت الأمر مع الوكالة الخاصة بالخدم " .

ابتسم لارى بسخرية

قالت نويل بلهجة تحذيرية : " لا تخطئ أبداً ، وتقلل من شأن ديميريس ، لأنه إذا عرف كل شىء سيقتلنا . "

ابتسم وقال : " أنت تبالغين فى الأمر ، فهو لن يروق له الأمر ولكن ... "

نظرت إليه مباشرة ، وقالت : " سيقتلنا " وكان نبرة صوتها تخيفه .

" أنت جادة ولا تمزحين ، أليس كذلك ؟ "

" لم أكن جادة فى حياتى مثل هذه اللحظة ، فهو لا يرحم . "

قال لها معترضاً : " لكن عندما قلت إنه سيقتلنا .. "

قالت له بهدوء : " إنه لن يستخدم الرصاص ، بل سيجد طريقة معقدة عبقرية ؛ لكى يفعلها ويفلت دون عقاب . "

ثم قالت بلهجة مرحة : " لكنه لن يعرف يا حبيبى ، دعنى أريك حجرة النوم " . سحبته من يده إلى الطابق العلوى عبر السلم ، وقالت : " لدينا حجرات نوم للضيوف . " ثم ابتسمت ، وأردفت قائلة : " يمكننا تجربة كل الحجرات . " ثم اصطحبته لكبرى حجرات النوم ، وهى عبارة عن جناح كامل يطل على البحر ، ورأى لارى من النافذة بلكونة كبيرة ، وممراً صغيراً وقصيراً يؤدى من الحديقة للساحل ، وهناك رصيف مرسى على الساحل ، وقارب شراعى كبير ولانش مربوطان فى المرسى .

قال لها : " من يملك تلك القوارب ؟ "

قالت له : " أنت ، إنها هديتك بمناسبة وصولك لمنزلك . "

استدار إليها ، فانبهر بجمالها ، وقرأ الكثير فى عينيها ، ثم قضيا الليلة بأكملها فى سعادة بالغة .

مرت الأيام العشرة سريعاً ، وكانت نويل نشيطة للغاية لا تكل ولا تمل ، وكأنها دستة من الخادمات ، وتلبى كل رغباته قبل أن يتفوه بها ، أو يعلم أنه يحتاجها . وجد فى المكتبة كماً كبيراً من الكتب والشرائط المفضلة له ، وكانت نويل تطهو أطباقه المفضلة بشكل ممتاز ، وتبحر معه فى القوارب ، وتسبح معه فى البحر الدافئ ، وتقوم بعمل تدليك له ليلاً حتى ينام . كانا إلى حد ما مسجونين معاً ، ولم يجرؤا على رؤية أحد . كل يوم كان يكتشف أبعاداً جديدة فى نويل ، كانت تسليه وترفه عنه بحكايات مسلية ومدهشة عن المشاهير الذين تعاملت معهم . عندما حاولت مناقشته فى الاقتصاد والسياسة وجدت أنه لا يهتم بهما .

كانا يلعبان ألعاب الورق والطاولة ، وكان لارى يغضب كثيراً ؛ لأنها كانت تهزمه دائماً ، كما أنها علمته لعبة الشطرنج ، ولم يهزمها فيها أبداً . ذهبا فى نزهة خلوية ذات يوم ، واستمتعا بالغداء اللذيذ على الشاطئ تحت الشمس . أثناء تناولهما الطعام شاهدت نويل رجلين على مسافة بعيدة قادمين فى اتجاههما ، فقامت مسرعة وقالت له : " لندخل " . رأى لارى الرجلين وقال : " لا تتسرعى ، ربما كانا قرويين يتنزهان " .

قالت له بلهجة الآمر : " تحرك الآن . "

قال على مضض : " حسناً " وانزعج من الموقف ومن نبرة صوتها .

" ساعدنى على جمع الأغراض . "

" لماذا لا نتركها ؟ "

" لأن هذا سلوك يثير الشك . "

وضعا كل شيء بسرعة في السلة وأسرعا إلى المنزل ، وظل لارى صامتاً باقى النهار ، وجلس في المكتبة ، وذهنه مشغول بالتفكير ، ونويل ظلت مشغولة في المطبخ .

لاحقا قبيل الغروب جاءته عند المكتبة ، وجلست بجوار قدميه ، وبمقدرتها الخفية قرأت ما يدور في خاطره ، وقالت : " كف عن التفكير فيما حدث اليوم . "

قال لها بحدة : " كانا مجرد فلاحين ، أنا أكره التسلل كاللصوص وكأنني مجرد ... " ثم قال لها بنبرة هادئة : " لا أريد إخفاء الأمر بعد الآن عن الناس ، إنني أحبك . "

علمت نويل أنه يقولها بصدق هذه المرة ، وفكرت في السنوات التي خططت فيها لتدميره ، والمتعة المتوحشة في تخيل تدميره : لكن الآن في اللحظة التي رأت فيها لارى شعرت بإحساس أعمق وأقوى من المقت والكراهية مازال ينبض بداخلها . عندما دفعته على حافة الموت في الطائرة ، وأجبرته على المجازفة لإنقاذ حياته وحياتها في الرحلة البشعة لأمستردام كانت كأنها تختبر حبه أمام تحدى قوى الأقدار . كانت بقلبها وعقلها مع لارى في كابينة القيادة وتعانى معه ، وتعلم أنها لو لاقت حتفها فسيموتان معاً ، وإذا أنقذها فسوف ينقذهما معًا . في أمستردام تحول كرهها إلى حب مزج بين جسديهما ، وأصبحا خارج نطاق الزمان والمكان ، ثم عادت إلى ذكرياتها الأولى معه في باريس عندما قال لها : " هيا بنا نتزوج ، سنجد رجل دين في الريف يزوجنا " ، ثم تلاشى الماضي في الحاضر ، وخرجا من نطاق الزمن ، وتطهرت من غياهب المقت والكراهية إلى أعالى قمم الحب والعشق . إذا دمرته الآن فكأنها تدمر نفسها ، فلقد سلمت روحها له منذ سنوات ، ولا شيء سيغير ذلك .

بدا لـ " نويل " أن كل ما حققته كان مبنيا على الكراهية . خيانة والدها لها شكلتها ، وجعلتها صعبة المراس وقاسية ، وملأتها بشهوة

الانتقام التي لن يتم إشباعها سوى بمملكة تكون لها وحدها ، وأن تكون قوية جداً بحيث لا يخونها أحد ، أو يجرحها أحد بعد الآن . ولقد حققت ذلك بالفعل . والآن هي مستعدة للتنازل عن كل شيء من أجل الرجل الذي عشقته ، وهي الآن متأكدة من أنه سيحتاجها دائماً ، فذلك كان ما تريده ، أن يحتاج إليها ويحبها . والآن قد حدث ما تريده ، وفي النهاية تلك هي المملكة الحقيقية .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٨

قضى لارى ونويل ثلاثة أشهر فى نعيم ، فى فترة نادرة أشبه بحلم مثالى وأثيرى ، بدا كل شىء على ما يرام ، والوقت الساحر يمضى من يوم لآخر فى منتهى الروعة بدون أن يعكر صفو الجو أى شىء فى الأفق كان لارى يحب ساعات عمله فى الطيران ، وكلما وجد وقتاً كان يذهب لفيلا نويل فى رافينا ، ويقضى عطلة نهاية الأسبوع ، أو الأسبوع بأكمله معها . فى البداية خاف لارى أن تكون تلك الحياة بداية الحياة الأسرية المنزلية التى كان يكرهها للغاية ، لكنه فى كل مرة يرى نويل كان يزداد فتنة بسحرها ، ويتطلع بشغف إلى الساعات التى يقضيها معها . عندما لم تتمكن من الحضور ذات مرة فى إحدى عطلات نهاية الأسبوع ، فى رحلة غير متوقعة مع ديميريس ظل لارى وحيداً فى الفيلا ، وهو يشعر بالغضب والغيرة ، وهو يفكر فى نويل وديميريس معاً كعاشقين . عندما رآها فى الأسبوع القادم اندهشت وفرحت لحماسه وقالت : " هل افتقدتنى ؟ "

قال لها : " جداً . "

" رائع "

" كيف حال ديميريس ؟ "

ترددت للحظات ، ثم قالت : " إنه بخير . "

لاحظ لارى ترددها ، فقال : " ما الخطب ؟ "

" كنت أفكر فيما قلته لى من قبل ؟ "

" ماذا ؟ "

" لقد قلت لى إنك تكره أن نفعل أى شىء فى الخفاء كالمجرمين ، وأنا أيضاً أوافقك الرأى . أخبرتك من قبل أن كل ما أريده فى الحياة هو أنت يا لارى ، وكنت أعنى ما أقول . لن أقبل أن تشاركنى فيك امرأة أخرى ، يجب أن نتزوج . "

حدق فيها بذهول عندما باغتته على حين غرة ، وراقبته نويل وقالت : " هل تريد الزواج منى ؟ "

" أنت تعلمين أننى أريد ذلك ، لكن كيف ؟ أنت تذكرين لى دائماً ما سيلحقه بنا ديميريس من عقاب إذا اكتشف علاقتنا " .

هزت رأسها بالنفى وقالت : " لن يعرف إذا كنا ماهرين ، وخططنا لذلك جيداً . فهو لم يمتلكنى يا لارى وسأتركه ولن يتمكن من فعل أى شىء ، فهو مغرور جداً بدرجة تمنعه من إيقافى عندما أتركه . بعد شهرين على الأكثر سوف تستقيل أنت ، ويذهب كل منا على حدة إلى مكان بعيد ، أمريكا مثلاً ، ونتزوج هناك . لدىّ من الأموال ما يكفى لنعيش سعداء مدى الحياة . سأشترى لك خطاً جوياً ، أو مدرسة للتدريب على الطيران ، أو أى شىء تريده " .

وقف ينصت لكل كلمة تقولها ، وهو يزن المقابل الذى سيضحى به وما سيحصل عليه . ما الذى سيضحى به ؟

عمل تافه كطيار . فكرة امتلاكه لسرب طائرات ملأته بالإثارة ، فسوف يمتلك أحدث طراز من الطائرات ، كما كان يرغب دائماً . كما أنه سيحظى بـ " نويل " إلى الأبد ، وهو حقاً يريدها ، فلماذا التردد ؟

قال لها : " ماذا عن زوجتى ؟ "

" أخبرها أنك تريد الطلاق . "

" لا أعرف عاقبة ذلك ، وهل رأيها سيكون موافقاً لرغبتى أم لا . "

" لن تأخذ رأيها ، بل ستخبرها بقرارك " . كان فى نبرة صوت نويل حزم شديد .

قال لارى : " حسناً . "

" لن تندم يا عزيزى ، أعدك بذلك . "

* * *

فقدت كاثرين إحساسها بمرور إيقاع دورات الأيام من الليل والنهار ، وكأنها سقطت فى غياهب الزمن . وامتزج الليل والنهار . لم يعد لارى للمنزل أبداً ، وتوقفت منذ فترة عن رؤية الأصدقاء ، ولم يكن لديها طاقة لاختلاق الأعذار أو مواجهة الناس . حاول الكونت باباس رؤيتها عشرات المرات وفى النهاية استسلم . كانت تتعامل مع الآخرين بالطرق غير المباشرة : بالهاتف أو بالمراسلة أو بالبرقيات ، وأثناء المواجهات كانت تتصلب كالتمثال ، ولم تعد قادرة على إدارة أى حوار . لقد جعلها الناس والزمن تتألم كثيراً ، ولجأت للسلوى الوحيدة فى حياتها ، وهى الشراب لكى تنسى معاناتها ، وتهرب من الواقع المؤلم .

عندما ذهبت إلى أثينا لأول مرة كانت تراسل فريزر باستمرار ، ويتبادلان الأخبار عن حياة كل منهما . لكن منذ بدء مشاكلها مع لارى لم تجرؤ على الكتابة لـ " فريزر " ، ولم ترد على آخر ثلاثة خطابات ، بل إن خطابه الأخير لم تفتحه ، ولم يكن لديها الطاقة اللازمة للتعامل مع أى شىء خارج دائرة الرثاء لذاتها ، التى حبستها فى دائرة مفرغة .

جاءتها ذات يوم برقية ، لكنها ظلت على المائدة ، ولم تفتحها ، وبعد أسبوع دق جرس الباب ، وجاء فريزر ، ولم تصدق كاثرين نفسها . قالت بصوت أجش : " بيل فريزر "

هم بالحديث ، لكن نظرة الإثارة فى عينيه تحولت إلى دهشة وصدمة .

قالت : " عزيزى بيل ما الذى أتى بك هنا ؟ "

قال لها : " لدىّ موعد عمل فى أثينا ، ألم يصلك تلغراف بموعد وصولى ؟ "

نظرت إليه ، وحاولت أن تتذكر ، وقالت : " لا أعرف " . ثم قادته لحجرة المعيشة المليئة بالجرائد القديمة ، والطفايات المليئة بأعقاب السجائر ، وأطباق بها بواقى أطعمة وقالت له : " أعتذر لأن المكان متسخ ، فلقد كنت مشغولة جداً " .

تفرس فريزر فى وجهها ، وشعر بالقلق ، وقال لها : " هل أنت بخير يا كاثرين ؟ "

" من ؟ إننى رائعة ، لماذا لا نشرب معاً ؟ "

" إنها الحادية عشرة صباحاً . "

قالت له : " عندك حق تماماً ، لا داعى للشرب نهاراً فى هذا الوقت المبكر ، فى الحقيقة لم أكن لأشرب إلا للاحتفال بمجيئك . أنت الوحيد فى العالم الذى يستحق أن أحتفل به . "

راقبها فى حزن وإحباط ، وهى تمشى بخطى متثاقلة ومتعرجة وقال لها بهدوء : " أين لارى ؟ "

" لارى ؟ لابد أنه مسافر فى مكان ما ، فهو يعمل لدى ديميريس أغنى أغنياء العالم . فهو يملك كل شىء ، حتى زوجى "

تفرس فريزر فى وجهها للحظة ، ثم قال : " هل يعرف لارى أنك تشربين ؟ "

وضعت كأسها ، وقالت بغضب : " ماذا تعنى بقولك هذا ؟ من قال إننى أشرب ؟ هل لمجرد أننى أريد الاحتفال برؤية صديق قديم ، فستبدأ فى مهاجمتى ! "

قال لها : " كاثرين إننى ... "

" هل تظن أنه بإمكانك المجىء إلىَّ وتتهمنى بأننى سكيرة ؟ "

قال لها بألم : " إننى آسف يا كاثرين . أعتقد أنك فى حاجة إلى المساعدة . "

قالت بغضب : " أنت مخطئ ، لا أحتاج للمساعدة من أحد ، هل تعلم لماذا ؟ لأننى ... " حاولت العثور على الكلمة المناسبة ، ثم استسلمت ، وأردفت قائلة : " لا أحتاج للمساعدة من أحد . "

راقبها للحظة ، وقال : " لدىَّ موعد عمل الآن ، لنتناول العشاء معاً الليلة . "

قالت له : " لا بأس . "

" رائع ، سأحضر فى الثامنة مساءً . "

شاهدته وهو يخرج من الباب ، ثم قامت بخطى متثاقلة وغير ثابتة ، وسارت إلى حجرة النوم ، وفتحت ببطء دولاب الملابس ، ونظرت للمرآة بداخله . وقفت متصلبة كالتمثال ولا تكاد تصدق ما تراه ، وكأن المرآة تخدعها بحيلة دنيئة وبشعة . كانت تعتقد داخلياً أنها فتاة جميلة صغيرة يحبها والدها ، وكأنها لا تزال فتاة جامعية أمام الفندق الحقير مع رون بيترسون وتسمعه يقول : " كاثى ! أنت أجمل من رأيت ! " وتسمع فريزر يقول له وهى بين ذراعيه : " أنت جميلة جدًا يا كاثرين " ولارى يقول : " احتفظى بجمالك يا كاثى ، فأنت رائعة . " ثم نظرت لانعكاسها فى المرآة ، وقالت بصوت خشن : " من أنت ؟ " ثم بدأت تبكى بحزن على جسدها المترهل ، وانسابت الدموع على خديها فى وجهها المنفوخ . بعد ساعات دق جرس الباب ، وصاح فريزر : " كاثرين هل أنت هنا ؟ " ثم دق الجرس لفترة من الوقت ،

وبعد قليل كف عن دق الجرس ، وأصبحت كاثرين وحدها مع انعكاسها فى المرآة .

فى التاسعة من صباح غد ذهبت كاثرين لطبيب شهير يدعى نيكوديس ، وكان رجلاً ضخم الجثة ، ذا لحية كثيفة بيضاء رثة ويبدو على وجهه الطيبة والحكمة ، وسلوكه كان بسيطاً وغير رسمى .

قادتها الممرضة لعيادته الخاصة ، وأشار لها الطبيب بالجلوس : " تفضلى بالجلوس يا مدام دوجلاس " ، جلست وهى تشعر بالتوتر البالغ ، وحاولت منع جسدها من الارتعاش .

" ما مشكلتك ؟ "

همت بالإجابة ثم توقفت ، وقالت لنفسها فى يأس : " يا إلهى ! من أين أبدأ ؟ " وقالت للطبيب : " أحتاج للمساعدة " وكان صوتها أجش وجافاً .

كان الطبيب مسترخياً فى مقعده يراقبها ، وقال : " كم عمرك ؟ "

" ٢٨ عاماً " ، كانت فى وجهه علامات الصدمة والدهشة ، وحاول إخفاءها ؛ لكنها لاحظتها ، وشعرت بالرضا بشكل غريب .

" هل أنت أمريكية ؟ "

" نعم . "

" هل تعيشين فى أثينا ؟ "

أومأت برأسها للموافقة .

" منذ متى ؟ "

" منذ آلاف السنين ، منذ الحروب اليونانية القديمة . "

ابتسم لها الطبيب ، وقال : " أشعر أحياناً بنفس الشىء " ثم أعطاها سيجارة فأخذتها وهى تحاول التحكم فى ارتعاش يديها . لاحظ الطبيب رعشة يدها ، ولم يعلق وأشعلها لها ، وقال : " ما نوع المساعدة التى تريدينها ؟ "

نظرت إليه وهى فى حيرة وهمست : " لا أعرف ... لا أعرف . "

" هل تشعرين بالمرض ؟ "

" إننى مريضة ، لابد أننى مريضة جدًا . لقد صرت قبيحة " . لم تكن تبكى ؛ لكنها شعرت بالدموع تسيل على خديها .

قال لها الطبيب برقة : " هل تحتسين الخمر يا مدام دوجلاس ؟ "

حدقت إليه فى فزع ، وشعرت أنه يهاجمها .

" أحيانًا . "

" إلى أى مدى ؟ "

" ليس كثيراً ـ حسب الظروف . "

" هل شربت اليوم ؟ "

" كلا . "

جلس يتفرس فى وجهها : " أنت لست قبيحة حقاً ، بل إنك زدت فى الوزن ، وجسمك منتفخ ولم تعتن ببشرتك أو شعرك وخلف هذه الحجب تختفى فتاة جميلة وشابة . "

بكت وانتحبت ، وتركها تبكى لكى تستريح . سمعت كاثرين بالكاد أثناء نحيبها جرس الاتصال الداخلى عدة مرات ؛ لكن الطبيب تجاهله بعد أن هدأت كاثرين من نوبة البكاء ، مسحت عينيها بالمنديل وتمخطت ، ثم قالت : " آسفة ، هل يمكنك مساعدتى ؟ "

قال الطبيب : " هذا يعتمد عليك تماماً ، فنحن لم نعرف مشكلتك الحقيقية بعد " .

" افحصنى جيداً . "

قال لها : " ليست تلك هى المشكلة ، فأنت تعانين من أعراض المرض . سامحينى إذا كنت وقحاً ؛ لكن إذا أردت مساعدتى ، فيجب أن تكونى صريحة معى تماماً . عندما تترك امرأة جميلة نفسها لتلك الحالة ، فلابد أنه يوجد سبب قوى جداً . هل زوجك على قيد الحياة ؟ "

" فقط فى عطلات نهاية الأسبوع والإجازات الرسمية . "

تفرس فى وجهها وقال : " هل تعيشين معه ؟ "

" عندما يكون بالمنزل . "

" ما عمله ؟ "

" إنه الطيار الخاص بـ " ديميريس كونستانتين " . رأت كاثرين رد فعل الطبيب على وجهه ، لكنها لم تعرف ما إذا كان رد فعله هذا بسبب اسم ديميريس ، أم أنه يعرف شيئاً عن لارى .

قالت له : " هل سمعت عن زوجى ؟ "

قال لها : " لا " . ربما كان يكذب . قال لها : " هل تحبين زوجك ؟ "

همت بالإجابة لكنها توقفت ، فقد كانت تعلم أن إجابتها مهمة لها وليس للطبيب فقط . نعم ، هى تحب زوجها ؛ لكنها فى نفس الوقت تكرهه وأحياناً ، كانت تغضب منه لدرجة التفكير فى قتله ، وفى نفس الوقت تمتلئ بالحنين إليه ، وتشعر أنها مستعدة للموت من أجله . ما الكلمة التى قد تعبر عن ذلك ؟ ربما كلمة " الحب " : قالت للطبيب : " نعم . "

" هل يحبك ؟ "

فكرت كاثرين فى النساء الأخريات فى حياة لارى ، وفى خيانته لها ، وفى انعكاسها البشع فى المرآة بالأمس ، ولم تتمكن من إلقاء اللوم على لارى لعدم رغبته فيها . لكن من يستطيع تحديد أيهما حدث أولاً ؟ هل شكلها البشع سببه خيانته لها ، أم أن خيانته لها هى ما جعلها قبيحة ؟ أدركت أن الدموع تنساب على خديها مرة أخرى .

هزت رأسها بالنفى ، وقالت بوهن : " لا أعرف . "

" هل أصبت بانهيار عصبى من قبل ؟ "

نظرت إليه ، وقالت : " كلا ، هل تظن أننى بحاجة إليه ؟ "

لم يبتسم لمزاحها ، وتحدث ببطء مع انتقاء كلماته بحرص ، وقال : " النفس البشرية شىء حساس ومعقد يا مدام دوجلاس ، عندما

تتعرض لألم بشع يختفى هذا الألم فى أعماق الذهن ، حيث نبدأ فى اكتشافه فقط بعد ذلك ، وتكون انفعالاتك ممتدة وأعصابك مشدودة " .
ثم صمت لبرهة ، وقال : " أعتقد أنها علامة جيدة أنك جئت إلى هنا للمساعدة " .

قالت مدافعة عن نفسها : " أعلم أننى عصبية قليلاً ، وهذا سبب الشراب ، لكى أهدأ . "

قال لها بحدة : " كلا ، بل تشربين من أجل الهروب من الواقع ." ثم قام من مجلسه وسار إليها ، وأردف قائلاً : " أعتقد أنه يمكننا أن نفعل الكثير من أجلك ، وأعنى بالنسبة لى أنا وأنت ، فالأمر ليس سهلاً " .

" أخبرنى بما يجب أن أفعله . "

" كبداية سأرسلك لعيادة لإجراء كشف طبى شامل ، ولكن فى رأيى إن المشكلة ليست فى الناحية الجسدية ، ثم ستتوقفين عن الشراب تماماً ، وتتبعين نظاماً غذائياً ، هل كل شىء على ما يرام حتى الآن ؟ "

ترددت كاثرين ، لكنها أومأت برأسها .

" ثم تسجلين اسمك فى صالة للألعاب الرياضية لتستعيدى رشاقتك . وهناك إخصائى علاج بدنى ممتاز سيعطيك " مساج " وتدليكاً ، وستذهبين لمركز تجميل مرة أسبوعياً . كل هذا سيستغرق وقتاً يا مدام دوجلاس . لقد وصلت لما أنت عليه فى أيام طويلة وليس ما بين يوم وليلة وبالتالى لن يتغير حالك الآن ما بين يوم وليلة . " ثم ابتسم لها مطمئناً إياها ، ثم أردف قائلاً : " لكنى أعدك أنه فى غضون بضعة شهور ـ أو أسابيع ـ ستشعرين أن شكلك أصبح أفضل ، وأنك امرأة أخرى . وعندما ستنظرين للمرآة ستشعرين بالفخر ، وسيجدك زوجك مثيرة " .

حدقت إليه كاثرين ، وشعرت بثقل قد رفع من على كاهلها ، وأحست أنه منحها فرصة أخرى للحياة .

قال لها : " تفهمين جيداً أننى أقترح عليك هذا البرنامج العلاجى فقط ، وأنت من سينفذه " .

قالت له بحماس : " سأفعل ، أعدك بذلك . "

" أصعب جزء هو الإقلاع عن الشراب . "

قالت له : " كلا ، لن يكون كذلك " لكنها كانت تعلم أنه على حق . لقد كانت تشرب للهروب من الواقع كما قال لها . لديها الآن هدف ، وتعرف إلى أين تتجه ؛ ستستعيد لارى . قالت بحزم : " لن أشرب ولا قطرة واحدة . "

" أنا أصدقك يا مدام دوجلاس . "

نهضت كاثرين واقفة ، وشعرت بالدهشة لبطء حركتها وتكاسلها وترهل جسدها ، لكن كل هذا سيتغير الآن . قالت له بابتسامة : " سأبدأ بشراء ملابس ضيقة . "

دوّن الطبيب شيئاً على بطاقة ، وقال لها : " هذا هو عنوان العيادة وسيكونون فى انتظارك . سأراك بعد الكشف الطبى . "

فى الشارع حاولت إيجاد تاكسى ، لكنها غيرت رأيها ، وقالت لنفسها إنها يجب أن تستعد للتعود على المشى والرياضة وبدأت تسير . مرت كاثرين على فاترينة ، ورأت انعكاس صورتها .

لقد تسرعت فى الحكم على لارى عندما ألقت عليه اللوم لإفساده لزواجهما بدون أن تدرك أن جزءاً كبيراً من اللوم يقع عليها . لماذا سيرغب فى العودة للمنزل ليراها بهذا الشكل ؟ لقد تحولت ببطء إلى امرأة غريبة بدون أن تشعر . تساءلت كم عدد الزيجات التى فشلت بسبب هذا الأمر وهى كثيرة جدا بالطبع .

تذكرت كاثرين قول الشاعر إليوت فى الزوج الذى يعودى من الحرب ليجد زوجته قبيحة ، فيذهب لامرأة أخرى .

حسناً كان هذا فى الماضى ، من الآن فصاعداً لن تعود لما كانت عليه ، وستنظرين للمستقبل لا للماضى .

وصلت كاثرين لحى سالونيكا الراقى ، ودخلت مركز تجميل مرت عليه مصادفة . كانت قاعة الاستقبال من الرخام الأبيض ، وكانت أنيقة ورحبة . نظرت إليها موظفة الاستقبال بجفاء وتعالٍ ، وقالت : " هل يمكننى مساعدتك ؟ "

أريد تحديد موعد صباح غدٍ هنا ، أريد كل شىء يصلح لى . "

ثم فكرت قليلاً ، وقفز لذهنها اسم أشهر مصفف شعر : " أريد مصفف الشعر أليكو " .

قالت لها : " يمكننى تحديد موعد لك لكن مع مصفف آخر " .

قالت كاثرين بحزم : " أخبريه أنه سيصفف شعرى غداً ، وإلا فسأتجول عبر أثينا ، وأخبر الجميع أننى من زبائنه الدائمات . "

حدقت المرأة إليها فى دهشة وصدمة ، وقالت سريعاً : " سأرى ما يمكن فعله ، تعالى فى العاشرة غداً صباحاً "

ابتسمت كاثرين وقالت : " شكراً لك . سأحضر فى الموعد المحدد " . ثم غادرت المكان .

رأت أمامها مطعماً صغيراً معلقاً عليه لافتة تقول : " مدام بيريس - قارئة الطالع " بدت لها اللافتة مألوفة ، ثم تذكرت فجأة اليوم الذى ذكر لها فيه الكونت باباس قصة الشرطى والأسد - لكنها لم تتذكر التفاصيل . لم تكن تؤمن بقراءة الطالع ، لكنها لم تستطع مقاومة إغراء الذهاب للعرافة ؛ لأنها كانت تحتاج للتأكيد والطمأنينة من أجل مستقبل رائع ومشرف ، وأن هناك من يخبرها أن الحياة ستكون جميلة مرة أخرى وتستحق أن تعيشها ، فتحت الباب ودلفت إلى الداخل .

وبعد أن سارت فى ضوء الشمس استغرقت وقتاً للاعتياد على ظلام القاعة الذى كان يشبه ظلام الكهوف ، رأت إعداد المشروبات فى أحد

الأركان وعشرات المناضد والمقاعد وسار إليها النادل بخطى متثاقلة ، وكان يبدو عليه التعب ، وتحدث معها باليونانية .

قالت له : " لا أريد شراباً " . استمتعت عندما قالت تلك العبارة ، ولأن لديها إرادة فكررتها لنفسها .

وقالت : " لا أريد شراباً ، بل مدام بيريس ، هل هى هنا ؟ "

أشار النادل لمنضدة خالية فى أحد الأركان ، فذهبت كاثرين إليها وجلست . بعد دقائق شعرت بمن يقف بجوارها فنظرت إليه .

كانت مدام بيريس رفيعة ونحيلة وعجوزاً ، وترتدى السواد ووجهها ممتلئ بالتجاعيد .

قالت بإنجليزية ركيكة : " هل طلبت رؤيتى ؟ "

" نعم أريدك أن تقرئى طالعى من فضلك . "

جلست السيدة وأشارت للنادل ، فجاء للمنضدة حاملاً قهوة ثقيلة على صينية ، ووضعها أمام كاثرين .

قالت كاثرين : " لم أطلب قهوة ، بل .... "

قالت مدام بيريس : " اشربى . "

نظرت إليها كاثرين فى دهشة ، ثم رفعت الكوب ، واحتست جرعة منه ، ووجدتها مُرة وقوية ، ووضعت الكوب مكانه .

قالت السيدة : " اشربى المزيد . "

همت كاثرين بالاعتراض ، وقالت لنفسها : " ما يفقدونه من مال لقراءة الطالع يربحونه من القهوة . "

ثم تناولت جرعة أخرى ، وكانت سيئة للغاية .

قالت لها مدام بيريس : " أكملى الكوب . "

هزت كاثرين كتفيها دون اكتراث ، وشربت الكوب بأكمله . أومأت مدام بيريس برأسها ، وأخذت الكوب من كاثرين ، وحدقت فيه لوقت طويل ، ولم تقل شيئاً . شعرت كاثرين بالغباء ، لكنها قالت لنفسها :

" ما الذى تفعله فتاة ذكية مثلى فى مكان كهذا ، وأمامى امرأة يونانية مجنونة تحدق إلى كوب قهوة فارغ ؟ "

قالت المرأة فجأة : " لقد أتيت من مكان بعيد . "

قالت كاثرين بجدية مصطنعة للسخرية : " لقد أصبت الهدف بالضبط " .

نظرت إليها المرأة فى عينيها ، وشعرت كاثرين بالخوف من نظرتها وقالت : " عودى لوطنك . "

ازدردت لعابها ، وقالت : " لكنى فى وطنى . "

" عودى من حيث أتيت . "

" تعنى أمريكا ؟ "

" مهما كان المكان ، غادرى هذه البلاد ـ سريعاً ! "

قالت وهى تشعر بالرعب : " لماذا ؟ ما الخطب ؟ "

هزت المرأة رأسها فى خوف ، وكان صوتها خشناً ، وتتحدث بحشرجة وبلهفة ، وكأنها حيوان يتألم . شعرت كاثرين بشعرها يقف ، وقالت : " أنت ، ما الأمر ؟ أخبرينى من فضلك ؟ "

هزت رأسها فى عنف ، وصارت عيناها جاحظتين ، وقالت : " اهربى من البلاد قبل أن يأتى إليك . "

شعرت كاثرين بالفزع وضيق التنفس ، وقالت : " من الذى سيأتى لى ؟ "

تقلص وجه المرأة العجوز من الألم والرعب ، وقالت : " الموت آت إليك " . ثم قامت مسرعة ، وهرعت للحجرة الخلفية التى جاءت منها .

ظلت كاثرين جالسة ، وقلبها يدق فى عنف وكانت يداها ترتعشان ، فحاولت أن تهدئ نفسها لتتوقف عن الارتعاش . لاحظت عينى النادل ، وهمت بطلب شراب ؛ لكنها منعت نفسها . لن تجعل تلك المرأة المجنونة تفسد مستقبلها الواعد المشرق . جلست تتنفس

بعمق ، حتى تحكمت فى نفسها وبعد وقت طويل قامت والتقطت حقيبتها ، وقفازها وخرجت من المطعم .

شعرت بتحسن تحت أشعة الشمس المبهرة . كانت حمقاء ؛ لأنها جعلت السيدة العجوز تخيفها ، فأمثالها يجب حبسهن بدلاً من تركهن يخفن الناس . قالت لنفسها : " من الآن سألتزم فقط بتناول كعك ماركة " فورشن " (الحظ السعيد) . "

دخلت شقتها ، وألقت نظرة على حجرة المعيشة ، وكأنها تراها لأول مرة . كان منظرها بائساً ، فالتراب يملأ المكان وقطع الملابس ملقاة فى أرجاء الحجرة . تعجبت كيف أنها لم تدرك مدى قذارة المكان ؟

حسناً ، إن أول تمرين لها سيكون تنظيف المكان تماماً . همت بالذهاب للمطبخ ، لكنها سمعت صوتاً فى حجرة النوم ، فخافت ودق قلبها من الرعب ، ثم تحركت ببطء ناحية الحجرة .

كان لارى فى حجرة النوم ، وكانت حقيبة سفره ملقاة على فراشه ، وكان على وشك الانتهاء من إعداد حقيبته التالية . وقفت لبرهة تراقبه ، ثم قالت : " هل ستتبرع بملابسك القديمة ؟ لقد فعلت ذلك بالفعل . "

قال لها : " إننى راحل . "

" رحلة أخرى مع ديميريس ؟ "

قال دون توقف : " كلا بل من أجلى ، سأغادر هذه المدينة . "

" لارى ..... "

" لا داعى لمناقشة أى شىء . "

دخلت لحجرة النوم ، وحاولت بالكاد السيطرة على نفسها ، وقالت : " لكن يوجد الكثير لكى أناقشه ـ ذهبت للطبيب ، وسأكون بخير ، وسأقلع عن الشراب و ... " . كانت تتحدث بسرعة كبيرة .

قاطعها قائلا : " انتهى الأمر يا كاثى . سننفصل بالطلاق " .

بدا وقع الكلمات عليها كضربات متلاحقة لمعدتها . وقفت وتصلبت شفتاها ، لكيلا تتقيأ ، وحاولت أن تزدرد ريقها لدفع الماء الحار الذى وصل لحنجرتها لكى تتقيأه . " لارى .. " ثم صمتت ، ثم تحدثت ببطء ، لكيلا يرتعش صوتها .

" لا ألومك على ما تشعر به ، ربما كان الخطأ منى ـ معظمه ـ لكنى سأتغير ـ وأعنى ذلك حقا . " ثم مدت له يدها فى تضرع وتوسل : " كل ما أطلبه منك فرصة واحدة "

قال لها وهو يواجهها بعينين باردتين ومليئتين بالاحتقار : " أنا أحب فتاة أخرى ، كل ما أريده هو الطلاق . "

وقفت لفترة طويلة كالتمثال ، ثم استدارت وسارت نحو حجرة المعيشة ، وجلست على الأريكة تتصفح المجلة ، حتى ينتهى هو من إعداد حقيبته . لاحقاً سمعته يقول : " المحامى الخاص بى سيتصل بك . " ثم أغلق الباب بعنف خلفه . عندما انتهت من تصفح المجلة ببطء ، ووصلت لنهايتها ذهبت للحمام ، وتناولت شفرة ، وقطعت شرايين يدها .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٩

حامت حولها الأشباح البيضاء فى الفضاء المحيط ، وكانت تهمس بلغة تفهمها كاثرين . شعرت أنها فى جهنم ، لكى تكفر عن خطاياها وكان جسدها مربوطاً بأربطة على الفراش ، وكأن ذلك جزء من العقاب ، لكنها رضيت بالأربطة ، لأنها تشعر بالأرض تدور ، وخافت وكأنها على وشك السقوط . أكثر شىء مرعب ولا يحتمل وكأنه من الشيطان هو أن أعصابها خرجت من جسدها ، لكى تستشعر العذاب مضاعفاً ألف مرة ، وكان شيئاً لا يحتمل . كان جسدها ينبض بالحياة ويشعر بالضوضاء المرعبة غير المألوفة . كانت تسمع صوت سريان الدم فى العروق ، وكأن نهراً أحمر ينطلق فى مجراه بسرعة وبصوت مخيف . يمكنها سماع دقات قلبها كدق الطبول بواسطة العمالقة . شعرت وكأنها بلا جفون ، وهناك ضوء أبيض يخترق مخها يذهلها ببريقه . كانت كل عضلات جسمها تنبض بالحياة فى حركة دائمة لا تهدأ ، مثل الثعابين تحت جلدها ، ومستعدة للهجوم .

بعد مرور خمسة أيام من دخول كاثرين للمستشفى فتحت عينيها ، ووجدت نفسها فى حجُرة المستشفى البيضاء الصغيرة ، وكانت هناك

ممرضة ترتدى زياً أبيض تقوم بضبط وضع الفراش . وضع د. نيكوديس السماعة على صدر كاثرين .

قالت بضعف : " يا إلهي ! ، إنها باردة " .

نظر إليها وقال : " حسناً ، لقد أفاقت " . .

انتقلت كاثرين ببصرها إلى أرجاء الحجرة . بدا الضوء طبيعياً ، ولم تعد تسمع صوت جريان الدماء أو دقات قلبها ، ولم تعد تشعر أنها تحتضر .

قالت هامسة : " أعتقد أننى فى الجحيم " .

" لقد كنت هناك بالفعل وعدت " .

نظرت إلى معصمها الذى كان مربوطاً بالشاش ، وتساءلت : " كم يوماً ظللت هنا ؟ " .

" خمسة أيام " .

ثم تذكرت فجأة سبب الشاش ، وقالت : " كانت حماقة منى أن أحاول الانتحار " .

" بالتأكيد " .

ضغطت على عينيها ، وقالت : " إننى آسفة ، ثم نامت وعندما استيقظت ليلاً فتحت عينيها ، ووجدت بيل فريزر جالساً على مقعد بجوار فراشها يراقبها بحنان ، وقد أحضر معه زهوراً وحلوى ، ووضعها على المنضدة بجوار الفراش .

قال بمرح : " أهلاً ، تبدين فى حال أفضل " .

قالت بضعف : " أفضل من ماذا ؟ " .

وضع يده على يدها ، وقال : " لقد أفزعتنى يا كاثرين " .

" إننى آسفة يا بيل ". ثم بدأت حشرجة فى صوتها ، وخافت أن تجهش بالبكاء .

" أحضرت إليك بعض الزهور والحلوى ، وعندما تشعرين بتحسن وقوة أكثر فسأحضر لك بعض الكتب " .

نظرت إلى وجهه القوى العطوف ، وقالت لنفسها : " لماذا لم أحبه ؟ لماذا أحببت من أمقته الآن ؟ لماذا من تحسبه ملاكا يتضح أنه شيطان ؟ " . قالت لـ " فريزر " : " كيف جئت إلى هنا ؟

" فى سيارة الإسعاف " .

" أعنى - من وجدنى فى تلك الحالة ؟

" أنا من وجدك . حاولت الاتصال بك هاتفياً عدة مرات ، وعندما لم أتلق أى رد شعرت بالقلق واقتحمت الشقة " .

قالت له : " من المفترض أن أشكرك لكنى ... " .

" هل تريدين التحدث عن الأمر الآن ؟ " .

هزت رأسها بالنفى ، وشعرت بالألم فى رأسها ، وقالت بصوت خفيض : " كلا " .

أومأ برأسه ، وقال : " سأضطر للعودة للوطن صباح غدٍ ، سأبقى على اتصال بك " .

شعرت بقبلته الحانية على جبينها ، وأغمضت عينيها ، وكأنها تريد إبعاد العالم عنها ، وعندما استيقظت كانت وحيدة ، وكان الوقت منتصف الليل .

فى الصباح أتى لارى لزيارتها . شاهدته كاثرين وهو يدخل لحجرتها ، وجلس على المقعد المجاور لفراشها ، كانت تتوقع رؤيته شاحباً وغير سعيد لكن على العكس ، كان شكله رائعاً ورشيقاً وقد اكتسى وجهه سمرة محببة ، وكان هادئاً . تمنت كاثرين بشدة أن تتاح لها فرصة تمشيط شعرها ، ووضع أحمر الشفاه .

" كيف حالك يا كاثرين ؟ " .

" رائع ، فالانتحار يحفزنى دائماً " .

" لم يتوقع الأطباء نجاتك " .

" آسفة لأننى خذلتك " .

" ليس من اللائق أن تقولى ذلك " .

" لكنه حقيقى يا لارى ، ألم ترد التخلص منى ؟ " .

" لم أرد الخلاص بتلك الطريقة ، بل كل ما أريده هو الطلاق " .

نظرت إلى زوجها الوسيم الجامد كالتمثال ، وكان وجهه يبدو ضعيفاً وشاحباً ، وكان فمه متصلباً ، وقل سحره الطفولى . كم تتعلق ؟ بسبع سنوات من الأوهام ؟ قد منحته نفسها بحب كبير وآمال كبيرة ، ولم تطق فكرة الابتعاد عنه ، لم تطق الاعتراف بأن خطأها الفادح قد حوّل حياتها إلى أرض خربة جدباء . تذكرت بيل فريز وأصدقاءهما فى واشنطن والمتعة التى شعرا بها ولم تتمكن من تذكر آخر مرة ابتسمت ، أو ضحكت من قلبها . لكن لم يكن كل ذلك مهماً ، وكان السبب النهائى لعدم رغبتها فى تركه هو أنها مازالت تحبه . كان واقفاً فى انتظار الرد فقالت : " كلا ، لن أسعى للطلاق أبداً " .

قابل لارى نويل ليلاً فى منزل مهجور يطل على الجبل ، وذكر لها حواره مع كاثرين .

استمعت نويل باهتمام شديد ، وقالت : " هل تظن أنها ستغير رأيها ؟ " .

قال لها : " إنها عنيدة للغاية " .

" تحدث معها فى الأمر مرة أخرى " .

فعل لارى ما قالته نويل ، ظل يناقشها فى الأمر لمدة ثلاثة أسابيع ، واستخدم كل الطرق المتاحة ، استعطفها وحاول إقناعها وهددها وغضب منها ، وعرض عليها المال ، لكن لم تتزحزح عن موقفها . كانت لا تزال تحبه ، وكانت متأكدة أنه إذا منحها فرصة أخرى فستتمكن من استعادة حبه لها .

قالت بعناد : " أنت زوجى حتى الموت " .

ذكر لارى كل ما قالته كاثرين لـ " نويل " .

أومأت نويل برأسها : " نعم " .

نظر إليها لارى فى حيرة ، وقال : " نعم ماذا ؟ " .

كانا مستلقيين على الشاطئ فى الفيلا ، ويفرشان الفوط البيضاء لحماية جسديهما من الرمال الساخنة . كانت السماء شديدة الزرقة ، وبها سحب قليلة .

قالت نويل : " يجب أن تتخلص منها " . ثم قامت وعادت للفيلا ، وهى تتحرك برشاقة عبر الرمال . ظل لارى مستلقياً وحائراً ، ويظن أنه أساء فهمها ، بالتأكيد لم تكن تعنى أن يقتل كاثرين .

ثم فجأة تذكر ما فعلته نويل بـ " هيلينا " .

* * *

كانا يتناولان العشاء فى الشرفة ، وقالت له نويل : " ألا ترى ؟ إنها لا تستحق الحياة ، فهى متمسكة بك ، لكى تنتقم منك ، وتدمر حياتك ، وحياتنا معاً يا حبيبى " .

استلقيا على الفراش ، وهما يدخنان ، وكان انعكاس ضوء السجائر مبهراً بسبب المرايا التى تغطى السقف .

" أنت بذلك ستسدى إليها خدمة ، فلقد حاولت قتل نفسها بالفعل ، فهى تريد الموت " .

" لن يمكننى قتلها يا نويل " .

" بل يمكنك ذلك " .

أخذت تداعبه بأناملها ، وقالت : " سأساعدك " .

هم بمداعبتها هو الآخر ، وقد نسى كاثرين تماماً .

استيقظ لارى فزعاً فى منتصف الليل ، وكان يتصبب منه عرق بارد . لقد كان يحلم بأن نويل هربت منه . كانت مستلقية بجواره ،

فاحتضنها وظل مستيقظاً طوال الليل يفكر فيما عساه يفعل إذا فقدها . لم يدرك أنه توصل لقرار ، لكن فى الصباح أثناء تناول الإفطار قال لـ " نويل " : " ماذا لو أمسك بنا البوليس ؟ " .

لم تظهر رضاها عن استسلامه للفكرة ، وقالت : " إذا كنا ماهرين فلن يقبض علينا " .

قال لها بجدية : " نويل ، الكل فى أثينا يعلم أننى لست فى وفاق مع كاثرين . إذا حدث لها أى شىء فسيشك فىَّ رجال البوليس " .

قالت له بهدوء : " بالطبع هذا ما سيحدث ، لذلك سنخطط للأمر جيداً " .

بعد أن قدمت له ولنفسها الطعام جلسا يتناولان الإفطار ، بينما لارى لم يمس طبقه .

قالت نويل بقلق : " ألا يعجبك الطعام ؟ "

حدق إليها ، وتعجب من هذه المخلوقة الجالسة أمامه ، فكيف تستمتع بوجبتها ، وهى تخطط لقتل امرأة أخرى ؟

لاحقاً أبحرا فى القارب ، وناقشا الموضوع باستفاضة ، وكلما تناقشا اقتنع لارى أكثر . بدأت الفكرة بكلام عابر ، ثم زادت وكبرت كلما زاد الكلام ، حتى صارت حقيقة وشيكة الحدوث .

قالت نويل : " يجب أن يبدو الأمر كحادث ، حتى لا يكون هناك تحقيق جنائى ، فالبوليس فى أثينا ماهر جدًّا " .

" ماذا لو أحيلت القضية للتحقيق ؟ "

" لن يحدث ، فالحادث لن يتم هنا " .

" أين إذن ؟ "

مالت ناحيته وهمست قائلة : " أيونينا " وأنصت لارى لخطتها البارعة المحكمة وهى تشرحها ، وترد كل اعتراضاته ، وهى ترتجل ببراعة متناهية . عندما انتهت نويل اعترف لارى بأن الخطة ليس بها خطأ واحد ، ويمكنه القتل مع الإفلات من العقاب .

كان بول متكساس متوتراً ، وصار وجهه الذى كان عادة مرحاً وبشوشاً ، شاحباً وبدت عليه أمارات التوتر ، وارتعش أحد جوانب شفتيه بشكل لا إرادى من فرط القلق . لم يحدد سلفاً موعداً مع ديميريس ، ولم يكن من السهل اقتحام خلوته وإزعاجه ، وهو رجل مهم ، لكن متكساس أخبر الخادم أن الأمر عاجل ، وجلس فى انتظاره فى ردهة الفيلا ، وحدق إلى ديميريس ، وقال وهو يتلعثم : " أنا ... آسف على إزعاجك يا سيد ديميريس " . وكان يمسح يده التى تتصبب عرقاً خلسة فى بنطال زى الطيران .

" هل حدث شىء لإحدى طائراتى ؟ " .

" كلا يا سيدى ... بل إنه أمر شخصى " .

تفحصه ديميريس بدون اكتراث ، فمن سياسته عدم التعجل فى شئون أتباعه والعاملين تحت إمرته ، فلديه سكرتارية لتولى هذه الشئون . انتظر لكى يكمل متكساس ما يود قوله .

زاد توتر متكساس بمرور الوقت ، فلقد قضى ليالى طويلة بلا نوم قبل أن يتخذ القرار بالذهاب لـ " ديميريس " . كان ما يفعله الآن منافيا لطبيعة شخصيته ، وبدا له كريهاً ، لكنه رجل مخلص للغاية وولاؤه التام لـ " ديميريس " .

قال فى النهاية : " الأمر يخص نويل باج " .

ساد الصمت لبرهة .

قال ديميريس : " ادخل إلى المكتبة " ، ودخل للمكتبة ، وأغلق الباب . أخرج ديميريس سيجاراً ، وأشعله قائلاً بهدوء : " ماذا عن نويل ؟ "

ازدرد متكساس ريقه ، وتساءل عما إذا كان قد أخطأ بمجيئه إلى هنا إذا كان قدر الموقف جيداً وبشكل صحيح فسيتم تقدير معلوماته ؛ ولكنه إذا كان على خطأ ....

لعن نفسه على تسرعه فى المجىء إلى هنا ؛ لكنه لم يكن لديه خيار التراجع الآن ، وعليه استكمال ما جاء من أجله .

قال وهو ينظر لوجه ديميريس محاولاً معرفة رد فعله : " يتعلق الأمر بها وبـ " لارى دوجلاس " . لم يبد على ديميريس أى رد فعل ، ولو إشارة إلى أنه مهتم . قال متكساس متلعثماً " إنهما يعيشان معاً فى منزل يطل على الشاطئ فى رافينا " .

أطفأ ديميريس سيجاره فى مطفأة ذهبية على شكل قبة . شعر متكساس أنه سيفصله ، لقد قام بمجازفة كبرى ستكلفه عمله . كان عليه إقناع ديميريس بأنه يقول الحقيقة ، فقال له متلعثماً : " أختى مديرة منزل فى إحدى الفيلات هناك ، ورأتهما على الشاطئ معاً طوال الوقت ، وقد تعرفت على نويل من الصور فى الجرائد ، ولم تكترث للأمر ، وأخبرتنى به منذ يومين عندما جاءت للمطار لتناول الغداء معى " . وقد قدمتها إلى لارى ، فقالت لى : " إن هذا الرجل هو عشيق نويل " .

حدق ديميريس إليه بعينيه السوداوين بدون أن يظهر أى تعبير .

قال متكساس بضعف منهياً حديثه : " اعتقدت أنك تريد معرفة ذلك " .

تحدث ديميريس بصوت ليس به أى نبرة : " ما تفعله فى حياتها الخاصة من شأنها ، ولن تقدر أى شخص يتجسس عليها " .

تصبب العرق على جبهته ، وقال لنفسه إنه أراد إظهار ولائه لـ " ديميريس " : " صدقنى يا سيد ديميريس ، كنت أحاول ... " .

" أنا متأكد من أنك ظننت أنك تسدى لى خدمة . أنت مخطئ . هل يوجد لديك المزيد ؟ " .

" كلا يا سيدى " ثم استدار ، وفر هارباً .

اتكأ ديميريس على ظهر المقعد ، وحدق فى السقف يفكر ملياً .

فى التاسعة من صباح اليوم التالى تلقى متكساس أوامر من ديميريس بتفقد شركات التعدين الخاصة به فى الكونغو . وقد تحطمت طائرة متكساس فى غابة كثيفة خضراء اصطدمت بها ، ولم يعثر على أى آثار لجسده أو لبقايا الطائرة .

بعد أسبوعين من خروج كاثرين من المستشفى جاء لارى لزيارتها . كانت كاثرين تعد بعض البيض للعشاء ، وصوت الطهى منعها من سماع صوت الباب عندما فتحه لارى ، ولم تدرك وجوده إلا عندما استدارت ووجدته واقفاً عند مدخل الباب ، فقفزت من الفزع بشكل لا إرادى ، وقال لها : " آسف على إفزاعك ، فلقد مررت لأطمئن عليك " .

شعرت بقلبها يدق بعنف ، واحتقرت نفسها لأنه لا يزال لديه تأثير عليها بهذا الشكل .

قالت له : " أنا بخير ، ووضعت البيض على طبق " .

قال لارى : " رائحته طيبة ، هلا أعددت لى طبقاً ؟ لم يتح لى الوقت لتناول العشاء " .

نظرت إليه لبرهة ، ثم هزت كتفيها دون اكتراث .

أعدت له العشاء ، وتوترت من وجوده ، فلم تأكل أى شىء . ظل لارى يتحدث معها ، ويذكر لها قصصاً مسلية عن أسفاره ، ورحلاته مع أصدقاء ديميريس . كان لارى كسابق عهده ، ساحراً ودافئاً ولا يقاوم ، كما لو كان شيئاً لم يحدث أبداً ، وكأنه لم يحطم حياتهما معاً .

بعد انتهاء العشاء ساعدها على غسيل الصحون وتجفيفها ، ووقف بجانبها على حوض المطبخ ، مما جعل جسدها يحن إلى لمسته الحانية ، فقد مر وقت طويل على آخر لقاء حميم بينهما .

قال لارى : " لقد استمتعت بالعشاء حقاً " ثم ابتسم ابتسامته الطفولية المعهودة ، وقال : " شكراً لك يا كاثى " .

قالت كاثرين لنفسها إن تلك هى نهاية الأمر .

بعد ثلاثة أيام دق جرس الهاتف . كان لارى يتحدث مع كاثرين من مدريد ليقول لها إنه فى طريقه للمنزل ، وطلب منها الاستعداد للعشاء معه بالخارج الليلة . أمسكت كاثرين بالسماعة جيداً ، وهى تصغى لصوته الدافئ ، وقررت ألا تذهب . ولكنها قالت له : " أنا جاهزة للعشاء معك الليلة " .

ذهبا لمطعم فخم ، وبالكاد تناولت كاثرين أى شىء ؛ لأن الموقف ظل يذكرها بمطاعم أخرى تناولت فيها العشاء معه ، والليالى المثيرة لهما معاً فى الماضى السعيد البعيد ، عن الحب الذى كان سيستمر مدى الحياة .

قال لارى بقلق : " أنت لا تأكلين يا كاثى ؛ هل تريدين أن أطلب لك شيئاً آخر ؟ "

قالت له وهى تكذب : " تناولت الغداء متأخراً " .

قالت لنفسها : " لن يخرج معى بعد الآن ، وإذا طلب منى الخروج معه مرة أخرى فسأرفض " .

بعد بضعة أيام اتصل بها مجدداً ، وتناولا الغداء فى مطعم فخم فى ميدان سيتاجماوى ، وكان يسمى مطعم " النخلة القديمة " ، وكان مدخله الطويل محفوفاً بالنخيل على جانبيه . تناولا الطعام ، واستمتعا به ، وكان لارى مسلياً وممتعاً لها .

فى الأسبوع التالى طلب منها السفر إلى فيينا لمقابلته ، وتناولا العشاء فى مطعم فخم ، وعادا فى نفس الليلة . كانت ليلة رائعة مليئة بالموسيقى ، وضوء مطعم الشموع الحالمة ، ولكن كان ينتاب كاثرين شعور رهيب بأن المكان لا ينتمى إليها ، بل إلى كاثرين دوجلاس التى ماتت منذ شهور . عندما عادا للشقة قالت له : " شكراً لك يا لارى ، كان يوماً رائعاً " .

احتضنها وهم بتقبيلها ، لكنها فرت منه ، وتصلب جسدها ، وامتلأ عقلها برعب وذعر مفاجئ وغير متوقع .

" كلا " .

" كاثى " .

" كلا ! " .

أومأ برأسه ، وقال : " حسناً أنا أتفهم الموقف " .

ارتعش جسدها ، وقالت له : " حقاً ! " .

قال لها برقة : " أعلم أننى أسأت التصرف يا كاثى ، فأعطنى الفرصة لإصلاح الحال " .

ضغطت على شفتيها ، وقاومت الرغبة فى البكاء وقالت وعيناها تلمعان من الدموع المحبوسة : " فات الأوان " .

وراقبته حتى سار إلى الباب وخرج .

بعد أسبوع أرسل لها لارى زهوراً ومعها خطاب صغير ، ولاحقاً أرسل لها دبابيس على شكل طيور صغيرة من دول مختلفة . لقد كلف نفسه عناء البحث عنها ، لأنها كانت مجموعة متنوعة ، إحداها من البورسلين ، والأخرى من العقيق ، والثالثة من الخشب الهندى ، ولقد تأثرت كثيراً ؛ لأنه تذكر حبها للدبابيس على شكل طيور .

اتصل بها ذات يوم ، وقال لها : " وجدت مطعماً رائعاً للطعام الصينى " . قالت له ضاحكة : " لا يمكننى الانتظار " .

وهكذا بدأت الحياة تعود لمجراها الطبيعى . ببطء ، بتردد ، لكنها بداية على أية حال . لم يحاول لارى تقبيلها مرة أخرى ، ولم تكن ستسمح له ؛ لأنها تعلم أنها إذا أطلقت العنان لانفعالاتها ومشاعرها ، وسلمت نفسها بالكامل للرجل الذى تحبه ، فسيخونها ويدمرها نهائياً . ولذلك تناولت معه العشاء ، وضحكت على مزاحه ، لكن طوال الوقت ظلت متحفظة داخلياً ، ولم ترض بأن يقترب منها .

خرجا معاً كل ليلة تقريباً ، وفى بعض الليالى كانت تطهو كاثرين فى المنزل ، وأحياناً يتناولان الطعام بالخارج . ذكرت له ذات مرة أنها تريد أن تعرف ماذا حدث للمرأة التى قالت إنه يحبها ، فقال بغضب وضيق : " انتهى الأمر " ولذلك لم تناقش كاثرين الأمر مرة أخرى .

ظلت تترقب دلائل تشير لوجود امرأة أخرى فى حياته ، لكنها لم تجد أى شيء . كان مهتماً بها للغاية ولا يطالب أو يضغط عليها لأى سبب ، وكأنه يكفر عن ذنوب الماضى .

لكنها اعترفت لنفسها أن الأمر أكبر من ذلك . فلقد كان مهتماً بها كامرأة . ليلاً تفحصت جسدها أمام المرآة ، وحاولت فحص كل جزء فيه . لم يكن وجهها سيئاً ، بل كان وجهاً جميلاً تعرض للألم لشهور طويلة ، وكان وجهها يكسوه الحزن كما بدا لعينيها الرماديتين وهى تحدق إلى انعكاسها فى المرآة . كان جلدها متورماً ومنتفخاً قليلاً خاصة ذقنها ، لكن باقى جسدها كان لا بأس به . تذكرت عندما فكرت فى ذلك ، وقطعت شرايينها فسرت رعشة فى جسدها . قالت لنفسها فى تحد : " اللعنة على لارى إذا أرادنى فليأخذنى كما أنا ، هكذا " .

ذهبا معاً لحفل ، وعادا الساعة الرابعة صباحاً ، وكانت أمسية رائعة ، وارتدت كاثرين فستاناً جديداً ، وبدت مثيرة ، وجعلت الناس يضحكون من براعة تعليقاتها الساخرة ، وكان لارى فخوراً بها . عندما دخلا للشقة حاولت كاثرين فتح الأنوار ، ولكن لارى منعها قائلاً : " أريد أن أقول شيئاً سيكون أسهل من الظلام " واقترب منها وشعرت بحرارة جسده : " أنا أحبك يا كاثى ، ولم أحب سواك ، وأريد فرصة أخرى " .

ثم أضاء النور لرؤية وجهها . كانت متصلبة وخائفة فقال : " أعرف أنك لست مستعدة بعد ، لكننا قد نبدأ ببطء " ، ثم ابتسم ابتسامته الطفولية المعهودة

ثم اقترب منها وتجاوبت معه ، وكانت تشعر بالحنين والاشتياق إليه . قال لها : " لِمَ لا نذهب فى شهر عسل جديد فى مكان بعيد ؟ "

" يا ليت يا عزيزى ، هل من الممكن ذلك ؟ " " بالطبع ، سأحصل على إجازتى السنوية . سنسافر الأسبوع القادم . أعرف قرية جميلة صغيرة تسمى أيونينا ، فلنذهب إليها " .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

٢٠

استغرقت الرحلة إلى أيونينا بالسيارة تسع ساعات . كانت المناظر عبر الطريق تبدو مدهشة لـ " كاثرين " ، وكأنها من الزمن الماضى الجميل . سارا بمحاذاة بحر إيجه ، وشاهدا الأكواخ البيضاء ومزارع الليمون والفاكهة بمختلف أنواعها . كانت كل المبانى جميلة ومبهجة بمعمار رائع يتحدى الحياة الصعبة ، والأرض الصخرية فى المكان ، وكان على جانب الجبل آلاف من أشجار الصنوبر .

قالت كاثرين لـ " لارى " : " انظر لتلك الأشجار ، إنها جميلة جدًا . أليس كذلك ؟ " .

قال لارى : " ليس بالنسبة لأهل اليونان " .

قالت له : " ماذا تعنى ؟ " .

" فهم يعتبرون الصنوبر رمز الموت ، لأنه يزين المدافن " .

شاهدت كاثرين حقولاً بها فراشات ، شكلها مضحك ، وقالت : " لابد أنها لن تخدع الغربان " وضحكت .

مرا بقرى صغيرة ، كانت أسماؤها صعبة النطق على كاثرين . لاحقاً مرا بقرية ريون وبنهر ريو ، واستقلا المعدية إلى قرية أيونينا فى جزيرة إبيروس .

جلست كاثرين ولارى على مقعد خشبى على سطح المعدية ، وراقبا عبر الأفق ظهور الجزيرة بعد انقشاع الضباب . كانت تبدو مثيرة لـ " كاثرين " لكنها كانت أيضاً نذير شؤم . بدت جزيرة بدائية ، وكأنها لآلهة الإغريق التى لا ترحب بالزوار من البشر . رأت كاثرين الصخور تمتد حول شاطئ الجزيرة بشكل مخيف حتى قاع البحر ، وكان شكل الجبل مخيفاً كالوجه المزق ، بسبب حفر الإنسان للطرق عليه . بعد ٢٥ دقيقة وصلت المعدية لجزيرة إبيروي ، ورست على الميناء ، وبعد دقائق انطلقا بالسيارة إلى الجبل فى اتجاه أيونينا " .

كانت كاثرين تقرأ لـ " لارى " من كتاب إرشادات سياحية .

تقع قرية أيونينا فى أعالى جبال بيندوس ، ومحاطة بمرتفعات شاهقة كجبال الألب ، ومن بعيد تبدو القرية كنسر له رأسان فى جنوبها بحيرة تسمى بامفوتيس لا قاع لها ، حيث تنقل القوارب الركاب عبر المياه ذات اللون الأخضر الداكن إلى جزيرة فى منتصف البحيرة ، ثم إلى الشواطئ من الناحية الأخرى للبحيرة " .

قال لارى : " يبدو ذلك رائعاً " .

وصلا فى وقت العصر إلى الفندق ، وكان مكوناً من مبنى جميل قديم ذى طابق واحد على قمة الجبل ، يطل على القرية ، وملحق به عدة أكواخ خشبية للنزلاء عبر المنطقة المحيطة به . جاء رجل عجوز فى الزى الرسمى الخاص بالفندق ، وألقى عليهما التحية ، ونظر لوجهيهما السعيدين .

" هل أنتما فى شهر العسل ؟ " .

نظرت كاثرين إلى لارى ، وابتسمت ، وقالت : " كيف علمت ذلك ؟ " .

قال لهما الرجل : " يبدو ذلك واضحاً جدًّا " .

ثم قادهما إلى قاعة الاستقبال ، حيث سجلا بياناتهما ، ثم قادهما للكوخ الخاص بهما . كان الكوخ مكوناً من حجرة معيشة ، وحجرة نوم ، وحمام ومطبخ ، وشرفة تطل على منظر مدهش للقرية ، والبحيرة تحتها تبدو سوداء ومظلمة ، وتدعو للشؤم . كان للمشهد جمال زائف ، وكأنه صورة من بطاقة بريدية .

قال لها لارى مبتسماً : " لا يوجد هنا الكثير ، لكنه لك بأكمله " .

قالت كاثرين مازحة : " وأنا قبلته " .

" هل أنت سعيدة ؟ "

" لا أذكر متى كنت سعيدة بهذا القدر " .

ثم سارت إليه ، واحتضنته قائلة : " لا تتركنى أبداً " .

احتضنها بذراعيه القويتين وقال : " لن أفعل ذلك أبداً " .

عندما كانت تفرغ الحقائب ذهب لارى لقاعة الاستقبال للتحدث مع موظف الاستقبال .

قال لارى : " ما الذى يمكننا القيام به كسياح هنا؟ "

قال الموظف بفخر :" كل شىء ، لدينا ناد صحى فى الفندق ، وفى القرية يوجد أنشطة مثل السير لمسافات طويلة ، والسباحة والصيد وركوب القوارب " .

قال لارى بشكل عفوى مصطنع : " ما عمق البحيرة ؟ " .

قال الموظف : " لا أحد يعلم بالضبط ، فهى بحيرة بركانية ، ولا عمق لها " .

ذكر لارى وهو يومئ برأسه ، وقال : " ماذا عن الكهوف فى المنطقة ؟ "

" كهوف بيراما على بعد بضعة أميال من هنا " .

" هل تم استكشافها بالكامل ؟ "

" كلا ، بعضها قد تم استكشافه ، والبعض الآخر لا " .

قال لارى : " فهمت " .

أردف الموظف قائلاً : " إذا أردت تسلق الجبل فأقترح قمة تسوميركا إذا لم تخف مدام دوجلاس من الارتفاعات " .

ابتسم لارى : " كلا ، فهى خبيرة فى تسلق الجبال " .

" إذن ستستمتع بالأمر ، والجو مناسب ، كنا نتوقع عاصفة ، لكنها لم تأت ، وغالباً لن تحدث الآن " .

" ما نوع تلك العاصفة ؟ " .

إنها رياح عاتية تهب من الشمال ، مثل الأعاصير لديكم فى أمريكا ، وعندما تهب نظل داخل المنازل . وفى أثينا نمنع عابرات المحيطات من مغادرة المرفأ " .

قال لارى : " أنا سعيد ، لأنها لن تهب هذه الأيام " .

عندما عاد لارى للكوخ اقترح على كاثرين النزول للقرية لتناول العشاء ، وسارا عبر طريق المشاة فى المنحدر الصخرى الذى يؤدى إلى حافة القرية ، حيث تتكون أيونينا من شارع رئيسى يسمى كينج جورج ، وعلى جانبيه ثلاثة شوارع متفرعة منه على الجانبين ، بخلاف تلك الشوارع كانت هناك طرق ضيقة قذرة تمتد للبيوت والعمارات . كانت المبانى قديمة ، والعوامل الجوية زادت حالتها سوءاً وكانت مبنية من حجارة الجبل .

كانت هناك جبال تقسم شارع كينج جورج بالطول لتحديد أماكن المشاة والسيارات . قالت كاثرين : " وددت لو فعلوا نفس الشىء فى شارع بنسلفانيا فى أمريكا " .

كان ميدان القرية حديقة صغيرة ساحرة ، لها برج عال به ساعة كبيرة مضاءة ، وكان يتفرع منها طريق مشجر يصل إلى البحيرة . بدا لـ " كاثرين " أن كل طرق القرية تؤدى للماء ، وكانت قد بدأت تشعر بالخوف من البحيرة ، فلديها صفة غريبة ، وكأنها نذير شؤم ، وعلى

شاطئها أعواد البوص التى تشبه أصابع اليد ، وكأنها فى انتظار أن تخطف أحداً .

سارت كاثرين مع لارى عبر مركز التسوق الصغير المليء بالألوان ، وكانت المحلات مزدحمة ومتجاورة على كلا الجانبين . كان هناك متجر للمجوهرات بجوار المخبز والجزار والحانة ومتجر الأحذية . وقف الأطفال خارج محل الحلاق فى صمت لمشاهدة الرجال يحلقون . شعرت كاثرين أنهم أجمل أطفال رأتهم فى حياتها .

فى الماضى رغبت فى أن تنجب طفلاً ، وكلما تحدثت مع لارى فى الأمر كان يرفض الفكرة ، ويقول إنه غير مستعد للاستقرار بعد ، والآن قد يغير رأيه . نظرت إليه ، ولم يكن ملتفتاً لها أثناء السير . كان يبدو أطول من باقى الرجال ، لكنها قررت مناقشة الأمر معه قبل أن يغادر القرية ، فهما فى شهر عسل .

مرا بدارى عرض سينمائيتين ، وكانتا تعرضان فيلمين أمريكيين قديمين ، فتوقفا لمشاهدة البوسترات .

قالت كاثرين : " نحن محظوظان ، لنشاهد تلك الأفلام القديمة "

قال لارى : " لم أسمع عن تلك الأفلام من قبل ، لابد أنها سينما أقدم مما تبدو " .

تناولا أكلة شعبية يونانية فى المطعم ، وجلسا فى الخارج تحت ضوء البدر المدهش ، ثم عادا للفندق وخلدا للراحة . كان يوماً مثالياً .

فى الصباح تجولا بالسيارة حول الريف الجميل ، واستكشفا الطريق الضيق الملتوى المحيط بالبحيرة ، والذى يمتد عبر الصخور لمسافة أميال ، ثم يخترق الجبال . كانت هناك بيوت مبنية على الصخور على سطح الجبل ، ولاح فى الأفق عبر الغابات ما يبدو كمبنى لونه أبيض كالقلاع القديمة .

قالت كاثرين : " ما هذا المبنى ؟ ".

قال لارى : " ليس لدىّ فكرة " .

" لنستكشفه " .

" حسناً " .

أوقف لارى السيارة فى طريق قذر يؤدى إلى المبنى عبر مروج الغابات ، ومرا بالماشية والأغنام ومعها الراعى الذى حدق فيهما وهما يمران بالسيارة . أوقف لارى السيارة أمام المدخل المهجور للمبنى ، والذى بدا كالقلعة المهجورة القديمة .

قالت كاثرين : " إنها تشبه قلعة الوحش فى الحكايات الخرافية للأطفال " .

قال لارى : " هل تريدين استكشافها حقاً ؟ "

" بالتأكيد ، فيبدو أننا حضرنا فى الوقت المناسب لكى ننقذ الفتاة السكينة المحبوسة فى القصر كما فى الأساطير " .

نظر إليها لارى نظرة سريعة وغريبة .

خرجا من السيارة إلى الباب الخشبى الضخم ، وكان به مطرقة حديدية ملتصقة به فى المنتصف . طرقها لارى عدة مرات وانتظر . لم يكن هناك أى صوت سوى أزيز حشرات المرج ، وهب النسيم عبر الحشائش .

قال لارى : " لا يوجد أحد هنا ".

همست كاثرين فى هزل : " ربما يتخلصون الآن من الجثث " .

فجأة فُتح الباب الكبير ببطء وبصوت عال ، وظهرت أمامهما راهبة ترتدى زى الرهبنة الأسود .

لقد باغتت كاثرين على حين غرة فقالت لها : " إننى آسفة ، لم نكن نعرف ما هذا المكان ، حيث لا توجد لافتة تشير إلى ماهيته " .

نظرت إليهما الراهبة لبرهة من الوقت ، ثم أشارت لهما بالدخول . دخلا فوجدا أنفسهما فى حديقة كبيرة فى وسط مجمع المبانى . كان الجو هادئاً وساكناً أكثر من اللازم ، وأدركت كاثرين أن الشيء الناقص هو أصوات البشر .

قالت كاثرين للراهبة : " ما هذا المكان ؟ "

هزت الراهبة رأسها بالنفى ، وأشارت لهما بالانتظار ، ودخلت لمبنى حجرى قديم فى نهاية المجمع الخاص بالمبانى .

همست كاثرين مازحة : " هل ستحضر لنا من يأسرنا أو يقتلنا ؟ "

بعيداً عن المبنى كانت هناك نتوءات بارزة من الأرض عبر البحر ، وكان أعلى من مستوى سطح البحر ، وشاهدا مقبرة تحيط بها من الجانبين أشجار الصنوبر .

قال لارى : " هذا المكان يخيفنى " .

قالت كاثرين : " وكأننا قفزنا فى فجوة زمنية ، وانتقلنا للماضى . " كان يهمسان دون أن يدركا ذلك ، وكأنهما يخشيان إزعاج الهدوء والسكون الرهيب الذى يخيم على المكان . عبر نوافذ المبنى الرئيسى شاهدا نساءً متشحات بالسواد يحملقن فى دهشة إليهما .

قال لارى : " إذن هو دير راهبات غريبات الأطوار " .

جاءت من المبنى امرأة طويلة ونحيفة ، وسارت بنشاط إليهما ، وكانت ترتدى زى الراهبات الأسود ، ولديها وجه بشوش وودود .

" أنا الأخت تريزا ، هل من خدمة ؟ "

قالت كاثرين : " كنا نمر فقط ، وانتابنا الفضول بشأن هذا المكان ، ولم نقصد الإزعاج " .

ثم نظرت كاثرين للوجوه التى تطل عبر النوافذ .

قالت الراهبة تريزا : " لا نتشرف بالعديد من الزائرين هنا ، إننا لا نتصل بالعالم الخارجى إلا نادراً ، نحن راهبات الكارميلايت ، ولقد اتخذنا عهداً على أنفسنا بالصوم عن الكلام " .

قال لارى " : " إلى أى مدى ؟ "

" لباقى حياتنا . وأنا الوحيدة المسموح لى بالكلام عند الضرورة فقط "

حدقت كاثرين حولها فى الحديقة الساكنة الكبيرة ، وكتمت رغبتها فى الارتعاش . هل لا يغادر أحد هذا المكان ؟ "

ابتسمت الراهبة وقالت : " كلا فلا داعى لذلك ، فحياتنا ما بين هذه الحوائط " .

قالت كاثرين : " سامحينا على إزعاجك " .

أومأت الراهبة ، وقالت : " لا بأس ، ليحفظكما الرب " .

عندما غادر لارى وكاثرين المكان أغلق الباب الضخم ببطء وراءهما ، ونظرت كاثرين إلى الباب ، وبدا كباب السجن ، وربما باب مقبرة . شعرت كاثرين بالأسى لحال هؤلاء النسوة اللائى اخترن الصمت الرهيب كالموتى فى القبور لباقى حياتهن بلا طائل فى سجن صامت كالقبر ، وشعرت أنها لن تنسى هذا المكان أبداً .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

٢١

ذهب لارى للقرية مبكراً فى صباح اليوم التالى ، وطلب من كاثرين المجىء معه ؛ لكنها رفضت بلطف ، وقالت إنها ستنام بضع ساعات . بمجرد أن غادر المكان ، قامت من الفراش ، وارتدت ملابسها سريعاً ، وذهبت إلى صالة الألعاب الرياضية التى تفقدتها بالأمس ، وأمرتها المدربة الضخمة الجثة بأن تخلع ملابسها ، وفحصت جسدها بدقة .

قالت لـ " كاثرين " موبخة إياها : " لقد كنت كسولة جداً ، كان جسدك رائعاً ، وإذا تدربت بشدة فسيعود كما كان مرة أخرى " .

" إننى راغبة فى بذل الجهد المطلوب " .

تحت إشراف وتدريب المدربة الضخمة كانت كاثرين تمارس الرياضة يومياً ، وتتحمل عذاب المساج القاسى والتدريبات العنيفة ، أخفت كل شىء عن لارى ، ولكن بنهاية اليوم الرابع كان التغيير ملحوظاً على كاثرين لدرجة أن لارى لاحظ الأمر ، وقال لها : " هذا المكان متوافق معك ، فأنت فتاة مختلفة " .

قالت بخجل : " إننى كذلك بالفعل " .

فى صباح اليوم التالى تناولا الإفطار فى شرفة الكوخ المطلة على البحيرة . كان يوماً مثالياً ، والشمس ساطعة ، والنسيم يهب عبر البحيرة . جاء النادل الشاب بالطعام ، وكانت كاثرين ترتدى ملابس النوم عندما دخل النادل ، فوضع لارى ذراعيه حولها وضمها إليه ، وقال لها هامساً : " قضينا ليلة رائعة بالأمس " .

كتم النادل الضحك ، وغادر المكان بدون إزعاج ، وشعرت كاثرين بالإحراج لم يعتد لارى إظهار عواطفه أمام الغرباء ، لقد تغير فعلاً . كلما جاء خادم أو نادل أو خادمة إلى الكوخ كان يبادر لارى باحتضان كاثرين ، وإظهار حبه لها ، وكأنه يريد أن يعرف العالم بأسره كم يحبها . تأثرت كاثرين بذلك جداً .

قال لارى : " لدىّ خطة رائعة لقضاء اليوم " ثم أشار إلى ناحية الشرق فى ناحية قمة الجبل ، وقال : " سنتسلق جبل توميركا " .

قالت كاثرين : " لكنى لا أحب تسلق الجبال " .

قال لها : " هيا يا كاثى ، فالمنظر رائع جداً من أعلى " .

انتبهت إلى أنه كان جاداً فى لهجته ، فنظرت للجبل الذى بدا شاهق الارتفاع ، وقالت : " أنا لا أجيد تسلق الجبال يا حبيبى " .

" الأمر مجرد تمشية سهلة ، فالطريق ممهد للقمة " ، ثم تردد وقال : إذا لم تريدى الذهاب معى فإنه يمكننى الذهاب وحدى " . وكان فى نبرة صوته إحباط شديد .

كان من السهل الرفض بكل بساطة ، والجلوس هنا ، والاستمتاع باليوم ، وكان الإغراء قوياً جداً ، لكن لارى يريدها معه ، وكان هذا الشعور يكفيها .

" حسناً ، أتمنى أن أجد قبعة تصلح لتسلق الجبال " بدا الارتياح على وجهه ، حيث فهم أنها فرحت لأنها أرضته ، وقررت الذهاب معه . سيكون الأمر ممتعاً ، فهى لم تتسلق جبلاً من قبل .

سارا بالسيارة إلى مرج أخضر على حواف القرية ، حيث يبدأ طريق الجبل ، وأوقف لارى السيارة . كان هناك مطعم صغير على جانب الطريق ، فاشترى لارى ساندويتشات وفاكهة وقوالب حلوى ، وإناءً كبيراً مليئاً بالقهوة .

قال لصاحب المحل : " المكان رائع أعلى الجبل ، أعتزم المبيت هناك مع عروستى " واحتضن كاثرين فابتسم الرجل .

سارا على الأقدام حتى بداية الطريق الذى كان يتفرع إلى طريقين صغيرين فى اتجاهين مختلفين . اعترفت كاثرين لنفسها أن التسلق سيكون سهلاً ، فالطرق ممهدة وواسعة ، وليست منحدرة جدًّا . عندما اشرأبت بعنقها ، وحدقت إلى قمة الجبل بدت لها كئيبة ، ولا تبشر بالخير ، لكنهما لن يصلا إلى هذا الارتفاع ، بل سيصلان لأعلى قليلاً ، ثم يتناولان الطعام فى الخلاء .

قال لارى : " لنسلك هذا الطريق " . ثم قادها للطريق الأيسر وبدأ التسلق . كان الرجل اليونانى صاحب المطعم يريد اللحاق بهما ؛ لإخبارهما بأن هذا الطريق غير مناسب ، فهو خطير ويصلح لخبراء التسلق فقط . فى تلك اللحظة دخل زبائن للمطعم ، ونسى الرجل أمر الرجل الأمريكى وزوجته .

كانت الشمس حارقة ، لكن كلما تسلقا لأعلى زادت برودة الجو ، وكان الجمع بين الشمس والنسيم البارد شيئاً منعشاً لـ " كاثرين " . كان اليوم جميلاً ، وكانت مع الرجل الذى تحبه . من وقت لآخر كانت كاثرين تنظر إلى الأسفل ؛ لكى تعرف إلى أى ارتفاع وصلا ، وكانت تندهش . زاد نقص الهواء ، وزادت صعوبة التنفس . كانت تسير وراء لارى ؛ لأن الطريق ضيق ، ولا يسمح سوى بمرور شخص واحد ، ولم يتمكنا من السير متجاورين تساءلت متى سيتوقفان لتناول الطعام .

أدرك لارى أن كاثرين تسير بصعوبة خلفه ، وزادت المسافة بينهما ، فوقف ينتظرها .

قالت له : " آسفة ، الارتفاع الشاهق يصيبنى بالتعب " ثم نظرت للأسفل ، وقالت : " يبدو أننا سننزل فى وقت طويل " .

قال لها : " كلا ، ليس وقتاً طويلاً " ثم استدار وواصل الصعود عبر الطريق الضيق . نظرت إليه وتنهدت ، وواصلت الصعود بإصرار . صاحت فيه مازحة : " يا ليتنى تزوجت لاعب شطرنج " .

لم يرد لارى .

وصل لارى لدوران حاد مفاجئ عبر الطريق ، وكان أمامه جسر خشبى به حبل واحد للإمساك به ، وكان الجسر مبنياً عبر هوة عميقة ، وكان الجسر يتأرجح فى الهواء مع الرياح ، ولا يبدو آمناً بالقدر الكافى لتحمل أى وزن ، وضع لارى قدمه على أول لوح خشبى متعفن ، ونزل اللوح لأسفل تحت ثقل وزنه ثم ثبت . نظر لارى للأسفل ، كانت الهوة أكبر من ١٠٠٠ قدم . بدأ لارى فى عبور الجسر مع تقدير كل خطوة بحرص ، ثم سمع صوت كاثرين : " لارى ! " فاستدار فوجدها أمام الجسر .

" لن نعبر على هذا الجسر ، فهو لن يتحمل وزن قطة ! "

" لن يتحمل إلا إذا تمكنت من الطيران " .

" لكنه لا يبدو آمناً " .

قال لها : " لكن الناس يعبرونه كل يوم " ثم استدار وواصل التسلق ، وترك كاثرين واقفة عند بداية الجسر .

خطت كاثرين أول خطوة فبدأ الجسر فى الاهتزاز ، ونظرت للهوة السحيقة وملأها الخوف . يعد الأمر ممتعاً بل خطيراً . نظرت أمامها ، ووجدت أن لارى على وشك الوصول للجانب الآخر . ضغطت على أسنانها من الغيظ ، وأمسكت بالحبل ، وبدأت تعبر وكان الجسر يتأرجح مع كل خطوة . استدار لارى فى الناحية الأخرى وأخذ

يراقبها . كانت تتحرك ببطء ، وتمسك بالحبل بكل ما أوتيت من قوة ، وحاولت ألا تنظر إلى أسفل الهوة السحيقة ، رأى لارى الخوف على وجهها ، وعندما وصلت إليه كانت ترتعد خوفاً ، وشعرا بالرياح الباردة التى تجتاح أعالى الجبال المغطاة بالثلوج .

قالت كاثرين : " لا أظن أننى مؤهلة طبيعياً لتسلق الجبال ، ألا يمكننا العودة يا حبيبى الآن ؟ " .

نظر إليها فى دهشة : " لم نر المناظر الجميلة بعد يا كاثى " .

" رأيت ما يكفينى لبقية حياتى " .

احتضنها وقال مبتسماً : " سأخبرك بشىء ما ، يوجد فى الأعلى مكان مثالى وهادئ لتناول الطعام فى الخلاء ، وسنتوقف عنده ، فما رأيك ؟ " .

قالت على مضض : " لا بأس " .

" هذه كاثى التى أعرفها " .

ثم ابتسم لها سريعاً ، ثم استدار ، وبدأ التسلق مرة أخرى وكاثرين وراءه ، واعترفت لنفسها أن منظر القرية من أعلى ، جميل جداً ، ويسلب الألباب ، وكأنه مشهد من بطاقة بريدية لمكان هادئ يسوده السلام ، إنها سعيدة حقاً لمجيئها إلى هنا ، فهى لم تر لارى سعيداً ومتحمساً بهذا الشكل منذ فترة زمنية طويلة . بدا أن لارى ممتلئ بالإثارة بشكل متزايد كلما تسلقوا إلى أعلى . كان وجهه متورداً ، وكان يثرثر فى أمور تافهة ، وكأنه يفعل ذلك لتفريغ بعض طاقته وعصبيته وتوتره بدا أن كل شىء يجعله يشعر بالإثارة : التسلق ، والمنظر الجبلى ، والزهور عبر الطريق .. إلخ . كل شىء بدا وكأنه قد اكتسب أهمية غير معتادة ، وكأن حواسه يتم تحفيزها أكثر من المعتاد . كان يتسلق دون مجهود يذكر ، ولم يشعر بضيق التنفس . بينما نقص الهواء جعل كاثرين تشهق فى تنفسها .

تصلبت قدماها ، وزادت صعوبة تنفسها ، ولم يكن لديها أدنى فكرة عن الزمن الذى استغرقته فى التسلق ، لكن عندما نظرت إلى أسفل وجدت أن القرية بدت كنموذج مصغر من بعيد . بدا الطريق لـ " كاثرين " أكثر وعورة وانحداراً وضيقاً ، وكان يلتف على حافة أخدود ، وكانت تقترب كاثرين من الجبل قدر الإمكان . قال لارى إنها رحلة تسلق سهلة . قالت كاثرين لنفسها : " للماعز الجبلى " . لم يكن هناك أى آثار لمن سبقوهم لهذا المكان ، وكأن أحداً لم يرتده من قبل ، وقل عدد الزهور الأعشاب غريبة الشكل بنية اللون التى تخرج من الصخور . لم تكن كاثرين متأكدة من أنها ستتمكن من الاستمرار فى التسلق . صار الطريق ضيقاً واستدار بحيث بدت الهوة السحيقة تحت قدميها مباشرة مما أصابها بالدوار .

صرخت كاثرين : " لارى ! " .

هرع لارى إلى جانبها فوراً ، وجذبها من ذراعيها ، وأرشدها فوق الصخور ، لكى تواصل السير على الطريق . كان قلبها يدق بعنف . قالت لنفسها : " ما هذا الجنون ، أنا لا أصلح للقيام برحلة سفارى " . تغير الضغط الجوى ، والمجهود جعلها تشعر بالدوار . همت بالتحدث إلى لارى ، لكنها وجدت أنهما وصلا لقمة الجبل .

استلقت على الأرض ، لكى تستعيد قواها ، وشعرت بالنسيم يداعب شعرها ، وقل شعورها بالخوف ، لم يعد هناك ما تخشاه الآن . قال لارى إن طريق النزول سهل ، ثم جلس بجوارها .

" هل تشعرين بتحسن ؟ " .

قالت له : " نعم " وكان قلبها قد كف عن الدق بعنف ، وبدأت تتنفس بشكل عادى ، ثم سحبت نفساً عميقاً ، وابتسمت له .

قالت كاثرين : " انتهى الجزء الصعب . أليس كذلك ؟" نظر إليها لبرهة ، وقال : " انتهى بالفعل يا كاثى " .

رفعت كاثرين نفسها على ساعديها ، ووجدت منصة خشبية للملاحظة والمراقبة على هضبة صغيرة ، وكان على الحافة سور معدنى قديم لمشاهدة المنظر الخلاب للقرية من هذا الارتفاع البانورامى الشاهق . على بعد عشرات الأقدام رأت كاثرين الطريق المؤدى للجانب الآخر من الجبل .

قالت كاثرين : " أوه يا لارى ! إنه جميل ، أشعر كأننى كالمستكشفين الكبار " . وابتسمت له . لكنه لم يكن يسمعها ، ولم يلتفت ناحيتها . بدا مشغول البال ـ ومتوتراً ، كأنه قلق من شىء ما .

نظرت كاثرين إلى أعلى ، وقالت : " انظر ! سحابة قادمة فى اتجاهنا ، لم أقف وسط السحاب من قبل ، وكأننى فى الجنة ! " .

شاهدها لارى وهى تقوم وتسير فى اتجاه حافة الجرف إلى السور المتهالك . مال لارى على ساعديه ، وبدا عليه التفكير فجأة ، وراقب السحاب وهو يتجه إلى كاثرين ، وكان على وشك أن يغطيها .

صاحت بمرح : " سأقف فى منتصف السحابة لكى تخترقنى ! " .

غاصت كاثرين فى لحظة وسط الضباب الرمادى .

قام لارى بدون صوت ، ووقف ساكناً كالتمثال للحظة ، ثم سار بدون صوت ناحية كاثرين . فى ثوان غمره الضباب ، فتوقف لأنه لم يعرف مكانها ، ثم سمع صوتها آتيا أمامه : " يا لارى ، المنظر رائع ! هيا تعال معى " .

سار نحو الصوت ببطء ، وكان صوتها مكتوماً بفعل السحابة ، وصاحت كاثرين وهى تمزح : " إنها كالأمطار الخفيفة ، هل تشعر بها ؟ " كان صوتها يقترب الآن ، كانت على بعد بضع أقدام منه . تقدم لارى خطوة إلى الأمام وكانت يداه ممتدتين وتبحثان عنها .

" لارى ! أين أنت ؟ " .

تمكن من رؤيتها فى الضباب ، وكانت يداه تحاولان الوصول إليها ، وفى تلك اللحظة انقشع الغمام ، واستدارت كاثرين وواجهته ، ولم يفصل بينهما سوى ثلاث أقدام .

تراجعت خطوة للوراء فى فزع ودهشة بحيث إن قدمها اليمنى صارت على حافة الجرف : " أوه ! لقد أفزعتنى ! " .

تقدم لارى خطوة إليها وهو يبتسم ، لكى يطمئنها ، وأمسك بها بكلتا يديه ، وفى تلك اللحظة صاح صوت عالٍ من بعيد : " اللعنة ، لدينا جبال أعلى من هذا فى بلادنا ! " .

استدار لارى فجأة فى دهشة ، وكان وجهه شاحباً من الفزع . ظهرت مجموعة من السائحين مع المرشد اليونانى من الطريق الآخر المؤدى لقمة الجبل . توقف المرشد عندما شاهد لارى وكاثرين .

قال لهما فى دهشة : " صباح الخير ، لابد أنكما تسلقتما المنحدر الشرقى " .

قال لارى بوقاحة : " نعم " .

هز المرشد رأسه ، وقال : " لم يخبرك أحد بأنه طريق خطير ، فالمنحدر الآخر أسهل كثيراً " .

قال لارى بصوت أجش : " سأتذكر ذلك المرة القادمة . لقد اختفى إحساس لارى بالإثارة والذى لاحظته كاثرين فجأة بدون سبب واضح .

قال لارى : " لنهبط من هنا " .

" لكننا لم نصل إلا منذ قليل ، ما الخطب ؟ " .

" لا أحب الزحام والبقاء مع الرعاع من الناس " .

نزلا من الطريق السهل ، وأثناء النزول لم يتحدث لارى قط ، وكأنه مفعم بغضب مكتوم ، ولم تعرف كاثرين السبب . كانت متأكدة أنها لم تقل أو تفعل ما يسىء له . لقد تغير سلوكه فجأة منذ وصول الآخرين . فجأة خمنت السبب فى تغير حالته المزاجية وابتسمت ، ربما كان يريد أن ينعم بلحظات رومانسية معها وسط السحاب ! وهذا سبب أنه اقترب

منها وهو يفرد ذراعيه ، وخطته فشلت عندما جاء السائحون . كادت تقهقه بصوت عال من فرط السعادة . وراقبت لارى وهو ينزل الطريق أمامها ، وشعرت بالدفء يملؤها ، وقالت لنفسها : " سأعوضه فى الفندق " .

لكن عندما عادا للكوخ الملحق بالفندق احتضنته وقبلته ، لكنه قال لها إنه بحاجة إلى الراحة ، لأنه يشعر بالتعب .

ظلت كاثرين مستيقظة على الفراش حتى الثالثة بعد منتصف الليل وهى تشعر بالإثارة التى أصابتها بالأرق . كان يوماً طويلاً ومرعباً . فكرت فى الطريق الجبلى الوعر ، والجسر المتهالك ، وتسلق الصخور . فى النهاية استغرقت فى سبات عميق .

فى اليوم التالى ذهب لارى لموظف الاستقبال . قال لارى : " أخبرنى عن الكهوف التى ذكرتها لى ذات مرة " .

قال الموظف : " نعم ! كهوف بيراما . إنها مليئة بالصخور الملونة المثيرة ، لا تدعها تفوتك " .

قال لارى بلا حماس : " أعتقد أننى سأزورها ، على الرغم من أننى لا أهتم بالكهوف ؛ لكن زوجتى سمعت عنها ، وألحت فى الذهاب لرؤيتها ، فهى تحب تلك الأشياء " .

" أنا متأكد من أنكما ستستمتعان بها معاً يا سيد دوجلاس ؛ بيد أنك يجب أن تتأكد من وجود مرشد أثناء جولتك فى الكهوف " .

" وهل أنا بحاجة إلى مرشد " .

" من الأفضل ذلك ، حدثت حوادث كثيرة ، وفقد الكثير من الناس ، ذات مرة ذهب زوج وزوجته ، ولم يعثر عليهما حتى الآن " .

قال لارى : " إذا كانت خطيرة إلى هذا الحد فلماذا يسمحون للناس بالذهاب للكهوف ؟! " .

" الجزء الجديد فقط هو الخطر ، لأنه لم يتم استكشافه بالكامل بعد ، ولا توجد إضاءة ، ولكن بصحبة المرشد لا داعى للقلق " .

" متى تغلقون الكهوف ؟ " .

" فى السادسة مساءً " .

وجد لارى كاثرين تقرأ تحت ظل شجرة البلوط الوارفة ، فقال لها : " كيف تجدين كتابك ؟ " .

" يمكن الاستغناء عنه " .

جلس بجانبها ، وقال : " أخبرنى موظف الاستقبال عن بعض الكهوف هنا " .

نظرت إليه كاثرين وهى تتوجس خيفة قليلاً ، وقالت : " كهوف ؟ " .

" قال إنه من الضرورى رؤيتها ، حيث يذهب إلى هناك كل من فى شهر العسل ، وعندما تتمنين أمنية داخل الكهف فإنها تتحقق ، فما رأيك ؟ " . كان صوته مملوءاً بالحماس كالصبية .

ترددت كاثرين للحظة ، وفكرت كم أن لارى يشبه الأطفال ، ثم قالت : " إذا أردت ذلك فلا بأس " .

ابتسم قائلاً : " رائع ، سنذهب بعد الغداء ، واصلى القراءة ، وسأذهب للقرية لشراء بعض المستلزمات " .

" هل تريديننى أن أذهب معك ؟ " .

قال بنبرة عادية : " كلا فسأعود سريعاً ، تمتعى بوقتك " .

" حسناً " .

ثم استدار وتركها .

اشترى لارى من المتجر بطارية ضوئية ، وبطاريات أخرى لتشغيلها ، وبكرة خيط .

قال له التاجر : " هل ستظل فى الفندق ؟ " ثم أعطاه باقى الحساب .

قال لارى : " كلا سأعود لأثينا " .

" سأكون حريصاً لو كنت مكانك " .

قال له لارى وهو ينظر إليه بحدة : " لماذا ؟ "

" هناك عاصفة قادمة ، لذلك ستصيح الماشية " .

عاد لارى للفندق فى الثالثة عصراً ، وفى الرابعة ذهب هو وكاثرين للجبال ، وكانت السماء ملبدة بالغيوم ، وتنذر بعاصفة وشيكة حجبت الشمس .

تقع كهوف بيراما على بعد ثلاثين كيلومتراً شرقى أيونينا ، وتكونت عبر القرون تكوينات صخرية على شكل حيوانات وقصور وجواهر وغيرها ، مما جعل الكهوف مزاراً سياحياً مهماً .

عندما وصل لارى وكاثرين إلى الكهوف كانت الساعة الخامسة أى قبل ساعة من موعد إغلاقها . اشترى لارى تذكرتين وكتيباً من عند شباك التذاكر . جاء مرشد سياحى يرتدى ملابس رثة ، وعرض خدماته عليهما .

قال لارى بجفاء : " لا نحتاج لمرشد " . نظرت إليه كاثرين فى دهشة من نبرته الحادة .

ثم جذب كاثرين من ذراعها ، وقال : " هيا بنا " .

" هل أنت متأكد من أننا لا نحتاج لمرشد ؟ " .

" نعم ؛ الأمر سهل جدًّا . كل ما سنفعله هو الدخول ، وتأمل الكهف ، والكتيب سيخبرنا بما نريد معرفته " .

قالت كاثرين موافقة : " حسناً " .

كان مدخل الكهف أكبر مما توقعت كاثرين ، ومضاء بضوء مبهر بكثير من المصابيح ، كما كان يوجد الكثير من السائحين . بدا سقف وجدران الكهف مليئة بتماثيل العظماء والأبطال المنحوتة فى الصخر : طيور وعمالقة وزهور وتيجان وما إلى ذلك .

قالت كاثرين وهى مبهورة : " رائع جدًّا ! " ، ثم قرأت من الكتيب : " لا أحد يعرف عمر هذه الأعمال الفنية الطبيعية " .

بدا صوتها أجوف ، وتردد مداه عبر السقف الصخرى . فوق رؤوسهما تمتد التكوينات الصخرية إلى أسفل ، وهناك نفق منحوت فى الصخر يؤدى إلى حجرة أصغر ، مضاءة بمصابيح دون غطاء ، وممتدة عبر أسلاك مثبتة عبر سقف الكهف ، وكان هناك بها أشكال فنية طبيعية مثيرة وكثيرة . فى نهاية الكهف كانت توجد لافتة : " خطر ، ممنوع الاقتراب " .

وراء اللافتة كان هناك مدخل لكهف صغير فحصه لارى بينما كانت كاثرين تتأمل تمثالاً منحوتاً بجوار المدخل ، خلع لارى اللافتة جانباً ، وعاد لـ " كاثرين " .

قالت له : " الجو رطب لنخرج من هنا " .

قال لها بحزم : " كلا " .

نظرت إليه فى دهشة .

قال لها موضحاً : " مازال يوجد الكثير لكى نراه . فلقد أخبرنى موظف الفندق بأن أكثر الأماكن إثارة الجزء الجديد ، وقال ينبغى ألا يفوتنا " .

قالت له : " أين هذا الجزء ؟ " .

قال لها : " هناك " وأمسكها من ذراعها ، ووقفا على مدخل الكهف الصغير .

قالت كاثرين : " لن نتمكن من الدخول ، فهو مظلم " ربت كتفها وقال : " لا داعى للقلق ، لقد أخبرنى الموظف بضرورة إحضار بطارية " . وأخرجها من جيبه قائلاً : " ها هى ، ثم أضاءها ، وأنارت فى شعاع ضيق مدخل الكهف الصغير من الصخر القديم .

وقفت كاثرين تحدق إلى المدخل الخاص بالنفق ، وقالت : " إنه كبير ، هل أنت متأكد من أنه آمن ؟ "

قال لها : " بالطبع ، حتى إنه مكان للرحلات المدرسية " .

ترددت كاثرين ، وتمنت لو بقيا مع السياح ، لأن الكهف بدا خطيراً .

لكنها قالت : " حسناً " .

ودخلا عبر النفق ، وابتلعهما الظلام الدامس ، واختفى الضوء الصادر من الكهف الرئيسى ، وكان النفق يتجه لليسار ثم اليمين ، وكانا بمفردهما فى عالم بارد بلا زمن محدد فى مكان من أقدم الأماكن على ظهر الأرض . نظرت كاثرين لوجه زوجها على ضوء البطارية وبدا متحمساً جداً ، مثلما كان عندما كانا على قمة الجبل . أمسكت كاثرين بذراعيه بشدة .

تشعب النفق لعدة طرق ، ورأت كاثرين الأحجار الصخرية الخشنة عبر السقف المنخفض وتشعب الطرق . فكرت فى أسطورة ثيوسيوس اليونانى ، والمينوتور ذلك الحيوان الخرافى الذى يأخذ نصف جسمه شكل إنسان ، والنصف الآخر شكل ثور ، وتساءلت عما إذا كانت ستقابلهما مصادفة أم لا . همت باقتراح العودة ، لكن قبل أن تتفوه به قال لارى : " لنتجه إلى اليسار " .

نظرت إليه ، وقالت بشكل عادى ، مفتعل : " ألا نعود الآن يا عزيزى ؟ الوقت تأخر ، وقد يغلقون الكهف " قال لها : " إنهم يغلقونه فى التاسعة ، وهناك كهف محدد أريد الوصول إليه فلقد استكشف حديثاً وهو رائع جداً " وبدأ يسير إلى الأمام .

ترددت كاثرين ، وحاولت أن تختلق أى عذر لكيلا تصحبه . لماذا يجب أن يفعلا ذلك ؟ كان لارى يستمتع بذلك . إذا كان هذا ما سيسعده فستلبى رغبته ، وتكون أكبر مستكشفة جبال فى العالم .

وقف لارى فى انتظارها ، وقال بعد أن نفد صبره : " هل أنت قادمة ؟ "

تصنعت الاهتمام والحماس ، وقالت : " نعم ، وأتمنى ألا نضل الطريق " .

لم يجبها لارى ، واتخذ الطريق الأيسر ، وسار بحرص مع تجنب الصخور الصغيرة التى تتساقط تحت أقدامهما . تناول لارى شيئاً ما من جيبه ، ولاحقاً سمعت كاثرين صوت شىء يقع على الأرض .

قالت كاثرين : " سمعت صوت شىء ما يسقط ، هل أوقعت شيئاً ؟ "

" بل ركلت حجراً ، هيا نسير بشكل أسرع " . لم تدرِ كاثرين أن بكرة الخيط خلفها تمتد ، لكى تدل لارى على طريق العودة .

بدا سقف الكهف أقل ارتفاعاً ، وزادت الرطوبة ، وكانت كاثرين تضحك بينها وبين نفسها ، وتقول إن الجو العام ينذر بالشؤم ، وكأن النفق سينغلق عليهما ، وبدا مصدراً للتهديد . قالت كاثرين : " لا يبدو أن المكان يرحب بنا " .

" لا تكونى سخيفة يا كاثى ، إنه مجرد كهف " .

" لماذا تظن أننا وحدنا هنا ؟ "

قال لارى بعد تردد : " لا يعرف أحد الكثير عن هذا الجزء الجديد " .

واصلا المسير حتى بدأت كاثرين تفقد وعيها بالزمان والمكان .

كان النفق يضيق بهما ، والصخور البارزة الحادة تمزق ملابسهما حيث تبرز فجأة .

قالت له : " إلى أى عمق سنستمر ؟ إذا واصلنا المسير فسنصل للصين " .

" لن نبتعد كثيراً " .

تردد صدى صوتها على مدى بعيد فى جوف الكهف . صار الجو بارداً جداً ، وزادت نسبة الرطوبة ، وارتعشت كاثرين . على ضوء

البطارية وجدا الطريق يتشعب إلى طريقين ، وسارا إلى المفترق وتوقفا . بدا الطريق الأيمن أصغر من الأيسر .

قالت كاثرين مازحة : " كان لابد أن يعلقوا لافتات من النيون ، ربما ابتعدنا جدًّا " .

قال لارى : " كلا ، أنا متأكد أن الطريق الأيمن هو المناسب " .

" الجو قارس البرودة يا حبيبى ، لنعد الآن " استدار ليراها وقال : " لقد أوشكنا على الوصول يا كاثى " وضغط على ذراعها ، وقال : " سأدفئك عندما نصل للفندق " ورأى آثار التقاعس على وجهها ، فقال : " لو لم نجد المكان المناسب خلال دقيقتين فسنعود ، ما رأيك ؟ " . شعرت كاثرين بالراحة وقالت : " حسناً " .

" هيا بنا " .

اتجهت للطريق الأيمن ، وشعاع الضوء الصادر من البطارية يعكس أنماطاً ضوئية غريبة ومرعبة على الصخور الرمادية أمامهما . نظرت كاثرين وراءها ، فوجدت ظلاما دامسا ، وكأن ضوء البطارية ينحت بؤرة مضيئة فى وسط الظلام .

وقف لارى فجأة ، وقال : " اللعنة ! " .

" ما الأمر يا لارى ؟ " .

" لقد ضللنا الطريق ؛ لأننا سلكنا الاتجاه الخاطئ " .

" حسناً ، لنعود أدراجنا " .

" دعينى أتأكد من الطريق ، وابقى أنت هنا " .

نظرت إليه فى دهشة ، وقالت : " إلى أين أنت ذاهب ؟ " .

" سأتراجع بضع أقدام إلى المدخل " . بدا صوته متهدجاً وغير طبيعى .

" أنا قادمة معك " .

" سأفعلها أسرع بمفردى يا كاثرين . سأتحقق من الطريق فى التفريعة الأخيرة " بدا عليه نفاد الصبر .

" سأعود إليك بعد ثوان " .

قالت بخوف : " حسناً " .

وقفت تراقبه ، وهو يسير نحو الظلام فى الطريق الذى جاءا منه ، وتغلفه هالة النور ، وكأنه ملاك يتحرك فى أعماق الأرض . بعد دقيقة اختفى الضوء وسقطت كاثرين فى أعمق ظلام دامس فى حياتها ، ووقفت ترتعد من البرد ، وأخذت تعد الثوانى والدقائق لكن لم يعد لارى إليها .

شعرت كاثرين أثناء انتظارها بالسواد الحالك يتموج فى موجات غير مرئية ترعبها وتنذر بالشر . صرخت باسم لارى عدة مرات بصوت أجش ومتردد ، ثم ازدردت ريقها وتنحنحت ، وصرخت بأعلى صوتها ؛ وسمعت الصوت يتردد صداه ويبتلعه الظلام . يبدو أنه لا توجد حياة داخل الكهف ، وبدأت كاثرين تشعر ببوادر الخوف تتسلل إليها . قالت لنفسها : " بالطبع سيعود لارى ، وكل ما علىّ هو البقاء هنا ، والتزام الهدوء " .

مرت الدقائق الثقيلة فى الظلام ، وبدأت تواجه حقيقة أن ثمة خطأ فظيعاً قد حدث . ربما تعرض لارى لحادث أو انزلق وارتطمت رأسه بالصخور الحادة . ربما هو ملقى على بعد أقدام منها ينزف حتى الموت . أو ربما ضل الطريق والبطارية انطفأت ، وانحبس فى جوف الكهوف مثلها .

شعرت بالاختناق والذعر فوق الوصف ، فاستدارت ، وبدأت تمشى فى الاتجاه الذى جاءا منه ، وكان النفق ضيقاً ، وإذا كان لارى بالقرب من هنا ، فهذه فرصة لكى تسعفه ؛ لكن سرعان ما وصلت للمكان الذى تفرع منه الطريق . تحركت بحرص والحجارة تتدحرج تحت قدميها . خيل إليها أنها سمعت صوتاً من بعيد ، فصاحت باسم لارى بعد أن أرهفت السمع ، لكن الصوت اختفى ؛ فواصلت التحرك حتى سمعت

الصوت مرة أخرى ، وكان أشبه بجهاز التسجيل ، لابد أن هناك أحدًا هنا .

صرخت كاثرين بأعلى صوتها ، وابتلع صوتها الصمت الرهيب . ثم سمعت الصوت مرة أخرى ! كانت ضوضاء كآلة تدور وكان الصوت آتيا فى اتجاهها بسرعة جدًا . ارتفع الصوت ، وهبت رياح مفاجئة ، واقترب مصدر الصوت أكثر فأكثر ، ثم قفز فوق وجهها فى الظلام ، وشعرت بملمس جلدى مبتل يلامس خدها ورأسها ويخنقها بينما ترفرف أجنحته ، وبدأ هذا الجسم المرعب الذى لا تعرف اسمه يهاجمها فى الظلام ، ففقدت كاثرين وعيها .

كانت مستلقية على الأرض الصخرية الصلبة ، وكان هناك حجر حاد يوخزها فى جسدها وهذا الشعور بعدم الراحة الناتج عن ذلك الوضع هو ما جعلها تستعيد وعيها . كان خدها دافئاً ولزجاً ، وبعد دقيقة أدركت أن الدماء تغطى وجهها ثم تذكرت الأجنحة والمخالب التى هجمت عليها فى الظلام وبدأت ترتعد . وأدركت أن الكهف ملىء بالخفافيش .

حاولت أن تتذكر كل ما تعرفه عن الخفافيش ، قرأت ذات مرة أنها تتجمع بالآلاف فى الكهوف ، وهى كالفئران ذات الأجنحة ، وهناك بعض منها يمص الدماء ، لكنها حاولت ألا تفكر فى ذلك ، قامت كاثرين رغماً عنها ، وكانت يداها تؤلمانها من الاحتكاك بالصخور .

قالت لنفسها : " لن أجلس هنا بلا حراك دون أن أفعل شيئاً ، سأنهض وأحاول الخروج . وقفت بصعوبة وألم على قدميها . كان رداؤها ممزقاً ، وفقدت حذاءها ، لكن لارى سيشترى لها رداء آخر غداً بدأت كاثرين تتخيل نفسها مع لارى ، يتسوقان ، ويضحكان ، ويشتريان رداء أبيض لها ، لكن الرداء تحول إلى كفن ، وشعرت برعب شديد . يجب أن تظل تفكر فى الغد ، لكيلا تغرق فى الكوابيس ، ويجب أن تواصل السير . لكن فى أى طريق ؟ لقد استدارت ، وقالت

إنها لو سارت فى الطريق الخاطئ سيبتلعها جوف الكهف ، وفى نفس الوقت لا يجب أن تظل هنا . حاولت تقدير الوقت الذى ظلت فيه هنا ، ربما ساعة أو ساعتين منذ دخولها للكهف . لم تعرف كم من الوقت مر فى فترة إغمائها . ربما سيبحث عنها أفراد الأمن هى ولارى . ماذا لو لم يعرف أحد بما تلاقيه من عذاب ، لم يكن هناك أحد يتحقق من الداخلين للكهف . ترى هل ستظل هنا للأبد ؟

خلعت الفردة الأخرى من الحذاء ، وواصلت السير بخطوات حريصة وبطيئة ، مع تشابك الأيدى لمنعهما من الارتطام بالصخور أو الجوانب الخشنة للحائط الكهفى . يوجد مثل صينى يقول : " رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة " . الصينيون أذكياء فى الأمثال ، وفى الاختراعات لكنهم ، لم يدخلوا الكهوف المظلمة لكى يضلوا الطريق فى جوفها . ربما لو فسارت ستقابل لارى مصادفة ، أو بعض السائحين ، وتعود للفندق ، وتأكل وتشرب وتضحك على هذا الموقف لاحقاً . كل ما يجب أن تفعله الآن هو مواصلة السير .

توقفت فجأة ، حيث سمعت عن بعد صوت حركة الأجنحة ، وكانت الأشباح آتية إليها فى سرعة رهيبة ، بدأت ترتعد بشكل لا إرادى ثم صرخت ، ولاحقاً جاء مئات الخفافيش تحوم حولها ، وتضربها بأجنحتها الباردة اللزجة ، وتخنقها بأجسامها التى تشبه الفئران وشعرت أنها فى كابوس مرعب للغاية . كان آخر شىء تتذكره قبل أن تفقد الوعى هو صراخها باسم لارى .

كانت مستلقية على الأرضية الباردة الرطبة للكهف وكانت مغلقتين ، لكن عقلها تيقظ فجأة ، وقالت لنفسها : " لارى كان يريد قتلى " وكأن عقلها الباطن هو من أوحى لها بالفكرة بكل وضوح . فى سلسلة من الومضات السريعة سمعت لارى يقول : " إننى ... إننى أحب امرأة أخرى ... أريد الانفصال بالطلاق " . ثم تذكرت عندما مد

يديه ناحيتها وهما على قمة الجبل ..... تذكرت عندما رأت الجبل المنحدر ، وقالت ستستغرق وقتاً طويلاً للنزول قال لارى : " كلا لن يحدث ... لن نحتاج لمرشد .... لقد ضللنا الطريق ، وسرنا فى طريق خاطئ . انتظرى هنا ... سأعود فى غضون ثوان " ثم الظلام الدامس المرعب .

لم يعتزم لارى العودة إليها أبداً . الصلح بينهما ، شهر العسل الجديد ... كل هذا كان مجرد تظاهر وخداع ، كجزء من الخطة لكى يتمكن من قتلها . كانت طوال الوقت تحمد الله على أنه منحها فرصة أخرى وكانت تثق فى نفسها ومهاراتها فى أنها ستستعيد حبه المفقود ، بينما كان هو يتآمر على حياتها . وها هو نجح ، فهى لن تخرج من هنا أبدا . كانت مدفونة وهى على قيد الحياة داخل مقبرة حالكة الظلام ومرعبة . ذهبت الخفافيش لكنها شعرت وشمت رائحة قاذوراتهم التى لطخت وجهها وجسدها ، وعلمت أنهم سيعودون من أجلها ، لم تعرف هل ستجن من هجمة أخرى منهم أم لا ، وكان التفكير فى ذلك قد جعلها ترتعد خوفاً ، ولكنها أجبرت نفسها على سحب أنفاس عميقة ببطء .

ثم شعرت بمقدم الخفافيش مرة أخرى ، بدا الصوت كالهمهمة الخفيضة ثم زاد وصار صوتاً عالياً متجهاً نحوها . صرخت فجأة فى ألم وترددت أصداء صراخها فى الظلام الدامس ، وزاد علو صوت رفرفة أجنحة الخفافيش ثم ظهر ضوء فى نهاية النفق المظلم وسمعت أصواتاً بشرية تناديها وشعرت بأيادٍ تمتد لها ، وتحملها وأرادت تحذيرهم من الخفافيش ولكنها لم تتوقف عن الصراخ بشكل لا إرادى .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

٢٢

ظلت مستلقية ومتصلبة كالتمثال لكيلا تقترب منها الخفافيش وظلت تسمع رفرفة أجنحتها وهى تغلق عينيها بشدة .

سمعت صوت لرجل يقول : " إنها معجزة أننا وجدناها " .

قال صوت آخر : " هل ستكون بخير ؟ "

كان هذا الصوت الآخر هو صوت لارى .

شعرت كاثرين بالرعب يجتاحها مرة أخرى وكان كل عصب من أعصاب جسدها يصرخ ويحفزها على الهروب . جاء قاتلها من أجلها صاحت بألم مكتوم : " كلا ! " وفتحت عينيها فوجدت نفسها فى الفراش فى كوخ الفندق وكان لارى واقفاً فى آخر الفراش وبجوار رجل لم تره من قبل جاء لارى ناحيتها وقال : " كاثرين .... " .

تراجعت كاثرين للخلف بينما يسير لارى ناحيتها وقالت بصوت ضعيف أجش : " لا تلمسنى ! "

قال لارى وكان وجهه يعبر عن الأسى : " كاثرين ! "

قالت كاثرين للرّجل الآخر : " ابعد عنى ! "

قال الرجل الغريب : " إنها لا تزال تحت تأثير الصدمة ، ربما من الأفضل أن تنتظر بالخارج فى الحجرة الأخرى " .

نظر لارى لـ " كاثرين " لبرهة ولم يبد أى تعبير على وجهه ثم قال : " بالطبع ، سأفعل ما هو فى صالحها " ثم خرج من الحجرة .

اقترب منها الرجل الغريب ، وكان بديناً قصيراً وله وجه بشوش وكان يتحدث بالإنجليزية بلكنة أجنبية : " أنا د. " كازوميديس " ، لقد قضيت وقتاً عصيباً يا مدام دوجلاس ، لكنى أؤكد لك أنك ستكونين بخير ، أصابك ارتجاج بسيط فى المخ ،. وصدمة عنيفة ، لكن خلال أيام ستتحسن صحتك . كان يجب أن يغلقوا الكهوف اللعينة فهذا ثالث حادث مماثل لهذا العام " .

هزت كاثرين رأسها ثم توقفت ثم اهتز جسدها بعنف وقالت : " لم تكن حادثة ، بل حاول قتلى ! "

" من حاول قتلك ؟ "

كانت شفتاها جافتين ولسانها ثقيل الحركة وتتحدث بصعوبة : " إنه زوجى " .

قال الطبيب : " كلا " .

لم يصدقها ، وازدردت ريقها وحاولت إقناعه : " لقد تركنى فى الكهف لكى ألقى حتفى " .

هز رأسه بالنفى وقال : " كان حادثاً ، سأعطيك مهدئاً وستشعرين بتحسن بعد الاستيقاظ " .

اجتاحتها موجة من الخوف وقالت : " كلا ! ألا تفهم ؟ لن أستيقظ أبداً ، أخرجنى من هنا من فضلك ! "

ابتسم الطبيب ليطمئنها وقال : " قلت لك إنك ستصبحين بخير يا مدام دوجلاس . كل ما تحتاجين إليه هو نوم طويل هادئ " . ثم فتح حقيبة الأدوات وبحث عن الحقنة .

حاولت كاثرين النهوض لكن باغتها ألم فظيع وتصبب منها العرق فهوت على الفراش ورأسها تطن بألم لا يحتمل .

قال الطبيب : " لا تحاولى الحركة بعد ، لقد مررت بموقف عصيب " . ثم ملأ الحقنة بسائل أصفر من زجاجة صغيرة وقال متجهاً لـ " كاثرين " : " أعطنى ظهرك من فضلك وعندما تستيقظين ستشعرين بتحسن " .

قالت له هامسة مستنجدة : " لن أستيقظ ! سيقتلنى وأنا نائمة " .

بدا القلق على وجه الطبيب وسار نحوها وقال : " أعطنى ظهرك يا مدام دوجلاس " .

حدقت إليه بعينين عنيدتين متمردتين فأمسكها برفق ورفعها وأعطاها الحقنة فى خصرها ثم قال : " لقد انتهيت الآن " .

استراحت فى رقدتها وهمست والدموع تتدفق بغزارة ! " لقد قتلتنى هكذا ! "

قال الطبيب بهدوء : " هل تعرفين كيف وجدناك يا مدام دوجلاس ؟ "

همت بهز رأسها بالنفى وتذكرت ألم رأسها . قال الطبيب بصوت رقيق : " قادنا زوجك إليك " .

حدقت إليه ولم تستوعب ما قاله من هول المفاجأة ، فقال الطبيب : " لقد سار فى الطريق الخاطئ وضل الطريق وسط الكهف وعندما لم يتمكن من إيجادك طار عقله وجن جنونه واستدعى البوليس وقامت فرق الإنقاذ بالبحث عنك " .

مازالت تحدق إليه وهى لا تفهم وقالت : " لارى طلب المساعدة من أجلى ؟ "

" كان فى حالة يرثى لها وألقى باللوم على نفسه لما حدث لك " .

حاولت أن تفهم وتستوعب المعلومات الجديدة . إذا كان لارى يحاول قتلها فلماذا يستدعى النجدة ولماذا جن جنونه وساوره القلق

البالغ على سلامتها . ملأتها الحيرة الكبرى وكان الطبيب ينظر إليها باشتياق .

" حاولى أن تنامى الآن وسآمر عليك فى الصباح " .

لقد كانت تظن أن حبيبها قاتل وكان عليها الاعتذار له بعد أن تعترف له بخطئها وتطلب منه الغفران ، لكن ثقل رأسها وأغمضت عينيها وقالت لنفسها : " عندما أستيقظ سأخبره لاحقاً وسيتفهم الموقف ويسامحنى وكل شىء سيعود رائعاً كما كان " .

استيقظت بسبب صوت الرعد الحاد المفاجئ وفتحت عينيها بشدة وكان قلبها يدق فى عنف وكان المطر يهطل بغزارة ويدق بعنف على زجاج حجرة النوم والبرق أنار كل المكان بنور خافت أزرق وجعلت الحجرة كالصورة الفوتوغرافية التى تم تحميضها أكثر من اللازم . عصفت الرياح بالمنزل وهزته بعنف وأخذ المطر يطرق النوافذ والسقف مثل صوت آلاف الطبول الصغيرة وكل بضع ثوان تسمع كاثرين صوت الرعد يتبعه البرق الخاطف .

كان صوت الرعد هو ما أيقظ كاثرين وقامت بمشقة وأصبحت فى وضع الجلوس ونظرت إلى الساعة بجوار الفراش . كانت تشعر بالدوار من الحقنة المهدئة وحدقت بعينيها بشدة لترى أرقام الساعة . كانت الثالثة بعد منتصف الليل . كانت بمفردها . لابد أن لارى كان ساهراً فى الحجرة المجاورة وهو يقلق بشدة عليها ويسهر على راحتها وتمريضها . كان يجب أن تذهب إليه لأنها مدينة له بالاعتذار . حاولت النهوض ببطء ووضعت قدميها على الأرض وحاولت الوقوف ، وشعرت بالدوار أكثر وكانت عضلاتها متصلبة من قلة الحركة والطنين فى رأسها يؤلمها فوقفت مستندة على مقبض الباب ثم فتحت الباب المؤدى لحجرة المعيشة .

لم يكن لارى هنا . كان هنا ضوء فى المطبخ فسارت بخطى متثاقلة إليه وكان لارى واقفاً فى المطبخ وظهره لها فنادته : " لارى ! " لكن صوتها لم يصل إليه بسبب صوت الرعد . قبل أن تناديه مرة أخرى رأته بصحبة امرأة . وقال لارى : " من الخطر أن .... " وكانت الرياح العاصفة تبعد باقى الكلمات عن مجال السمع .

" لقد جئت لكى أتأكد من .... " .

" سيروننا معاً ولن يعرف أحد ..... " .

" ... ثمة ما يسوء ، لن يفعلوا بنا ... " .

" ..... قلت لك سأهتم بالأمر .... " .

" اقتلها وهى نائمة الآن ... " .

وقفت كاثرين وكأنما أصابها الشلل ولم تتمكن من الحركة . كأنها تسمع عبارات تلغرافية وباقى الجملة يضيع فى أصوات الرياح والرعد .

" .... لنتحرك سريعاً قبل أن تستيقظ ... " .

غمرها الخوف من جديد وارتعدت كل أجزاء جسمها وشعرت بالفزع الكبير . لقد صار كابوسها حقيقة ، لقد كان يحاول قتلها . كان عليها الهرب قبل أن يعثروا عليها ويقتلوها . حاولت السير لكن ببطء لأن كل جسدها كان يرتعش ، فصدمت أباجورة لكنها التقطتها قبل أن تسقط على الأرض . دقات قلبها الآن قوية وسريعة وخيل إليها أنها أعلى من الرعد والمطر . وصلت للباب الأمامى وفتحته وأوشكت الرياح على خلعه من يدها .

وقفت ليلاً فى الطريق وأغلقت الباب خلفها وغمرها على الفور المطر الغزير وأدركت لأول مرة أنها لا ترتدى سوى قميص نوم كالغلالة الرقيقة . لم تهتم بذلك ، فكل همها كان الهرب من الموت . عبر الأمطار الغزيرة رأت أضواء قاعة الاستقبال فى فندق على مرمى البصر . يمكنها الذهاب إلى هناك وطلب النجدة ، لكن هل سيصدقها أحد ؟ تذكرت وجه الطبيب عندما قالت له أن لارى حاول قتلها . سيظنون

أنها تعانى من الهستيريا ويعيدونها لـ " لارى " . يجب أن تهرب من هذا المكان . ذهبت عبر الطريق الصخرى المؤدى للقرية .

حولت عاصفة المطر الغزير الطريق إلى وحل وطين زلق غاصت فيه قدماها الحافيتان مما أبطأ سيرها وشعرت أنها فى أسوأ كوابيسها وتحاول بدون جدوى الهرب من الموت بخطوات بطيئة بينما يعدو وراءها المطاردون بسرعة . وقعت عدة مرات على الأرض ونزفت قدماها من الصخور الصلبة والحجارة عبر الطريق ، لكنها لم تدرك ذلك من الهول والفزع . كانت فى حالة صدمة وتتحرك كالإنسان الآلى . تسقط عندما تدفعها الرياح ثم تنهض وتسير عبر الطريق المؤدى للقرية ، بدون أن تعلم وجهتها ولم تعد تشعر بالمطر الغزير .

أدى بها الطريق فجأة إلى الشارع المهجور المظلم على حافة القرية وظلت تسرع فى السير بجهد شديد كالفريسة التى يطاردها القناص وتسرع بالخطوة تلو الأخرى بشكل آلى بدون تفكير وهى مرعوبة من الأصوات المرعبة التى تشق سكون الليل ومن ضربات البرق التى تحول السماء إلى لون أحمر كالنار .

وصلت للبحيرة ووقفت تحدق إليها والرياح تكاد تنتزع قميص نومها من على جسدها . تحول الماء الراكد إلى محيط ذى أمواج هادرة تحركها رياح عاتية وترتفع بها لأعلى وتجعلها ترتطم ببعضها البعض .

وقفت كاثرين وحاولت أن تتذكر ما الذى تفعله هنا . داهمتها ذكرى مقابلتها لـ " بيل فريزر " . كان فى انتظارها فى منزله الجميل لكى يتزوجها . لمحت كاثرين ضوءاً أصفر عبر المطر وأحست أن فريزر فى انتظارها لكن كيف ستصل إليه ؟ هل بدأت تنتابها هلاوس ؟ نظرت ووجدت قوارب راسية على المرفأ وتدور من أثر العاصفة وكأنها تحاول فك قيود رسوها .

علمت ما يجب أن تفعله . سارت بصعوبة فى اتجاه أحد القوارب وقفزت بداخله وحاولت بصعوبة الحفاظ على توازنها وهى تحاول فك

الحبل الخاص بالرسو على المرفأ ، مما أعطى القارب دفعة كبرى مفاجئة فوقعت فى القارب ثم قامت وجلست وأمسكت بالمجدافين وحاولت أن تتذكر كيف كان لارى يستخدمهما . لم يكن لارى فى ذهنها بل كان هناك بيل فريزر . كان هو من يجدف معها وسيقابل والديه للتعارف . حاولت استخدام المجدافين لكنهما سقطا فى الماء من شدة اهتزاز المركب وراقبتهما وهما يختفيان إلى عمق الماء . كان القارب يسرع إلى مركز البحيرة وارتعدت كاثرين من البرد وتحولت الرعشة إلى تشنجات لا إرادية . شعرت بشىء يرتطم بقدميها ووجدت القارب ممتلئ بالماء ، بدأت تبكى لأن فستان زفافها سيبتل . لقد اشتراه لها فريزر وسيغضب منها . ستتزوج بيل فريزر . ثم اختفى فريزر والضوء الأصفر ووجدت نفسها فى الكهف ولارى والمرأة الأخرى يحاولان قتلها وإغراقها . لم يعد فريزر يرغب فيها زوجة له . لم يعد لديها أحد الآن .

ابتعد الشاطئ عن مرمى البصر ولم يتبقى سوى المطر الغزير وكانت كاثرين وحيدة فى الليلة العاصفة مع الرياح الصارخة تطن فى أذنيها . بدأ القارب يهتز بصورة خطيرة والأمواج تتقاذف به لكن لم تعد كاثرين تشعر بالخوف ، بل سرى دفء خدرى فى جسدها وبدا المطر وكأن له ملمسًا مخمليًا على جلدها . بدأت تضم يديها وتضرع فى دعاء الله كان أبوها قد علمه لها وهى صغيرة لكى تردده قبل النوم " . سأنام الآن ... فليتقبل الله روحى إليه ، وليرحمنى .... " وفجأة غمرها شعور مفاجئ من السعادة وأحست أن كل شىء سيكون على ما يرام . إنها فى طريقها للمنزل .

وفجأة فى تلك اللحظة انقلب القارب بفعل موجة عارمة وبدأ يغرق فى البحيرة السوداء التى لا قاع لها .

الكتاب
الثالث

المحاكمة

أثينا : ١٩٤٧

٢٣

قبل خمس ساعات من بداية محاكمة نويل باج ولارى دوجلاس كانت القاعة ٣٣ فى محكمة أثينا تعج بالحضور . كانت المحكمة تشغل بناية ضخمة ورمادية تحتل مساحة كبيرة فى شارع الجامعة اليونانية . وكانت توجد ٣٠ قاعة محكمة وهناك ٣ قاعات فقط مخصصة للجنايات : الغرف ٢١ و ٣٠ و ٣٣ ، وتم اختيار الغرفة رقم ٣٣ لأنها الأكبر وقد امتلأت المرات خارج تلك القاعة بالبوليس للتحكم فى زحام الناس ومنعهم من الدخول وكشك الساندويتشات باع كل ما لديه فى خلال خمس دقائق وكان هناك طابور طويل أمام كشك الهاتف العمومى .

كان رئيس الشرطة جورجيوس سكورى يشرف بنفسه على الترتيبات الأمنية . كان المصورون الصحفيون فى كل مكان وتمكن سكورى من أن يجعلهم يصورونه كثيراً مما أرضى غروره . كان الدخول لقاعة المحكمة صعباً جداً ولا يتاح سوى للصفوة ممن يتمكنون من الدفع ، وقد حوصر أعضاء هيئة القضاء اليونانى من قبل أقاربهم وأصدقائهم بطلبات للدخول وحضور المحاكمة ، وتمكن أصحاب النفوذ من توفير وحجز مقاعد

للناس مقابل خدمات أخرى أو مقابل المال حيث يتكلف المكان ٥٠٠ درخمة .

وكان مكان المحاكمة عادياً ، حيث إن القاعة ٣٣ فى الطابق الثانى من مبنى المحكمة عبارة عن ساحة قديمة شهدت آلاف المعارك القانونية التى وقعت عبر السنوات الماضية . كانت القاعة عرضها ٤٠ قدماً وطولها ٣٠٠ قدم ، والمقاعد مقسمة إلى ٣ صفوف وعرض كل صف ٦ أقدام وكل صف به ٩ مقاعد .

فى مقدمة القاعة توجد منضدة مرتفعة خلف قسم من خشب الماهوجنى عرضه ٦ أقدام به مقاعد من الجلد لها ظهر مرتفع للقضاة . كان المقعد الأوسط لرئيس القضاة وفوقه مرآة مربعة قذرة تعكس جزءاً من القاعة .

أمام المنضدة كانت توجد منصة للشهود عبارة عن منضدة خشبية مربعة ومائلة بها ما يشبه الصينية لحمل الأوراق . من الناحية الأخرى يوجد مكان هيئة المحلفين المكونة من ١٠ أفراد اتخذوا مقاعدهم ، وفى اليسار كان هناك قفص الاتهام وفى الأمام مكان الدفاع ومنضدة المحاميين .

كانت الحوائط جديدة ومبطنة لكتم الصوت الخارجى وعدم تسريب الصوت من داخل القاعة لخارجها وكانت الأرضية من المشمع اللامع على عكس القاعات الأخرى ذات الأرضية الخشبية وكان هناك عشرات اللمبات الكهربائية معلقة فى السقف ومحاطة بالزجاج الدائرى . فى أحد أركان الحجرة كانت هناك مدفئة قديمة تسرى منها تيارات دافئة تتصاعد إلى السقف . كان هناك قسم فى القاعة مخصص للصحافة به مندوبو أشهر وكالات الأنباء .

كانت ظروف محاكمة الجنايات تثير ضجة إعلامية وتثير الرأى العام لكن ما زاد من الإثارة هو شهرة المتهمين . كان المكان يعج بالناس وكأنه سيرك وليس قاعة محكمة وكانت تمتلئ بنجوم من بين الحضور

كان فى الصفوة الأولى الممثل الفرنسى فيليب سوريل الذى كان عشيق نويل سابقاً كما تقول الإشاعات . كان سوريل قد حطم كاميرا صحفى حاول تصويره وهو يتجه لقاعة المحكمة ورفض بإصرار التحدث مع الصحافة . جلس فى مقعده وظل صامتاً ومتجاهلاً للآخرين من حوله وكأنه بمفرده ويفصله عنهم جدار غير مرئى . فى الصف الخلفى جلس أرمان جوتييه المخرج الطويل ذو الوجه المرعب ، والذى ظل يتفحص القاعة وكأنه يأخذ ملاحظات ذهنية لفيلمه القادم . وبجواره جلس كاتس الجراح الفرنسى الشهير الذى يعد أحد أبطال المقاومة .

على بعد مقعدين جلس ويليام فريزر المساعد الخاص برئيس الولايات المتحدة . بينما سرت إشاعة كالنار فى الهشيم بأن كونستانتين ديميريس سيحضر المحاكمة .

فى كل مكان يرى الناس فى القاعة وجه مألوف لأحد المشاهير : سياسى ، مطرب ، نحات ، مؤلف ، وغيرهم . وعلى الرغم من وجود المشاهير فإن محور التركيز والانتباه كان على قفص الاتهام .

فى قفص الاتهام كانت تجلس نويل باج وكانت جميلة جداً وجلدها الذى يشبه لون العسل أصبح باهتاً قليلاً وترتدى زياً فخماً جداً وكانت تبدو كالملكة المتوجة مما يُعلى من قدر المأساة التى تتعرض لها ، وكان مظهرها يهيج الجماهير المتعطشة للدماء المطالبين بإعدامها .

كما قالت إحدى الصحف الأمريكية : " الانفعالات إزاء نويل باج كانت قوية وطاغية الحضور فى قاعة المحكمة . لم تكن الانفعالات متمثلة فى الكراهية والتعاطف ولكن غالباً كانت مجرد توقع وترقب ، فالمتهمة بجريمة القتل ليست امرأة عادية بل خارقة يعرفها الجميع بمركزها المرموق وشهرتها البالغة . كان المشهد مثل مشاهدة الفلاحين لـ " مارى أنطوانيت " وهى فى طريقها للإعدام " .

لم تكن نويل هى النجمة الوحيدة فى قاعة المحكمة الأشبه بالسيرك كان هناك فى قفص الاتهام أيضاً لارى دوجلاس الذى يعتريه غضب

مكتوم . كان وجهه الوسيم شاحباً وقد فقد وزنه مما زاد من إظهار ملامحه المتناسقة وشعرت العديد من النساء بالرغبة فى احتضانه ومواساته بأى طريقة . منذ إلقاء القبض عليه وهو يتلقى مئات الرسائل من النساء من مختلف أنحاء العالم وعشرات الهدايا وعروض بالزواج .

كان النجم الثالث هو نابليون شوتاس المحامى الشهير فى اليونان ، وكان من أشهر المحامين الجنائيين ولقد ترافع عن زبائن مثل رؤساء الحكومة المتورطين بالاختلاس والقتلة المتورطين فى جرائم القتل ولم يخسر أى قضية كبرى من قبل . كان شوتاس رجلاً نحيلاً ونحيفاً وجلس يشاهد الجماهير الحاضرة بعينين واسعتين وحزينتين وجاحظتين وكان وجهه مكفهراً . كان شوتاس كلما تحدث لهيئة المحلفين كان يتحدث ببطء وبتردد ويدعى عدم القدرة على التعبير عن نفسه ويظهر شعوره بالألم والإحراج لدرجة أن أحد المحلفين قد يسعفه بالكلمة التى يحاول قولها فيشعر بالارتياح والامتنان لتلك المساعدة ، مما يجعل المحلفين يتعجبون منه جداً . لأنه فى الواقع ، وخارج قاعات المحاكم كان شوتاس متحدثاً بارعاً وحاذقاً ولبقاً ويجيد التحكم فى أدواته اللغوية ويتقن سبع لغات بطلاقة وعندما يكون لديه وقت فراغ فى جدول أعماله المزدحم كان يلقى المحاضرات على هيئة المحلفين فى جميع أنحاء العالم .

كان بجوار شوتاس يجلس على بعد بضعة أقدام على مقعد آخر المحامى فريدريك ستافروس الموكل للدفاع عن لارى دوجلاس . على الرغم من اتفاق الخبراء على أنه كفء فى القضايا العادية إلا أنه لم يكن بالخبرة والعمق الكافيين لقضية مهمة كهذا .

حاكمت الجرائد والجماهير لارى ونويل وحكمت عليهما بأنهما مذنبان ولم يشك أحد فى ذلك أبداً ولو للحظة . راهن الناس على أن الحكم هو الإعدام ، وما زاد الموقف إثارة هو أن أشهر محام جنائى سيحاول استخدام كل حيله وألاعيبه لتبرئتهما .

عندما أعلن على الملأ أن شوتاس سيدافع عن نويل المرأة التى خانت ديميريس وجعلته أضحوكة المجتمع أحدث هذا الخبر ضجة كبرى . لأن شوتاس رجل قوى وذو نفوذ لكن ديميريس أكثر منه قوة ونفوذاً بمئات المرات ولا أحد يعرف سبب معاداة شوتاس لـ " ديميريس " . الأغرب هو الحقيقة الواضحة بعيداً عن الشائعات الغريبة المتناثرة : لقد تولى شوتاس الدفاع عنها بناءً على طلب شخصى من ديميريس .

قبل ثلاثة أشهر من موعد المحاكمة جاء مأمور السجن بنفسه لـ " نويل " فى زنزانتها فى سجن شارع سانت نيكوديوس لكى يخبرها برغبة ديميرس فى زيارتها ، وكانت قد تساءلت قبل ذلك عما إذا كان سيحاول الاتصال بها ، ولكن لم يحاول الاتصال بها منذ إلقاء القبض عليها . وسادت فترة صمت رهيب لا يبشر بخير .

عاشت نويل مع ديميريس لفترة كافية بحيث عرفت عمق إحساسه بالعشق الخالص وإلى أى مدى ينتقم لأقل إهانة . لقد أهانته نويل أكثر من أى شخص ، وهو قوى لدرجة إنزال العقاب الرهيب بها . السؤال الوحيد هو : كيف سينزل بها العقاب ؟ كانت نويل متأكدة من أنه لن يلجأ لأسلوب رخيص مثل رشوة المحلفين أو القضاة بل سيلجأ لخطة معقدة لكى يشعر بلذة الانتقام . كانت نويل تظل مستيقظة على فراش الزنزانة ليالى طويلة تحاول الوصول بما قد يفعله ديميريس وتستبعد طريقة تلو الأخرى مثلما فعل بالتأكيد بحثاً عن الخطة المثالية . وكأنها تلعب شطرنج ذهنياً مع ديميريس ، وكأنها هى ولارى عساكر الشطرنج والمخاطرة مسألة حياة أو موت .

غالباً سيريد ديميريس تدميرها هى ولارى لكنها أدرى البشر بخبايا طبيعة مخ ديميريس . قد يخطط لتدمير أحدهما وترك الآخر يعيش ليتعذب من الفراق . إذا رتب ديميريس للأمر بحيث يعدم كلاهما سيحصل على انتقامه أسرع من اللازم - ولن يتبقى شىء يستمتع به

ويرضى شهوة الانتقام . تفحصت نويل بدقة كل الاحتمالات الخاصة بتلك اللعبة وتوصلت إلى أنه قد يدمر لارى ويدعها تعيش إما فى السجن أو تحت سيطرته لكى يطيل مدة انتقامه لما لا نهاية . ستعانى نويل من فقدان الرجل الذى تحبه ثم عليها أن تتحمل كل الآلام والعذابات التى سيحضرها لها ديميريس في المستقبل . جزء من متعة ديميريس فى الانتقام أن يخبر نويل سلفا لكى تشعر باليأس وتتجرع مرارة الأسى .

لذلك لم تندهش نويل عندما أخبرها رئيس السجن برغبة ديميريس فى رؤيتها .

وصلت نويل أولاً لحجرة مأمور السجن الخاصة حيث تم توصيلها لهناك وتركت وحدها مع علبة ماكياج أحضرتها الخادمة للاستعداد للقاء ديميريس .

تجاهلت نويل مساحيق التجميل وفرشاة الشعر وسارت نحو النافذة وأطلت منها . كانت أول مرة ترى العالم الخارجى منذ فترة السجن التى دامت ثلاثة أشهر ، بخلاف المرات القليلة التى شاهدت فيها العالم الخارجي أثناء انتقالها من السجن إلى المحكمة فى عربة السجن ذات العمدان المعدنية على النافذة وتم اصطحابها عبر القبو ثم عبر المصعد للطابق الثانى مع حراس السجن حيث يتم الاستماع لأقوالها وتم تحديد موعد للمحاكمة وإعادتها للسجن .

نظرت نويل عبر النافذة ورأت زحام المرور عبر شارع الجامعة والرجال والنساء والأطفال يسرعون للعودة إلى عائلاتهم . لأول مرة فى حياتها شعرت نويل بالخوف ، لم يكن لديها وهم البراءة من التهمة فلقد قرأت الجرائد وعلمت أنها لن تكون محاكمة عادية . كان اليونانيون يكرهونها لأنها انتهكت حرمة الزواج ويحقدون عليها لأنها شابة وجميلة ويحتقرونها لأنهم شعروا أنها لا تكترث لمشاعرهم إزاءها .

فى الماضى كانت نويل لا تعبأ بالحياة وكذلك تضيع وقتها سدى وكأنها ستعيش للأبد : لكن الآن تغير شىء ما بداخلها . جعلها الموت الوشيك تدرك لأول مرة رغبتها الجامحة فى الحياة . سرى الخوف بداخلها وزاد مع الوقت وأرادت أن تعيش حتى لو أحال ديميريس حياتها جحيماً ، فستواجه الأمر وبعد ذلك ستجد طريقة للتغلب على ذكاء ديميريس .

ولكن حالياً فى الوقت الراهن تحتاج لمساعدته للإبقاء على حياتها . كانت هناك نقطة فى صالحها ، كانت تستخف بالموت دائماً ، ولذلك لا يعرف ديميريس مدى أهمية الحياة لديها الآن . إذا عرف فسيدعها تموت . تساءلت مرة أخرى ما الذى يدبره لها عبر الشهور الماضية ، وفجأة انفتح الباب فاستدارت وشاهدت ديميريس واقفاً ولقد صدمت من مظهره ولكنها علمت أنه لاداعى للخوف .

شعرت وكأنه قد كبر عشر سنوات على عمره الحقيقى منذ آخر مرة رأته . بدا شاحباً وهزيلاً ونحيفاً وملابسه واسعة على قوامه . جذبت عيناه انتباه نويل حيث إنها تنم عن العذاب الذى يعانيه ، اختفت نظرته المفعمة بالقوة والحيوية والحركة وكأن هناك شيئاً انطفأ بداخله وكل ما تبقى هو نسخة باهتة من ذكاء وبراعة كانت متقدة وباهرة .

وقف ديميريس يحدق إليها وعيناه مفعمتان بالألم .

فى جزء من الثانية تساءلت نويل عما إذا كان هذا المظهر خدعة أو جزءاً من خطة الانتقام ، لكن هل من المعقول أن يمثل عليها بهذه المهارة ؟ خرقت الصمت وقالت له : " أنا آسفة يا كوستا " .

أومأ لها ديميريس ببطء وكأن الحركة تستدعى منه بذل مجهود .

قال ببطء وتعب : " كنت أريد أن أقتلك " كان صوته كرجل عجوز ، " كنت قد رتبت لذلك بالفعل . "

" لماذا لم تقتلنى إذن ؟ "

قال بهدوء : " لأنك قتلتنى أولاً . لم أحتج إلى أحد من قبلك ولم أشعر بالألم من قبل " .

" كوستا ... " .

" كلا ، دعينى أكمل حديثى ، أنا لا أسامح أحداً ، إذا كان باستطاعتى الاستغناء عنك صدقينى لكنت قتلتك ، لكننى لا أستطيع . لا يمكننى تحمل الابتعاد عنك بعد الآن وأريدك أن تعودى لى يا نويل " .

جاهدت لكيلا تظهر ما تشعر به داخلياً وقالت : " لم يعد الأمر بيدى ، أليس كذلك ؟ "

" إذا كان بإمكانى تحريرك ، فهل ستعودين لى وتبقين معى للأبد ؟ "

" للأبد ؟ " رأت فى ذهنها آلاف الصور ؛ لن ترى لارى أبداً أو تلمسه أو تحتضنه . لم يكن لديها أى خيار لأن الحياة أهم ، وطالما أنها ستحيا فستكون هناك فرصة للنجاة . قالت له وهى تنظر إليه : " نعم يا كوستا " .

حدق ديميريس إليها وامتلأ وجهه بالرغبة ، وقال بصوت أجش : " شكراً ، سننسى الماضى الذى ذهب ولن يتغير " ثم قال بصوت مفعم بالألم : " أنا مهتم بالمستقبل . سأحضر لك محامياً للدفاع عنك " .

" من ؟ " .

" نابليون شوتاس " .

أدركت نويل أنها الآن فازت فى لعبة الشطرنج : كش ملك ، مات الملك .

جلس شوتاس على مائدة المحامين الخشبية يفكر فى المعركة الكلامية التى ستحدث فى المحاكمة . كان يفضل أن تحدث المحاكمة فى أيونينا بدلاً من أثينا لكن كان ذلك مستحيلاً ، لأنه وفقاً للقانون

اليونانى لا يمكن أن تتم المحاكمة فى مسرح الجريمة . لم يكن يشك فى لحظة أن نويل مذنبة ، لكن ذلك لم يهمه ، فهو كأى محام جنائى لا يشعر بأهمية أن العميل مذنب أو برىء ، فالجميع يستحقون محاكمة عادلة .

لكن المحاكمة القادمة لن تكون عادية ، فهذه أول مرة يسمح شوتاس لمشاعره الشخصية بالتدخل فى قضاياه : لقد وقع فى غرام نويل باج ، لقد ذهب لرؤيتها بناءً على طلب ديميريس ، وعلى الرغم من أنه قد رآها من قبل فى الصحف لكنه لم يكن مستعداً لرؤيتها على الحقيقة . لقد استقبلته وكأنه ضيف عزيز يزورها من الناحية الاجتماعية ، ولم تظهر الخوف أو التوتر ، واعتقد شوتاس أن هذا يرجع لجهلها عن ضعف موقفها لكن اتضح له العكس تماماً ، فهى أذكى وأجمل امرأة قابلها . على الرغم من أن مظهرها لا يوحى بذلك لكنه خبير فى شئون النساء وأدرك سمات شخصية نويل . كان مجرد الجلوس معها والتحاور معها يمتعه للغاية ، فقد تناقش معها فى الفن والقانون والجريمة والتاريخ وكانت فى كل مرة تدهشه . لقد قدر علاقتها مع ديميريس لكن حيرّته علاقتها بـ " لارى دوجلاس " . كان يشعر أنها أعلى منه ، لكنه شعر أنه توجد للحب كيمياء خاصة تجعل الناس غير المتساوين اجتماعياً يحبون بعضهم البعض فيتزوج العلماء بالشقراوات فارغات العقل ، والكتّاب بالممثلات الحمقاوات ، ورجال السياسة بالعاهرات .

تذكر شوتاس لقاءه بـ " ديميريس " . كانا يعرفان بعضهما البعض اجتماعياً لكن شركة شوتال للاستشارات القانونية لم تقم بأى عمل لصالح ديميريس من قبل . ديميريس حدد له موعداً فى منزله ودخل فى الموضوع بدون مقدمات : " كما تعلم فأنا مهتم بشكل خاص بتلك المحاكمة فهى أول امرأة أحبها حقاً " ثم تناقش معه فى القضية لست ساعات متواصلة وناقشا كل الجوانب والزوايا وقررا أن تخرج نويل براءة

وتم الاتفاق مع شوتاس حيث سيأخذ أجره المعتاد مضاعفاً وستكون شركته القانونية هى أهم جهة استشارية لإمبراطورية ديميريس الاقتصادية المتسعة الأركان ، وتلك صفقة رابحة تساوى الملايين .

قال ديميريس فى نهاية الحوار بشراسة : " لا يهمنى كيف تفعلها ، لكن تأكد من عدم وقوع أى خطأ . "

قبل شوتاس الصفقة ولكن يا لسخرية الأقدار ، لقد وقع فى حب نويل . كان أعزب طوال حياته ويقيم علاقات متعددة ، وتلك هى المرأة الوحيدة التى رغب فى الزواج بها لكنها كانت بعيدة المنال . نظر إليها وهى فى قفص الاتهام وكانت جميلة وهادئة . كانت ترتدى حُلة من الصوف الأسود بسيطة وأنيقة وسترة بيضاء بلا رسومات ولها عنق طويل وبدت كأميرة فى القصص الخيالية والأساطير .

التفتت نويل وشاهدته يحدق إليها فابتسمت له بدفء فبادلها الابتسامة وكان عقله مشغولاً بالمهمة الصعبة الملقاة على عاتقه . جاء حاجب المحكمة ليعلن بدء الجلسة .

وقف الحضور بينما دخل اثنان من القضاة وكانا يرتديان حُلل العمل الرسمية وجلسا على مقعديهما ثم تبعهما القاضى الثالث فى المقعد الذى فى المنتصف وقال : " تبدأ المحاكمة " .

وهكذا بدأت المحاكمة .

كان رئيس النيابة العامة بيتر ديمونيديس متوتراً ، وبدأ بخطابه الموجه للمحلفين ، وكان رجلاً ماهراً وحاذقاً فى مهنته ولقد واجه شوتاس كثيراً لكن - فى كل مرة - كان شوتاس يهزمه فى كل المحاكمات ، وكم حاول المحامون تخويف الشهود لكن شوتاس كان يمزح معهم ويدللهم وبالتالى تتضارب أقوالهم بما يخدم هدفه . كان شوتاس من أقوى أصحاب العقول القانونية الذين واجههم ديمونيديس وكان لديه دراية تامة بالقانون والتشريع لكن ليس هذا هو السبب

الوحيد لقوته ، بل كانت قوته فى معرفته بالناس وطباعهم . سأله صحفى ذات مرة كيف تعلم الكثير عن الطبيعة البشرية فقال له : " لا أعرف أى شىء عن الطبيعة البشرية بل عن الناس فقط . " فصار قوله ذلك مقتطفاً يتذكره الناس .

علاوة على ماسبق فإن تلك المحاكمة كانت تبدو كأنها مفصلة لـ " شوتاس " ؛ حيث كانت من النوع المفضل له حيث تجمع بين الشهرة والقتل والمشاعر . كان ديمونيديس متأكداً من شىء واحد : لن يدع شوتاس أى شىء يمنعه من أن يربح هذه القضية . لكن ديمونيديس لن يدع أى شىء يجعله يخسر ، فلديه أدلة دامغة ضد المتهمين وبينما قد يخدع شوتاس المحلفين بالتغاضى عن الدليل وأهميته ، لكنه لن يخدع القضاة الثلاثة . لذلك كان يتحدث وهو يشعر بالإصرار المخلوط بالترقب ، وهو يوجه حواره للمحلفين .

فى عبارات رنانة فصيحة لخص ديمونيديس القضية وادعاء النيابة ضد المتهمين . ووفقاً للقانون فإن رئيس المحلفين العشرة محام ، لذلك وجهه ديمونيديس للنقاط القانونية بينما النقاط العامة وجهها لباقى أعضاء هيئة المحلفين .

قال ديمونيديس : " قبل انتهاء تلك المحاكمة ستثبت النيابة أن هذين المتهمين تآمرا على قتل كاثرين دوجلاس لأنها وقفت عقبة أمامهما وكانت جريمتها الوحيدة أنها كانت تحب زوجها ولذلك قُتلت . كان المتهمان متواجدين فى مسرح الجريمة وسنثبت بما لا يدع مجالاً للشك .

كان خطاباً قصيراً وملتزماً بالنقاط الأساسية دون إطناب ، وحان دور محامى الدفاع للتحدث .

شاهد الحضور شوتاس وهو يجمع أوراقه بعدم نظام وتوتر ثم يستعد لإلقاء خطابه التمهيدى . اقترب ببطء من منصة المحلفين وكان يبدو عليه التردد وصعوبة وبطء الحركة وكأنه يشعر بالرهبة ممن حوله .

شاهده فريزر ، وهو لا يكاد يخفى إعجابه بمهاراته إلا أنه لم يخدع بتمثيله لأنه شاهده من قبل فى حفل لسفارة بريطانية وقد شاهد المحلفين وهم يساعدونه عن طريق دفعه للأمام لالتقاط كل كلمة يقولها بهدوء .

قال شوتاس للمحلفين : " تلك السيدة فى قفص الاتهام لا تحاكم على جريمة قتل ، حيث إنه لا توجد جريمة قتل ، وإذا حدثت فأين جثمان الضحية ؟ ولماذا لم يظهره لنا وكيل النيابة ؟ ولأنه لم يفعل ذلك فلا توجد جثة ولا توجد بالتالى جريمة قتل " . صمت لبرهة وحك رأسه وكأنه يحاول أن يتذكر ما كان على وشك قوله وتأمل الأرضية قليلا ثم أومأ برأسه وقال للمحلفين : " ليست تلك هى الجريمة يا سادة ، بل إن موكلتى تحاكم لأنها انتهكت قانوناً آخر عرفياً مدوناً هو الزنا مع زوج امرأة أخرى ، ولقد أدانتها الصحف والناس وبالتالى يطالبون بإعدامها " .

توقف لبرهة وأخرج منديلاً كبيراً أبيض ليجفف عرقه ثم وضع المنديل فى جيبه وحدق للحظة وكأنه يحاول أن يتذكر ما سيقوله " حسناً ، لقد انتهكت قانوناً ما فلنعاقبها ، لكن الجريمة ليست القتل يا سادة ؛ لأنها جريمة لم تقع أصلاً ، فتهمة نويل باج هى أنها كانت عشيقة " . ثم توقف لبرهة متأثراً ثم أردف قائلاً : " لأهم رجل فى اليونان واسمه يعتبر سراً رهيباً ، لكنكم ستجدونه فى الجرائد الآن " .

ضحك الحاضرون .

التفت أوجست لانشون وحدق إلى الحضور بغضب ملأ عينيه اللتين تشبهان عيون الخنازير . كيف تجرأوا وسخروا من نويل حبيبته ؟ إنها لم تهتم أبداً بـ " ديميريس " بل بأول رجل كانت تعشقه . لم يتمكن لانشون التاجر السمين من مرسيليا من التحدث إلى نويل بعد لكنه دفع ٤٠٠ دراخمة لحجز المكان الذى يجلس عليه رغم بخله الشديد لكى يتمكن من رؤيتها كل يوم . عندما تظهر براءتها سيتقدم لحمايتها

ويتخذها صديقة مدى الحياة ، ثم انتبه بعد أن استغرق فى خياله إلى المحامى الذى قال :

" تقول النيابة إن نويل باج ولارى دوجلاس قتلا مدام دوجلاس لكى يتمكنا من الزواج . انظروا إليهما " .

التفتت جميع القاعة إلى نويل ولارى .

" هل يحبان بعضهما البعض ؟ محتمل ، لكن هذا لا يجعلهما مخططين لجريمة قتل . إذا كان هناك ضحايا فى تلك المحاكمة فأنتم تنظرون لهما الآن . لقد راجعت كل الأدلة واقتنعت وسأقنعكم بالبراءة . لكنى أوضح لهيئة المحلفين أننى لا أمثل لارى دوجلاس ، فلديه محاميه القدير ، لكن النيابة تتهمه مع موكلتى كشريك فى الجريمة ، وأنهما خططا ونفذا جريمة قتل ولذلك إذا أدين أحدهما فسيدان الآخر . وأنا أقول إن كليهما برىء ولن أغير رأيى سوى بظهور الجثة ، وأعلم أنه لا توجد جثة " .

زاد الغضب والحدة فى صوت شوتاس : " الأمر كله محض الخيال ، موكلتى لا تعرف ما إذا كانت كاثرين دوجلاس قد ماتت أم لا تزال على قيد الحياة . من أين لها أن تعرف ؟ فلم تقابلها أبداً فما بالكم بإلحاق الأذى بها ؟ تخيلوا معى فداحة أن يتهم المرء بقتل من لم يره أبداً . توجد احتمالات أخرى لمصير كاثرين دوجلاس ، إحدى تلك الاحتمالات أن تكون قتلت ، لكن هذا مجرد احتمال واحد من عدة احتمالات ، ربما اكتشفت علاقة زوجها بامرأة أخرى فهربت ليس من الخوف ولكن من الألم ، وهذا ليس سبباً لإعدام رجل وامرأة من الأبرياء " .

كان محامى لارى دوجلاس فريدريك ستافروس يتنهد خلسة ويتنفس الصعداء . كان كابوسه الدائم أن تخرج نويل براءة وتتم إدانة موكله ، لأنه إذا حدث ذلك فسيكون أضحوكة زملائه المحامين . كان ستافروس يبحث عن طريقه للتعلق بدفاع شوتاس وهاهى قد جاءته الفرصة دون

عناء عن طريق ربط مصير المتهمين معاً بحيث يكون الدفاع عن نويل دفاعاً عن موكله . إذا ربح ستافروس القضية فسيتغير مستقبله تماماً ويحقق كل أحلامه ، ولقد امتلأ بالعرفان والتقدير لأستاذه القديم شوتاس .

ولاحظ ستافروس أن أعضاء هيئة المحلفين ينصتون باهتمام لكل كلمة يقولها شوتاس .

قال شوتاس بإعجاب : " تلك السيدة لا تهتم بالماديات ، فهى رغبت فى التضحية بكل شىء دون تردد من أجل الرجل الذى أحبته وتلك ليست شخصية قاتلة ومدبرة جرائم بالتأكيد يا أصدقائى " .

بينما استمرت مرافعة شوتاس تحولت انفعالات المحلفين إلى التعاطف الظاهر مع نويل . رسم لهم شوتاس صورة المرأة الجميلة عشيقة أقوى وأغنى رجل فى العالم وكان يغدق عليها بكرمه وفى النهاية رضخت واستسلمت لحب طيار فقير عرفته لفترة قصيرة .

كان شوتاس يلعب على وتر مشاعر المحلفين وكأنه عازف محترف ، ويجعلهم يضحكون ويبكون ويستحوذ على انتباههم تمامًا . عندما انتهى دفاعه عاد على استحياء لمكانه وجلس لكى يوقف الناس من التصفيق له .

* * *

كان لارى دوجلاس فى قفص الاتهام ينصت لـ " شوتاس " وهو يدافع عنه وكان غاضباً جداً . إنه ليس بحاجة إلى دفاع لأنه لم يقم بأية جريمة والمحاكمة خطأ فادح واللوم يقع على نويل فلقد كانت تلك فكرتها . نظر إليها ووجدها جميلة وهادئة لكنه لم يرغب فيها بل شعر بذكرى خافتة لعشق قديم وتعجب كيف عرض حياته للخطر من أجل مجرد امرأة . جال ببصره إلى منصة الصحفيين فوجد صحفية فى العشرينات تحدق إليه فابتسم لها ابتسامة خفيفة فاستنار وجهها .

كان ديمونيديس يستجوب أحد الشهود .

" ما اسمك ؟ "

" أليكسيس مينوس " .

" ما عملك ؟ "

" محام " .

" هلا نظرت للمتهمين فى قفص الاتهام يا سيد مينوس ، هل رأيت أحدهما من قبل ؟ "

" نعم أحدهما فقط "

" من ؟ "

" الرجل " .

" السيد لارى دوجلاس ؟ "

" هذا صحيح " .

" هلا أخبرتنا من فضلك فى أى ظروف قابلته ؟ "

" جاء لمكتبى منذ ستة أشهر " .

" هل جاء لاستشارتك فى مسألة قانونية ؟ "

" نعم " .

" هلا أخبرتنا بها ؟ "

" طلب منى الحصول على الطلاق من زوجته " .

" هل وكلك من أجل تلك المهمة ؟ "

" كلا ، فعندما شرح لى الوضع والظروف أخبرته أنه من المستحيل أن يحصل على الطلاق فى اليونان " .

" وما هذه الظروف ؟ "

" قال إن الطلاق يجب أن يظل سريًا بدون إشهار والسبب الثانى أن زوجته لا توافق على الطلاق " .

" هل طلب منها الانفصال بالطلاق فرفضت ؟ "

" هذا هو ما قاله لى " .

" هل شرحت له أنك لا يمكنك مساعدته وأنه إذا لم ترغب الزوجة فى الطلاق ، فسيكون من الصعب أو المستحيل أن يطلقها بموجب القانون ، وقد يلزم الأمر الإشهار ؟ "

" نعم " .

" إذن لم يكن هناك بديل عن الإجراءات اليائسة سوى القتل ... " .

" اعتراض ! " .

" الاعتراض مقبول ! "

" استجوب الشاهد يا محامى الدفاع " .

قام شوتاس من مقعده وتنهد وسار بخطى بطيئة نحو الشاهد . لم يقلق ديمونيديس لأن مينوس محام بارع لن تخدعه حيل شوتاس .

قال شوتاس : " أنت محام يا سيد مينوس " .

" نعم " .

" ومحام بارع بالتأكيد ، وأنا مندهش لأننا لم نتقابل من قبل فى قضية ما ، فشركتى القانونية تتعامل مع عدة فروع قانونية ربما قابلت بعض شركائى فى أى قضية خاصة بالشركات ؟ " .

" كلا فأنا لا أعمل فى القضايا الخاصة بالشركات " .

" آه ، ربما تعمل فى قضايا الضرائب ؟ " .

" كلا " .

بدا الارتباك وعدم الراحة على وجه شوتاس وكأنه يصطنع الحماقة والغباء . " إذن فى مجال الأمن ؟ " .

" كلا " بدأ مينوس يستمتع بإحراج وإهانة شوتاس ، وبدت على وجهه نظرة الواثق من نفسه ومن مهارته أما ديمونيديس فقد سرى بداخله القلق ، لقد رأى تلك النظرة على وجوه الكثيرين من الشهود قبل أن يربكهم شوتاس ويدحض أقوالهم ويجعلها تتضارب .

حك شوتاس رأسه فى حيرة وقال بصراحة : " إذن ، ما هو تخصصك القانونى ؟ " .

قال بصوت واضح وببطء للتشفى والشماتة : " محامى قضايا طلاق . "

بدت على وجه شوتاس نظرة حزن وهز رأسه قائلاً : " كان يجب أن أعرف أن وكيل النيابة قد أحضر متخصصاً " .

" شكراً يا سيدى " ولم يخف مهارته وإعجابه بذكائه الآن . تلك فرصة لا تتاح لكل شاهد أن يسخر من شوتاس وفى ذهنه الآن قصة رائعة يجملها ويزيد تفاصيلها ليقولها لأصحابه فى النادى الليلة .

قال شوتاس بإحراج : " لم أترافع فى قضية طلاق من قبل ، ولذلك سأحيل الأمر للخبراء " .

كان المحامى القدير يستسلم تماماً وهذا يجعل القصة أجمل لـ " مينوس " مما كان يتوقع .

قال شوتاس : " لابد أنك مشغول جداً فى قضاياك " .

" أنا آخذ عدد القضايا الذى يمكننى التعامل معه " .

قال شوتاس بإعجاب : " بالقدر الذى يمكنك التعامل معه " .

" أحياناً أكثر " .

نظر ديمونيديس للأرض لأنه توقع ما سيحدث .

قال شوتاس برهبة : " لا أريد التدخل فى شئون عملك يا سيد مينوس لكن من باب الفضول المهنى ، كم عميلاً لديك فى العام الواحد ؟ " .

" من الصعب معرفة ذلك " .

" لا تكن متواضعاً يا سيد مينوس ، خمن " .

" ربما ٢٠٠ عميل تقريباً " .

" مائتا عميل سنوياً ! لابد أن الأعمال الكتابية وحدها مرهقة للغاية " .

" حسناً ، ليس مائتى عميل بالضبط " .

قال شوتاس بارتباك وهو يحك ذقنه : " ماذا ؟ " .

" ليست كلها قضايا طلاق " .

قال شوتاس وقد بدا الارتباك على وجهه : " ألم تقل أنك تتعامل مع قضايا الطلاق فقط ؟ " .

" نعم لكن ما أعنيه أن الطلاق لا يقع فى كل حالة " .

" لكن أليس هذا سبب لجوء الناس إليك ؟ " .

" نعم لكن بعضهم يعدل عن إصراره على الطلاق لسبب أو لآخر " .

أومأ شوتاس عندما فهم فجأة وقال : " آه ! تعنى أن بعضهم يتوصل للصلح مثلاً ؟ " .

" بالضبط " .

" إذن ما تقوله هو ـ مثلاً ـ أن ١٠٪ من العملاء لا يحصلون على الطلاق نتيجة الصلح ؟ " .

قال مينوس وهو يتقلب فى مقعده فى عدم ارتياح : " بل النسبة أعلى من ذلك " .

" إلى أى مدى ؟ ١٥ ٪ ، ٢٠٪ ؟ " .

" بل أقرب لـ ٤٠٪ " .

حدق إليه شوتاس فى دهشة : " هل تقول يا سيد مينوس إن حوالى نصف الناس ممن يأتون إليك لا يحصلون على الطلاق لأنهم يعدلون عن هذا القرار ؟ " .

" نعم " .

تصبب العرق من جبهة مينوس والتفت إلى ديمونيديس الذى ظل يحدق إلى الأرضية الخشبية .

قال شوتاس : " إننى متأكد من أن ذلك ليس نقص ثقة فى قدراتك " .

قال مينوس مدافعاً : " بالتأكيد لا ، فقد يأتى الناس لى باندفاع أحمق ، قد يتشاجر زوجان وتنمو بينهما الكراهية ويرغبان فى الطلاق وبعد أن يهدأ الموقف يعدلان عن هذا " . ثم توقف فجأة عندما انتبه لتأثير كلامه .

قال شوتاس : " شكراً ، لقد كنت خير معين لى " .

* * *

كان ديمونيديس يستجوب الشاهد التالى :

" ما اسمك ؟ " .

" كاستا ، إيرينى كاستا " .

" آنسة أم مدام ؟ " .

" مدام ، فأنا أرملة " .

" ما عملك ؟ " .

" مديرة منزل " .

" أين تعملين ؟ " .

" لدى أسرة ثرية فى قرية رافينا " .

" إنها قرية صغيرة تطل على الساحل ، أليس كذلك ؟ على بعد ١٠٠ كيلومتر شمال أثينا ، صحيح ؟ " .

" بالطبع " .

" هلا نظرت للمتهمين فى قفص الاتهام ؟ هل رأيتهما من قبل ؟ " .

" بالتأكيد ، كثيراً " .

" هلا أخبرتنا بملابسات الموقف ؟ " .

" كانا يعيشان بالفيلا المجاورة للفيلا التى أعمل بها ورأيتهما عاريين على الشاطئ كثيراً " .

شهق الحضور ثم سرت همهمة بينهم ، ألقى ديمونيديس نظرة سريعة إلى شوتاس ليرى هل سيعترض أم لا لكنه وجده جالساً يبتسم

وكأنه فى حلم ، مما جعل ديمونيديس متوتراً أكثر لكنه واصل استجواب الشاهدة .

" هل أنت متأكدة من رؤيتك لهما ؟ فلقد أقسمت اليمين كما تعلمين ؟ "

" نعم ، إننى متأكدة " .

" هل عندما كانا على الشاطئ هل كانت العلاقة بينهما حميمية ؟ " .

" حسناً ، لم يكونا كأخ وأخته " .

ضجت القاعة بالضحك .

قال ديمونيديس : " شكراً لك ، استجوب الشاهدة يا شوتاس " .

أومأ شوتاس بود وقام وسار بخطى سريعة للسيدة المهيبة فى منصة الشهود .

" منذ متى وأنت تعملين فى هذه الفيلا يا مدام كاستا ؟ "

" منذ سبعة أعوام " .

" سبعة أعوام ! لابد أنك ماهرة جداً فى عملك " .

" بكل تأكيد " .

" ربما تزكين لى مديرة منزل ، فأنا كنت أفكر فى شراء فيلا فى رافينا لكن المشكلة فى الخصوصية ، والفيلات هناك متلاصقة ومتجاورة جداً " .

" كلا يا سيدى كل فيلا محاطة بسور كبير " .

" رائع ، فهى ليست متجاورة جداً ؟ " .

" كلا ، كل فيلا على بعد ١٠٠ ياردة من الأخرى وأعرف واحدة معروضة للبيع وستتمتع فيها بالخصوصية وأزكى لك أختى كمديرة منزل فهى ماهرة ومنظمة وتجيد الطهى " .

" شكراً يا مدام كاستا ، فهذا يبدو رائعاً ، ربما سأخابر أختك هاتفياً وقت العصر " .

" إنها تعمل يومياً وستعود فى الساعة السادسة " .

" كم الوقت الآن ؟ "

" لا أرتدى ساعة يد "

" توجد ساعة حائط عبر القاعة " .

" إنها بعيدة ولا يمكننى رؤيتها جيداً " .

" ما المسافة التى بينك وبين الساعة ؟ " .

" حوالى ـ إحم ـــ ٥٠ قدم " .

" بل ٢٣ قدماً يا مدام كاستا . شكراً لا يوجد المزيد من الأسئلة " .

فى اليوم الخامس للمحاكمة ، شعر د . كاتس بألم فى موضع ساقه المبتورة . عندما كان يجرى جراحاته المتعددة كان يقف على رجل صناعية لساعات متواصلة ولم يزعجه ذلك . لكن الآن مجرد الجلوس بدون التركيز الشديد لإلهاء انتباهه عن الألم ، فإن الأعصاب ترسل رسائل للذاكرة بأنه لا توجد ساق الآن ، وظل يتقلب فى مقعده ويحاول تقليل الضغط على وسطه ولقد حاول رؤية نويل وزيارتها كل يوم منذ وصوله لأثينا لكن بلا فائدة . وتحدث مع شوتاس فقال له إن نويل متوترة ولا تريد مقابلة أحد إلا بعد انتهاء المحاكمة . قال له كاتس إنه يريد مساعدتها إذا احتاجته لكنه ليس متأكداً هل وصلت لها تلك الرسالة أم لا ، فكان يجلس فى قاعة المحكمة يوماً بعد يوم ويأمل أن تنظر إليه لكنها لم تلق بأية نظرة للحضور .

إن كاتس مدين لها بحياته ولذلك شعر بالإحباط لأنه لن يتمكن من سداد الدين . لم يدر كيفية سير المحاكمة وهل سيتم تبرئه ساحتها أم سيتم إدانتها . لكنه علم من شوتاس أنه يوجد حكمان لا ثالث لهما : البراءة أو الإدانة . إذا تم الحكم بالبراءة فسيطلق سراحها ، وإذا تمت إدانتها فسوف تعدم .

جاء شاهد آخر وحلف اليمين .

" ما اسمك " .

" كريستيان باربيه " .

" أنت مواطن فرنسى أليس كذلك ؟ " .

" نعم " .

" أين تسكن ؟ "

" فى باريس "

" ما عملك ؟ "

" أنا صاحب وكالة استخبارات سرية " .

" أين المقر الرئيسى لوكالتك ؟ " .

" فى باريس " .

" ما نوع القضايا التى تتولاها ؟ "

" كثير جداً ... الاختلاس ، المفقودين ، مراقبة الأزواج والزوجات الغيورين على شركاء حياتهم ... " .

" هلا تفحصت الحضور وأخبرتنا هل كان منهم من لجأ لخدماتك ؟ " . تفحص باربيه القاعة ببطء ثم قال :

" نعم يا سيدى " .

" من ؟ "

" السيدة الجالسة هناك : " نويل باج " .

سرت همهمة وسط الحضور نتيجة الإثارة لهذا الخبر .

" هل تقول إنها استأجرت خدماتك للقيام بالتحرى ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" هلا أخبرتنا بنوع العمل الذى طلبته منك ؟ "

" كانت مهتمة بشخص يدعى لارى دوجلاس وأرادت معرفة كل شىء عنه " .

" هل هو نفس الشخص الحاضر الآن ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" هلا نظرت لتلك الإيصالات ، هل هى خاصة بنقود تم دفعها لك ؟ " .

" هذا صحيح " .

" أخبرنا كيف كنت تتوصل لمعلومات عن السيد دوجلاس " .

" كان هذا أمراً صعباً يا سيدى ، فأنا أعيش فى فرنسا وكان السيد دوجلاس فى إنجلترا ولاحقاً فى الولايات المتحدة وكانت فرنسا واقعة تحت الاحتلال النازى ... " .

" نعم ؟ " .

" قلت إن فرنسا كانت واقعة تحت الاحتلال النازى ... " .

" لحظة واحدة ، أريد أن أتأكد من أننى أفهمك يا سيد باربيه فيما ذكرته . لقد أخبرنا محامى نويل باج أنها تقابلت مع لارى دوجلاس منذ بضعة أشهر ووقعا فى الحب والآن أنت تقول أن العلاقة بدأت - منذ متى ؟ "

" منذ ٦ سنوات على الأقل " .

سرى الهرج والمرج فى القاعة .

قال ديمونيديس لـ " شوتاس " وهو ينظر له بانتصار : " دورك فى استجواب الشاهد " .

فرك شوتاس عينيه وقام من مجلسه وسار حتى منصة الشهود .

قال شوتاس : " لن أعطلك كثيراً يا سيد باربيه فلابد أنك قلق وتريد العودة لعائلتك فى فرنسا " .

قال باربيه بثقة : " خذ ما تريد من الوقت يا سيدى " .

" شكراً لك . سامحنى على فضولى الشخصى ، لكن حلتك تبدو فاخرة يا سيد باربيه . "

" شكراً لك يا سيدى " .

" لقد صنعت فى باريس أليس كذلك ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" إنها فاخرة وأنيقة ، ليس لدى أى حظ فى الحُلل ، هل جربت الحياكة الإنجليزية ؟ فهم ماهرون جداً فى تلك الأمور " .

" كلا يا سيدى " .

" إننى متأكد من أنك زرت لندن عدة مرات أليس كذلك ؟ " .

" كلا " .

" أبداً ؟ " .

" لم أذهب إلى لندن أبداً " .

" هل زرت جنوب المحيط الهادى ؟ "

" كلا يا سيدى " .

" لابد أنك مخبر سرى رائع يا سيد باربيه وأنا أرفع قبعتى تحية لك ، فتقاريرك عن لارى دوجلاس من إنجلترا وأمريكا وجنوب المحيط الهادى - ومع ذلك لم تسافر أبداً لتلك الأماكن . فهل أفترض أنك تصل للمعلومات عن طريق الروحانيات الباطنية والتكهن الروحانى ؟ "

" دعنى أوضح لك يا سيدى ، ليس من الضرورى لى الذهاب لتلك الأماكن فأنا أؤجر مراسلين ومخبرين سريين ليعملوا لحسابى فى أى مكان " .

" سامحنى على غبائى ، بالطبع هذا ما حدث ! وهل هؤلاء الناس هم من كانوا يخبرونك بأنشطة لارى دوجلاس ؟ "

" بالضبط " .

" لكنك لم تعرف معلومات عن تحركاته بشكل مباشر وشخصى ؟ "

" كلا يا سيدى " .

" إذن كل المعلومات كانت منقولة من أطراف أخرى " .

" نعم إلى حد ما يا سيدى " .

" أنا أطالب يا حضرات السادة الأفاضل باستبعاد شهادة هذا الشاهد لأن كل كلامه إشاعات لا سند لها " .

قفز ديمونيديس من مقعده وصاح : " أعترض يا حضرات القضاة فلقد قامت نويل باج باستئجار خدمات السيد باربيه للحصول على معلومات عن لارى دوجلاس وهذه ليست إشاعة ... "

قال شوتاس بهدوء : " المستندات التى قدمتها كدليل لا تكفى وأنا سأقبل شهادة هذا الرجل إذا أحضر لنا من كانوا يتابعون تحركات لارى دوجلاس وإلا فسأفترض أن المتابعة لم تحدث وأطلب استبعاد شهادته " .

قال القاضى لـ " ديمونيديس " : " هل أنت على استعداد لإحضار هؤلاء الشهود ؟ " .

قال ديمونيديس متلعثماً : " هذا مستحيل فالأمر سيستغرق أسابيع والسيد شوتاس يعلم ذلك ! "

قال القاضى : " يتم استبعاد شهادة هذا الشاهد " .

قال ديمونيديس مستجوباً شاهد آخر :

" ما اسمك ؟ " .

" جورج موسون " .

" ما عملك ؟ "

" إننى موظف الاستقبال فى فندق بالاس فى أيونينا " .

" هلا نظرت للمتهمين ، هل رأيتهما من قبل ؟ "

" رأيت الرجل فقط وكان من نزلاء الفندق فى أغسطس الماضى " .

" هل تقصد السيد دوجلاس ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" هل جاء للفندق بمفرده ؟ "

" كلا يا سيدى " .

" من كان معه ؟ "

" زوجته " .

" كاثرين دوجلاس ؟ "

" نعم يا سيدى ؟ " .

" هلا سجلا اسميهما كزوج وزوجة ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" هل تناقش معك لارى دوجلاس عن كهوف بيراما ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" هل أنت من بادرته بالنقاش أم هو ؟ "

" بل هو كما أذكر ، فلقد سألنى عنها وقال إن زوجته تريد الذهاب إلى هناك بلهفة ، فهى تحب الكهوف واعتقدت أن هذا شىء غريب " .

" لماذا ؟ "

" النساء لا يهتممن بالاستكشاف وما إلى ذلك " .

" هل ناقشت الأمر مع مدام دوجلاس فى أى وقت ؟ "

" كلا مع زوجها فقط " .

" وما الذى قلته له ؟ "

" قلت له إن الكهوف خطيرة " .

" هل ذكرت له أنه يمكنه استئجار مرشد ؟ "

" نعم وأنا متأكد من أننى اقترحت ذلك لأننى أقول ذلك لكل نزلاء الفندق " .

" لا مزيد من الأسئلة ، دورك يا سيد شوتاس فى استجواب الشاهد " .

" منذ متى وأنت تعمل فى الفنادق يا سيد موسون ؟ "

" أكثر من ٢٠ عاماً " .

" هل كنت طبيباً نفسياً قبلها ؟ "

" إننى ... ! كلا يا سيدى " .

" أو محللاً نفسياً ؟ "

" كلا يا سيدى " .

" إذن فأنت لست خبيراً فى سلوك النساء " .

" ربما لست محللاً نفسياً ، لكن فى مجال الفندقة يتعلم المرء الكثير عن النساء " .

" هل تعرف من تدعى أوزا جونسون ؟ " .

" كلا " .

" إنها مستكشفة شهيرة على مستوى العالم . هل سمعت عن ايميلينا إبرهيرت ؟ "

" كلا يا سيدى " .

" مارجريت ميد ؟ "

" كلا يا سيدى " .

" هل أنت متزوج يا سيد موسون ؟ " .

" حالياً لا ، لكنى تزوجت وطلقت ٣ مرات وبالتالى فأنا خبير فى النساء ، وتمكنت من الاحتفاظ بزيجة واحدة . لا مزيد من الأسئلة " .

* * *

قال ديمونيديس : " ما اسمك ؟ " .

" كريستوفر كوسيانيس " .

" ما عملك ؟ " .

" أنا مرشد فى كهوف بيراما " .

" منذ متى وأنت فى هذا العمل ؟ " .

" عشرة أعوام " .

" هل يسير العمل على ما يرام ؟ " .

" جداً جداً ، فآلاف السائحين يأتون للكهوف كل عام " .

" هلا نظرت للمتهم فى قفص الاتهام . هل رأيته من قبل ؟ " .

" نعم فقد جاء للكهوف فى أغسطس الماضى " .

" هل أنت متأكد ؟ " .

" متأكد للغاية " .

" هذا يحيرنا يا سيد كوسيانيس ، هل مازلت تتذكر شخصاً واحداً من ضمت آلاف السائحين للكهوف ؟ "

" من الصعب نسيانه " .

" لماذا ؟ "

" لأنه لم يلجأ لخدمات المرشد " .

" هل كل الزوار يستأجرون مرشداً ؟ "

" الألمان والفرنسيون بخلاء لكن كل الأمريكان يفعلون ذلك " .

ضجت القاعة بالضحك .

" فهمت ، لكن هل يوجد سبب آخر يجعلك تذكر السيد دوجلاس ؟ " .

" بكل تأكيد ، لم أكن لألاحظه سوى بسبب رفضه للمرشد ، حيث شعرت زوجته بالإحراج عندما رفض المرشد . لاحقاً رأيته يهرع خارج فتحة الكهف وكان فى شدة الاضطراب وظننت أن زوجته قد تعرضت لحادث أو ما شابه ذلك . فذهبت إليه وسألته هل السيدة بخير فحدق إلىّ بشكل غريب وقال : " أى سيدة ؟ " فقلت له : " السيدة التى اصطحبتها للكهف " . فشحب وجهه وظننت أنه سيضربنى لكنه بدأ فى الصراخ : " لقد فقدتها وأحتاج للمساعدة " وبدا كالمجنون " .

" لكنه لم يطلب المساعدة إلا عندما سألته عن السيدة ؟ "

" هذا صحيح " .

" ما الذى حدث بعد ذلك ؟ "

" نظمت فريقاً من المرشدين وبدأنا البحث ، قام أحمق برفع لافتة " خطر " من الجزء الجديد من الكهف فهو ليس مفتوحاً للعامة ووجدناها هناك بعد حوالى ثلاث ساعات وكانت فى حالة سيئة " .

" سؤال أخير ، أجبه بكل حرص وصراحة ، عندما خرج لارى دوجلاس من الكهف لأول مرة هل كان يبحث عمن يساعده أم كان يهم بمغادرة المكان " .

" بل كان يهم بمغادرة المكان " .

" دور الدفاع فى استجواب الشاهد " .

قال شوتاس بصوت هادئ : " هل أنت طبيب نفسى يا سيد كوسيانيس ؟ " .

" كلا يا سيدى فأنا مرشد " .

" وأنت لست روحانياً ؟ "

" بالتأكيد لست كذلك " .

" إننى أسأل ذلك لأنه فى تلك المحاكمة التى استمرت لأسبوع حتى الآن وجدنا موظف فندق يدعى خبرته فى علم النفس وشهوداً يعانون من قصر النظر ، والآن تقول لنا إن دوجلاس لفت نظرك لأنه بدا مضطرباً ، وكأنك تقرأ ما فى ذهنه فكيف علمت أنه لم يكن يبحث عن مساعدة إلا عندما تحدثت إليه ؟ " .

" لم يبد عليه السعى فى طلب المساعدة ، بل كان سيغادر المكان " .

" هل تذكر سلوكه جيداً ؟ " .

" بالطبع " .

" لابد أن لديك ذاكرة متميزة ، أريدك أن تنظر إلى القاعة هل رأيت أحداً من الناس هنا قبل اليوم ؟ " .

" المتهم " .

" وغيره ؛ خذ وقتك فى التفكير " .

" كلا " .

" هل إذا رأيت أحداً من قبل من الحضور كنت ستتعرف عليه ؟ "

" بكل تأكيد " .

" هل قابلتنى قبل اليوم ؟ "

" كلا يا سيدى " .

" هلا نظرت لهذه الورقة ، هل تعرف ما هى ؟ "

" إنها تذكرة " .

" تذكرة ماذا ؟ " .

" لدخول كهوف بيراما " .

" ما هو التاريخ المدون عليها ؟ " .

" الاثنين منذ ٣ أسابيع " .

" نعم فأنا من اشتريتها واستخدمتها يا سيد كوسيانيس مع خمسة من أصدقائي وكنت مرشدنا في رحلة الكهف . لا يوجد المزيد من الأسئلة " .

" ما مهنتك ؟ "

" إنني حامل الحقائب في فندق بالاس في أيونينا " .

" هلا نظرت للمتهمين ، هل رأيتهما من قبل ؟ " .

" نعم رأيت السيدة في السينما " .

" هل رأيتها في الحقيقة قبل اليوم ؟ "

" نعم ، جاءت للفندق وسألت عن حجرة السيد دوجلاس وأخبرتها أن تسأل موظف الاستقبال فقالت إنها لا تريد إزعاجه فأعطيتها رقم الكوخ " .

" متى ؟ "

" أول يوم من أغسطس يوم العاصفة العاتية " .

" هل أنت متأكد من أنها نفس السيدة ؟ " .

" كيف أنساها ؟ لقد أعطتني بقشيشاً قيمته مائتا دراخمة " .

بدأ الأسبوع الرابع للمحاكمة واتفق الجميع على أن شوتاس يدافع بشراسة وقدم أفضل دفاع شاهدوه في حياتهم . لكن على الرغم من ذلك كانت شباك الإدانة تحاك وتضيق أكثر وأكثر .

رسم ديمونيديس صورة عشيقين يئسا من الزواج بسبب عقبة وجود زوجة ، ويوماً بعد آخر كان يزيد من شرح خطتهما لقتلها .

ترك ستافروس محامي دوجلاس موضعه لـ " شوتاس " معتمداً عليه تماماً لكنه شعر أن البراءة تحتاج لمعجزة . حدق ستافروس في المقعد الخالي في قاعة المحكمة وتساءل هل سيأتي ديميريس أم لا . إذا تمت إدانة نويل فغالباً لن يأتي لأن ذلك معناه هزيمته . ومن ناحية أخرى إذا كان يعلم أنها ستحصل على البراءة فغالباً سيظهر ، لذا أصبح المقعد الخالي رمزاً لسير المحاكمة .

لكنه ظل خالياً .

وجاء يوم الحسم في النهاية .

" ما اسمك ؟ " .

" د. جون كلاوميديس " .

" هل قابلت السيد دوجلاس أو زوجته ؟ "

" نعم . كلاهما " .

" ماذا كانت المناسبة ؟ "

" تم استدعائي للذهاب لكهوف بيراما لأن هناك امرأة فقدت هناك ووجدها فريق البحث وكانت تعاني من صدمة عصبية " .

" هل كانت تعاني من الناحية البدنية ؟ "

" نعم ، عدة سحجات وكدمات ، فقد احتكت يداها وذراعاها وخداها في الصخور ووقعت على رأسها وشخصت حالتها ارتجاجاً في المخ وأعطيتها حقنة مورفين للتخلص من الألم وأمرت بنقلها للمستشفى " .

" وهل ذهبت فعلاً للمستشفى ؟ " .

" كلا يا سيدي " .

" هلا أخبرت هيئة المحلفين السبب ؟ " .

" أصر زوجها على إعادتها للكوخ فى فندق بالاس " .

" هل كان ذلك غريباً أيها الطبيب ؟ "

" قال إنه يريد العناية بها بنفسه " .

" إذن عادت مدام دوجلاس للفندق . هل اصطحبتها إلى هناك ؟ "

" نعم وأصررت على ذلك وعلى بقائى معها فى الكوخ لكى أكون معها عندما تفيق " .

" هل كنت معها عندما أفاقت ؟ "

" نعم " .

" هل قالت أى شىء لك ؟ "

" نعم " .

" هلا أخبرتنا به ؟ "

" قالت إن زوجها حاول قتلها " .

مرت خمس دقائق قبل أن تهدأ الضجة بين الحضور بأمر القاضى الذى هدد بإخلاء القاعة إذا لم يلتزم الجميع الهدوء . سار شوتاس لـ " نويل " سريعاً وتبادل معها حواراً قصيراً وبدت حزينة لأول مرة . واصل ديمونيديس استجوابه للشاهد .

" ذكرت أيها الطبيب فى شهادتك أن مدام دوجلاس كانت فى حالة صدمة عصبية . فى رأيك المهنى كطبيب هل كانت مدام دوجلاس فى حالة عقلية سليمة عندما قالت لك إن زوجها حاول قتلها ؟ "

" نعم ، فلقد أعطيتها عقاراً مسكناً عندما كانت فى الكهف وكانت هادئة إلى حد ما ، وعندما أخبرتها أننى سأعطيها مسكّناً آخر لكى تنام ، اضطربت بشدة وتوسلت بألا أفعل ذلك " .

قال القاضى : " ألم تذكر لك السبب ؟ "

" نعم ، يا سيادة القاضى ، فقد قالت إن زوجها سيقتلها وهى نائمة " .

قال القاضى لـ " ديمونيديس " بعد أن اعتدل فى جلسته : " استمر فى استجواب الشاهد " .

" هل أعطيتها المسكن بالفعل للمرة الثانية ؟ "

" نعم " .

" وهى على فراشها فى الكوخ ، أليس كذلك ؟ "

" نعم " .

" كيف أعطيته لها ؟ "

" بالحقن " .

" هل كانت نائمة عندما غادرت الكوخ ؟ "

" نعم " .

" هل توجد فرصة لكى تستيقظ فى أى وقت وترتدى ملابسها وتخرج بلا مساعدة من الكوخ ؟ "

" فى حالتها ؟ كلا ، فهذا أمر غير وارد لأن المسكن كان قوياً " .

" هذا كل شىء ، شكراً لك أيها الطبيب " .

نظر المحلفون بعيون باردة تنم عن العداوة إلى نويل ولارى . وقد بدا من الواضح والبديهى لأى فرد إلى أى مسار اتجهت القضية .

برقت عينا بيل فريزر من الرضا . بعد شهادة د. كلاوميديس لا يوجد مجال للشك فى أنهما قتلا كاثرين . لن يتمكن شوتاس من فعل أى شىء لإقناع المحلفين بنفى الصورة الذهنية لامرأة منومة وخائفة ولا يمكنها الدفاع عن نفسها تتوسل للطبيب لكيلا يتركها بين يدى قاتلها .

كان ستافروس فى حالة فزع ، لأنه اتبع شوتاس فى ثقة عمياء به لأنه سيحصل على البراءة لموكلته وبالتالى لموكله . شعر بالخيانة الآن وأن كل شىء ينهار ويتهاوى . كانت شهادة الطبيب لها أثر سلبى لسير القضية لتأثيرها كدليل وتأثيرها الانفعالى على المحلفين . فحص ستافروس القاعة بعينيه فوجدها ممتلئة عن آخرها بالناس والصحافة عدا

قال شوتاس لـ " نويل " : " لم يكن من السهل الاتفاق مع القضاة ، ولكن ـ بكل صراحة ـ فإن السبب الأساسى لتساهلهم معك هو اهتمامهم بـ " ديميريس " لأنه عانى من كل الإشاعات بدون داع ويودون عمل كل ذلك لراحته " .

قالت نويل : " أتفهم ذلك " .

قال شوتاس بتردد : " هناك شرط آخر " .

" نعم ؟ " .

" سيحتفظ ديميريس بجواز سفرك ولن تغادرى اليونان أبداً وستظلين تحت حمايته " .

وهكذا قضى الأمر .

هذا هو اتفاق ديميريس . لم تصدق نويل أن القضاة قلقون بشأنه كرجل مهم لكنه دفع لهم من أجل حريتها ، بالتأكيد كان الثمن باهظاً . لقد رتب ديميريس للأمر بحيث لا تفارقه نويل أبداً ولن ترى لارى أبداً . نظرت إلى لارى ولاحظت فى وجهه الارتياح لأنه سيطلق سراحه وهذا كل ما كان يهتم به ، فهو غير نادم على فقدانها أو على ما حدث لكنها فهمته لأنه بمثابة الأنا العليا لها ، كلاهما يعشق الحياة ولا يشبعان منها أبداً . كانت روحاهما متشابهتين وكأنهما مخلدان فى هذا العالم إلى الأبد ، فهما فوق القانون الذى لم يضعاه ولن يلتزما به أبداً . ستفتقد لارى كثيراً ، لكنها تقدر الحياة الغالية الآن وتخاف الموت . ولذلك فإنها صفقة رابحة وقبلتها بامتنان وقالت لـ " شوتاس " : " هذا يرضينى " .

نظر إليها شوتاس برضا مشوب بحزن . فهمت نويل السبب ، لأنه وقع فى حبها ويستخدم مهاراته لكى ينقذها من أجل رجل آخر . شجعته نويل عمداً على أن يقع فى غرامها لأنها تحتاجه لكيلا يتأخر عن القيام بأى شىء لإنقاذها ، وها قد نجحت .

قال ستافروس : " أعتقد أن كل شىء رائع للغاية " .

شعر ستافروس أن الأمر معجزة ، فهذا الحكم جيد كالبراءة تماماً ، ولكن على الرغم من أن معظم الفائدة ستعود لـ " شوتاس " لكن ما سيتبقى له سيكون رائعاً ، سيحظى ستافروس بزبائن أثرياء ودوره سيكبر فى المحاكم وسوف يسطع نجمه فى عالم المحاماة .

قال لارى : " العرض رائع لكن فى الواقع نحن لسنا مذنبين فنحن لم نقتل كاثرين " .

قال له ستافروس بغضب جامح : " من يكترث هل أنت مذنب أم لا ؟! " . ثم صاح : " نحن نقدم لك حياتك وحريتك دون مقابل ! " .

نظر سريعاً لـ " شوتاس " ليرى وقع كلمة " نحن " عليه ، لكنه وجده يستمع فى حياد تام .

قال شوتاس لـ " ستافروس " : " يجب أن تفهم أننى أنصح موكلتى وموكلك حر فيما يريد " .

قال لارى : " ماذا سيحدث لنا بدون هذا الاتفاق ؟ " .

قال ستافروس : " سيتولى المحلفون ... " .

قال لارى بوقاحة : " أريد سماع رأيه هو " والتفت لـ " شوتاس " .

قال شوتاس : " المهم فى أى محاكمة يا مستر دوجلاس ليس أن تكون بريئاً أو مذنباً بل الانطباع بأن تكون بريئاً أو مذنباً . لا توجد حقيقة مطلقة ، بل تفسيرات مختلفة للحقيقة . فحتى لو كنت بريئاً فإن المحلفين لديهم انطباع بأنك مذنب وهذا سيدفعك للإعدام " .

نظر إليه لارى لبرهة وقال : " حسناً ، لننته من الأمر " .

بعد ربع ساعة مثل المتهمان أمام القاضى الذى جلس عن يمينه ويساره المستشاران . كان شوتاس يقف بجوار نويل وستافروس بجوار لارى دوجلاس . كان التوتر يملأ الجو والناس فى القاعة ، لأن الجميع شعر بتطورات حادة فى الموقف . لكن ما حدث باغت الجميع وكان مفاجأة مذهلة . بصوت رسمى وهادئ وكأنه لم يعقد اتفاقاً مع القضاة

قال شوتاس : " حضرات السادة القضاة ، تود موكلتى الاعتراف بأنها مذنبة " .

حدق القاضى فى دهشة لـ " شوتاس " وكأنه يسمع لأول مرة هذا الحوار .

فكرت نويل : " إنه قاض يتقن التمثيل ، لابد أنه يخدم ديميريس من أجل المال أو أية مصلحة أخرى " .

تشاور القاضى مع المستشارين فى همس وقال لـ " نويل " : " هل تريدين الاعتراف بأنك مذنبة ؟ "

أومأت نويل وقالت بثبات : " نعم " .

تحدث ستافروس سريعاً وكأنه لا يريد أن يكون خارج الصورة : " موكلى يرغب فى الاعتراف بأنه مذنب أيضاً " .

قال القاضى لـ " لارى " : " هل تريد الاعتراف بأنك مذنب ؟ " .

نظر لارى لـ " شوتاس " وقال : " نعم " .

حدق القاضى وتفرس فى وجه لارى ونويل وكان وجهه يتسم بالجدية ثم قال : " هل نصحكما المحاميان بأن الاعتراف بالقتل المتعمد مع سبق الإصرار والترصد جريمة عقوبتها الإعدام ؟ " .

قالت نويل بصوت هادئ وواضح : " نعم يا سيدى القاضى "

نظر القاضى إلى لارى الذى قال بدوره : " نعم يا سيدى القاضى "

قال القاضى لـ " ديمونيديس " : " هل لدى النيابة اعتراض على هذا ؟ " .

نظر ديمونيديس لـ " شوتاس " لبرهة ثم قال : " كلا يا حضرة القاضى " .

تساءلت نويل هل تقاضى وكيل النيابة رشوة من ديميريس أم يتم استخدامه كقطعة الشطرنج فى اللعبة الكبرى .

قال القاضى : " ليس أمام المحكمة سوى قبول اعتراف المتهمين . ثم قال لهيئة المحلفين : " مع هذا التطور الجديد فى سير القضية ،

ينتهى دوركم أيها السادة وسوف تنتهى القضية اليوم بصدور الحكم . شكرا على خدماتكم وتعاونكم . رفعت الجلسة وستستأنف بعد ساعتين " .

فى اللحظة التالية هرع الصحفيون للهواتف والآلات الكاتبة لنقل التطور الخطير الأخير فى محاكمة نويل باج ولارى دوجلاس .

بعد ساعتين امتلأت قاعة المحكمة عن آخرها بينما تم استئناف المحاكمة . ألقت نويل نظرة على الحضور فوجدتهم يراقبونها وفى وجوههم نظرة توقع وحماس وقاومت الرغبة فى الضحك على سذاجتهم فهؤلاء هم الدهماء الذين يظنون أن العدل سيأخذ مجراه وأنهم يعيشون فى ديمقراطية تعطى نفس الحقوق للغنى والفقير .

قال القاضى : " هلا تقدم المتهمان للمثول أمام هيئة المحكمة "

سارت نويل برشاقة نحو منصة القضاة وبجوارها شوتاس ولاحظت بطرف عينها أن لارى وستافروس وقفا مثلها أمام منصة القضاة .

قال القاضى : " كانت تلك محاكمة طويلة وصعبة وفى القضايا الكبرى مثلها تميل المحكمة للاعتقاد بأن المتهم برىء حتى صدور أى أدلة ، وكان هناك شك ضئيل فى البراءة لصالح المتهمين لعدم وجود جثة ، وأنا متأكد من أن المحاميين قد أخبرا المتهمين أنه لم يحدث أبداً فى تاريخ القضاء اليونانى أن نحكم على أحد بالإعدام فى حالة عدم ثبوت ارتكاب جريمة قتل " .

توجست نويل خيفة من كلام القاضى وسرى الشك بداخلها لكن القاضى واصل كلامه :

" لقد اندهشت وزملائى من اعتراف المتهمين المفاجئ " . زاد شعور نويل بالقلق وشعرت بتقلص فى معدتها وصعوبة وضيق فى التنفس . كان لارى يحدق إلى القضاة ولا يفهم ما يدور .

" نحن نقدر عذاب الضمير الذى قاد المتهمين إلى الاعتراف أمام القضاة وأمام كل الناس ، لكن عذاب الضمير لا يغفر أو يكفر عن ذنب القتل لامرأة عاجزة عن الدفاع عن نفسها " .

فجأة فهمت نويل اللعبة الكبرى التى لعبها ديميريس لخداعها ؛ لقد أعطاها إحساساً كاذباً بالأمان لكى يخدعها ولقد وقعت فى الفخ لكى ينتقم منها . كان يعلم مدى خوفها من الموت فأعطاها الأمل فى الحياة وصدقته لكنه كان أذكى وأدهى منها ، فهو يريد انتقامه منها الآن وليس لاحقاً . بالتأكيد كان شوتاس يعلم كل هذا وأنها لن تواجه الإعدام ما دامت لم تظهر أى جثة ، وهو لم يتفق مع القضاة ولم يقدم لهم الرشاوى ؛ لقد خدع نويل لكى تلاقى حتفها . نظرت إليه فنظر إليها بحزن ، فقد أحبها لكنه ساقها إلى الموت ، ولو كان الخيار متاحاً له لفعل نفس الشيء لو عاد به الزمن للوراء ، لأنه فى النهاية رجل ديميريس كما كانت هى تابعة لـ " ديميريس " وكلاهما لا يمكنه مقاومة بطشه .

واصل القاضى خطابه قائلاً : " ولذلك فمن منطلق القوة المفوضة لى من الحكومة وبموجب القانون فلقد حكمت المحكمة على نويل باج ولارى دوجلاس بالإعدام رمياً بالرصاص على أن ينفذ الحكم خلال ٩٠ يوماً من تاريخه " .

ساد الهرج والمرج فى القاعة ولكن نويل لم تعد تسمع أو ترى أى شيء ، فجأة استدارت للمقعد الذى ظل فارغاً طوال الأيام السابقة ، لم يعد فارغاً ، بل كان ديميريس يجلس عليه وكان مهندماً وحليق الذقن والشعر ويرتدى حلة فاخرة وكانت عيناه تلمعان من الحيوية . لا يوجد أثر للرجل المهزوم المتهاوى الذى زارها فى السجن لأن هذا الرجل لا وجود له من الأساس .

لقد جاء ديميريس ليرى نويل لحظة انهزامها ويستلذ بالرعب فى عينيها . ظلت عيناه السوداوان تحدقان فى عينيها ورأت هى فى عينيه

رضا عميقاً شريراً ، وكان هناك شعور آخر ، ربما نوع من الندم لكنها لم تلتقطه خاصة أنه فات الأوان الآن .

انتهت لعبة الشطرنج إلى الأبد .

كان لارى ينصت لكل كلمة من الكلمات الأخيرة للقاضى وكان مذهولاً ولا يصدق ما سمع ، وعندما جاء العسكرى وقاده من ذراعه انفلت منه لارى وصاح : " انتظروا ! أنصتوا لى ! لم أقتلها ! " .

جاء عسكرى آخر وأمسك لارى مع العسكرى الأول وقيدا لارى بالكلبشات لكنه أخذ يصيح : " لم أقتلها ! لم أقتلها ! " وحاول الهرب منهما لكن الكلبشات كانت أسرع وهرعا به خارج المحكمة عنوة .

شعرت نويل بيدى السجانة على ذراعها واصطحبتها إلى خارج المحكمة بهدوء .

قالت السجانة : " إنهم فى انتظارك يا نويل " بدا لنويل أن تلك العبارة كنداء لها لكى تصعد على خشبة المسرح ، لكن هذه المرة سيسدل الستار على حياتها ولن يفتح مرة أخرى . أدركت أنها لن ترى الناس مرة أخرى ولن تظهر على الملأ مرة أخرى وكأن هذا هو العرض الأخير لتوديع الجماهير فى المحكمة القذرة التى كانت بمثابة المسرح لها الآن . قالت نويل لنفسها فى تحد : " حسناً ، هذا وداع يليق بأميرة " ثم ألقت نظرة أخيرة على القاعة المزدحمة ورأت أرمان جوتييه يجلس فى صمت وذهول ولأول مرة يخرج عن هدوئه المعتاد وإنكاره لعدم الفائدة فى أى شيء فى العالم .

رأت فيليب سوريل بوجهه الصارم يحاول الابتسام فلم يستطع .

رأت كاتس وعينيه وفمه مغلقتين وكأنه يصلى من أجلها . تذكرت الليلة التى هرّبته فيها فى حقيبة سيارة الجنرال الألمانى تحت عينى ضابط المخابرات الأحمق ، وتذكرت خوفها فى ذلك اليوم ، والذى لا يقارن بالرعب الذى يعتريها الآن .

رأت أوجست لانشون صاحب دار الأزياء ، لكنها لم تتذكر اسمه ولكنها تذكرت وجهه المكتظ وجسده المكور البدين وليلتها معه فى الفندق القذر عندما وجدها تنظر إليه أخفض بصره عنها .

كان يوجد رجل أمريكى طويل وسيم ذو شعر رمادى واقف يحملق إليها وكأنه يود أن يقول لها شيئاً لكنها لم تعرف أنه ويليام فريزر .

جذبتها السجانة من ذراعها وقالت : " هيا بنا يا نويل "

كان ستافروس فى حالة صدمة وذهول ، فهو ليس مجرد شاهد على تهمة ملفقة بل هو مشارك فى تلك الجريمة ، يمكنه الذهاب للقاضى وإطلاعه على الحقيقة : ولكن هل سيصدقه أحد ؟ هل سيصدقونه ويكذبون شوتاس ؟ لا يهم ، لقد شعر ستافروس بمرارة فى حلقه لأنه شعر أن مهنته كمحام انتهت ولن يلجأ إليه أى شخص . سمع من يناديه ووجد أنه شوتاس : " إن لم يكن لديك مواعيد مهمة غداً فلماذا لا نتناول الغداء معاً ؟ أريدك أن تقابل شركائى فأنا أعلم أن لديك مستقبلاً باهراً فى المحاماة " .

لاحظ ستافروس عبر كتفى شوتاس أن القاضى يهم بالانصراف ، هل يخبره بحقيقة الأمر أم لا ؟ ثم نظر إلى شوتاس وشعر بالرعب من قدرته على اقتراف ما فعل ، لكنه وجد نفسه يقول : " هذا كرم منك يا سيدى ، متى سيكون الموعد المناسب ... ؟ " .

وفقاً للقانون اليونانى يتم تنفيذ أحكام الإعدام على جزيرة صغيرة تسمى أجيانا وهى على بعد ساعة من ميناء بيرويوس وهناك قارب مخصص لنقل المذنبين للجزيرة ذات المنحدرات الصخرية الرمادية فى الشواطئ وكان بها فنار على الصخور . كان السجن فى شمال الجزيرة وكان السياح يشاهدون الجزيرة من بعيد تمهيداً لزيارة جزيرة أخرى ،

لكن السجن لم يكن مدرجاً ضمن المزارات السياحية . ولا يقترب منه أحد إلا لسبب قانونى محض .

كانت الساعة الرابعة صباحاً وقد بقيت ساعتان على موعد إعدام نويل فى السادسة صباحاً .

احضروا لها رداءها المفضل لكى ترتديه ، وكان زياً أحمر مصنوعاً من الصوف من ماركة كريستيان ديور وحذاءً أحمر من نفس اللون وملابس داخلية فرنسية فاخرة وشبكة لرقبتها ، وقد أرسل ديميريس كل هذا من مصففة الشعر المعتادة لها لتمشيط شعرها وكأنها ذاهبة إلى حفل .

من الناحية النظرية شعرت نويل أنه لن يصدر لها عفو فى آخر لحظة ، وأن الرصاص سوف يخترق جسدها والدماء التى ستغرق الأرض هى دماؤها . لكن من الناحية العاطفية شعرت أن ديميريس سيفعل المعجزات وينقذها ربما عن طريق مكالمة هاتفية أو كلمة أو إشارة من يده . إذا فعل ذلك فستعوضه وتلبى كل رغباته . تمنت لو أتيح لها فرصة مقابلته وستعده بأنها لن تنظر لأى رجل آخر سواه وستكرس حياتها لإسعاده مدى الحياة . لكنها تعلم أنه لا فائدة من استجداء عطفه ، لكن إذا جاء هو إليها فلا بأس ، حيث إنها لن تهرع إليه بالطبع .

وما زال أمامها ساعتان .

كان لارى دوجلاس فى زنزانة أخرى ، ومنذ صدور الحكم عليه ، زادت الخطابات الواردة إليه من النساء من جميع أنحاء العالم ، ومدير السجن الذى كان يظن نفسه خبيراً قد صدم ببعض تلك الرسائل .

كان لارى سيستمتع بالرسائل لو كانت وصلت له ، لكنه كان مغيباً ذهنياً ، ففى أول أيامه فى السجن بعد صدور الحكم كان فى حالة عنف

وهياج ويصرخ طوال الليل والنهار بأنه برىء ويطالب بمحاكمة جديدة فأمر الطبيب بإعطائه المنوم طوال الوقت .

فى الخامسة إلا عشر دقائق صباحاً جاء مدير السجن و٤ حراس لزنزانة لارى وكان جالساً على فراشه فى هدوء وانسحاب وناداه مدير السجن عدة مرات قبل أن ينتبه لارى إلى أنهم حضروا من أجله فقام بخطوات بطيئة متثاقلة وكأنه مغيب ذهنياً ولا يعى ما حوله .

ساروا عبر الممر إلى باب عليه حراس فى آخر الممر حيث فتح الباب وجد لارى نفسه فى حديقة مسورة وكان يرتعش من برودة هواء الفجر وهو يخرج من الباب . كانت النجوم لامعة والقمر بدراً ، فذكره ذلك بجزر جنوب المحيط الهادى عندما كان الطيارون يغادرون الفراش ويستعدون للإقلاع فجراً . سمع هدير البحر من بعيد وحاول تذكر الجزيرة التى كان بها ومهمته فى الحرب . ولكن قيده الجنود على عمود أمام الحائط بحيث صارت ذراعاه خلف ظهره مكبلتين إلى العمود .

لم يعد يشعر بالغضب الآن بل يتعجب وكأنه فى حلم وكأنه مازال فى الحرب ، شعر بالكسل والتراخى لكنه قال لنفسه إنه لا يجب أن ينام لأن أمامه مهمة حربية هو قائدها . وجد الجنود فى الزى الرسمى قد اصطفوا أمامه ويصوبوا البنادق ناحيته . تملكه الخوف ؛ سيهاجمونه من عدة اتجاهات لكى ينفصل عن باقى سرب الطائرات لأنهم خائفون منه . تخيل نفسه يقوم بمناورة بالطائرة ويحطم كل الطائرات التابعة للعدو . فجأة شعر بالألم يخترق جسده وأصابته عدة طلقات فى أماكن متفرقة . فكر لارى أثناء سكرات الموت وهو فى النزع الأخير : **من أين أتى الرصاص ؟ ... يوجد طيار أفضل منى ... يا ترى من هو ... .**

ثم دار رأسه وساد الظلام والصمت .

كانت مصففة الشعر تعتنى بنويل فى الزنزانة عندما سمعت نويل صوت طلقات الرصاص وظنت أنه رعد وبرق .

قالت نويل : " هل ستمطر ؟ "

نظرت إليها مصففة الشعر باستغراب ووجدت أن نويل لم تتعرف على صوت طلقات الرصاص فقالت لها بهدوء : " بل سيكون يوماً جميلاً " .

ففهمت نويل أن الدور عليها لتنفيذ الحكم .

فى الساعة الخامسة والنصف صباحاً قبل موعد إعدامها بنصف ساعة سمعت خطوات تقترب من زنزانتها . شعرت بقلبها يخفق فى رعب رغماً عنها بشكل لا إرادى . إنها متأكدة من أن ديميريس سيأتى لزيارتها . كانت تعلم أنها الآن أجمل من ذى قبل وعندما يراها ربما ... لكن جاء مدير السجن ومعه ممرضة معها حقيبة طبية سوداء . نظرت خلفهما بحثاً عن ديميريس لكن الممر كان فارغاً . فتح المدير باب الزنزانة ودخل مع الممرضة . دق قلب نويل بعنف وبدأ الخوف يعتريها وطغى على بارقة الأمل التى كانت بدأت تسطع على لحظاتها الأخيرة .

قالت نويل : " لم يحن الوقت بعد أليس كذلك ؟ " قال المدير وقد انزعج : " كلا يا نويل بل إن الممرضة هنا لإعطاءك حقنة شرجية " .

لم تفهم نويل فقالت : " لكنى لا أريد ذلك " .

قال لها المدير وبدا عليه الانزعاج أكثر : " هذا مهم لكيلا تشعرى بالإحراج " .

فهمت نويل مقصده ، وتحول خوفها لألم حاد فى معدتها فأومأت برأسها وخرج المدير من الزنزانة وأغلق الحارس الباب وابتعد عنها من باب الذوق لكيلا يراها .

قالت الممرضة : " لا داعى لإفساد هذا الرداء الأنيق ، ساعدينى لكى أعطيك الحقنة بهدوء وسوف يستغرق الأمر دقيقة واحدة " .

بينما استغرقت الممرضة فى عملها لم تشعر نويل بأى شىء . تخيلت نفسها مع أبيها وكان يقول : " **انظروا لابنتى ، بمقدور أى شخص أن يعرف أنها أميرة متوجة** " ورأت الناس يحملونها ويتسابقون لرؤيتها . جاءها رجل الدين لكى يساعدها على التوبة قبل الموت لكنها رفضت التحدث معه وانشغلت بتذكر والدها الذى كان يقول : " **أنت أميرة والعالم مملكتك ، وعندما تكبرين ستتزوجين أميراً وسيماً وتعيشين فى قصر فخم** " .

كانت تسير عبر الممر مع رجال الشرطة وفتح أحدهم الباب وخرجت إلى الحديقة الباردة . تذكرت عندما كان والدها يحملها عبر النافذة لترى صوارى السفن المتلاطمة عبر الماء .

قادها الرجال إلى العمود وأوثقوا يديها خلفه وربطوا خصرها أيضاً بالعمود . تخيلت والدها يقول لها : " هل ترين كل تلك السفن يا أميرتى ؟ إنه الأسطول الخاص بك . فى يوم من الأيام سيحملك للأماكن السحرية فى كل العالم " . حملها والدها وشعرت بالأمان . لكنها لم تتذكر لماذا كان غاضباً منها ولكن كل شىء أصبح على مايرام الآن فهو يحبها الآن وقد عادت إليه ، لكن لم تتمكن من رؤية وجهه ، ولم تعد تتذكر كيف كان شكل وجهه .

شعرت بحزن عميق وكأنها فقدت شيئاً ثميناً وأرادت أن تتذكر وجهه وإلا ستموت كمداً وحزناً ، فبدأت تركز جداً لكن قبل أن تراه مزقت جسدها طلقات الرصاص وكأنها آلاف السكاكين . وصاح عقلها : " **كلا ! ليس الآن ! دعونى أرى وجه أبى !** " .

لكنه ضاع للأبد فى غياهب الظلام .

الخاتمة

تحرك الرجل والمرأة عبر المدفن ولاحت على وجهيهما ظلال أشجار الصنوبر الباسقة الرشيقة على جانبي الطريق . سارا ببطء في الحر القائظ في شمس الظهيرة .

قالت الراهبة : " أود أن أعرب لك مرة أخرى عن امتناني باسم كل الراهبات على كرمك معنا ولم نكن نعرف ما الذي سنفعله لولا مساعدتك لنا " .

أشاح ديميريس بيديه معبراً عن عدم رضائه من كلامها وقال : " هذا شيء لا يذكر " .

لكنها كانت تعلم أنه لولاه لأغلق الدير منذ سنوات وكانت سعيدة لأنها سترد له الجميل إلى حد ما . كانت علامة رضا من الله ، فحمدته وشكرته على أنها مع باقي الراهبات ، وقد أنقذن صديقة ديميريس الأمريكية من الغرق في البحيرة يوم العاصفة . لقد حدث شيء ما لعقل السيدة وجعلها كالأطفال ، لكنها ستعتني بها ، لأن ديميريس طلب

منها رعايتها والتأكد من أنها لن تغادر أسوار الدير ، لكى تظل فى حماية ضد العالم الخارجى لباقى حياتها . إنه لرجل عطوف وخيرّ .

وصلا لنهاية المدفن ، وكان الطريق يؤدى إلى أرض صخرية بارزة فى المياه ، حيث وقفت كاثرين تتأمل فى البحيرة الهادئة ذات اللون الزمردى الأخضر فى الأسفل .

قالت تريزا : " ها هى الفتاة ، سأتركك معها الآن . أراك لاحقاً يا سيد ديميريس " .

راقب ديميريس تريزا حتى انصرفت عائدة للدير ثم سار عبر الطريق حتى جاء إلى كاثرين . وقال لها برقة : " صباح الخير " .

استدارت ناحيته ببطء ونظرت إليه ، كانت عيناها تبدوان فارغتين ولم تتعرف عليه عندما نظرت إليه .

قال لها : " أحضرت لك شيئاً " .

ثم أحضر من جيبه علبة مجوهرات صغيرة ومد يده بها إليها . فحدقت إليها كطفلة صغيرة .

قال لها : " هيا خذيها " .

مدت يدها ببطء نحو العلبة وأخذتها ورفعت غطاءها فوجدت بداخلها دبوساً ذهبياً على شكل طائر له عينان من فصوص الياقوت الأحمر وموضوعة على بطانية قطنية وكان الطائر فارداً جناحيه وكأنه على وشك الطيران . راقبها ديميريس وهى تأخذ الدبوس من العلبة وترفعه إليها . كان يبرق فى ضوء الشمس وفصوص الياقوت قد عكست قوس قزح صغيراً عبر الهواء . قلبته من جانب لآخر وشاهدت الأضواء الراقصة حول رأسها .

قال ديميريس : " لن أراك ثانية ، لكن لا تقلقى فلن يؤذيك أحد الآن ، فلقد مات الأشرار " .

بينما كان يتحدث ، كان وجهها فى مواجهته وللحظة لا تنسى ، بدا له على وجهها لمعان يدل على الذكاء ونظرة تدل على البهجة جدت

فى عينيها ، لكن بعد لحظة اختفت وظلت نظرتها حائرة فارغة كمن لا عقل لها . ربما كان ذلك خداعاً بصرياً بسبب ضوء الشمس الذى يعكس أضواء مبهرة من الدبوس الذهبى على عينيها .

ظل يفكر فى هذا الأمر بينما يسير عبر التل ببطء وخرج من بوابة حجرية ضخمة من الدير إلى سيارته الليموزين التى كانت فى انتظاره لكى تعود به إلى أثينا .

شيكاغو
لندن
باريس
أثينا
أيونينا
لوس أنجلوس .